الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي موسومة بـ :

الكتابة وبرهانات الإقناع

مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد

إعداد الطالب : بشير دردار

إشراف : أ/د : جيلالي بن يشو

أعضاء لجنة المناقشة

أ/د . مرتاض عبد الجليل أستاذ التعليم العالي...جامعة تلمسان.....رئيسا

أ/د . جيلالي بن يشو أستاذ التعليم العالي...جامعة مستغانم.....مشرفا ومقررا

أ/د . بوروبة المهدي أستاذ التعليم العالي.....جامعة تلمسان ..... عضوا

د.بن جامعة الطيب أستاذ محاضر"أ"...المركز الجامعي تيسمسيلت.....عضوا

د.والي دادة عبد الحكيم أستاذ محاضر"أ"...جامعة تلمسان .....عضوا

د.سعيدي محمد أستاذ محاضر"أ"..... جامعة مستغانم ..... عضوا

السنة الجامعية

1433– 1434هـ 2012- 2013م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي موسومة بـــ:

الكتابة ورهانات الإقناع

مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد

إعداد الطالب : بشير دردار
إشراف: أ . د : جيلالي بن يشو

أعضاء لجنة المناقشة

أ/د . مرتاض عبد الجليل أستاذ التعليم العالي...جامعة تلمسان..... رئيسا
أ/د . جيلالي بن يشو أستاذ التعليم العالي..جامعة مستغانم..مشرفا ومقررا
أ/د . بوروبة المهدي أستاذ التعليم العالي....جامعة تلمسان ..... عضوا
د.بن جامعة الطيب أستاذ محاضر"أ"..المركز الجامعي تيسمسيلت...عضوا
د.والي دادة عبد الحكيم أستاذ محاضر"أ"...جامعة تلمسان .....عضوا
د . سعيدي محمد أستاذ محاضر"أ"..... جامعة مستغانم ..... عضوا

السنة الجامعية : 1433-1434 هـ/ 2012-2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتوجّه بالشكر والامتنان إلى من أعانني على شق طريقي في هذا البحث، وأفادني بنصائحه الثمينة الغالية أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: جيلالي بن يشو.

وأتقدم بالشكر أيضا إلى كل من قدّم لي يد المساعدة خلال مرحلة إعدادي لهذا البحث.

كما أشكر لجنة المناقشة الموقرة على تجشمها عناء قراءة الرسالة ونقدها وتقويمها.

الإهداء

إلى روح والديّ العزيزين. أسأل الله أن يرحمهما كما ربياني صغيرا، ورعياني بدعائهما كبيرا.

إلى زوجتي وأولادي: هدى، وحفصة، ونصر الدين، وعبد القادر؛ عربونَ حب ووفاء.

إلى أهلي وأصدقائي وأحبائي جميعهم؛ عبارةَ مودة وإخلاص

. . .أهدي عملي هذا

مقدمة

قيل عن كتب الجاحظ قديما إنها تعلّم العقل والأدب، وقيل عنه حديثا الكثير في الكثير الذي أُلِّف حوله، ولازال بمقدورنا أن نقول عن الجاحظ إنه معلم فكر وأدب، ومثير قضايا، وصاحب طروحات لا ينتهي البحث فيها إلى غاية، إلاّ ليعاود الانطلاق من جديد في بحث ما شقّقته مناقشة هذه القضايا وهذه الطروحات. يُسأل عن الجاحظ في حقل اللغة، فتُستحضر دراسات لا حصر لها رصدت جهده، واجتهدت في إحصائه وتحليله، والكشف عن استباقاته في عديد المفاهيم المتصلة بالنحو والصوتيات والصرف والمعجم؛ ويخاض في مسألة التنظير للبلاغة والبيان وما يتصل بهما من ميادين البحث المعاصرة، فتَتَمشهد أمامنا إسهامات الجاحظ واستباقاته في اجتراح المفاهيم وبلورة التصورات التي تلامس أشد الملامسة ما اهتدى إليه المعاصرون في حقول الدلالة والتداولية والسيميولوجيا؛ ويُتحدّث عن السرد وعن علم الكلام وعن السياسة وعن الإبستمولوجيا، فيأبى الجاحظ معلّم الفكر والأدب إلاّ أن يداخل خطاباتنا ويتناص معها، حاضرا حضورا قويا، ليس أبسطَ تجلياته قولُنا كلما طرِحت قضية مما ذكرنا: إنّ للجاحظ فيها رأي مُبتدأٌ، أو نظرةٌ مستبِقة.

هذا عن التلميح إلى الدوافع التي دفعتني لاختيار الجاحظ مادة لبحثي هذا، وهي دوافع لا نعدمها في أي عمل من أعمالنا، وخاصة في الأعمال ذات الطابع الأكاديمي التي تحتاج منّا دأبا وكدّا ومكابدة للمشاق. أما عن اختيار موضوع بعينه مما يتصل بهذا العلَم العظيم، فقد اتجّهت تحديدا إلى آثاره المعروفة بـــ"الرسائل"فوجدت أنها تستحق العناية كغيرها من آثار الجاحظ. وبعد القيام بما استطعت من استطلاع بيبليوغرافي، تبيّن لي أن الاهتمام بها لدى الدارسين أقل بكثير من الاهتمام بالنصوص

"العليا" التي عرف بها الجاحظ، مثل : البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء؛ وهي الأعمال التي انصبّت عليها جل جهود الباحثين المعاصرين تحقيقا ودراسة، بصورة أدت إلى ركام من الدراسات التي لم تخل من التكرار والاجترار أحيانا، فزاد ذلك في تحفيزي على اختيار "الرسائل" موضوعا لرسالة الدكتوراه مرة أخرى، بعد أن كانت البداية بمذكرة الماجستير الموسومةبـــ"قراءة ابستمولوجية جمالية للنص الحجاجي عند الجاحظ-الرسائل نموذجا" تعرضت في فصلها الأخير لبلاغة الحجاج في الرسائل، من منظور التعدد الصوتي في المستوى اللساني الصرف. وجاءت رسالة الدكتوراه، فكان علي أن أكمل المتبقي من العمل، وأعمّق البحث في ظاهرة التعدد الصوتي كما تجلت في الخطاب الرسائلي عند الجاحظ؛ أكمل العمل والاشتغال على التعدد الصوتي، بأن أستوفي مستوييه الآخرين، المستوى النصي والخطابي، وأعمّق بحث مجمل القضايا التي يطرحها تصور البحث، بعد القراءات العديدة التي قمت بها لأعمال بحث نظرية وتطبيقية تتصل بالمقاربة التداولية للخطاب الأدبي عموما، وبنظرية التعدد الصوتي خصوصا، فانتهى بي التفكير إلى اختيار الموضوع الذي يتخذ من نص الرسائل مدونة ومن المقاربة التداولية الأصواتية منهجا. ومن هنا وُسِم البحث بـــ"الكتابة ورهانات الإقناع-مقاربة تداولية لرسائل الجاحظ من خلال مفهوم التعدد الصوتي".

أهداف البحث:

أسعى في هذا البحث إلى الكشف عما تختزنه الرسائل كخطاب أدبي من مؤشرات دلالية تداولية، تساعد على تبني رؤية جديدة لهذا الكم من النصوص التي درج الباحثون على التعاطي الاختزالي معها، بحيث نتجاوز في النظر إليها مسلمة

الدونية التي ألصقت بها، ونفتح آفاق البحث في إعادة تصنيفها من ناحية، ونثمّن قيمتها الأدبية والفكرية انطلاقا من دراسة تستهدف استحضار المقامات التلفظية الترسّلية التي أنتجتها، للوقوف على موثوقية النص ودلالاته على السياق الاجتماعي بمدلولاته الإيديولوجية المختلفة.

كما حاولت أن استثمر دراسة الخطاب الرسائلي من منظور تلفظي أصواتي لتهيئة معطيات قد تساعد على معالجة أفضل لقضايا منهجية أثيرت حول منهج الجاحظ في الكتابة، واستطراداته وموسوعيته، وتأرجحه بين بلاغة الشفوي والكتابي، وتفسير تناقض آرائه من مؤلّف إلى آخر، ومن موضع إلى آخر في المؤلّف الواحد.

وأردت بهذا البحث أيضا أن أثير بعض الإشكالات المتصلة بموثوقية النص، والتي نرى أن التحليل التلفظي الأصواتي كفيل بحصرها، وإضاءة الكثير من جوانبها، فدراسة مستويات التلفظ كشفت لنا كيف أن الناسخ يتدخل مرارا في فضاء الرسالة الكتابي تدخلا صريحا أحيانا، مما يدفعنا إلى التساؤل: ما الذي يمنعه من أن يتدخل تدخلا غير صريح، أو تدخلا من أي نوع كان؟

فرضيات البحث:

ساعدني تصور الأهداف الذي تقدم بيانه على وضع فرضيات البحث وطرح ما يفترض من إشكاليات حوله، فكان أول ما افترضته هو أن تصنيف الرسائل تحت المسمى الجامع "الرسائل"أو تحت أي مسمى يلتصق به بالتبعية أو التقسيم، تصنيف اختزالي يكرّس تهميش "الرسائل" ويعطي الانطباع بأنها "أعمال أدبية من الدرجة الثانية"والدليل هو قلة الدراسات المنجزة حولها. فكانت الإشكالية التي يمكننا صياغتها

في السؤال التالي: إلى أيّ مدى يصح تصنيف "الرسائل" المعتمد إلى يومنا هذا من منظور تداولي؟ وهل يحفّز ذلك التصنيف الاهتمام بالرسائل والكشف عن غناها المنهجي والمعرفي؟

يضاف إلى ذلك افتراض أن الرسائل تُقرأ عادة باعتبارها جنسا خطابيا واحدا أو نمطا نصيا متشابها، مما يدعو إلى طرح التساؤل التالي :ألا تدلنا الواسمات الأجناسية النصية والخطابية على تمايز الرسائل بعضها من بعض، من حيث فواتحها وخواتمها حضورا وغيابا، وتنوعا في صيغ الخطاب؟ ألا تدلّنا المتون والخطابات المحمولة فيها على تباين في أجناس الخطابات التي يمكن أن تلحق بها كل رسالة من الرسائل؟

وفي جانب آخر، افترضت أن كل قراءة جديدة للخطاب الرسائلي هي إنتاج جديد لدلالته. فقد وقفنا على كثير من الآراء التي أفرزتها قراءات سابقة للجاحظ تحدثت عن التزامه المذهبي المعتزلي، وعن تحالفاته، وخصوماته، وتفاوتت في الحكم عليها، فأردت من خلال القراءة التداولية الأصواتية أن أجيب عن أسئلة مرتبطة بذلك، من قبيل :كيف تدلنا الواسمات التلفظية المختلفة على موقف الجاحظ ممن يستحضر خطاباتهم جماعات وأفرادا؟ وما هي هذه الواسمات؟ وما مدى فعاليتها الإجرائية في تأكيد الآراء الشائعة حول موقف الجاحظ من الذوات الحقيقية التي يحاورها في نصوص رسائله؟

الوضعية الراهنة للبحث في الموضوع:

أشرت في موضع سابق من هذه المقدمة إلى قلة الدراسات التي تناولت "الرسائل" إجمالا، وقلة الدراسات التي تناولتها في ضوء المقاربة التداولية خاصة .فإذا

استثنينا الدراسة القيّمة التي أنجزها صالح بن رمضان حول الرسائل الأدبية في الأدب العربي القديم، والتي استفدت منها كثيرا في الفصل المخصص للتصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل، ودراسات أخرى قليلة تناولت رسائل بعينها، وفق مناظير تحليلية مختلفة، فلم يقع بين يدي من المراجع ما يخفّف عليّ عناء مضاعفة الجهد التوثيقي، ويغني سيرورات تحليل النماذج والأمثلة المختارة من الرسائل. هذا عن المراجع المتصلة بمادة البحث، أما عن المراجع الخاصة بالمنهج المعتمد، وهو المنهج التداولي الأصواتي، فليس الأمر بمختلف كثيرا، ذلك أنني لم أجد مشقّة في جمع عدد معتبر من المراجع في المقاربة التداولية باللغتين العربية والفرنسية، غير أنني صادفت صعوبات جمة في الحصول على مراجع عربية ذات صلة بمفهوم التعدد الصوتي وتطبيقاته على النصوص، فكان جل اعتمادي على المراجع الفرنسية التي تعود إلى عدد من الباحثين المنتمين لمدارس التحليل الأصواتي، كمدرسة الأصواتية اللسانية (أ.ديكرو)، أومدرسة جنيف الحوارية (إ. رولي)، أو المدرسة الإسكندنافية المعروفة بـــ"السكابولين"(هـــ. نولكه وزملاؤه).

ورغم كل تلك الصعوبات، فلقد سعيت إلى الاستفادة من باقي الدراسات التي أنجزت حول آثار الجاحظ الأخرى، ولو على سبيل الاستئناس.

ولا يفوتني أن أشير إلى الجانب التطبيقي ونماذج التحليل المعتمدة فيه، فأقول إن الدراسات التطبيقية التي أنجزت في الفضاء الفرنكوفوني المشار إليه آنفا أمدّتني بالكثير من الإضاءات التي ساعدتني على بناء نماذج التحليل التي اعتمدت عليها في التطبيق على الأمثلة المقتطفة من الرسائل.

ضبط المدونة:

اعتمدت في الأساس "رسائل الجاحظ،شرح وتقديم :علي بوملحم، في ثلاثة أجزاء " مدونة للبحث،وقد وقع اختياري عليها لعدة اعتبارات، منها: أنها تمثل أحدث عمل "تحقيقي" يقدّم الرسائل للقراء، ضمّنه صاحبه فهارس مفصلة للمضامين الجزئية للرسائل، التي كان يتبع كل واحدة منها بهوامش توضح مسائل شتى، فضلا عن مقدمات للرسائل وضعها في بداية كل جزء من الأجزاء الثلاثة التي وسمها تباعا بـــ"الرسائل السياسية"، "الرسائل الأدبية"،"الرسائل الكلامية". ورغم اعتماد هذا النص مدونة بصفة أساسية، كنت أعود عند الضرورة إلى باقي النصوص التحقيقية للمقارنة، والترجيح، وتأكيد المعلومات.

وكان التعامل مع المدونة خاضعا بطبيعة الحال لإكراهات البحث، ومقتضياته وأهدافه، إذ خضع استثمار نصوص الرسائل لما رسم للبحث من خطة، فتمّ انتقاء الأمثلة من الرسائل والإحالة إليها بحسب النمو التدرجي لفكرة البحث، وسيرورات التحليل التي استدعيت لإنضاجها والسير بها إلى نهايتها، فحضرت رسائل بمقتطفاتها بقوة في متن البحث، وقل حضور أخرى، وغاب عدد قليل من الرسائل لعدم توفرها على إمكانية الاستشهاد التمثيلي لظواهر التعدد الصوتي، أو ضعفه قياسا إلى رسائل أخرى.

ومن المفيد أن أشير هنا إلى الطريقة التي اعتمدتها في الإحالة إلى نصوص الرسائل:

- تُذكَر الرسالة أول مرة بكل بيانات إصدارها

- تذكر الرسالة بعنوانها،وعنوان الجزء الذي توجد فيه إذا تكررت الإحالة إليها

- يذكر عنوان الجزء الذي توجد فيه فقط، إذا ذكر عنوان الرسالة في المتن

منهج البحث:

دللت في العنوان صراحة على المنهج الذي اعتمدته في هذا البحث، وهو المنهج التداولي الأصواتي، وخصّصت الفصل المدخلي من رسالتي هذه لتوضيح أسسه، وعرض نظرياته، وبسطت القول في التعريف بجهازه المفاهيمي واصطلاحاته. وما كان مني ذلك التفصيل -الذي طال رغما عني- إلاّ لأستوفي بيان المنهج الذي كنت سأعتمده في تحليل المدونة، لاسيما أن هذا المنهج في جانبه المتصل بنظرية التعدد الصوتي وتطبيقاتها، لم يتم نقله إلى اللغة العربية بشكل كاف، إذ يكفيني أن أنبّه إلى أنني لم أعثر على مرجع واحد، عربي أو مترجم يعرض نظرية التعدد الصوتي وجهازها المفاهيمي ومنظومتها الاصطلاحية، أو يطبق عليها، لا في قواعد البيانات الالكترونية، ولا في القوائم البيبليوغرافية للمكتبات التي زرتها. فاضطرت والحال هذه إلى الاعتماد بشكل يكاد يكون كليا على المراجع الأجنبية التي أشرت إلى بعض مؤلفيها سابقا، وتطلّب مني ذلك أن أبذل جهدا إضافيا في الترجمة، كان أصعب ما فيه اقتراح ترجمات لمصطلحات لم أعثر عليها في الدراسات العربية التي اطلعت عليها، أصيلةً أو مترجمةً.

ومن المهم في هذه المقدمة أن أنبه إلى أنني سايرت المدرسة السكندنافية للأصواتية اللسانية في اعتمادها لمنهج يؤلّف بين تيارات متعددة، تيار الأصواتية اللسانية لديكرو، وتيار الأصواتية النصية-الخطابية لكل من إ. رولي وزملائها في فريق البحث السويسري، وج.م.أدام؛ هذا التأليف الذي أريد به وضع نموذج تحليلي قادر على

الإحاطة بالظواهر الأصواتية المختلفة، سواء كانت ذات منشأ لساني جملي، أو نصي، أو خطابي.

طرائق التحليل:

فرض علي المنهج ذو الصورة التأليفية المبيّنة أعلاه أن أنوّع طرائق التحليل، وأن أعتمد نماذج تحليل تعود إلى مناظير تداولية أصواتية من آفاق مختلفة، فكان التحليل اللساني قائما على استلهام تحليلات **أ.ديكرو** للملفوظات "المصطنعة" لغايات اختبارية، مع محاولة تكييفه ليكون فعّالا في دراسات ملفوظات أصيلة، ترد فيها الواسمات الأصواتية اللغوية من نفي واستفهام وروابط وموجهات وإحاليات. وكذلك صنعت في بناء النموذج التحليلي الخاص بالواسمات النصّية معتمدا على **إ.رولي** و**ج.م.أدام** وغيرهما، وفي بناء النموذج التحليلي الخاص بالواسمات الخطابية مترسما خطى **نولكه** وزملائه في المدرسة السكندنافية في اهتمامها بظواهر التعدد الصوتي الخطابية.

خطة البحث:

لعله قد اتضح من خلال ما تقدّم التصور العام لخطة البحث. فما هي تفاصيلها؟

قسّمت البحث إلى مدخل و أربعة فصول، خصصت المدخل للمهاد النظري، وتولّيت في الفصول الأربعة تحليل المدونة اعتمادا على ما تقدّم عرضه في المهاد، مع إضاءات نظرية مضافة.

أدرجت في المدخل المخصّص للمهاد النظري الإضاءة النظرية الموسعة للبحث، من حيث أصوله التداولية الممثلة في النظريات التداولية الأكثر تأثيرا في الدراسات الأصواتية، وأعني بها: نظرية أفعال الكلام،ونظرية التضمينات التحادثية لغرايس، والنظرية التداولية العرفانية لسبربر وولسن، ثم نظرية التداولية اللسانية المندمجة عند ديكرو وأضرابه.

وأعقبت ذلك بعرض تعريفي بنظريات التعدد الصوتي، وما اعتمدَتْه من ترسانات مفاهيمية، ومنظومات اصطلاحية، انتصب فوق أرضيتها نموذج التحليل الأصواتي في أحدث تجلياته عند المدرسة السكندنافية.

وفي الفصل الأول تعرضت إلى تجنيس الرسائل من منظور تحليل الخطاب عامة، ومن المنظور التداولي خاصة، فوجدتني مضطرا إلى الخوض في التصنيف الأجناسي للخطابات في عمومها، ثم في إشكاليات التصنيف الأجناسي للخطاب الرسائلي، وفي المبحث الأخير قمت بتطبيق مفاهيم التصنيف الأجناسي التداولي على الرسائل الجاحظية.

أما الفصول الثلاثة المتبقية، والتي تولّيت فيه تحليل المدونة بصورة فعلية، فقد اشتملت على محاولات لتطبيق المفاهيم النظرية السابق عرضها على رسائل الجاحظ، تدرجت فيها من المستوى اللساني في الفصل الثاني، إلى المستوى النصي في الفصل الثالث، لأنتهي إلى المستوى الخطابي في الفصل الرابع والأخير.

وبهذا اكتملت حلقات البحث، والتأمت أجزاؤه، وردّ آخره على أوّله، فجاءت الخاتمة التي ضمنتها خلاصة ما اجتهدت في الوصول إليه من نتائج.

الملاحق والفهارس:

زيادة على فهرس الموضوعات ومكتبة البحث، فرضت عليّ طبيعة البحث والخط الذي سارت فيه معالجة قضاياه أن أضمّنه ملاحق وفهارس أخرى تعين على حسن تلقيه وتقويمه، وإضاءة ما لم يتيسر إضاءته في متن البحث وهوامشه. وقد أردت بهذه الملاحق والفهارس أن أحقق ما يلي:

- تقليص حجم الهوامش في صفحات البحث، فعمدت إلى تخصيص ملحق للنصوص المقتبسة التي قمت بترجمتها، وآخر لأهم الأعلام المتخصصين في حقل الدراسات الأصواتية والحوارية. وحقّ هذين الصنفين من البيانات أن يدرجا في هوامش البحث كما هو متعارف عليه.
- تيسير الوصول إلى شواهد المدوّنة من خلال وضع فهرس لمطابقة الإحالة بين المدونة المعتمدة، وهي رسائل الجاحظ، شرح وتقديم علي بوملحم؛ مع رسائل الجاحظ وكتاب العثمانية، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، وكتاب التربيع والتدوير، نشر وتحقيق شارل بيلات. ذلك ليتسنى للمتلقي المقوّم الرجوع إلى أي مصدر من هذه المصادر.
- حصر المصطلحات المترجمة التي وردت في متن البحث، مع ذكر المقابل العربي لها، حرصا على تجنّب الالتباس الذي قد يقع أحيانا في التعرف على دلالة المصطلح في نسخته العربية.

الصعوبات والآفاق:

لابد قبل إنهاء خطاب المقدمة من الاعتذار عن الكثير من العيوب التي شابت هذا العمل، والتي وقفت على بعضها أثناء إنجاز مباحثه واجتهدت في التخلص منها ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وأخرى تكشّفت لي بعد إنهائه، فعدت إلى مواضعها في البحث منقحا ومصحّحا ما وسعني الأمر. ومع ذلك ظلّ الإحساس الذي يسيطر عليّ، هو إحساس من قصّر وهو قادر على الأفضل، أذكر بيت المتنبي:

و لمْ أرَ في عُيوبِ النَّاسِ شيئاً كنقْصِ القادرين على التّمَامِ

فأراني معنيا به، وكأنني المؤاخذ بالتقصير وحده من دون الناس جميعا.

أقول في ختام هذه المقدمة: إن ما أنجز في هذا البحث لا يعدو أن يكون إثارة للمسائل والمشكلات المتصلة بالخطاب الرسائلي عند الجاحظ، وبالمنهج المقترح في دراسته، فقضايا من قبيل موثوقية النصوص الرسائلية وتصنيفها الأجناسي ولاتجانسها الخطابي، منظورا إليها من منظار تداولي تلفظي أصواتي، تبقى بحاجة إلى البحث المعمّق المستقصي الذي آمل أن يشتغل عليه الباحثون، وأن أواصل الاشتغال عليه في الآتي من الأيام إن مدّ الله في عمري.

أوجه الشكر الجزيل والعرفان الخالص إلى أستاذي الفاضل د.بن يشو جيلالي على كريم رعايته للبحث وصاحبِه طوال المدة التي استغرقها إنجازه، واعتذر منه اعتذارا جميلا لما أكون قد قصرت فيه،صغيرا أو كبيرا.

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل

تيسمسيلت في 07 نوفمبر 2012

مدخـل نظري

نظرية التعدد الصوتي

- **الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي**
- **نظريات التعدد الصوتي**
- **الجهاز المفاهيمي لنظرية التعدد الصوتي**

توطئـــة:

نعتمد في دراستنا لمدونة الرسائل مقاربة تداولية تستثمر مفهوم الأصواتية أو التعدد الصوتي، الذي يتم تبنّيه على نطاق واسع اليوم في دراسة شتى أنواع الخطابات،[1] لاسيما في الخطابات ذات الطابع الحواري، كالخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب البيداغوجي، وغيرها من أنماط الخطابات.[2] ويتأسس هذا المفهوم كما تبلور في النظريات التي سنعرض لها لاحقا على مبدأ التصاق خاصية الحوارية بكل خطاب طبيعي، وهو المبدأ الذي جاء به **م. باختين (M.Bakhtine)**، وطوّره بعده باحثون كثيرون، توزّعوا على مدارس وتيارات أغنت البحث التداولي الأصواتي للخطاب، بما وضعته من نظريات، واجترحته من مفاهيم، وأرسته من منهجيات بحث ونماذج تحليل.

فمن بحوث **باختين** حول روايات دوستويفسكي وتولستوي[3] وتطبيق مفهوم الحوارية عليها، إلى جهود **ديكرو (O.Ducrot)** وأنكومبر

---

(1) ـــ اهتمت الدراسات القائمة على المقاربة الأصواتية بكل أنماط الخطابات، بما فيها الخطاب السردي، إذ من المعروف أن بداياتها عند **م. باختين** تأسست على تحليل الرواية، ثم تم توظيفها في دراسات الخطابات الأخرى، لا سيما الخطابات الجادة ذات الوظيفة التواصلية الاجتماعية، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود دراسات سردية أصواتية، مثل الأبحاث التي أنجزها باحثون ينتمون إلى فريق البحث السكندنافي.

(2) _أمثلة :دراسات تداولية للخطاب الإعلامي : رويتمان (الأصواتية الحجاجية، دراسة في المقال الافتتاحي

Roitman. Malin: polyphonie argumentative -Etude de la négation dans les éditoriaux du Figaro,de Libération, et du Monde

; وأوفيين جيستارد (الأصواتية الخطابية : نحو حوارية مرساة في اللغة وفي التفاعل

Gjestard. Øyvind: La polyphonie discursive _ Pour un dialogisme ancré dans la langue et l'interaction

و لمزيد الاطلاع تنظر خاصة أعمال الفريق السكندنافي ScaPoLine :

Polyphonie littéraire et linguistique . Documents de travail. Roskilde: Samfundslitteratur.

(3) _ في كتابيه :

La poétique de Dostoïevski Esthétique du roman, Esthétique de la création verbale

(**J.C.Anscombre**) في التأسيس اللساني لمفهوم الأصواتية،[1] إلى إسهامات مدرسة جنيف الحوارية وفريق البحث السكندنافي،[2] في توسيعها إلى التطبيقات الخطابية؛ استقر البناء النظري لهذه المقاربة التي ما انفكت تتطوّر، وتأتي بالجديد، وتقدّم نموذجا في التحليل غنيا بالاقتراحات، إن على المستوى النظري، أو التطبيقي.

من أجل التمهيد النظري لتطبيق هذه النظرية على مدوّنة الرسائل، سنعمد في هذا الفصل إلى إيضاح الجوانب النظرية التي نراها ضرورية لإضاءة مسارات البحث التطبيقي فيما بعد، وقد اخترنا أن نتناول في هذا الفصل النظري المدخلي، أولاً تبيان الصلة بين التداولية والنظرية الأصواتية، لنُعقب ذلك باستعراض جهود الباحثين والمدارس ومساهماتها في تطور النظرية الأصواتية، ونخلص في الأخير إلى عرض الجهاز المفاهيمي الذي سنتكئ عليه في الفصول التطبيقية.

(1) _ خاصة في كتابهما المشترك: L'argumentation dans la langue

(2)- سيتم التعريف بهذه المدارس لاحقا عند تناول نظريات التعدد الصوتي، ص 52 ومابعدها

الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي

لابد لنا قبل أن نعرض الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي من تقديم إيجاز تاريخي لنشأة المقاربة التداولية وتطورها، حتى يتسنّى لنا مَوْقَعَة التيارات التي أسّست للنظرية الأصواتية ضمن هذا الحقل الواسع المعروف بالتداولية.[1]

يعود أول استخدام لمصطلح **"تداولية"** إلى الفيلسوف والسيميائي الأمريكي **ش. موريس**[2]**(Ch.Morris)**، والذي تحدّث عن ثلاث مستويات للدراسة اللسانية: المستوى التركيبي ويختص بدراسة علاقة العلامات بعضها مع بعض، والمستوى الدلالي ويخص علاقة العلامات مع ما تدل عليه، والمستوى التداولي ويُعنى بالعلاقة بين العلامات ومستعمليها.[3] إلا أن النشأة الحقيقية للدرس التداولي كما يتفق على ذلك جلّ الباحثين ارتبطت بدراسات أقطاب الفلسفة التحليلية، وتحديدا الاتجاه الذي عني بدراسة اللغة العادية.[4] فقد كانت "محاضرات وليام جيمس" التي ألقاها **ج. ل. أوستين (J.L.Austin)**في جامعة هارفارد سنة 1955، فاتحة

(1)- يقسم موشلر.ج._ روبول. آن النظريات التداولية إلى ثلاثة أنواع:- **نظريات خطية ذات مترع منطقوي** (أتباع بيرس وش. موريس) - **نظريات ذات الشكل Y**(والتسمية لبيريندونير) وتضم اللسانيين المتحدرين من التقليد الأوربي(ديكرو و أنكومبر وغيرهما) -**نظريات عرفانية** : وتوصف بالجذرية، وتضع التداولية ضمن دائرة العلوم العرفانية(تمثلها نظرية د.سبربر ود. ولسن).ينظر:جاك موشلر وآن روبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر:مجموعة من الباحثين،ط2، دار سيناترا للنشر_المركز الوطني للترجمة،تونس2010، ص40-45

(2) -شارل موريس فيلسوف وسيميائي أمريكي (ولد سنة 1901)، من أهم كتبه: Signs, Language and Behaviour(1946)ويعد من أتباع مؤسس علم السيميوطيقا ش.س. بيرس ،الذي يعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي للتداولية، لكن لو انسقنا وراء عد كل محاولة لدراسة استعمال اللغة تأسيسا للتداولية، لوجدنا أنفسنا أمام آراء لا حصر لها في نسبة التأسيس لأعلام ينتمون إلى عصور مختلفة ، وحقول معرفية متنوعة (ينظر في تتبع تناول جذور الدرس التداولي : ف . أرمنغو: المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص14_40)

(3) - Mainguenau. D,2005:Pragmatique pour le discours littéraire،éd Armand Colin,p3

(4)_ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب_ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت 2005، ص22

الدراسات التداولية،[1] وقد عنونها بـــ"كيف نصنع أشياء بالكلمات" **How to do things with words**،[2] وتناول فيها موضوع أفعال اللغة، ثم جاء بعده **ج.سيرل (J.Searle)**، فطوّر صنافته لأفعال الكلام بصورة جعلتها أكثر نجاعة وفعالية،[3]وقد تقاطع الدرس التداولي للغة مع ازدهار اللسانيات التلفظية عند **إ. بنفنيست (E.Benveniste)**، لاسيما مفاهيمه حول التذاوت وعلاقة الملفوظ بعملية التلفظ، ودور الإشاريات في إرساء التلفظ في المقام،[4] وهو ما هيأ لتأثير نظرية أفعال الكلام في الدراسات اللسانية، على أيدي لسانيين مثل **ديكرو(O.Ducrot)** و**أنكومبر (J.C.Anscombre)**و**ك .ك- أوركيوني (C.K-Orechionni)**، وغيرهم ممن ساهموا في تطوير حقل التداولية اللسانية. وفي تلك الأثناء كان حقل الدراسات التداولية آخذا في التوسع ليتحول إلى ملتقى لتيارات تنتمي إلى تخصصات متعددة ومتنوعة.[5]

---

(1) - يقول **ليونز(J.Lyons)** إنه ليس واضحا ما إذا كان أوستن يسعى إلى وضع نظرية لأفعال الكلام كما فسرها تلاميذه وأتباعه.(ينظر: ليونز.جون: اللغة و المعنى و السياق،تر: عباس صادق الوهاب،ط1،دار الشؤون الثقافية العامة(آفاق عربية)،وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق 1987 ، ص191)

(2) _ ترجمه إلى الفرنسية **ج.لان(Gilles Lane)**، تحت عنوان:(Quand dire c'est faire, Seuil 1970)
وترجمه إلى العربية عبد القادر قينيني تحت عنوان (نظرية أفعال الكلام العامة _كيف نصنع الأشياء بالكلمات ؟)

(3) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine , 2009: Initiation à la linguistique contemporaine ,3e éd, Armand Colin،Paris, p143,146

(4) – Benveniste. Émile, 1966:. Problèmes de la linguistique générale II. Paris, Gallimard, p259-260

(5) _ينظر بعضهم إلى هذا نظرة سلبية بقدر ما يعتبره آخرون من مزايا التداولية، فهناك من يعتبر التداولية سلة مهملات للقضايا التي يتعذر معالجتها في حقل اللسانيات،مثل بار-هيلالBar-hillel الذي سماها"سلة المهملات"، ومنهم من يأخذ عليها عدم استقرار جهازها المفاهيمي وتشتته بسبب تداخل الاختصاصات التي ساهمت في نشأتها مفاهيمها وبلورتها (لمزيد من التفصيل في نقد التداولية، ينظر: بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان،تر: صابر الحباشة، ط1،دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية-سوريا 2007 ،ص17-18؛ وينظر أيضا:
(Encyclopaedia Universalis, France SA 2008, p759, 579, 582

1.نظرية أعمال اللغة:

مثلّت نظرية أعمال اللغة المحضن الذي نمت فيه التداولية اللسانية وترعرعت - كما تقدّم بيانه- وتقوم هذه النظرية على أطروحة أساسية، هي أن وظيفة اللغة ليست وصف العالم، حتى عندما نستخدم جملا تصريحية Déclaratives، بل إن وظيفتها هي إنجاز أعمال، مثل: الأمر، والوعد، والتعميد ...إلخ.[1] وقد وضع أسس هذه النظرية الفيلسوف البريطاني **ج.ل.أوستين(John Langshaw Austin)**، وطورها بعده الفيلسوف الأمريكي **ج.ر. سيرل (John R Searle)**، وعرف عن هذه النظرية أنها كانت أقوى النظريات تأثيرا في أعمال التداوليين اللسانيين،[2] وإنْ كانت هناك نظريات أخرى خالفتها في الرؤية، والمنهج، والمفاهيم، وباينتها من ثم في النتائج.[3] وقد ساهمت هذه النظريات، ونظريات أخرى كثيرة في إغناء حقل البحث التداولي الواسع، بما اجترحته من مفاهيم، وما وضعته من مصطلحات، وتمشيات تحليل.

يميل جل الباحثين إلى التأريخ لنشأة التداولية باعتماد سنة 1955، وهي السنة التي ألقى فيها **ج.ل.أوستين"**محاضرات وليم جيمس"، والتي تناول فيها مفهوما جديدا سماه (أعمال اللغة)[4]. وكان بذلك يؤسس لتصور جديد للغة ووظيفتها

(1)- ليونز.جون: مرجع سابق، ص191

(2)_المفارقة أن أصحابها لم ينعتوها بالتداولية. تقول **ف .أرمنغو**: "...ومع هذا تشاء سخرية التاريخ ألا يستعمل (أوستن)و(سيرل)تسمية التداولية لصالحهما " ينظر : المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ص60

(3) _ نلمح هنا خصوصا إلى نظريتي الضمنيات لغرايس، والملاءمة لولسن وسبربر خصوصا، وهما اللتان اخترنا أن نعرض لهما بشيء من التفصيل، لوجود كثير من التقاطعات بين جهازهما المفاهيمي ،والتداولية المندمجة المعتمدة كمنهج تحليل في بحثنا

(4) _انقسم الباحثون العرب إلى فريقين عند ترجمتهم للمصطلح الأجنبي Actes de langage (Speech acts) فترجمه بعضهم بأفعال اللغة أو الكلام ،وترجمه الآخرون بأعمال اللغة أو الكلام

يختلف جذريا عن التصور الذي لُقِّنَه في المناخ الفلسفي الذي نما وترعرع فيه، المناخِ الذي ساد فيه النظر إلى اللغة باعتبارها أداة لوصف العالم وموجوداته.[1]

في مقابل هذا التصور التقليدي لوظيفة اللغة، والذي يقوم أساسا على مفهوم "شروط الصدق"المنطقي، عمد **أوستين (Austin)**إلى طرح تصوره الجديد ذي المترع **"الإجرائي العملي"**، القائم على اعتبار وظيفة اللغة هي إنجاز أعمال، وهكذا خلّص أوستين الدراسة الفلسفية للغة مما سمّاه **"الوهم الوصفي"**[2]، فحصر نظريته في دراسة استعمال اللغة.[3] وقد انطلق في التأسيس المفاهيمي لهذه النظرية من فحص ملفوظات إثباتية، تتضمن جملا أسندت إلى ضمير المتكلم المفرد"أنا"، مبنية للمعلوم، وتميزت بأنها لم تكن تصف شيئا، ولا تحتمل الصدق أو الكذب، بل دلّت على إنجاز أعمال.

وهكذا انطلق **أوستين** في بداية الأمر من التمييز في فئة الملفوظات الإثباتية، بين ملفوظات إثباتية تصف العالم، وأخرى تنجَزُ بواسطتها أعمال،[4] نحو قولنا:

_ القط فوق الحصير

---

(1) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit ،p143

(2) _ موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة- دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت – لبنان2003، ص30؛ وينظر أيضا: موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص56

(3) - هناك من يربط تأسيس نظرية أعمال الكلام و التداولية عند أوستين "بالتعليق على فرضية فيتغانشتين(...) الشهيرة التي يتحدد بناء عليها "معنى الكلمة بأنه استخدامها"، أي أن العوامل الذرعية(التداولية) هي في النهاية التي تحدد المعنى الحقيقي للكلمات(والوحدات اللغوية الأخرى)" فولفجانج هاينه من وديترفيهفيجر:مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم115،النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود،الرياض- السعودية1999، ص62

(4) _ بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 53_54؛ وينظر أيضا ج .ل .أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة _كيف نصنع الأشياء بالكلمات ،تر :عبد القادر قنيني،ط2، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء – المغرب 2008، ص12_20

_ أعدك بأنني سآخذك للتتره غدا [1]

فسمّى الصنف الأول"**وصفيات**" **Constatifs**، والثاني"**إنجازيات**"**Performatifs**، بحيث يصح أن نعلّق بالأولى قيمة الصدق؛ فيكون المثال الأول أعلاه صادقا، إذا وفقط إذا كان القط فوق الحصير، بينما لا يصح الحكم على الثاني "الإنجازيات "بواسطة قيم الصدق، إنما يصح أن نحكم عليها بالنجاح، إذا أنجز العمل (الوعد) وحصل توفيق، وبالإخفاق إذا لم ينجز العمل و لم يحصل توفيق.[2]

فكما أن الأعمال الوصفية تخضع لشروط الصدق في الحكم عليها بالصدق أو الكذب، فإنّ الأعمال الإنجازية تخضع لشروط النجاح التي تحدّد نجاحها أو إخفاقها، وتتحكم في شروط النجاح مواضعات إجرائية، تكون أحيانا مؤسّسية، كما هو الحال في الزواج، والتعميد، والبيع، والاجتماعات الرسمية ...إلخ؛ وتكون أحيانا أخرى غير مؤسسية.[3]كما تتحكم في هذه الشروط درجة أهلية المتكلم ومخاطبه، ومدى ملاءمة حالتهما الذهنية والنفسية، واستعدادهما لتنفيذ الأعمال على الوجه الصحيح والتام، وكذا مناسبة الظروف لإرسال القول، ومدى تطابق كل ذلك مع اشتراطات العمل اللغوي المنجز.[4]

وإجمالا، يمكن اختزال شروط النجاح في أمرين أساسيين هما:

---

(1) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p144
(مع تعديل بسيط للمثال الثاني .والمثالان في الأصل مقترضان من أوستين (ينظر: ج .ل .أوستين،مرجع سابق ،ص65 و93، ويستشهد بهما معظم الباحثين عند عرضهم لمبادئ نظرية الأعمال اللغوية)

(2) _ المبخوت. شكري : دائرة الأعمال اللغوية، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2010 ص90؛ وينظر أيضا: ج .ل .أوستين : مرجع سابق ، ص23_37؛ و موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص57،60

(3) _ ف .أرمنغو: مرجع سابق ، ص61

(4) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p144
وينظر أيضا للتفصيل: موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص57-60

_أن يتوجه المخاطب إلى مخاطب معين

_ ينبغي للمخاطب أن يكون قد فهم ما قاله له المتكلم في الملفوظ الذي أُنْجِز بواسطته العمل اللغوي[1]

التمييز بين الوصفيات والإنجازيات وأصناف العمل اللغوي (عمل القول، العمل المتضمّن في القول، وعمل التأثير بالقول)[2]:

لم يصمد التمييز بين الوصفيات والإنجازيات أمام النقد الذي سلّطه عليه **أوستين (Austin)** نفسه؛ فالتمييز بينها على أساس خضوع الأولى لشروط الصدق، وخضوع الثانية لشروط النجاح، لا يصدق على كل الملفوظات الإنجازية، إذ أن هناك إنجازيات صريحة وأخرى ضمنية، فإلى جانب المثال السابق:" أعدك بأنني سآخذك للتتره غدا "يمكننا أن نجد ملفوظا إنجازيا آخر يحمل الوعد نفسه، ويكون خاليا من الفعل"وعد"[3]، كأن نقول:

_ سآخذك للتتره غدا

وزيادة على ذلك، لاحظ **أوستين** أن الملفوظات الوصفية أيضا يمكن أن تنجز بواسطتها أعمال لغوية ضمنية، أي أفعال إثباتية،[4] مثل قولنا:

---

(1) _ المبخوت. شكري :دائرة الأعمال اللغوية، ص90

(2) _تباينت ترجمات الباحثين العرب للمصطلحات الثلاثة: Acte locutionnaire, Acte illocutionnaire (Acte, perlocutionnaire)، ولا سيما المصطلح الثاني، وفيما يلي بعض هذه الترجمات وأصحابها :سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني (عمل القول، العمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول)؛عبد القادر قنيني (فعل الكلام ،قوة الكلام ،لازم فعل الكلام)؛ المبخوت. شكري (العمل القولي، العمل في القول ،عمل التأثير بالقول)؛صابر الحباشة (العمل القولي، العمل اللاقولي ،عمل التأثير بالقول) محمد يحياتن (الفعل اللغوي، الفعل الإنشائي، الفعل التأثيري)؛ طه عبدالرحمن (الفعل الكلامي، الفعل التكلمي، الفعل التكليمي)منذر العياشي (العمل الكلامي، العمل الكلامي التحقيقي، عمل الأثر غير المباشر للكلام)؛ فالح بن شبيب العجمي(فعل التلفظ، فعل الإنجاز النظري، فعل الإنجاز التام) وغيرها من الترجمات التي لم نطلع عليها ،وتعليقنا على هذه الظاهرة لن يضيف جديدا إلى ما قيل في استهجانها وتبيان ضررها البالغ.

(3) _بلانشيه. فيليب:مرجع سابق، ص 57-58

(4) _ نفسه، ص56_57

_ أنا أؤكد أن القط فوق الحصير

ومن ثم يمكننا إخضاع هذه الملفوظات الوصفية لشـــروط النجاح، تماما مثل الملفوظات الإنجازية، ولا يكون هناك بينها من فارق يدعو إلى تمييز إحداها من الأخرى،[1] وهذا ما أدّى إلى نسف التمييز (الوصفي/الإنجازي) من أساسه.

ولما تبيّن لأوستين أن التمايز بين شرط الصدق وشروط النجاح لا يكون دائما تاما وواضحا، وأنهما يمكن أن يجتمعا في الحكم على الملفوظ نفسه، انتهى إلى وجوب التخلي عن التصنيف الذي بناه على أساس هذا التمايز، وتبنى تمييزا آخر تُصنّف فيه مختلف الأعمال اللغوية(الملفوظات الوصفية والإنجازية على السواء) [2]وفق ثلاثة أنماط تتحقق في كل ملفوظ، وهي:

1_ عمل القول Acte locutionnaire :وهو العمل الذي نحققه بمجرد تلفظنا بأي قول، بغض النظر عن المعنى الذي يحمله.

2_العمل المتضمن في القول Acte illocutionnaire: وهو العمل الذي نحققه عندما نتلفظ بالقول، لأجل أن نبلغ معنى يحمله هذا القول.

3_ عمل التأثير بالقول Acte perlocutionnaire:وهو العمل الذي يتحقق عبر تلفظنا بالقول، ويتعلق بالنتائج والتأثيرات التي يتركها القول.[3]

---

(1) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p145

(2) _ موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص32

(3) _ينظر تفصيل هذه الأقسام في : المبحوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص21_86(من أجل تفصيل أكبر ودراسة نقدية معمقة)، وبلانشيه. فيليب:مرجع سابق ،ص59 ، وموشلر.ج._ روبول. آن ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 31_32(لعرض موجز)؛ ج .ل .أوستين: مرجع سابق ، ص123_201 (للاطلاع المفصل على التقسيم في مصدره الأصلي).وينظر أيضا :

Mainguenau. D: Pragmatique pour le discours littéraire, p 7

؛

فبمجرد نطقنا بالجملة المستخدمة في الملفوظ وفق قواعد اللغة المعجمية والتركيبية والدلالية، وحتى في غياب المخاطَب، يكون ذلك كافيا لإنجاز عمل القول. وبالمقابل، ننجز عملا متضمّنا في القول (الوعد بواسطة الجملة السابقة، مثلا) عندما نتلفظ بها ونوجهها لمخاطَب نفترض فيه فهم معناها. ولا يكلّل هذا العمل بالنجاح (التوفيق)إلا إذا تمت تلبية كافة شروط نجاحه. وفي الأخير، ننجز بالملفوظ المكوّن من الجملة ذاتها عملا مؤثرا بالقول، إذا أدى فهم المخاطب لمعناها، بعد تلقيه للملفوظ، إلى تغيير في اعتقاداته وقناعاته،[1] كأن يقتنع بأن المتكلم يحـــيطه بعناية خاصة،[2] أو في حالات أخرى، كأن نطرح سؤالا لمقاطعة شخص يتحدث، أو لمضايقته، أو للفت انتباهه إلى أننا موجودون بالمكان.[3]

ونظرا للالتباس الذي قد يحصل بين نتيجة العمل المتضمّن في القول وعمل التأثير بالقول، حرص **أوستين (Austin)**على التمييز بينهما مبينا أننا«...بواسطة القول ننجز فعل الكلام (...) وهو اصطلاح مختصر يكافئ التلفظ بعبارة ما يكون لها معنى ومرجع، وهذان العنصران يكافئان تقريبا "الدلالة بمعناها القديم"(...) وبالإضافة إلى ذلك، إننا ننجز أيضا قوى أفعال كلامية (...)كالإخبار وإصدار الأمر والتحذير، ومباشرة الأمور، وغير ذلك،(...) ثالثا أنه يجوز أيضا أن ننجز لازم أفعال الكلام(...) ويدل هذا على أن ما يُحدِثه الفاعل طبقا لقوله شيئا ما، يكون القيام به

(1)- يمثل أوستين لهذه الأعمال الثلاثة بالأمثلة التالية:1- قال لي: "أطلق عليها النار"وهو يعني بـــ"أطلق"معنى **أطلق** عليها ويحيل بالضمير"ها"على **هي**. 2- **يحثني/ينصحني/يأمرني** بأن أطلق النار. 3- **أقنعني** بأن أطلق عليها النار(موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص65)

(2) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine: op.cit, p145

(3) _Mainguenau. D: Pragmatique pour le discours littéraire, p7

تاما؛ وقع الفراغ منه كالحمل على الاعتقاد... »[1]والغاية من هذا التمييز تركيز الاهتمام على العمل المتضمن في القول، قطب الرحى في نظرية الأعمال اللغوية،[2] المعني بتصنيف الأعمال الإنجازية عند **أوستين (Austin)**، ثم عند **سيرل (Searle)**.

صنافة الأعمال المتضمَّنة في القول عند أوستين:

بعد تخليه عن التصنيف القائم على التمييز بين الوصفي والإنجازي، أقرّ **أوستين** أن التلفظ بأية جملة نحوية كاملة في ظروف عادية، ينتج عنه وفقا لذلك كله إنجاز عمل متضمن في القول، وهذا العمل يمكن أن تحدّد قيمته حسب نمط العمل المنجز، وقد وضع أوستين خمسة أصناف كبرى تندرج ضمنها الأعمال المتضمنة في القول،[3] وهي:

1. **الحكميات**Verdictifs:أو الأعمال القانونية (برأ، أدان، قرّر، إلخ)
2. **التنفيذيات** Exercitifs:(نزّل، طلب، أمر، عفا، أوصى، إلخ)
3. **الوعديات**Promissifs: (وعد، تعهد، ضمن، راهن، أقسم أن، إلخ)
4. **السلوكيات** Comportatifs:(اعتذر، شكر، أسف، نقد، إلخ)

---

(1) _ ج.ل.أوستن :مرجع سابق، ص141

(2) _ يفسر **شكري المبخوت** التركيز على العمل في القول وإهمال العمل القولي وعمل التأثير بالقول، بسبب الاهتمام بالإحالة والحمل لدى أوستين وسيرل ،و"انشداد نظريتهما إلى أصولها المنطقية" (دائرة الأعمال اللغوية ،ص 21 و65) ،بينما يذهب **بلانشيه. فيليب** إلى ربط ذلك بالطبيعة الإنجازية التواضعية لآثار العمل المتضمن في القول التي يتحكم فيها المتكلم ،قياسا إلى آثار عمل التأثير بالقول الذي لا يخضع للمواضعة، ويتأبى على التحديد (بلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص60). ويرى **ريكور** أن" ...الفعل التأثيري...هو أكثر جوانب الفعل الكلامي تعذرا على النقل، بقدر ما تكون الأولوية للاّ-لغوي على اللغوي في مثل هذه الأفعال. فوظيفة الفعل التأثيري أيضا أكثر تعذرا على النقل، لأنه فعل أقل قصدية، ويستدعي قصدية إدراك من لدن السامع، أكثر مما في نوع من "المثير"الذي يولد "استجابته"بالمعنى السلوكي." (ريكور.بول: نظرية التأويل،الخطاب وفائض المعنى، تر:سعيد الغانمي،ط2،المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء- المغرب 2006 ص46)

(3)_موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية ص66-67 ؛ وينظرأيضا: بلانشيه. فيليب: مرجع سابق ،ص62 ؛ وج.ل.أوستين، مرجع سابق، ص186_187 ؛ وف .أرمنغو: مرجع سابق، ص62_63

5. **العرضيات** Expositifs: (أثبت، نفى، صادر على، لاحظ، إلخ)[1]

نظرية أعمال اللغة عند سيرل:

أضاف **سيرل(Searle)** إلى نظرية الأعمال اللغوية مبدأ مهما هو: مبدأ القابلية للتعبير، الذي يكون بموجبه كل ما نريد قوله، قابلا لأن يقال، ويعبر عن هذا المبدأ منطقيا بالصيغة التالية:

"لكل دلالة **س** وبالنسبة لكل متكلم **م**، كلما أراد أن يدل (له نية تبليغ، يرغب في أن يبلغ،...إلخ)على **س** ،فإنه من الممكن أن توجد عبارة **ع**، بحيث إن **ع** هي العبارة الدقيقة عن **س** أو صيغتها الدقيقة".[2]

يؤسّس هذا المبدأ لرؤية جديدة في نظرية أعمال اللغة، تنبني على اعتماد مفهومين مركزيين، هما: القصد والقواعد (المواضعات)، فالمتكلّم الذي يتوجه إلى مخاطَبِه يكون لديه قصد في تبليغه محتوى معينا، وهذا المحتوى يبلغه إياه بواسطة معنى، اعتمادا على قواعد تحدد العبارات التي ينبغي التلفظ بها لتحقيق ذلك.[3] غير أن التجديد الحقيقي الذي جاء به سيرل يتمثل خصوصا في اجتراحه لمفهومين آخرين،

(1)_ ترجمها ع .قينيني : القرارات التشريعية، الممارسات التشريعية، ضروب الإباحة، الأوضاع السلوكية، الإثباتات الموصوفة المفسرة،(ص186_187، ينظر تفصيلها: ج.ل.أوستين، مرجع سابق،ص186_ 200) ؛ وترجمها الحباشة على التوالي بـــ:الحكميات، التنفيذيات ،الوعديات ،السلوكيات، العرضيات (موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص62) ؛ويعتمد سعيد علوش الترجمات نفسها ،ماعدا التنفيذيات ،فهو يسميها "التمرسية" (ف .أرمنغو: مرجع سابق ص62)

(2)_موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية ص66-67

(3) _المبخوت. شكري : دائرة الأعمال اللغوية ،ص 46

ميّز بهما بين مكونين للملفوظ، هما: مفهوم **(واسم المحتوى القضوي)**، ومفهوم **(واسم القوة المتضمنة في القول)**.[1]

ونوضح ذلك بالمثال التالي: "أعدك بالحضور غدا"، نلاحظ أنه من السهولة بمكان _كما هو الحال في جل الملفوظات الإنجازية الصريحة_ أن نميّز بين واسِم المحتوى القضوي المتمثل في" الحضور غدا"، وواسم القوة المتضمنة في القول: "أعدك"،[2] وإذا كان هذا التمييز متيسرا في حالة الملفوظات الإنجازية الصريحة، فإن الإنجازيات المضمرة _ كما هو الحال في المثال: " سأحضر غدا "_ يفترض فيها بناء على مبدأ القابلية للتعبير، أن تكون مكافئة في ذلك للإنجازيات الصريحة،[3] ومن ثم تكون هي الأخرى قابلة لتمييز الواسمين؛ واسم المحتوى القضوي، وواسم القوة المتضمنة في القول.[4]

- **صنافة الأعمال اللغوية حسب سيرل:** اقترح **سيرل**(Searle) بدوره صنافة للأعمال اللغوية سعى فيها إلى أن تكون قابلة للتطبيق على مختلف أصناف الأعمال اللغوية، معتمدا على شبكة من المعايير ينتظمها إثنا عشر نمطا سعى من

(1) _ موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص33

(2) _ نفسه، ص33

(3) _كان لهذا صدى عند عالم الدلالة روسRoss الذي اجترح مفهوم الفرضية الإنشائية القاضي بأن كل الملفوظات تنطبق عليها الفرضية الإنشائية، بما فيها الملفوظات الوصفية التي تحمل في بنيتها العميقة سابقة إنشائية تقدّر بـــ"أؤكد، أو أعتقد "،فلو أخذنا المثال الطقوسي (القطة فوق الحصير)وطبقنا عليها الفرضية الإنشائية، لحصلنا على(أنا أؤكد أن القطة فوق الحصير)، غير أن هذا الطرح المؤيد لسيرل، وجد اعتراضا شديدا من **بوير ولايكن**، اللذين نبها إلى وجود فارق بين الملفوظين في كونهما لا يتساويان عند تطبيق شروط الصدق عليهما، ففي الملفوظ الأول يخضع وجود القطة فوق الحصير لاختبار الصدق والكذب ،وفي الثاني يخضع اعتقاد وجودها لذلك الاختبار (للتفصيل ،ينظر : موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص35_36) بينما يذهب **بنفنيست** إلى وضع تواز "بين الفعل الإنشائي وفعل الاعتقاد موضع بداهة..إذ يلاحظ بنفنيست الدور غير الوصفي لمحددات الذاتية –أي للوسائل التي يعلق عبرها المتكلم عن موقفه مما يقول " (ينظر:صابر الحباشة :التداولية و الحجاج، ص90)

(4) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine: op.cit, p 146

خلالها إلى حصر الاختلافات التي يمكن أن توجد بين الملفوظات، والتي ينبغي مراعاتها عند تصنيف الأعمال اللغوية.[1]

هذا المزيج من المعايير سمح لسيرل (**Searle**)باستخلاص خمسة أصناف كبرى للأعمال اللغوية، تتناسب حسب تحليل **شكري المبخوت**،مع «خمس طرق لاستعمال اللسان:

(أ)قد يخبر المتكلم الآخرين عن حالة الأشياء في الكون (الخبريات)

(ب)قد يسعى المتكلم إلى حمل الآخرين على فعل شيء ما (التوجيهات)

(ج)قد يلتزم المتكلم بفعـــل شيء ما(الوعديات)

(د)قد يعبر المتكلم عن مشاعره ومواقفه(الإفصاحيات)

(هـــ)قد يغير المتكلم حالة الأشياء في الكون بواسطة القول(الإيقاعيات) »[2](*)

وقد كان لنظرية أعمال اللغة في صورتها التي بلورها **سيرل**أثر كبير في التداوليات اللسانية، ولاسيما في الأعمال التي اضطلعت بشكلنة هذه النظرية، وضبط تقنياتها، واستكمال صياغة قواعدها وإجراءاتها التطبيقية. فقد اقترح **ت.فان**

---

(1)_هذه الأنماط هي:" 1.اختلافات بالنسبة لغاية الفعل 2.اختلافات في توجيه الترتيب بين الكلمات والأشياء 3.اختلافات تمس الحالات السيكولوجية المعبر عنها 4.اختلافات في حدة الاستثمار أو الالتزام المعبر عنه في تقديم وجهة الإنجاز 5.اختلافات في مقياس أو وضعية المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل 6. اختلافات في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع 7.اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطابي 8. اختلافات في المضمون القضوي 9.اختلافات بين الأفعال، كأفعال لغة دائمة، و بين تلك التي تنجز كأفعال لغة دون أن تخضع لما هو مطلوب 10.اختلافات بين الأفعال التي تتطلب مؤسسات خارج لسانية، وتلك التي لا تتطلب ذلك 11.اختلافات بين الأفعال، أو الأفعال الإنجازية المطابقة لإنجاز ما، أو غير المتوافرة على ذلك 12.اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي" (ينظر : أرمنغو: مرجع سابق ص63-66 ؛ وبلانشيه. فيليب: مرجع سابق ، ص63-65)

(2) _ المبخوت. شكري : دائرة الأعمال اللغوية :ص153؛ وينظر أيضا: موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية ص75-76

(*)-يقترح سعيد علوش ترجمات مختلفة : التأكيداتAssertifs **الأوامر**Directifs **الإلتزامات** Commissifs **التصريحات** Expressifs الإدلاءاتDéclarations(آرمنغو: مرجع سابق ، ص66_68)

دايك (Teun. Van Dijk) توسيعها لتكون وظيفية في تحليل الخطاب، فاجترح مفهوم **الفعل الكلامي الأكبر** المجرد والإنجازي ليوازي في علاقته مع الفعل الكلامي الأصغر، علاقة النص بالجملة، وعلاقة الخطاب بالملفوظ، مؤكدا أن«بعض المتواليات الخاصة بأفعال الكلام الإنجازية المتنوعة تنوى قصدا وتخطيطا، وتفهم – ومن ثم لها وظيفة مجتمعية-كما لو كانت فعلا إنجازيا واحدا»[1] ويقوم هذا التصور على فرضية اعتبار متوالية الأفعال الكلامية المكونة للخطاب عملا كلاميا كليا ينجزه الخطاب في "المحاورات وأنواع التخاطب والأحاديث" التي «يمكن أن يتعيّن اتساقها الكلي ووحدتها ومن ثم وظيفتها الشاملة من خلال إطار فعل كلامي كلي»،[2] كالخطبة السياسية الانتخابية التي تكون قيمتها الجملية معادلة لقيمة التحضيض التي تعبر عنها الجملة (الفعل الإنجازي الأصغر):"صوتوا لفائدتي".[3]

وعلى مستوى تحليل الخطاب الأدبي، يطرح **د. مانغونو**(D.Mainguenau) إشكالية الأعمال اللغوية الكلية في الخطاب، إذ "تواجه التداولية النصية مقاطع متفاوتة الطول مكونة من أعمال لغوية تسمح بتبيُّن القيمة اللاقولية الكلية في مستوى أعلى، مستوى الأعمال اللغوية الكلية أو الكبرى، وهنا نكون في مواجهة إشكالية أجناس الخطاب ؛ فإذا أدرك المخاطب إلى أي جنس ينتمي مجموع الملفوظات، أمكنه أن يقوم بالتأويل المناسب [للخطاب]، الذي لن يكون حاصلا جَمْعيا لتأويلات الملفوظات الأولية"[4] وهو ما يؤكد هيمنة فكرة التوازي بين ثنائية

(1) _فان دايك :النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر:عبد القادر قنيني، د ط،دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء- المغرب2000، ص316

(2) _ نفسه، ص323

(3) _ **ب.** شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب ،ص21_22

(4) -Mainguenau. D:Pragmatique pour le discours littéraire،p11-12

(الفعل الكلامي الأصغر/ الفعل الكلامي الأكبر)وثنائية(الملفوظ أو الجملة/ الخطاب أو النص).[1]

2)تداولية التضمينات عند غرايس

تندرج تداولية **غرايس** (**H. P. GRICE**)في إطار التقابل بين تصورين للتواصل؛ تصور يقوم على النموذج **التشفيري** (الترميزي)، وآخر يقوم على **الاستلزام**، وتوضع نظرية غرايس عادة في موقع وسط بينهما، إذ أنها تمزج أو تؤلف بين التأويل التشفيري والتأويل الاستلزامي للملفوظات،[2] وتشترك في ذلك مع جميع النظريات التداولية المعرفية المبنية على الجمع بين آليتي الترميز و الاستدلال في تأويل الأقوال.[3] وتقوم نظرية **غرايس** التداولية على مبدأين مركزيين هما:

_**مبدأ الدلالة غير الطبيعية:** حيث أن فهم المخاطب لملفوظ ما، يرجع إلى فهمه لقصد المتكلم، عبر اكتشافه لهذا القصد.

_**مبدأ التعاون:**حيث أن الاستلزامات التي يقوم بها المخاطب تكون نتيجة لافتراض أن المتكلم متعاون معه.[4]

ونظرا لأهمية هذين المبدأين، يجدر بنا أن نعرض لهما هنا بشيء من التفصيل.

(1)- من ذلك ما يقترحه موتش/فيهفيجر "من أنه يجب أن يوجد في كل تتابع أحداث لغوية (وأيضا بالطبع في النصوص الكبيرة)على الأقل إنجاز نظري[عمل متضمن في القول] واحد يعطي دور المقصود من السلسلة بأكملها. يقوم هذا الإنجاز النظري بدور الإنجاز النظري المسيطر، بينما تنسب إلى البقية وظيفة مساعدة؛فهي "تساعد" الإنجاز النظري المسيطر كأن توضح على سبيل المثال تعليلات حول عملية الرجاء" فولفجانج هاينه من وديترفيهفيجر:مدخل إلى علم اللغة النصي، ص68

(2) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit، p169

(3) _ عشير.عبد السلام: عندما نتواصل نغير،د ط ، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء- المغرب2006 ص 43

(4) _ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit، p169

أ-الدلالة غير الطبيعية: يصاغ مشكل الدلالة غير الطبيعية في السؤال التالي:كيف يتمكن المخاطب من اكتشاف قصد المتكلم، أي المقصود من قوله؟ حين نقوم بفحص ملفوظ ما، نتبيّن وجاهة البحث عن الدلالة غير الطبيعية ؛ فخلافا لعلامة كالدخان الذي يدل على وجود النار بطريقة طبيعية، فإن الملفوظ لا يدل على قصد المتكلم بالطريقة نفسها، نستطيع في أحسن الأحوال أن نقول إن المتكلم حين يتلفظ بالملفوظ (مل)يبلغ القضية (ق)، وأن يتعرف المخاطب على المقصود من قول المتكلم، فذلك يعني أن يكون قادرا على اكتشاف قصد المتكلم،[1] وعليه وضع **غرايس** التعريف التالي للدلالة غير الطبيعية، معتمدا على التباين الموجود في اللغة الإنجليزية بين ثلاث دلالات للفعل To mean، وهي أشار Indiquer ، ودل Signifier، وقصد Vouloir dire: « أن نقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيّته، ويرتبط مفهوم الدلالة غير الطبيعية ارتباطا وثيقا بأحد معاني الفعل الإنجليزي To mean، وهو المعنى الذي نترجمه بالفرنسية إلى Vouloir dire(قصد)» [2]

ويرتكز مفهوم القصد عند **غرايس (GRICE)**على تصور وجود قدرتين بشريتين تحققانه وتسمحان بتأويله؛ هما القدرة على اكتساب حالات ذهنية، والقدرة على نسبتها إلى الآخرين،[3] حيث يتدخل الاستلزام الخطابي كآلية اشتغال للقدرة

(1) - Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p170

(2) _موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص53

(3) _ نفسه، ص52

الثانية في تأويل الجمل الذي« غالبا ما يتجاوز الدلالة التي نعزوها إليها بالمواضعة، ولهذا السبب يمكن التمييز بين الجملة والقول؛ فالجملة هي سلسلة من الكلمات التي يمكن لزيد أو عمرو أو صالح التلفظ بها في ملابسات مختلفة ولا تتغير بتغير هذه الملابسات؛ أما القول فهو حاصل التلفظ بجملة وهو يتغير بتغير الملابسات والقائلين».[1] ويعبّر عن التمييز بين الدلالتين الناتجتين عن الجملة والقول عادة، بالفرق الموجود بين ما قيل أو المقول(**Le dit**) وما تم إيصاله (**Le transmis**) أو ما تم تبليغه (**Le communiqué**).[2]

وانطلاقا من تعريفه هذا للدلالة الطبيعية وما يتبعه من استلزام خطابي يبين **غرايس** (**GRICE**) كيف يتصرف المخاطب للتعرف على قصد المتكلم، اعتمادا على تشغيل مبدأ التعاون وقواعد المحادثة المتفرعة عنه.

ب- مبدأ التعاون[3] وقواعد المحادثة:

يرى **غرايس** أن المتكلمين (المتخاطبين)في المحادثة، وفي أي شكل من أشكال التواصل اللغوي بصورة عامة، يتبنّون تصرفات تعاونية، أو لنقل يتعاونون من أجل إنجاح المحادثة. وعلى أساس هذه الفرضية المتصلة بتوقعات المخاطب، يعمَد هذا الأخير إلى إجراء الاستلزامات غير البرهانية،[4] غير أن هذا المبدأ لا يقرّ حتمية وقوع تعاون بين المتخاطبين، فقد يرفض المخاطب التعاون، ويتسبب بذلك في

(1) _ موشلر.ج_ روبول. آن: التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ص54

(2) _ نفسه، ص56

(3) _ يستعمل مصطلح التعاون ترجمة لمصطلح Coopération،غير أن هناك من يستعمل مصطلحات أخرى كـــ"التآزر"(تنظر ترجمة عبد القادرقنيني لكتاب : نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)لراث كمبسون،ص102_103)

(4)- Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p 170

؛وينظر أيضا:عشير.عبد السلام:مرجع سابق ،ص48 ؛ بلانشيه. فيليب: مرجع سابق، ص 84

انقطاع المحادثة وفشلها، لكن يكون «افتراض التعاون في معظم الأحيان متغلغلا للغاية لدرجة أنه يمكن تسميته المبدأ التعاوني ».[1] وبتعبير آخر تبرز أهمية هذا المبدأ في أن« الشركاء في تفاعل لغوي يتقاسمون، في العادة، هدفا مشتركا، إذا انعدم، لن يكون ثمة سبب للتواصل، وقد لا يتم التواصل على الأرجح». [2]

لكن تصرفات المتكلم خلال التواصل، إذا كانت تعاونية، فليس ذلك من قبيل الاعتباط أو الصدفة، بل هي تكون كذلك لأسباب عقلانية، إذ الحاصل أن المتكلّم بتعاونه يتبنى مسلكية عقلانية، تتجلى في احترام قواعد التحادث أو خرقها، هذه القواعد تسمى قواعد المحادثة[3]. إذن المبدأ العام هو مبدأ التعاون، أما القواعد المتفرعة عنه فهي مستلهمة من المقولات الكانطية الأربع،[*] وقد عرضها غرايس على النحو التالي:

1. قاعدة الكمية:

_لتكن إفادتك المخاطب بالمعلومات بما يناسب حاجته _لا تجعل معلوماتك أكثر من المقدار المطلوب

2. قاعدة الكيفية:

_لا تقل ما لست متيقنا من صدقه _لا تقل ما ليس لديك عليه دليل

3. قاعدة العلاقة:

(1) _ يول. جورج:التداولية، تر:قصي العتابي،ط1، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط–المغرب 2010، ص67

(2) _ بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان ص 84

(3) _المصطلح باللغة الفرنسية:**Maximes de conversation** ويترجمه الحباشة بـــ"حكم المحادثة"

(*)- يعرفها **لالاند** في موسوعته بأنها "الأشكال القبلية لمعرفتنا، التي تمثل كل الوظائف الجوهرية للفكر الإدراكي. وهي تستفاد من طبيعة الحكم، المنظور إليه في صوره المختلفة، وتنحصر في اربعة أصناف كبرى: الكم(...)، الكيف(...)، العلاقة(...)، الجهة(...)"الموسوعة الفلسفية، تع:خليل أحمد خليل،ط2، دار عويدات للنشر و التوزيع،بيروت-باريس2001، ص152

_لتكن أقوالك مناسبة للمقام

4. قاعدة الجهة:

_ لتتجنب الالتباس والغموض _ لتحذر الإجمال المخل _لتتكلم بإيجاز غير مخل _ ليكن كلامك مرتبا متسلسلا (1)(*)

يقضي مبدأ التعاون بأنه على المتكلم أن يضبط سلوكه بالتناسب مع الاتجاه العام للمحادثة، وبعبارة أدق، إذا تعاون المتكلم فإنه سيقدّم المعلومات الأوفر (الأقوى)المناسبة لأهداف المحادثة، أي ينتج ملفوظا صادقا (في حالة الإثبات)ملائما وواضحا،(2) ولن يكون ذلك حتما من خلال التطبيق التام للقواعد التحادثية التي لا تتسم بطابع المعيارية، بقدر ما يتم عبر خرق بعضها لضمان فعالية التواصل وملاءمته، وهذا ما يحصل في أغلب الأحيان.

خرق قواعد المحادثة:

من مزايا نظرية **غرايس (GRICE)** المتعلقة بقواعد المحادثة، هو أن فائدة هذه القواعد لا تتحقق ضرورة عبر الالتزام بأي منها، بل إن طرافتها وأهميتها من منظور التحليل المحادَثي قد تكون في خرق واحدة منها خرقا صريحا.(3) في الحالة

(1)-عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1998 ،ص238_239 ؛وينظر أيضا: يول. جورج: مرجع سابق ص68؛ بلانشيه. فيليب: مرجع سابق ،ص 84_85 ؛ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص55_56

(*)_ ينتقد طه عبد الرحمن غرايس،مبينا أنه اهتم فقط بما يضبط الجانب التبليغي من التحادث ،وأهمل الجانب التهذيبي ،الذي ذكره ذكرا هامشيا مع القواعد الجمالية والاجتماعية والأخلاقية، عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،ص 240_239

(2)_ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p170

(3) - يرى **يول. ج** أن توظيف القواعد موسوم لغويا من خلال ما يسميه الاستدراك أوالتنويهات الحذرة ،مثل "على حد علمي "و"قد أكون مخطئا" يول. جورج: مرجع سابق ص68_69

الأولى نتحدث عن استعمال القواعد أو تطبيقها، وفي الحالة الثانية عن استثمارها أو خرقها.[1] وهذا ما ينسجم مع المرونة التي يقتضيها استعمال اللغة الطبيعية في مقامات التواصل المتنوعة والمعقدة؛ فلولا خرق هذه القواعد واستثمارها على النحو الذي بيّنه **غرايس** لما أمكن لبني البشر أن يتواصلوا تواصلا فعّالا، فهي قواعد أو حِكم تشتغل بطريقة تلقائية دون وعي من المتخاطبين بها، وميزتها أنها غير معيارية كما هو الحال في قواعد اللغة التركيبية وغيرها. «وعلى هذا فإن التحاور والتسامح في هذه المواضعات التي أشار إليها جرايس هو أساس مرونة كل خطاب ؛ وسهولة كل ما يمكن أن يؤدَّى بواسطة الجملة المفردة، ولا جدال في أن هذه المواضعات والأصول المتعارفة هي قواعد مغايرة لقواعد اللسانيين لأنها تخرق في كل حال من الأحوال ولا تراعى».[2] ومن هنا كانت حالات خرق هذه القاعدة هي الجديرة بالدراسة والتحليل، لاغتنائها بالتضمينات، والإشكالات المتصلة بالمعاني المضافة المبلَّغة.

نستطيع تصور عدة وضعيات يوظف فيها المتكلم قاعدة تحادثية، أي يعمَد إلى خرقها خرقا صريحا، النمط الأول من هذه الوضعيات نمثل له بالملفوظين التاليين[3]:

أ_ أين يسكن سعيد؟

ب_ في مكان ما من الجنوب الجزائري

(1) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص56

(2)_ كيمبسون. راث: نظرية علم الدلالة(السيمانطيقا)، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، منشورات الاختلاف و دور أخرى ، الجزائر 2009،ص104

(3) _ هذا الزوج من الأمثلة و الذي يليه مأخوذان ،مع بعض التصرف من:
Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit , p173

فالمتكلم هنا مجبر على خرق قاعدة الكمية، تجنبا لخرق قاعدة النوعية، فالذي حصل هو أنه لو تكلّف إعطاء معلومة دقيقة استجابة لقاعدة الكمية، لخاطَرَ بخرق القاعدة الثانية الخاصة بالنوعية.

وفي حالات أخرى، قد يقع خرق قاعدة النوعية[ظاهريا]، كما في المثال التالي:

أ_ هند كتلة من الجليد

ب_ هند امرأة لا تهزها الشدائد

فالمتكلم هنا يعرف أنه بتلفظه بـــ(أ)، يقول كلاما خاطئا (كاذبا)من الناحية الدلالية الحرفية؛ ومع ذلك فهو يبلغ من خلال تعبير مجازي ضمنية تحادثية (ب)على سبيل المثال، فيقع في خرق القاعدة الثانية قاعدة الكيفية (لا تقل ما لست متيقنا من صدقه)ليحقق أقوى تأثير ممكن بتطبيق القاعدة الثالثة(ليكن كلامك مناسبا للمقام)[1]

وبصورة عامة، يرى **غرايس(GRICE)** أن أكثر المجازات(الاستعارة، السخرية، وكناية التلطيف) هي استثمارات للقاعدة التحادثية الأولى، أي أنها نوع من التضمينات التحادثية[2]

التضمينات Implicatures :

يشكل الضمني خاصية جوهرية من خصائص اللغة الطبيعية، فما نتحدث به من كلام ونتبادله في التواصل يكون النصيب الأوفى من المعاني المبلّغة فيه ضمنيا، مقابل الصريح الذي لا يشكل إلا نسبة ضئيلة. وإن هذه الظاهرة من التجذر في

(1)- Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine :op.cit, p173

(2) _ Ibid

ممارساتنا اللغوية بحيث يمكننا القول أننا لا نستطيع التواصل بدون اللجوء إليها.[1] وتبعا لذلك « يعتبر مفهوم"التضمين" بالنسبة للكثير من اللغويين واحدا من المفاهيم الأساسية في التداولية، فالتضمين مثال حي ونابض للأكثر الذي يتم إيصاله دون قوله»[2]

تنقسم الدلالات التضمينية التي يعبر عنها المتكلم ويبلغها حسب **غرايس (GRICE)** إلى فئتين كبريين: فئة التضمينات التحادثية، وفئة التضمينات التواضعية (العرفية)،[3] فالالتزام بمبدأ التعاون وما يتبعه من قواعد، هو الذي يلجئ المتكلمين إلى توسل التضمينات لإيصال المعنى، ويلجئ المستمعين إلى التعرف عليه عبر الاستدلالات، التي تدل على أن التعاون لازال قائما.[4] فما هو الفرق بين التضمينات االتحادثية، والتضمينات التواضعية(العرفية)؟

التضمينات التحادثية[*]:تنتج التضمينات التحادثية عن تطبيق قواعد المحادثة، فعندما يقوم المخاطب باستلزام قضية اعتمادا على إحدى قواعد المحادثة الأربعة، نقول إنه استنبط من ملفوظ المتكلم ضمنية تحادثية.[5]

ولكي يتعرف على محتوى هذه الضمنية التحادثية التي بلغه إياها المتكلم، يجب عليه أن يقوم بعملية استلزام يمكننا توضيحها من خلال الخطاطة التالية: «

1. يقول المتكلم (مت) الجملة (ق)

(1) _بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان : ص144
(2) _ يول. جورج: مرجع سابق، ص79
(3)_ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p171
وينظر أيضا: عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص 47
(4) _يول. جورج: مرجع سابق، ص71
(5) _موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص56 ؛ عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص47

2. لاشيء يدعو المخاطب (مخ)إلى افتراض أن المتكلم (مت)لا يحترم حكم المحادثة، أو على الأقل مبدأ التعاون.

3. لذلك ينبغي للمتكلم أن يفكر في (كـــ)

4. يعلم المتكلم(مت)(ويعلم أن المخاطب يعلم)أن المخاطب (مخ) يفهم أنه من الضروري أن يفترض أن المتكلم (مت) يفكر في(كـــ)

5. لم يفعل المتكلم شيئا لمنع المخاطب من أن يفكر في (كـــ).

6. إذن المتكلم يريد من المخاطب أن يفكر في (كـــ)

7. إذن إن المتكلم قد ضمّن[كلامه]استلزاما خطابيا[فحواه] (كـــ) »[1]

بفحص هذه السيرورة الاستدلالية، يتبين لنا أن الاستدلال الذي قام به المخاطب استدلال استنباطي، فافتراض تعاون المتكلم يقتضي افتراض أنه يعتقد (ع) ويضمّنها، وهكذا لا تكون (ع)إذن مستنتجة منطقيا من (ق)، كما أن الانتقال من (ق) إلى (ع) ليس نتيجة تسييق (الرجوع إلى السياق) بل هو نتيجة تطبيق قواعد المحادثة، وعليه يكون التوصل إلى ضمنية تحادثية نتيجة استلزام غير برهاني خاضع لقواعد صارمة.[2]

التضمينات المعمّمة والتضمينات الخاصة: تتميز التضمينات التحادثية إجمالا بأنها لا ترتبط بعبارات لغوية «وتنشأ عن المقام الذي قيل فيه (الكلام) أو عن السياق

(1)-موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص99

(2)- يتضح ذلك من خلال تأمل الأمثلة التالية التي يعرضها موشلر.ج._ روبول. آن ويحللانها تحليلا مقارنا (الأمثلة معدلة قليلا):لتكن الأقوال التالية"كل الجزائريين شجعان " و"سعيد جزائري، إذن هوشجاع "و" سعيد جزائري، إنه شجاع " فيكون القول الأول خاليا من التضمين ،لأن المتكلم قال فيه ما أراد تبليغه ؛ وفي القول الثاني نجد تضمينا تواضعيا عرفيا لاحتوائه على كلمة "إذن"؛ ويحمل القول الأخير تضمينا تحادثيا لخلوه من أي كلمة تحيل إلى مواضعة لغوية (ينظر: موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص56_57)

الذي جيء به من أجله و(...)تتوسل بجملة من قواعد التخاطب التي يتبعها قائله؛ وقد يكون مقام الكلام مقاما خاصا يستدعي اعتبارات خارجية لا يشاركه فيها غيره، أو يكون مقاما عاديا لا يتفرد بأسباب خارجية معينة؛ لذلك نحتاج إلى التمييز بين نوعين من الاستلزامات التخاطبية، وهما: "الاستلزامات التخاطبية المعممة "و"الاستلزامات التخاطبية المخصصة" ».[1]

فالتضمين التحادثي المعمم يحصل عندما لا نكون بحاجة إلى معرفة دقيقة بعناصر السياق لتأويل الأقوال وحساب المعنى المبلغ الزائد على ما قيل،[2] بينما نكون أمام تضمينات تحادثية مخصصة عندما نضطر غالبا في محادثاتنا للقيام باستدلالات معينة اعتمادا على سياقات محددة للغاية، بحيث توصلنا هذه الاستدلالات لفهم المعاني الملزومة من التضمينات التحادثية.[3] ونظرا لشيوعها تُسمّى التضمينات التحادثية المخصصة عادة" تضمينات" فقط دون اتباعها بوصف تخصيصي.[4]

وينقسم التضمين التحادثي المعمّم إلى قسمين:

- **تضمين تحادثي معمّم سلّمي (تدرجي)**:ونجده في الأقوال التي تستعمل فيه الألفاظ التدرجية (الدالة على المقدار الكمي وغيره)، بحيث أن القول المتضمن للفظ تدرجي يستلزم نقيض القول الذي يتضمن لفظا أعلى منه مرتبة، ومثاله:

[1] _ جاء أحد المدعوين

(1) _ عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص97
(2) _ يول. جورج: مرجع سابق، ص72
(3) _ نفسه ، ص74-75
(4) _ نفسه، ص75

[2]_ جاء كل المدعوين

حيث يضمِّن[2] تضمينا تحادثيا معمما سلميا [1]، والعكس غير صحيح[1]

- **التضمين التحادثي الجملي المعمّم:** ويحصل عندما تفضّل عبارة مركبة لا تدل وجوبا على تصديق أو تكذيب جملة محتواة فيها، على عبارة تدل وجوبا على ذلك، إذا أراد المتكلم أن يشعرنا مثلا بأنه لا يستطيع الجزم تصديقا أو تكذيبا؛ ومثال ذلك:

[1]_ أعلم أن زيدا آت

[2]_أظن أن زيدا آت

يتضح من هذا أن تفضيل المتكلم النطق بالعبارة [2] بدلا من [1] يدل على أن ما يعلمه لا يثبت إتيان زيد ولا ينفيه.[2]

أما التضمين التحادثي المخصص، فـــ«قد لا يكون جزءا مما نطق به القائل ولا لازما دلاليا له، بل يكون معنى تدل عليه قرائن حالية معينة ؛ ومثاله:

[1]- زيد: هل فرغت من مطالعة الكتاب وسلمته إلى صاحبه ؟

[2]- عمرو: لقد فرغت من مطالعة الكتاب

في هذا المقطع الحواري، اختار عمرو أن يجيب عن جزء من السؤال، ولنسمه "أ"وأهمل الإجابة عن الجزء الثاني "ب"، وتبعا لقواعد المحادثة التي يفترض أن يلتزم بها عمرو، فقد يفهم زيد زيادة على ما قيل التضمين المخصص التالي:

[3]_ لم أسلم الكتاب إلى صاحبه

(1) _ عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص98_99

(2) _ نفسه، ص 100

وميزة هذا النوع من التضمين الناتج عن استلزام تخاطبي هو أن إلغاءه لا يترتب عليه تناقض، إذ يصح أن نقول:

[4]_ لقد فرغت من مطالعة الكتاب، بل إني سلمته لصاحبه»[1]

التضمينات التواضعية (العرفية):

على النقيض من التضمينات التحادثية المعمّمة والمخصّصة .بمختلف أصنافها، لا تعتمد التضمينات التواضعية على مبدأ التعاون وقواعد المحادثة المتصلة به، كما لا يشترط فيها أن تحصل أثناء المحادثة، و لا نحتاج في تأويلها إلى استحضار سياقات معينة، و« تشبه هذه التضمينات الافتراضات المسبقة المعجمية في أنها ترتبط بكلمات معينة وتؤدي إلى تكوين معانٍ موصلة إضافية عند استخدام هذه الكلمات"مثل "لكن "و"حتى "و"بعد/لما (حرف النفي الجازم)" و"واوالعطف"»[2]

وما يميز التضمينات التواضعية أيضا، هو أنها خلافا للضمنيات التحادثية الأخرى لا يمكن إلغاؤها، لأن ذلك يؤدي إلى إيجاد ملفوظات متناقضة.[3]

خصائص التضمينات:

إضافة إلى خاصيّة القابلية للإلغاء التي تميز التضمينات التحادثية عن التضمينات التواضعية، يقترح غرايس**(Grice)** خصائص أخرى تتدخل في تصنيف التضمينات (التحادثية والتواضعية على السواء)، وهذه المعايير هي:

(1) _ عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص98 ؛وينظر أيضا:يول. جورج: مرجع سابق، ص74
(2) _ يول. جورج: مرجع سابق ص78
(3) _ نفسه، ص77

_**القابلية للحساب:** إذا كانت التضمينات التحادثية قابلة للحساب (بسبب كونها تنتج عن إجراء استنفاري)، فإن التضمينات التواضعية لا تقبل ذلك، لأنها تستنبط آليا، بسبب ارتباطها ببنية لغوية معينة.

_**الخضوع للمواضعة:** لا تكون التضمينات التحادثية بطبيعتها خاضعة للمواضعة.

_ **الارتباط بعملية التلفظ:** ترتبط التضمينات التحادثية بعملية التلفظ، فاستنفارها مشروط بوجود عبارة لغوية تكون موضوع تلفظ، وبخلاف ذلك ترتبط التضمينات التواضعية ببنية لغوية تحدد دلالتها، لا يشترط فيها أن تكون موضوع تلفظ.

_ **التحديد:** إذا كانت التضمينات التواضعية قابلة للتحديد الدقيق (لكونها جزءا من دلالة العبارة اللغوية)فإن التضمينات التحادثية تتفاوت في قابليتها للتحديد، بحسب درجة إبداعيتها، كما هو الحال في التضمينات المعتمدة على المجاز.[1]

نخلص مما تقدم عرضه حول نظرية غرايس في التضمينات، إلى القول إنها جسّدت تطورا هاما في حقل اللسانيات، حيث أنها أتاحت فهم ما لم يستطع علم الدلالة تفسيره، فإذا كانت دلالات العبارات تتعدد بحسب الاستعمال، فإن هذا التعدد مرجعه إلى الدلالات الثانوية التي تتمثل في التضمينات التحادثية (المرتبطة بقواعد المحادثة)، أو التضمينات التواضعية المرتبطة ببنية العبارات، فالتفسير الذي

(1) - Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine: op.cit ، p 174

وينظر أيضا:راث. كيمبسون،مرجع سابق، ص106_107

جاء به **غرايس** لظواهر المعنى تبرز فرادته في مزية أساسية، هي أنه أتاح تقديم تحليل دلالي مبسط، مبيّنا أن التركّب والتعقيد الناتج عن تعدد المعاني في العبارات اللغوية يجد تفسيره في مبادئ تداولية عامة، من بينها إرجاع الافتراض المسبق إلى التضمينات، وإكساب الروابط دلالات منطقية،[1] وهذا تحديدا ما سنحاول استثماره في القسم التطبيقي لاحقا، عندما نعرض لتحليل الملفوظات أصواتيا، لا سيما ما يتعلق بالافتراض المسبق وغيره من أصناف التضمينات.

3)نظرية الملاءمة: التداولية العرفانية

تمتاز نظرية الملاءمة (المناسبة) **Théorie de pertinence** المعروفة بتداولية العلوم المعرفية، **لدان سبربر(D.Sperber) ودايردر ولسن(D.Wilson)** بأنها من النظريات التداولية التي حدّدت في الآن ذاته موقعها بدقة من اللسانيات، وتبنّت بوضوح التواجد خارج دائرتها، وإن لم يشتمل برنامجها على قطيعة تامة مع اللسانيات، إذ حدد صاحباها لها مرجعيتين، إحداهما وتمثل مرجعية الانتماء التخصصي الأساس، وهي العلوم المعرفية[*]، فوصفا نظريتهما بأنها معرفية، وثانيهما مرجعية البحث الفرعي في إحدى مظاهر السلوك اللغوي، أي البنى التركيبية اللغوية، وهو ما تجلى في تبني الباحثَين لطروحات النحو التوليدي.[2]

(1)-Jacques Moeshler& Antoine Auchlin: op.cit, p175

(*)- العلوم المعرفية أو العلم المعرفي هي"تآلف لمجموعة من العلوم المستقلة، بعضها وصفي تجريبي(علم النفس المعرفي، اللسانيات،والأنطربولوجيا المعرفية...) وبعضها نظري(الفلسفة) وبعضها نظري تطبيقي(الذكاء الاصطناعي)"تلتقي وفق برنامج محدد حول دراسة آليات اشتغال الذهن البشري. (ينظر: عشير.عبد السلام: مرجع سابق، ص25-26)

(2) _ موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص70_71 ؛ وينظر أيضا:

وبهذا كانت هذه النظرية وريثة لتداولية **غرايس-** التي عرضنا لها فيما تقدّم- في نزوعها إلى اعتماد المقاربة الاستدلالية لظواهر التواصل اللغوي، كما مثّلت في السياق ذاته تجاوزا لها، ومحاولة للتخلص مما عابها من ثغرات، وأخذ عليها من نقائص.[1]

وأبرز ما تتميز به نظرية الملاءمة كتيار تداولي، هي أنها تؤلف بين العمليات الترميزية للغة والعمليات الاستدلالية، باعتبار الأولى ناتجة عن بنية اللغة ذاتها، وأن الثانية متولّدة عن الاستعمال اللغوي وشروطه التداولية، ورغم اعترافهما بالبعد اللغوي المحض كجزء من التواصل اللغوي، إلا أن **د. سبربر (D.Sperber) ود.ولسن (D.Wilson)** يصرّان على وضع التداولية خارج دائرة اللسانيات. فهي ليست جزءا من اللسانيات -كما شاع بين العديد من التيارات التداولية اللسانية- وهي لا تنتمي « إلى علم الدلالة لتعنى بالمظاهر التي لا يعالجها هذا العلم مثل: الأعمال المتضمنة في القول ووصف شروط نجاحها، أو دلالة الكلمات التي تؤوّل بما يتناسب ومقام التواصل (خارج مجال اللغة) مثل "الأنا"و"الأنت "و" الآن"و"الهنا" ...إلخ ».[2]وتبعا لذلك يكون هذا الطرح العرفاني جذريا يتجاوز ما جاء به **غرايس (Grice)**في القول بالتصور الاستدلالي لعملية تأويل الملفوظات، إذ يحسم الباحثان خيارهما في اعتبار التحليل الترميزي الذي تكفُله الأدوات التقليدية للسانيات مجرد خطوة في سيرورة التحليل التداولية التي لا تتسع لها الدراسات اللسانية بمجملها، فلا بد من فحص العمليات الاستدلالية التي تتدخل في تأويل الأقوال، كما تتدخل في

(1) _ موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص69_70
(2) _ نفسه، ص71

كل الأنشطة الأخرى التي يقوم بها الإنسان؛ وهي عمليات ذهنية ونفسية موجودة خارج النظام اللغوي، انطلاقا من أن السلوك اللغوي على أهميته ليس السلوك الوحيد، الذي يعتمد عليه الإنسان في تمثله للعالم.[1]

لأجل تأسيس نظريتهما علميا، تبنّى الباحثان _كما أسلفنا _ منظور العلوم المعرفية لاشتغال الدماغ البشري، وخصّصا توظيفهما له في مجال اللغة باعتبارها نشاطا من الأنشطة التي يؤطرها هذا الاشتغال ضمن الرؤية المنظومية التي وضعها الفيلسوف و عالم النفس الأمريكي **فودور**[2]**(Fodor)** (*)، الذي يرى أن اشتغال الذهن البشري يخضع لنظام تراتبي تعالج فيه المعلومات (المرئية، والسمعية، واللغوية وغيرها) عبر ثلاث مراحل تتناسب مع مكونات الذهن، وهي: **المحولة، والنظام الطرفي، والنظام المركزي**، فتقوم المحوّلة بترجمة معطيات الإدراك الحسي التي تتلقاها (الأصوات اللغوية، صور ورسوم الكتابة، مثلا) إلى نسق يقرأه النظام في المرحلة التالية. ويسمى هذا النظام طرفيا ويختص بالقراءة الأولية لنوع واحد من المعطيات الحسية فقط، فيكون بذلك للغة نظام طرفي خاص بها، يقدّم تأويلا أوليا ترميزيا إلى حدّ كبير، تُستثمر فيه القواعد المتصلة بالمستويات الصوتية والمعجمية والتركيبية، غير أن هذا التأويل يبقى ناقصا،[3] فتأتي المرحلة الثالثة والأخيرة، ويتدخل فيها النظام المركزي لإتمام التأويل، مستثمرا ما وفّره النظام الطرفي المتخصص« وتتحقق هذه المهمة بدرجة كبيرة من خلال مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى معروفة سلفا

(1) _ موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص72
(2) _عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص28
(*)-ج.فودور Jerry Alan Fodor فيلسوف أمريكي، ولد سنة 1935 ينتمي إلى المدرسة الوظيفية في فلسفة العقل. انجز العديد من الأبحاث في العلوم المعرفية بتبنى فيها مقولة القالبية، كما اهتم بدراسة الإشكاليات المتصلة بموضوع لغة الفكر.
(3) _ عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص 28، 30_31

أومعلومات وفرقها أنظمة طرفية أخرى،كما تتحقق نتيجة عمليات استدلالية. »[1]وهذا مايتبين منه بوضوح أن عمل النظام المركزي هو بالذات ما يضطلع به التحليل التداولي. ولما كان هذا النظام وآلياته وطرق اشتغاله مختلفة عن النظام الطرفي المتخصص، دلّنا ذلك على أن التداولية علم ينبغي أن ينفصل عن اللسانيات حسب ما يذهب إليه أصحاب نظرية الملاءمة.

فتداولية الملاءمة تتجاوز اللسانيات، ولكنها تتعاون معها، وتتكامل على النحو الذي يتعاون فيه النظام المركزي مع النظام الطرفي. لذلك لم يجد **د. سبربر (D.Sperber) ود.ولسن (D.Wilson)**حرجا من اعتماد مفاهيم النحو التوليدي عند **تشومسكي** وأضرابه، في بناء النموذج التحليلي الذي يقترحانه، فأخذا مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة والتحويل وغيرها من المفاهيم، وأدمجاها في المرحلة الأولى من تحليل القول (=الجملة)[2] على مستوى النظام الطرفي « الذي يوافق تقليديا الميادين التي تغطيها الفونولوجيا والتركيب والدلالة، والتي تقدم الشكل المنطقي للقول (متوالية مبنية من المفاهيم)»[3]ولا يقدّم الشكل المنطقي أوالصيغة المنطقية للقول هذه المفاهيم إلا في شكل عناوين، ويتدخل السياق الذي يأخذ في التشكل متزامنا مع عملية التواصل ومتفاعلا معها، لإثرائها بالاعتماد على موارد مختلفة، منها الذاكرة بعيد المدى، والمحيط المادي الفيزيائي لعملية التواصل، والمؤثرات الإشارية غير اللغوية،[4] وتعالج هذه العناوين إجمالا عبر ثلاثة مداخل، هي:

(1) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص74
(2)_ نفسه، ص76؛ وينظر أيضا: عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص35
(3) _عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص32
(4) _ موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص77_78

أ_ **المدخل المنطقي:**ويختص بجمع المعلومات الخاصة بالعلاقات المنطقية بين المفهوم المعني والمفاهيم الأخرى، كعلاقة الاستلزام، أو التضمن أوالتناقض ...إلخ

ب_**المدخل الموسوعي:**ويجمع مجمل المعلومات ذات الصلة بالمفهوم المعني.

ج_ **المدخل المعجمي:**ويستحضر مقابل أومقابلات المفهوم المعني في لغة أو أكثر.(1)

بهذه الصورة يتم تأويل الملفوظات نظريا وفق التصور الذي جاءت به نظرية الملاءمة، وزيادة على المفاهيم القاعدية المتقدم ذكرها، اجترح الباحثان مفاهيم أخرى ضرورية للإجابة على إشكالات التأويل وإنتاج المعنى، ومنها على الخصوص ما يلي:

_**مفهوم التواصل الإشاري الاستدلالي:** أراد به الباحثان تجاوز ما طرحه **غرايس** في تمييزه بين الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، وارتباط ذلك بضرورة اللجوء إلى العمليات الاستدلالية في التواصل اللغوي، والفارق بين المفهومين هوأن مفهوم التواصل الإشاري الاستدلالي أعم وأشمل، لأنه ينطبق على كل تواصل مهما كان النظام الإشاري الذي ينتمي إليه، وهوما يسمه بطابع سيميائي. وينبني هذا التواصل على وجود مقصدين لدى المتكلم هما: المقصد الإخباري، ويتحقق بحمل المتكلم لمخاطبه على معرفة معلومة ما؛ والمقصد التواصلي، ويتحقق بحمل المتكلم لمخاطبه على معرفة مقصده من الإخبار.(2)

_ **مبدأ الملاءمة (المناسبة)Pertinence:** وهو مفهوم يختصر قواعد المحادثة ومبدأ التعاون التي جاء بها غرايس(**Grice**)، ولكن بشرط ألا ينظر إليه – كما كان

(1)-Jacques Moeshler& Antoine Auchlin: op.cit, p180

(2) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص79-80

ينظر إلى تلك القواعد- بأنه طارئ على عملية التواصل أو مفروض على المتخاطبين من خارجها، بل اعتباره مُتَأتٍّ من عملية التواصل الاستدلالي ذاتها، يرافقها ويلابسها ولا ينفصل عنها،[1]« فهو إذ لا يحكم سلوك القائل، فإنه يمثل أساس العملية الاستدلالية لتأويل الأقوال التي تجري في النظام المركزي، وهي عملية غير واعية، وهذا المبدأ العام هو مبدأ المناسبة: كل قول يولد لدى المخاطَب انتظار المناسبة الخاصة به »[2]

ولا يتضح مبدأ المناسبة وكيفية اشتغاله في عمليات الاستدلال والتأويل دون التعرض لمفهومين آخرين يفسرانه، وهما مفهوما **النتيجة** و**الجهد**(الكلفة). يعنى بالجهد ما يبذله المؤوّل من جهد استدلالي يتعلق خاصة ببناء السياق، أما النتيجة فهي ما يصل إليه من استنتاجات بعد قيامه بعمليات الاستدلال. واعتمادا على مقادير التناسب بين الجهد والنتيجة تحدّد درجة المناسبة؛ فكلّما تطلب العمل التواصلي الاستدلالي جهدا أقل كانت مناسبته أكبر، وكلّما كانت نتائجه أوفر كانت مناسبته أكبر كذلك.[3]

هذا عن قياس حاصل المناسبة، أما تأثيراتها على المخاطب، فينطلق **د. سبربر (D.Sperber)ود.ولسن (D.Wilson)** من تصور مركزي في نظريتهما التداولية المعرفية، وهو أن وظيفة النظام المعرفي لأي كائن حي، واللغة عند الكائن البشري

(1) _عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص33
(2) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص83
(3)_ Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine : op.cit, p181

جزء منه، هي ابتناء تمثُّل للكون وموالاة تعديله عبر التجارب التي يخوضها هذا الكائن.[1]

وعليه تكون آثار التواصل اللغوي الاستدلالي بهذا الاعتبار متجسدة إما في تعديل قناعات المخاطب وتصوراته واعتقاداته من خلال إضافة معلومات جديدة، أو حذف معلومات أخرى، أو تعزيز قوة القضية المحفوظة في الذاكرة.[2]

كما يتدخل مبدأ المناسبة في اختيار السياق وإيقاف عملية التأويل، وهما مسألتان تعثَّر في معالجتهما الباحثون كثيرا، قبل أن يطرح **د. سبربر(D.Sperber) ود.ولسن(D.Wilson)** تصورا متقدّما لهما؛ فعن اختيار السياق يقترح الباحثان « أن يحكم السعي إلى المناسبة اشتغال النظام المركزي وأن يوظف في انتقاء المعلومات التي تعد – مهما كان مصدرها- جزءا من السياق عند تأويل قول ما »[3]أي أن المخاطَب يستنفر من المعلومات المتوفرة في السياق ما هو أجدر بإيصاله إلى نتائج تؤهل للحكم على قول ما بأنه مناسب، والغالب أن يزاوج في ذلك بين البحث عن المعلومات المهمة، والمعلومات السهل الحصول عليها. [4]

وفيما يخص إيقاف العملية الاستدلالية تبدو الإجابة بسيطة، فهذه العملية تتوقف من تلقاء نفسها عندما يتم بلوغ نتائج توازن الجهود المبذولة« وفقا لقاعدة قياس التناسب بين الجهد (الكلفة) والنتيجة، وهو ما يصطلح على تسميته الباحثان أيضا بـــ**"المردودية"**»[5]

(1) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ،ص105
(2) _ موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص97
(3) _ موشلر.ج._ روبول. آن : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص87
(4) _ نفسه:ص ن
(5) _ نفسه، ص87_88

4)التداوليـــة المندمجـــة

تكتسب التداولية المندمجة أهميتها في بحثنا هذا من ارتباطها بمفهوم التعدد الصوتي، فقد تولّد هذا المفهوم عن التصور التلفظي للغة، الذي تبناه **أ.ديكرو (O.Ducrot)** ضمن الإطار النظري الذي أسّسه وحده، ثم بالتعاون مع ج. ك. أنكومبر**(J.C.Anscombre)**[1] وعرف فيما بعد بالتداولية المندمجة Pragmatique intégrée،[2] والذي يتحدد مجال البحث فيه بالمكون التداولي الذي ينبغي أن يدمج في الدلالة، فيكون جزءا لا يتجزأ منها خلافا لما افترضته بعض النظريات الدلالية ذات المترع المنطقي (لا سيما **ش. موريس Ch.Morris**)، وبذلك يكون موضوع البحث هو الدلالة التداولية الموسومة في الأبنية اللغوية وتوضيح شروط إنتاجها الممكنة، لا الدلالة الخبرية المرتبطة بالمحتوى القضوي للأقوال.[3]

وهي بذلك تتوافق مع النظريات التداولية التي عرضنا لها سابقا في جوانب، وتُباينِها في جوانب أخرى؛ فأما ما يجمعها بنظريات كنظرية أفعال الكلام، أو نظرية الاستلزامات الغرايسية، أو وريثتها نظرية الملاءمة لسبربر وولسن، فهو تركيزها على مفهوم التضمين، واعتبار الاستلزام في اللغات الطبيعية استدلالا غير برهاني، وإعطاء

---

(1) _ في كتابهما: *L'Argumentation dans la langue*

(2) _أطلق هذه التسمية عليها براكوب في كتابه :

Bracops. M ,2006: Introduction à la pragmatique – Les théories fondatrices, actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée, Louvain-la-Neuve :Duculot ،p147

كما عرفت بتسميات أخرى هي : التداولية الدلالية Pragmatique sémantique، التداولية اللسانية Pragmatique Linguistique ، ينظر: Ducrot. Oswald. 1984: Le dire et le dit. Paris : Minuit.p173

والتداولية الموسعة ...،(بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان ،ص167)

(3) _ المبخوت. شكري:نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن:فريق البحث في البلاغة و الحجاج تحت إشراف حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،سلسلة :الآداب ،مجلد:XXXIX، منشورات جامعة الآداب والعلوم الإنسانية تونس1-كلية الآداب منوبة ،دت، ص351

الأولوية للدلالات المشتقة من الملفوظات، والتي سمتها نظرية أفعال الكلام"القوة المتضمنة في القول"، وسماها **غرايس** "الدلالة غير الطبيعية"، وأعطيت ضمن نظرية الملاءمة تسمية "المقصد التواصلي ".[1]

أما ما تتميز به التداولية المندمجة عن التداوليات الأخرى فهو دون شك، إرساؤها لموضوع البحث من حيث دائرة التخصص في حقل اللسانيات، وانطلاقها من تصور للغة متأسس على مبادئ البنيوية الشكلانية، المنفتحة على دراسة الكلام في إطار اللسانيات الملفوظية، وهو ما أكد عليه **ديكرو (O.Ducrot)**وأنكومبر **(J.C.Anscombre)**اللذين بنيا نظرية في الدلالة أكثر مما اشتغلا على تحليل الخطاب.[2]

فمن بين الفرضيات الأساسية التي تنطلق منها التداولية المندمجة أنه لا يوجد هناك مستوى للتحليل الدلالي المجرد، يمكننا فيه دراسة اللغات الطبيعية بمعزل عن الافتراض الجوهري لخاصية ارتباط وجودها ذاته بالحاجة إلى استعمالها، أي لا يوجد «أي مستوى للتحليل الدلالي يمكننا من الزعم بأنَّ هذه اللغات وجدت لكي لا يتكلم بها»،[3] وهو ما يستلزم أن كل ملفوظ يمثل صورة دلالية عن تلفظه (عملية تلفظه)، فالدلالة وفق منظور التداولية المندمجة، لا تنحصر في المحتوى المحكوم بشروط

(1) _ ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق من هذا الفصل، ص18،13، 35

(2)- زيادة على هذا، يقوم التقابل بين التداولية المدمجة والتداولية الجذرية على اختلاف يمس أطروحتين؛ أولاهما أطروحة التصور اللاوصفي للغة (نفي الوظيفة التمثيلية للغة)بمواجهة التصور الوصفي لها، والثانية هي أطروحة الإحالة الانعكاسية (الإحالة الذاتية،و الذي يوضحه قول ديكرو" إن معنى قول ما هو أن نفهم دواعي إلقائه").ينظر: موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية،ص35

(3)-Ducrot. Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann، Collection « Savoir »، Paris ،p130

صدق الجملة،[1] لأنَّ المحتوى الدلالي ينتِج أيضا صورة عن التلفظ وصاحبه، أي المتكلم. وبهذا تندمج التداولية في علم الدلالة، بحكم أن التفاعل يخضع لتشفير على مستوى اللغة، فالأمر هنا لا يحيل إلى التداولية التي تعني «النشاط البشري المنجز بواسطة اللغة»،[2] أي التداولية بمعناها الحرفي، ولكن-كما يقول ديكرو **O.Ducrot**-« بما يتاح للكلام أن ينجزه من فعل على مستوى الملفوظ نفسه، فباستعمالنا لملفوظ استفهامي، نزعم أنَّنا أوجبنا على الشخص الذي خاطبناه أن يتبنى سلوكا معينا، بواسطة الكلام نفسه، أي أن يجيب، والشيء نفسه يحدث في الأمر، إذ أنَّنا ندعوه إلى التصرف بطريقة ما، إذا لجأنا إلى الأمر...إلخ ».[3]

إنَّ الطابع التداولي الجوهري لفعل مثل الاستفهام لا يمنعه مع ذلك من تأدية وظائف أخرى على مستوى التأويل، فالمؤول يستطيع – اعتمادا على قوانين الخطاب والعناصر السياقية- أن يفهم دلالة الطلب (هل يمكنك فتح النافذة؟) أو الاقتراح (هل تذهب إلى المقهى؟)، أو غيرها من أعمال اللغة (المرجعية ليست إلا قيمة فرعية في حجاجية الجملة عند **ديكرو** و**أنكومبر**.

وحتى يفسّر هذه الإزدواجية التلفظية– بالتوالي على مستويي الدلالة والتداولية بمعناها الحصري- لا يقول **ديكرو** بالمعنى الحرفي، وإنما يقول بوجود دلالة تداولية

(1)_ قام على هذا المبدأ التيار المنطقويLogiciste في حقل الدراسات الدلالية، الذي حاول أن يطبق مبادئ المنطق الصوري على الدلالة اللغوية، قبل أن يتخلى أقطابه جميعا عن ذلك ،ويوجهوا جهودهم نحو بناء ما عرف بالمنطق الطبيعي أو منطق المعنى .يقول ر .مارتان : "إن الجميع (الدلاليون)يلتقون بالتأكيد عند اعتبار أن الدلائلية، من حيث هي علم، تعرض – أوتدعي أنها تعرض –أقوالا هي حق ، لكن الأمر لا يتعلق يقينا بتلك الحقيقة الورَلسانية، بل يتعلق بالتأكيد بحقيقة الجمل ذاتها"ينظر: في سبيل منطق للمعنى، تر:الطيب البكوش وصالح الماجري،ط1، المنظمة العربية للترجمة -مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان2006، ص 33-34؛ وينظر أيضا تلخيص ليونز لمواضع فشل علم الدلالة المنطقي في تفسير دلالات الجمل في: ليونز.جون: اللغة و المعنى و السياق، ص157

(2) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p173

(3) _ Ibid, p 174

قاعدية، إذ يتحدث عن مستويين تداوليين، الأول ابتدائي، افتراضي، خاص بالدلالة بمفهومها التقليدي الصوري، والآخر واقعي متفلّت عصي على الالتقاط بواسطة التعليمات الدلالية وحدها، فهو عمل تفاعل اجتماعي.(1)

فالمعنى إذن ينتج اعتمادا على تعليمات دلالية،(2)هي التي تشكل الدلالة، إذ على مستوى اللغة تشكِّل دلالةَ الجملة «مجموعة التعليمات المقدمة للأشخاص المنوطين بتأويل ملفوظات هذه الجملة، وتحدد هذه التعليمات المناورات التي ينبغي القيام بها لإعطاء معنى لهذه الملفوظات».(3) فما نلاحظه، هو بالطبع الملفوظ، تلك الظاهرة الإمبيريقية التي يرتبط بها معنى يُبنى انطلاقا من التعليمات التي تحملها الدلالة، مع «الأخذ في الحسبان مقام الخطاب».(4) وعليه فجملة مثل: "الجو جميل" تقدّم تعليمات بالبحث عن هوية المكان الذي يتحدث عنه المتكلم، وأن نقبل بأنَّ المتكلم يثبت جمال الجو في لحظة التلفظ.(5) وبعد ذلك يمكن أن تكون لهذا الملفوظ آثار تداولية ثانوية.

فالمعنى- تبعا لما تقدم- يتشكل من مكونين فرعيين، «معنى حرفي»، «ومعنى مشتق اعتمادا على قوانين الخطاب»،(6) أي معنى تداولي بحق؛ المعنى الحرفي يخص الأفعال المشار إليها بواسطة التعليمات الدلالية للملفوظ، بينما يكون المعنى التداولي،

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 226-227

(2)-يرتبط مفهوم التعليمات بما "أسماه ديكرو "كلمات الخطاب"، وبالخصوص الروابط، أي بضروب من الوصل والعبارات والظروف الخالية من الدلالة الإحالية، والتي يبدو أن وظيفتها تتغير بحسب محيطها اللغوي".ينظر: موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص27

(3) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p181

(4) _ Ibid, p182

(5)_ Ibid, p181

(6) _ Ibid, p104

نتاجا للتأويل، ويشكل تحيينا، وربما تعديلا "للتداولية القاعدية للجملة"التي يمثلها «المعنى الحرفي».[1] سمح هذا التفريق بين مستويي المعنى، لديكرو **(O.Ducrot)** بالتمييز بين عملين لغويين ينتجان على التوالي عن المعنى الحرفي والمعنى المشتق، وهما عمل الافتراض المسبق، وعمل التضمين، ولنتأمل هذا المثال الذي نأخذه من ديكرو "مع تعديل بسيط"(*):

- أقلع سمير عن التدخين.

بمقتضى المحتوى الدلالي، تحمل الجملة قضية ضمنية مؤداها أنَّ "سميرا كان يدخن سابقا"، ولَّما كان هذا المعنى قابلا للاستخلاص انطلاقا من المستوى اللغوي البحت، فإنَّه يمثل ظاهرة دلالية خالصة. وزيادة على ذلك يمثل هذا المحتوى أداة تعطى للمتكلم ليلزم المرسل إليه بمواصلة الحوار في اتجاه معيّن يختاره من ضمن اتجاهات متعددة ("يلزمه" هنا تعني ما تعنيه في حالة الاستفهام، أي إلزام المستفهَم بسلوك معين يمكن وصفه بأنَّه جواب).[2] الافتراض المسبق إذن ظاهرة من ظواهر التداولية الابتدائية، لأنَّها تفرض تصورا خفيا للحقيقة التي تشكل أساس القضية المصرّح بها.

غير أنَّ الملفوظ في المثال السابق قد يستدعي محتويات ضمنية أخرى، تتجاوز ما يتيح التقاطه التشفير اللغوي.

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p104

(*)-نص المثال الأصلي : _ Pierre a cessé de fumer

(2) _ Ibid, p105

فإذا تخيّلنا المخاطب مدخنا، وأنَّ الشخص المتكلم ممن يستهجنون التدخين، فإنَّنا نستطيع أن نستلزم منه (الملفوظ) محتوى مضمرا، هو المعنى الضمني (الضمنية) التالي: «يجب عليك الاقتداء به». فلو اتكأنا على الاستلزامات التحادثية لغرايس (**Grice**)، والاستلزامات السياقية لسبربر وولسن،[1] فالضمنيات تنتج « جراء فعل مشترك بين العوامل الداخلية والخارجية، في حين يضطلع السياق بدور إيجابي في عملية إيلاد المحتوى المضمر"،[2] إلا أنَّ ديكرو (**O.Ducrot**)لا يسعى إلى تفسير التأويلات الحقيقية، بل يقصر اهتمامه على «حصر تداولية ابتدائية »تنماز عن الآثار التداولية الثانوية،[3] وهذا ما يفيد أنه لا يتجاوز المستوى اللغوي، فهولا يُشغَلُ ولا ينشغل بالظروف الفعلية (الإمبيريقية) للتلفظ. يقول: «أنا لا أقول إن التلفظ هو العمل الذي يقوم به شخص ينتج ملفوظا ما: بالنسبة لي، يهمّني بكل بساطة أن يكون هناك ملفوظ، ولا أريد أن أتخذ موقفا، على مستوى هذه التحديدات الأولية، من مسألة منتِج الملفوظ، ومن يكون [...،]، أحتاج لبناء نظرية للمعنى، نظرية لما يتم توصيله من معنى، [أحتاج] إلى مفهوم للتلفظ لا ينطوي ابتداء على فكرة الذات المتكلمة»،[4] يؤكد هذا المقتطف بما تضمنه من تحديد إبستمولوجي لإطار البحث الذي تبناه **ديكرو** على حصر مفهوم التداولية اللسانية في المستوى اللغوي، وهو الإطار نفسه الذي تندرج فيه نظرية الحجاج في اللغة **TADL**(Théorie de l'argumentation dans la langue) التي طوّرها **ديكرو** بالاشتراك مع **ج. ك.**

(1) _ينظر تفصيلها في مبحث سابق من هذا الفصل، ص 25، 36

(2)_أوركيوني.ك.ك: المضمر، تر:ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة-مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008،ص 50

(3) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p105

(4) _ Ibid, p 179-180

أنكومبر (J.C.Anscombre). وهذا ما جسّداه على مستوى التطبيق، حيث أنهما اعتمدا نموذجا تحليليا يقوم على اصطناع أمثلة للملفوظات، وبنائها بناء يحاكي الملفوظات التي تستعمل في مقامات تلفظ حقيقية.(1)

فإذا كان الملفوظ يحتوي صورة دلالية عن عملية تلفظه، فإنَّ هذه الصورة تحتوي أيضا العلاقة التي تقوم بين المتكلم والمتلفظ له. وهذه العلاقة في جوهرها حجاجية، لأنَّ الملفوظات لا تكون في الأساس إخبارية، بل تكون موجهة نحو عدد غير محدد من الاستنتاجات. لذلك تنقض هذه النظرية مبدأ مركزيا في علم الدلالة المعاصر، عندما تنفي عن "شروط الحقيقة" صفة المحتويات الدلالية القاعدية، وتجعلها فقط قيما مشتقة أو متفرعة عن الحجاج اللغوي، لكنَّ ذلك لا يعني أنَّ الإمكان الحجاجي المختزن في الملفوظات يتحقق دائما في تأويل الملفوظات، فيتحتم علينا إذن أن نفرق بين الحجاج في اللغة والحجاج كحدث اجتماعي، أي الحجاج باعتباره محاولة للإقناع والحمل على الاعتقاد.(2)(*) وهو ما يؤكد ما سبق الحديث عنه من

(1)_المبخوت.شكري: نظرية الحجاج في اللغة،ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 358-357

(2)_ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 105,185

(*)-يميز ديكرو بين الحجاج اللغوي والحجاج البلاغي الخطابي، فيحصر الأول في استخدام الروابط الحجاجية بين قولين (قضيتين) يكون أحدهما الحجة(ح)، والثاني النتيجة (ن)، مع الإشارة إلى إمكانيات توسيع هذه المقولة لتشمل وحدات لغوية أكبر(فقرات ومقاطع نصية). وبالمقابل ينظر إلى الحجاج البلاغي أوالخطابي باعتباره نشاطا عاما يستخدم اللغة بأساليب مختلفة، قد يكون الحجاج اللغوي إحداها، من أجل الإقناع والحمل على الاعتقاد، وربما التحريض على الفعل. ولا يشترط كل ذلك في الحجاج اللغوي الذي هو خاصية جوهرية في بنية اللغة، يتحقق بمجرد الربط بين قولين بواسطة رابط حجاجي، حتى ولو لم يتوخ المتكلم التأثير في الغير وحمله على الاقتناع. ينظر:
Ducrot. O: Argumentation rhétorique et argumentation linguistique. Dans :L'argumentation aujourd'hui-Positions théoriques en confrontation(Textes réunis par Mariane DOURY et Sophie MOIRAND) ,2004,Presse Sorbonne Nouvelle,p 18-20

تجذّر الطرح التداولي لهذه النظرية في الحقل اللساني، وحفاظها رغم تكفلها بدراسة استعمال اللغة بطابعها الشكلاني اصطلاحيا ومفاهيميا.

وكما ارتبطت نظرية التداولية المندمجة ذلك الارتباط القوي بمباحث الحجاج، فقد ارتبطت ارتباطا يوازيه في القوة، أو يجاوزه بمفهوم ارتقى بعد ذلك إلى مستوى النظرية، هو مفهوم التعدد الصوتي الذي ألمحنا إليه سابقا. ففي إطار مرجعيته التلفظية الحجاجية، بيّن ديكرو(**O.Ducrot**)أن كل ملفوظ يتأسس على وجود أكثر من جهة تلفظية؛ المتكلم (منتج الكلام)، المتلفظ (قد يكون الأنت المتلفظ له، أو الهو الممثل للصوت الجماعي، أوهما معا)، بحيث لا يتحمل المتكلم مسؤولية ما يسنده إلى هذه الذوات التي ترتبط بوجهات نظر متضادة ومختلفة أحيانا، يحملها الملفوظ، «ففي ملفوظ من صنف "**س** لأن **ص**" يهتم المتكلم بقضيتين؛ وبالمقابل في ملفوظ مثل"**س** بما أن **ص**"، يأخذ الباث على عاتقه **س** بيد أنه يقدم **ص** على أنها قضية تؤكدها جهة خارجية أي الهو».[1]

هذا هو التصور المجمل لمفهوم الأصواتية الذي سنعكف على تفصيله في الفصل الموالي، بتناول ما يتصل بنشأته، وتطوّره، وما تفرع عنه من مفاهيم.

(1) _ بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص167

التعدد الصوتي[1] نظرياته و جهازه المفاهيمي

المصطلح و الماهية:

نتناول في إطار مقاربتنا التداولية لرسائل الجاحظ تطبيق مفهوم تعدد الأصوات، وفق المسعى الذي نلتزمه في هذا البحث، والذي ننطلق فيه من فرضية أن تطبيق مفهوم تعدد الأصوات، أو مقاربة النص الجاحظي من خلاله متاحة في مجمل رسائله، لما تتميز به هذه الرسائل من حوارية، تتمظهر في صور متعددة من الحوار الذي دأب الجاحظ على توظيفه في كتاباته، حتى عرف به، وكان خصيصة مائزة له.

وقبل أن نصل إلى ذلك، لا بد لنا من عرض نظري نكمّل به ما تقدّم من إضاءات نظرية تُجَلِّي المنهج المعتمد في هذه الدراسة، وتضع بين أيدينا الجهاز المفاهيمي الذي سنباشر بواسطته معالجة مدونة البحث لاحقا، وسنعكف في هذا الفصل النظري الأخير على التعريف بمفهوم التعدد الصوتي، من حيث نشأته، ومدلولاته عند أعلام الباحثين الذين وضعوه، أو ساهموا في تطويره، وتطبيقه في ميادين البحث المختلفة، ولا سيما في حقلي الدراسات اللغوية، وتحليل الخطاب.

فقد ارتبط المفهوم - أكثر ما ارتبط - بعلمين بارزين هما: الفيلسوف الروسي **ميخائيل باختين(M.Bakhtine)**، واللساني الفرنسي **أوزوالد ديكرو(O.Ducrot)**. فكيف قارب هذان العلَمان المفهوم، وأيّ مدلول أعطيا له؟

إن أول من استخدم مصطلح"تعدد صوتي" **Polyphonie**في إطار التحليل

(1)- خلافا لكثير من المصطلحات اللسانية والنقدية المعاصرة، يحظى مصطلح "التعدد الصوتي" أو "تعدد الأصوات" كترجمة لـ**Polyphonie** بما يشبه الإجماع لدى الباحثين العرب الذين أتيح لي الإطلاع على أعمالهم، باستثناء أبوبكر العزاوي الذي استعمل إلى جانب المصطلحين المذكورين، مصطلح "الأصواتية"ينظر كتابه: اللغة والحجاج، ص95 وما بعدها

الأدبي"(واللساني بصورة من الصور) هو **م.باختين(M.Bakhtine)** في دراسته لأعمال الروائي الروسي دوستويفسكي.[1](*) ويتجاور هذا المفهوم عند باختين مع مفهوم آخر أكثر أهمية عنده، هو مفهوم الحوارية **Dialogisme** الذي يخضع كل نص بموجبه للمبدأ الحواري، فتنتمي النصوص إلى حوار مستمر، يتكون من سلاسل سابقة لأخذ الكلمة وسلاسل استباقية افتراضية لاحقة.[2]

ويدرس **باختين** في نظريته اللغوية المسماة بـــ ''العبر لغوية''« **Translinguistique** » كيف يتجلى هذا المبدأ في كافة مستويات النص: «إن العلاقات الحوارية تكون ممكنة ليس فقط بين التعبيرات الكاملة (نسبيا)، ولكن التناول الحواري ممكن حتى لأي جزء له قيمته الدلالية داخل هذا التعبير، وحتى لأيّ كلمة بمفردها بشرط أن يتم استيعابها لا على أنها كلمة غير مسندة، بل على أنها علامة دالة على موقف ذي معنى محدد يخص إنسانا آخر»[3]

فالتعدد الصوتي لأسلوب النفي مثلا يفترض -حسب باختين-ربط وجهتي نظر متضمنتان في الملفوظ المنفي التالي: "الحياة ليست طيّبة"هما:"الحياة طيّبة" و"الحياة ليست طيّبة" فتسند كل وجهة نظر لذاتين مختلفتين(مفرد أو جماعة)في إطار العالم الأدبي.[4]

(1) _ باختين. م :شعرية دوستويفسكي،تر:جميل نصيف التكريتي،ط1 ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب1986، ص7-65

(*)- فيودور ميخايلوفتش دوستويفسكي(1821-1881) أحد أشهر الروائيين الروس. أشهر أعماله: الإخوة كرمازوف، الجريمة والعقاب، الأبله

(2) _ تودوروف . ت: ميخائيل باختين المبدأ الحواري ، ص125

(3) _ باختين . م :شعرية دوستويفسكي ، ص269

(4)_ نفسه ،ص268

خلافا لباختين، ورغم استلهامه له، يهتم **ديكرو** بالتعدد الصوتي داخل نظام اللغة، فيعمد إلى فحص مختلف البنى اللغوية الحاملة للتعدد الصوتي على مستوى الملفوظات، ووفقا لرؤية **ديكرو(ونولكه Nolke** من بعده) ليس من الضروري إسناد وجهتي النظر إلى شخصين حقيقيين ليتحقق التعدد الصوتي، فإذا كان باختين يعني بـــ"التعدد الصوتي"حضورا نصيا لأصوات خطابية"متساوية"[1]في الدرجة، فإن **ديكرو** يدرج وجهات النظر ضمن بنية هرمية وحجاجية.[2]

لقد أكّد **ديكرو**-بعد **باختين**- على ضرورة تجاوز المسلمة القائلة بواحدية الذات المتكلمة، التي سيطرت زمنا طويلا في مجال اللسانيات، ففي نظر القائلين بهذه المسلمة -كما يوضح ذلك **موشلر (Moeschler)**و**روبول(Reboul)**«تتحمل الذات المتكلمة **...**مسؤولية الأنشطة الفيزيولوجية والنفسية المرتبطة بالتلفظ» [3] بينما يرى **ديكرو** أن الذات المتكلمة تنقسم على مستوى الملفوظ الواحد ذاته، إلى متكلم ومتلفظين، وهو في ذلك متأثر بأعمال **ج. جينات(G.Genette)** الذي ميّز بين "من يرى"و"ومن يتكلم"[4]

وعليه، ينطلق **ديكرو** في تعريف "تعدد الأصوات"من فكرة أساسية مؤداها أنه« عندما ينتج المتكلم الملفوظ **مل** – نعني بذلك قطعة من الخطاب تعادل جملة لغوية- فإنه يضعنا أمام عدة متلفظين وهم ينجزون أفعالا كلامية، وعندئذ يمكن للمتكلم اتخاذ أحد الموقفين التاليين:

(1)_ باختين . م :شعرية دوستويفسكي، ص10

(2)-Ducrot. O: Le dire et le dit, p198

(3) _Moeschler. Jacques et Reboul. Anne ,1994: Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,Paris , Seuil, p 325

(4) _ب. شارودو ود.مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص433

- أن يتماهى معهم (المتلفظين)، فيتبنى أفعالهم الكلامية

- أو يباينهم، فيظهرهم بمظهر أشخاص آخرين مختلفين عنه، سواء حدّد هوياتهم أو لم يحددها »[1]

ويكتمل بناء تعريف هذا المفهوم بالمقطع التالي المأخوذ من كتاب **طه عبد الرحمن** "اللسان والميزان"، الذي يقدّم فيه خلاصة قراءته التي استهدفت جمع عناصر التعريف المنبثة في أعمال **ديكرو(O.Ducrot)**، فيشير إلى أن نظرية تعدد الأصوات عند ديكرو«مدارها على أن القول المنطوق لا تقوم به ذات واحدة، وإنما تشارك في القيام به ذوات كثيرة كما لو كانت أصواتا مختلفة تأتلف فيما بينها للنطق به في مرة واحدة، ولا تقتصر هذه الذوات على ذات المتكلم الذي تولى النطق بالقول وذات المستمع الذي توجه إليه هذا القول، وإنما تتعداهما إلى ذوات أخرى تكون هي المسؤولة عن الأغراض الكلامية التي يحملها هذا القول...».[2] ومن ثم يعكس تعدد الأصوات بوضوح البعد التواصلي للخطاب، فكل ملفوظ يحمل بالضرورة في بنيته الدلالية التداولية مضامين لا نستطيع إسنادها كلها إلى المتكلم (الذات الخارجية كما سماه طه عبد الرحمن)، فهي تسند إلى ذوات مغايرة لذات المتكلم، كما هي أيضا موجهة إلى ذوات مغايرة لذات المستمع، وليست مجرد تجليات متنوعة لها.

فإعمال مفهوم تعدد الأصوات إجرائيا في تأويل الملفوظات، يجعلنا نتبيّن بوضوح كيف تتوارد إلى سمعنا أصوات متعددة، هي في الغالب أصوات مختلفة عن المتكلم، لذلك يؤكد **ديكرو** على أن« مفهوم تعدد الأصوات هو الذي أتاح لنا أن

(1) - Ducrot .O et Anscombre J-C, 1983: L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, éditeur, Collection « Philosophie et langage », Bruxelles p:175

(2)- عبد الرحمن. طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص28

نتحدث عن متلقين مختلفين دون وضع مقولة واحدية المتلفظ له أو عدم واحديته موضع تشكيك، من خلال التمييز الذي أقامته بين دور المستمع المرتبط بالتلفظ، ودور المتلفظ له المرتبط بالنشاط اللاقولي ».[1]

بعد عرضنا للمحددات النظرية الحافة بمفهوم تعدد الأصوات، نأتي إلى التعرف على ما أفضى إليه تطبيقه من ضبط للخطوات الإجرائية في مجال البحث، ومن جملة ذلك ضوابط التمييز المتصلة بأطراف التواصل:

التمييز الأول: التقابل بين المتكلم/المخاطَب(المتكلم له) Locuteur/Allocutaire ؛ فالمتكلم هو من يرسل الملفوظ، وينجز الكلام المرسَل، والمخاطب هو الشخص الذي نتوجه إليه بالتلفظ، أي الذات التي ينقل إليها الكلام

التمييز الثاني: ويهدف إلى ضبط العلاقة التشاركية بين الزوج المتلفِّظ (المتحدث)/ المتلفَّظ له (المتحدث له)،Enonciateur/Enonciataire فيكون المتلفظ هو مصدر الأفعال الكلامية، الجهة التي تضمن محتوى الملفوظ، وتؤكد مطابقته للحقيقة، ويكون المتلفَّظ له الشخص المعني بالأفعال الكلامية، أي من ينتظرها ويحتاجها.[2]

يترتب على ذلك استنتاج مهم، وهو أن المتكلم الناطق بالكلام قد يختلف عن المتلفظ الذي يتحدث ضمنه، ويصدق ذلك أيضا على المخاطب (متلقي الكلام المنطوق) فهو يختلف بدوره عن المتلفظ له.[3]

(1) – Ducrot. O et autres, 1980: Les mots du discours, Les Éditions de Minuit, Paris, p 236
(2) -Ibid, p 49
(3)-Ibid

وعلى هذا النحو، يمكننا مثلا أن نستخلص من الخطاب حكما مثبتا لا نعتمده، ولا نوافق عليه، فننسبه إلى متلفظ آخر غير المتكلم، ونسند مسؤوليته إليه. وهكذا فإذا أسند الفعل الكلامي المجسِّد للتلفظ إلى شخص غير المتكلم (م)، فإن المخاطب متلقي هذا الفعل الكلامي يكون شخصا آخر غير المتلفظ له، باعتبار العلاقة التشاركية مع المتكلم (م).[1]

يفضي التمييز في المستويين السابقين إلى تمييز في مستوى ثالث، بين الزوجين متكلم(ناطق)/ متلفظ (متحدث)، ومخاطَب(متكلم له) /متلفظ له (معني بالتلفظ).[2]

الضابط الثاني الذي سنستثمره لا حقا في التطبيق، هو الضابط المتعلق ببعض الصيغ الصرفية وتعدد الأصوات. هناك صيغ صرفية، وبعض أصناف المورفيمات تحفز، إن لم نقل تفرض استثمار مفهوم تعدد الأصوات في قراءة الخطاب وتأويله خاصة من وجهة النظر الحجاجية. نجد ذلك في الخطابات التي تتضمن صيغ من قبيل: حسب فلان، كما قال فلان، إذا أخذنا بقول فلان، كما نجدها في الخطابات المتضمنة للاستلزامات الناتجة عن استخدام الروابط، مثل: ما دام، بما أن، لما كان، اعتبارا لـــ، صحيح أن، فضلا عن...إلخ[3]

كما يرتبط مفهوم تعدد الأَصوات بالبنية التركيبية، من خلال الصيغ الصرفية المختلفة التي تحدثنا عنها، فإنه يرتبط أيضا بالبنية الموسوعية، أو بما يسميه **روبير مارتان(R.Martin)**"عالم المعتقدات" أو"صور العالم "، فالمضمون المعرفي

(1) - Ducrot. O et autres: Les mots du discours, p49

(2)- Ibid

(3) - تسمى هذه في نظرية ديكرو"كلمات الخطاب" وقد خصص لها كتابا بهذا العنوان، درس فيه فعاليتها الحجاجية، سعيا إلى وضع قوانين تضبط اشتغالها على مستوى البنية الحجاجية للخطاب، وما ذكرناه من صيغ /روابط هي المقابلات العربية لما اقترحه **ديكرو. ينظر:** موشلر.ج._ روبول. آن : القاموس الموسوعي للتداولية، ص27

لمقطع من الخطاب قد يؤشر على وجود أكثر من صوت، خاصة في بعض المواقف الخطابية التي تستدعي الاستشهاد، أو الاقتباس، أو التضمين، وفي أنماط من الخطابات، مثل الخطاب الساخر حيث «يفترض أن يتكفل المتكلم بالأقوال وليس بالرأي المدافَع عنه في الملفوظ، فهذا الرأي قد يسند إلى شخص ما، يكون هو المتلفظ المستحضر خصيصا لهذا الغرض في التلفظ الساخر».[1]

وبناء على هذه الرؤية، يُنظَر إلى كل الممارسات اللغوية(النصوص، الخطاب الشفوي، الحوارات)على أنها تركيب مشكّل من وجهات نظر تتجاور، وتتراتب، وتتراكب في بنية الملفوظات. والفكرة الأساسية التي تنبني عليها نظرية التعدد الصوتي في هذا الصدد هي أن بنية الملفوظات تمثل فضاء التقاء لوجهات النظر المنجزة لحظة التلفظ ووجهات النظر المحكية.[2]

ولما كانت خطة بحثنا قائمة على توليفة من المفاهيم التي أنضجتها تيارات ومدارس متعددة اشتغلت على مفهوم التعدد الصوتي، كان علينا أن نعرّف بهذه المدارس، وبمجمل ما قدمته في أعمالها حول نظرية التحليل الأصواتي، وهذا ما نتناوله في الأسطر التالية.

(1)– Mainguenau. D: Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris, p 64

(2) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p189-192

نظريات التعدد الصوتي

1- نظرية التعدد الصوتي اللسانية:

ينبغي أن نقارب مفهوم الأصواتية اللسانية-كما تصوره ديكرو (**O.Ducrot**) – في الإطار النظري الذي تقدّم بيانه، أي كظاهرة متعلقة بالتعليمات المعطاة في دلالة الملفوظات، وفي ما يلي نقدّم إيجازاً نظرياً حول النظرية اللسانية الأصواتية عند ديكرو، تمهيداً لتناول نظيرتيها عند مدرسة جنيف الحوارية، والمدرسة الإسكندنافية.

استلهم **ديكرو** في تطويره لمفهوم الأصواتية اللسانية[1] الأعمال النقدية لميخائيل باختين حول روايات دوستويفسكي، إذ لاحظ **باختين (M.Bakhtine)** في دراسته لهذه الروايات أن صوت السارد لم يكن أعلى من أصوات الشخصيات الروائية، بل كانت الأصوات جميعها متساوية، كما في قطعة موسيقية، يؤديها الجوق. (2)

ومصطلح أصواتية **Polyphonie** لا يعني في الموسيقى الغربية الكلاسيكية « فقط وجود عدة طبقات[نغمية] مختلفة، بل أن تكون هذه الطبقات ذات قيمة متساوية»،[3] وهذا بالتحديد ما حمل **باختين** على اقتراضه.[4] فالذي فعله **ديكرو**

---

(1) _ في كتابيه :Les mots du discours ; et Le dire et le dit

(2)_يقول باختين في فكرة تساوي الأصوات في روايات دوستويفسكي:"إن كثرة الأصوات وأشكال الوعي المستقلة وغير الممتزجة ببعضها، وتعدد الأصواتPolyphonie الأصلية للشخصيات الكاملة القيمة-كل ذلك يعتبر بحق الخاصية الأساسية لروايات دوستويفسكي. ليس كثرة الشخصيات والمصائر داخل العالم الموضوعي الواحد، في ضوء وعي موحد عند المؤلف هو ما يجري تطويره في أعمال دوستويفسكي، بل تعدد أشكال الوعي المتساوية..." (شعرية دوستويفسكي، ص10)

(3) - Encyclopaedia Universalis, France SA 2008, p 405

(4)-رغم تبنيه للمصطلح، يبدي باختين تحرزه من سوء الفهم لذي قد يقع.يقول:" من الضروري أن نشير إلى أن المقارنة التي أجريناها بين رواية دوستويفسكي وتعدد الأصوات في الموسيقى، لا تملك سوى معنى مجازي لا أكثر. إن صورة تعددية الأصوات ومزج الألحان العديدة، تشير فقط إلى تلك المشكلات الجديدة التي تبرز على الطريق عندما يخرج بناء الرواية على إطار الوحدة المونولوجية المألوفة...غير أن عناصر ومواد الموسيقى والرواية مختلفة إلى حد بعيد...إلا أننا نحول هذا المجاز إلى اصطلاح "الرواية المتعددة الأصوات"، وذلك لأننا لا نجد اصطلاحا أدق من هذا" شعرية دوستويفسكي، ص 32-33

هو أنه أراد بنظريته الخاصة بالأصواتية أن يتبنى إطارا نظرياً يمثل « توسيعاً مرناً جدّاً لبحوث باختين حول الأدب، لتندمج في[حقل] اللسانيات»،[1] فكان هدفه الأساسي هو الاعتراض على مقولة " واحدية الذات المتكلمة " وهي المصادرة التي تمثل مقدمة نظرية ضمنية للسانيات المعاصرة.[2]

وإذا كان **ديكرو (Ducrot)**قد استلهم أعمال **باختين** النقدية كما أسلفنا، فإن مشروعه يختلف جذريا عما جاء به باختين، فموضوع بحثه ليس النصوص، بل الملفوظات التي تؤشر على وجود أصواتية على مستوى اللغة، يضاف إلى ذلك أن الأصوات في منظور الأصواتية اللسانية لا تحكمها علاقة تساو، بل تخضع لتنظيم هرمي، ضمن ترتيب يهيمن فيه صوت المتكلم لحظة التلفظ.[3]

وهكذا، فقد ميز **ديكرو** بين المتكلم والمتلفظين، «فالمتكلم هو من يكون، حسب الخطاب، مسؤولا عن التلفظ ويترك آثارا في ملفوظه كضمائر المتكلم مثلا، وفي استطاعة المتكلم أن يعرض علينا متلفظين يمثلون وجهات نظر مختلفة، وبإمكانه أن يرتبط ببعض المتلفظين في الوقت الذي ينفصل فيه عن آخرين» [4]

استعمل **ديكرو**، وهو يصوغ مفاهيم نظرية، ألفاظا تحيل إلى حاسة السمع، مثل " الصوت "و" أصواتية "، وهي ألفاظ ينبغي أن تؤخذ في دلالتها المجازية، لأنه لا يسعى إلى نقض فكرة" واحدية الذات المتكلمة " باعتبارها ذاتاً حقيقية "اختبارية" فقد مرّ بنا فيما تقدم، أن هذا الباحث لا يهتم إطلاقاً بالإنجاز الحقيقي للملفوظات،

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p173

(2) _ Ibid, p171

(3) _ Carel. Marion et Ducrot. Oswald: Mise au point sur la polyphonie, Langue française, 2009/4 n° 164, p. 33-43. DOI: 10.3917/lf.164.0011 ,p34-36

(4) _ ب .شارودو ود.مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص433

بل يركز على التلفظ كما يتجلى عندما ننظر إليه كناتج للدلالة، ومن ثم فهو يعترض على الفكرة القائلة بمطابقة الذات المتكلمة للمتكلم، باعتبار أن هذا الأخير لا يقدم نفسه دائماً كمسؤول على مجمل المحتوى الدلالي للملفوظ،[1] « وهو السبب الذي من أجله لا تنكشف (بنية تعدد الأصوات)بدراسة تأويلات الملفوظات أو استعمالاتها الممكنة ولكن فقط بفحص النصوص (المصاحبة) التي من شأن هذه أن تندمج فيها، وبالمقابل توفر بنية تعدد الأصوات تعليمات تتصل بتأويل ملفوظ الجملة، أو بصفة أدق بتأويلات الملفوظ الممكنة »[2]، فالأصوات من منظور هذه الأصواتية لا تكون بالضرورة صدى لملفوظات أنجزت فعلاً في الواقع، أنما هي مجرد بناءات لغوية.

2- التعدد الصوتي من منظور مدرسة جنيف الحوارية:

اقتدت مدرسة جنيف الحوارية بباختين في بناء نموذجها للتحليل الأصواتي، فتابعت ما كان بدأه، باعتماد مقاربته الخطابية التي تتجاوز المستوى النحوي للخطاب المنقول، إذ أن « الخطاب المنقول هو الخطاب داخل الخطاب، أو التلفظ داخل التلفظ، ولكنه أيضاً وفي الوقت نفسه خطاب حول الخطاب، وتلفظ حول التلفظ».[3] ووفقاً لهذا التصور، يكون المشروع الأصواتي لهذه المدرسة، وعلى رأسها إدّي رولي(**Roulet E**)، موسّعاً في اتجاه، ومضيّقاً في اتجاه آخر مقارنةً بمشروع **ديكرو**؛ فهو موسّع لأن ما يقترحه من نماذج تحليلية يتجاوز توظيف

(1) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p191-194

(2) _ ب. شارودو ود.مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص435

(3) _Bakhtine. M ,1977 [1929]: Le marxisme et la philosophie du langage, Paris, Seuil,p161

وينظر أيضا :

Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, In: Roulet .E, L .Filliettaz & A .Grobet ,2001 :Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours ,Frankfurt , Peter Lang, p 277

مفهوم التعليمات اللغوية الصرفة المتضمنة في الملفوظات والقطع النصية المعزولة، ليأخذ بعين الاعتبار الآليات الخطابية التي تتحكم في الأنشطة اللغوية الفعلية (المنجزة فعلياً)، وهو مضيّق لأن أقطاب هذه المدرسة، لا يعتدّون في تحليلاتهم سوى بالخطاب المستحضر، مطّرحين ما تبقى من ملفوظات أصواتية، دون أن ينكروا مقبولية التحليلات التي قام بها **ديكرو** لهذه الملفوظات المستثناة لديهم.(1)

ولما كانت هذه المدرسة تنظر إلى الأصواتية كظاهرة لا تنحصر في المستوى اللغوي، وتتعدّاه إلى المستوى الخطابي، فقد ألزمت نفسها بدراسة هذه الظاهرة من خلال مَفْصَلة البيانات المعجمية والتركيبية مع معايير أخرى خاصة بالخطاب، وإذا شئنا الدقة، قلنا إنها تأخذ في الحسبان بيانات البعد النصي، والبيانات المرجعية والتفاعلية (المتعلقة بالسياق) إضافة إلى بيانات أخرى تتصل بمختلف أشكال التنظيم النصي.(2)

فالهدف تبعاً لما تقدم هو أن« نرصد قطع الخطاب المنتجة والمستحضرة، والتي تمثل [تدخلاً] على المستويات المختلفة، وهو ما نسميه التنظيم التلفظي، ثم تحديد وظائف الخطاب المستحضر في هذا التدخل»،(3) بصورة تفضي إلى تشكّل التنظيم الأصواتي. إذن، يُنجَز التحليل الأصواتي عبر مرحلتين؛ في الأولى ترصد الخطابات المستحضرة، وفي الثانية تعالج الإشكالية التي صاغها **باختين** بقوله: « الموضوع الحقيقي للبحث ينبغي أن يكون تحديداً هو التفاعل الديناميكي لهذين البعدين، الخطاب المراد تبليغه، والخطاب الذي يقوم بالتبليغ».(1)

(1) - Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, p277- 278
(2)-Ibid, p278
(3) –Ibid, p278-279
(1) _ Bakhtine. M:Le marxisme et la philosophie du langage, p166

لإنجاز ذلك، يتعين البدء بتمييز الخطاب المنجز/المنتَج، من الخطاب المستحضر فيه. فالخطاب المنجز/ المنتج، والخطاب المستحضر تربطهما علاقة تداخل احتوائي. يحتل الخطاب المنجز الصدارة من حيث المبدأ، غير أن المفهومين نسبيان عند التحليل، فالمحلل قد يختار دراسة الخطاب المستحضر المحمول بالاحتواء في خطاب مستحضر آخر (مثلاً: قالت لي أمي إن سعيداً يعتقد أن ...".كما يمكن أن يكون الخطاب المستحضر مستعاداً بطبيعته أو بصبغة مصطنعة، أو يكون مشاراً إليه، أو يكون مضمّناً. [1] في الصورة الأولى، يظهر الخطاب المستحضر بطريقة مباشرة، أو طريقة غير مباشرة، أو غير مباشرة حرة. وفي الصورة الثانية، يكون مشارا إليه عندما يشير فعل أو مركب إسمي إلى أقوال دون أن يورد محتوياتها. وفي الصورة الثالثة والأخيرة، صورة الخطاب المستحضر المضمّن، يدل عليها وسم لغوي يتمثل في "رابط مثل: إيه حسنا، أو لكن، عندما تقع في صدر الردود"وهذه الصورة خاصة بالحوار.[2]

وكما أسلفنا تتميز مقاربة مدرسة جنيف الحوارية بأنها تأخذ في الحسبان أيضا حالات الخطاب المستحضر غير الموسومة لغويا، مثل حالة السخرية.

تميز رولي (**Roulet . E**) أيضا بين الخطاب المستحضر الفعلي، والخطاب المستحضر الممكن، لأنه يحدث أن يقدّم خطاب، ليس باعتباره منجزا فعليا، وإنما في صورة خطاب متخيّل، أو استباقي. ويشير هذا إلى تصرف يسمح للذات المتكلمة باستباق اعتراض المرسل إليه، أو لتجنب نسبة خطاب للآخر بطريقة جازمة.[1]

---

(1) _ Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, p283-284
(2) _ Ibid, p283-284
(1) _ Ibid, p285

3-المدرسة الإسكندنافية للأصواتية اللسانية:

يشترك **نولكه (Nølke, H)** مع **ديكرو** في المبادئ المحورية للتداولية المندمجة، ولاسيما الطبيعة التعليماتية والتداولية للغة،[1] وقد أتاحت له هذه المقاربات النظرية تبنّي مفهوم الأصواتية اللسانية، ثم الانفراد بتأسيس نظرية اسكندنافية في الأصواتية اللسانية المعروفة اختصاراً بـــScaPoline، بالتعاون مع **ك.فلوتوم(Fløttum.K)**، **وك. نورن (Norén.C)**،[2]كما تبنّى في الأوان ذاته مفهوم الحجاج في اللغة.[3] وخلافاً لديكرو وانكومبر اللذين لا يوليان إلا أهمّية ثانوية لمسألة المحتوى القضوي للجمل، يرى نولكه أن ملفوظ كل جملة بسيطة يحتوي على قضية (منطقية)، أي "تمثيلاً عقلياً لحالة "، وهذا المعنى يتكون أيضاً من " موقف قضوي " يتمثل في " العلاقة الموجودة- حسب الملفوظ- بين المحتوى القضوي والمتكلم "[4]

تنعت المدرسة الإسكندنافية نفسها بأنها بنيوية، وتلفظية وتعليماتية، وخطابية ودلالية. [5]وهي بذلك تجسّد مشروع بناء منهجي وإجرائي لأفكار ديكرو، غير أن هدفها —خلافاً لما يتصوّر- مزدوج، فهي من جهة تهتم بفحص ووصف التعليمات الدلالية للظواهر اللغوية التي من شأنها ترجيح التأويل الأصواتي، ومن جهة أخرى لا تقصر اهتمامها على وصف "اللغة" بل تسعى إلى تفسير الطريقة التي تتجلى بها

---

(1) _ينظر :

Nølke. H ,1994: Linguistique modulaire, de la forme au sens, Louvain-Paris, Editions

(2) _ في كتابهم المؤلف بالاشتراك :ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique

(3) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé, p164

(4) _ Ibid ,p46

(5) _ Nølke. H ,2009a: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, In: Kratschmer.A, M.Birkelund & R .Therkelsen, p17

الأصواتية على مستوى" الكلام"،[1] يقول **نولكه** "إذا كان الهدف المعلن لديكرو هو تقديم وصف دلالي للغة، يكون من حيث المبدأ، في انفصال تام عن الكلام، فإن هدفنا تطوير جهاز/ أدوات إجرائية للتحليل النصي "[2] وإذا كان **ديكرو** لا يعتد بموضوع التلفظ باعتباره حدثاً فعلياً اختبارياً، فإن المدرسة الإسكندنافية، خلافاً لذلك، تعلن أن هدفها هو"توقع وتحديد الإكراهات اللغوية الصرفة التي تتحكم في التأويل الأدبي (الأصواتي)"[3]، وهذا ما أنجزته هذه المدرسة بالتعاون مع مجموعة من نقاد الأدب، في إطار تعاون تكلّل بصدور عدد من الدراسات حول أعمال أدبية،[4] تبعه بعد ذلك دراسات حول النصوص العلمية والسياسية.

نقطة الانطلاق إذن في المدرسة الإسكندنافية هي المستوى اللغوي، تماماً مثل **ديكرو.** لذلك يميز الباحثون الإسكندنافيون بين الجملة والملفوظ؛ ففي المستوى المجرد للجملة، توجد في نظرهم " البنية-ق "وهي التي "توفر لنا التعليمات المرتبطة بتأويل ملفوظ الجملة، وإن شئنا الدقة، التأويلات الممكنة له "،[5] فالنفي مثلاً يتضمن تعليمات تفيد بوجود وجهتي نظر متضادتين، إحداهما ايجابية والأخرى سلبية، وأن المتكلم مسؤول عن وجهة النظر السلبية، والمثال المشهور التالي يوضح ذلك:

-هذا الجدار أبيض

يتكون هذا الملفوظ من وجهتي النظر التاليتين:

(1) - Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p11
(2)_ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p21
(3) _ Ibid
(4) _ ينظر نماذج من هذه الدراسات في :
Olsen. M, 2002: Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
(5)_ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p28

وجـــ ن1= "هذا الجدار أبيض "

وجـــ ن2 = "هذا الجدار ليس أبيض "[1]

فالبنية – ق لا توفر لنا أية تعليمة حول وجهة النظر الايجابية (وجـــ ن 1)، فيما يخص الكشف عن المسؤول عنها، ذلك لأن بعض عناصر المعنى توسَم على المستوى الدلالي، بواسطة آليات لغوية (النفي، في هذه الحالة)، بينما يتعلق الكشف عن بعضها الآخر بالعوامل السياقية المقامية. بتعبير آخر، يخضع الكشف عن الشخص أو المجموعة المسؤولة عن وجهة النظر الايجابية، لفحص الظروف التي تحيط بتحقيق الجملة كملفوظ، وهكذا يتم عبر المسار التأويلي بروز التشكيل الأصواتي، ناتجاً عن الملفوظ باعتباره ظاهرة قابلة للملاحظة، وإنجازا للتلفظ.[2]

وبالمقابل، لا تندرج البنية- ق ضمن ما يقبل الملاحظة في الملفوظ، لكنها تمثل مجموعة التعليمات الدلالية التي لابد أن يصفها ويحللها اللساني.[3]

نخلص مما تقدم إلى أن التشكيل الأصواتي يمثل جزءاً من المعنى الدلالي للملفوظ، فهو يتضمن صوراً عن الذات المتكلمة وعن الأصوات الأخرى المرساة في الدلالة، تستخدم المدرسة الإسكندنافية مصطلح " **متكلم Locuteur**"[4] للدلالة على مختلف الصور الدلالية لمن يسند إليه التلفظ ومحتواه، ليعيّن هذا المصطلح الكيان الدلالي المحض، وليس المنتج الحقيقي للملفوظ.

(1)- Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p29
(2) _ Ibid,p 28
(3)- Ibid,p31

(4) _خلافا لديكرو الذي يميز بين المتكلم والمتلفظ

الجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي

تبيّن لنا فيما تقدّم كيف أتاح مفهوم "الأصواتية اللسانية" الذي وضعه **أ. ديكرو**[1] الكشف عن الآليات اللغوية التي تدرج بواسطتها في الملفوظ أصوات أخرى غير صوت المتكلم زمنَ التلفظ، ميّز فيها المتكلم من المتلفظين وما يسند إلى كل منهم من مسؤوليات كفالة التلفظ. فبعد ملاحظته لاستعمال الآليات اللغوية المختلفة (الخطاب المستحضر، والنفي على سبيل المثال) لمشهدة مختلف "الأصوات"، نقض ديكرو فكرة "واحدية المتكلم"،[2] وتبعه -بعد ذلك- فريق من اللسانيين الإسكندنافيين، معتمدا على مفاهيمه حول الأصواتية، فطوّر ما يعرف بالنظرية الإسكندينافية للأصواتية اللسانية ***Scapoline*** (الفريق يتكون من: نولكه، وفلوتوم، ونورن 2004).[3]

وباشتغاله في المجال البنيوي والتلفظي نفسه، سعى هذا الفريق إلى تحليل الوسائل اللغوية الخالصة التي يستعين بها المتكلم لإيجاد "أصوات" يمكنه أن يتماهى معها، أو يوافقها، أو يتميز عنها، أو يدحضها ويرفضها. فقد جاءت هذه النظرية الإسكندنافية بما تأسست عليه من منظور دلالي تداولي، لتدرس الكيفية التي تشتغل بها آليات لغوية، مثل: الخطاب المستحضر، أصناف النفي، الروابط الحجاجية (لكن، إذن)، الجهيّة الإبستيمية (ربما)، وما ينشأ عن اشتغالها من أصوات متعددة في

(1) _ في كتابيه : Le dire et le dit، و Les mots du discours,

(2) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 171

(3) - Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique

الملفوظ الواحد نفسه. فهذا التعدد الصوتي، أو الأصواتية، تسمح للمتكلم بالتعبير عن عدة وجهات نظر (*pdv*)، لا يتحمل هو المسؤولية عنها زمن التلفظ.[1]

ولما كانت جهود هذا الفريق هي الأحدث، وكانت مفاهيمها هي الأنضج والأكثر ملاءمة للتطبيق على مستويات التحليل اللسانية والنصية والخطابية، ارتأينا أن نعتمد في بحثنا هذا الجهاز المفاهيمي الذي وضعه هذا الفريق. وفيما يلي عرض نظري لهذا الجهاز، نعرّف فيه بعناصر التشكيل الأصواتي، ثم نحلّي الجوانب النظرية المتصلة بالآليات التي يعتمد عليها التعدد الصوتي.

عناصر التشكيل الأصواتي Configuration polyphonique:

يبني المتكلم التشكيل الأصواتي للملفوظ، اعتمادا على أربعة عناصر هي:المتكلم، ووجهات النظر، والذوات الخطابية، والروابط التلفظية. وفيما يلي نبسط القول في التعريف النظري بهذه المفاهيم التي سيكون لها حضور بارز في الفصول التطبيقية لاحقا.

أ)المتكلم/ منشئ الكلام Locuteur(LOC): باعتباره متكفلاً بالتلفظ، فهو يسند مسؤوليات التكفل بوجهات النظر، ويذهب الباحثون الثلاثة إلى أن المتكلم منشئ الكلام لا يتواجد في الخطاب إلا من خلال " الفاعلين الذين يضعهم على الركح [2]"أي من خلال إنشائه للتلفظ، إلا أن هذا التصور للمتكلم (LOC) قد عدِّل بعد ذلك على يد نولكه(**Nølke**) الذي يقول إن المتكلم (LOC) يتواجد

(1) _ينظر ،ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص433-434،وص217-220

(2) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p31

في النص، لكونه يمثل مركزا للنظام التأشيري للملفوظ،[1] [*] زيادة على أنه هو" من يتحمل مسؤولية الأعمال اللاقولية والحجاجية التي يحملها الملفوظ"،[2] وإليه ينبغي أن تنسب عناصر الملفوظ، التي تتضمن تعليمات دالة على عملية التلفظ، (مثل: بصراحة، إنه غبي)،[3] وهذا فعلاً ما يجب تأكيده، إذ أننا حين ننسب إلى المتكلم (LOC)استعمال رديف[*]من هذا النوع، نكون ملزمين بقبول الحكم القائل إنه مسؤول عن وجهة النظر المتعلقة بالتلفظ.[4]

ب) وجهات النظر Points de vue (pdv): ويرمز لها بـــ (وجـــ ن) وهي كيانات دلالية تحمل مصدراً تنسب إليه وجهة النظر، وهذه المصادر تمثل متغيرات (يطابقها عند **ديكرو**" المتلفظين"[5]). تدمج نظرية السكابولين مختلف عناصر وجهة النظر على النحو التالي:

([س](يحكم)(**ق**)، حيث **س** ترمز إلى المصدر، و" **تحكم**" إلى الحكم، و**ق** إلى المحتوى القضوي.[6] حسب السكابولين « يحمل كل ملفوظ على الأقل

(1)-Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p19

(*)- يشمل النظام التأشيري ما يعين"مكان وهوية الأشخاص ،والأشياء، والعمليات ،والأحداث ،والأنشطة ...بالنسبة إلى السياق المكاني – الزماني الذي أنشأه وأبقاه عمل التلفظ " مثل: ضمائر المتكلم والمخاطب ،وظروف المكان والزمان (الآن، هنا)، وغيرها ،وهي التي تسم السياق المقامي ،وتسهل عملية الرجوع إليه عند تأويل الملفوظات، لا سيما ما يخص الضمنيات والاستلزامات الخطابية(،ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب :مدخل "إشارية"ص 156)

(2)- Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008,, p 20

(3) _ Nølke. H, 2009b: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine ,In: Langue française 164, p94-95

(*)-adverbe ،وترجمته مأخوذة من معجم تحليل الخطاب، ترجمة ،ص 374 ويقابله في العربية شبه الجملة من الجار والمجرور، أوالتمييز (صراحة)، أو الحال (...صادقا، ساخرا ،مازحا)...إلخ، ويدرجه مؤلفا المعجم ،ب. شارودو و د. مانغونو، ضمن الجهات التلفظية (نفسه، ص373-374) ،سنتناول في فصل لاحق الجهات بشيء من التفصيل ،باعتبارها آليات أصواتية لسانية ،ص177

(4) _ Nølke. H,: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 20

(5) _ Ducrot. O: Le dire et le dit, p 203

(6)- Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 21

وجهة نظر بسيطة، يكون محتواها الدلالي معطى أولياً » مثلما ما نجد في الملفوظ التالي " ***سعيد يتنزه***"أو"***الجوجميل*** "، يضاف إلى ذلك أن محتوى وجهة النظر البسيطة يمكن أن يحمل بواسطة صيغة قضوية معطاة أولياً، أو مفترضة مسبقاً.(1)

وهذان الصنفان من وجهات النظر القضوية لا يتمايزان على مستوى تحليلهما الدلالي، بل على مستوى مصدريهما، فبينما تُسنَد مسؤولية التكفل بوجهة النظر المعطاة أولياً للمتكلم، تُسنَد مسؤولية التكفل بوجهة النظر المفترضة مسبقاً إلى جماعة.(2)

أما وجهات النظر المركّبة، فتتميز بأنها تدمج على الأقل وجهة نظر ثالثة، والخاصية المرجعية لوجهة النظر المركبة تخضع –تبعاً لذلك – إلى إسناد وجهة النظر المضافة المدمجة.(3) وقد اهتدت السكابولين إلى تحديد فئتين فرعيتين لوجهة النظر المركّبة، تقوم الأولى على مبدأ التراتبية الهرمية، والثانية على الترابط. يسمح النمط التراتبي بـــ "إطلاق أحكام خارجية على أحكام أخرى".(4) ولنأخذ المثال التالي لأجل التوضيح(5):

لا ينبغي أن نخشى في قول الحق لومة لائم

يمكن تحليل هذا الملفوظ كما يلي:

وجـــ ن 1:[س] (صحيح (ينبغي أن نخشى في قول الحق لومة لائم))

(1)_Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p31
(2) _ Ibid ,p33-34
(3) _ Ibid , p34
(4) _ Ibid

(5) _المثال من اقتراحنا

وجـــ ن 2:[متك] (غير صحيح (وجـــ ن 1))

نلاحظ هنا العلاقة بين وجهات النظر، فالثانية تدمج الأولى وتدحضها، كما نلاحظ أيضاً أن وجـــ ن 1 تبقى غير مسندة(مستوفاة)، وإسنادها يخضع للسياق، أما مصدر وجـــ ن 2 فهو المتكلم بالملفوظ (مت)،[1] بمقتضى التعليمات المستقاة من البنية—ق.

وإذا كان النفي يقوم بتوليف وجهات النظر تراتبياً، فإن الروابط تنشئ تفاعلاً بين وجهات نظر مترابطة، إذ" تُرْبَط وجهاتُ النظر البسيطة أو المركّبة فيما بينها على مستوى محور التركيب".[2]

يعرف نولكه الروابط بأنها " صيغ، وعبارات لغوية تؤلف بين الوحدات الدلالية —حجج الرابط المعني —لإنتاج معنى جديد ومركّب، اعتماداً على معانيها الأولية الدنيا، بالتوفيق بينها وتمييزها ".[3]

وعلى سبيل المثال، يقوم الرابط "إذن" بوظيفة الربط بين حجة ونتيجة، عبر العلاقة السببية، كأن نقول:" الجو جميل، إذن سيخرج سعيد للنزهة "، [4] وما يتيح الانتقال هنا من قضية إلى أخرى، هو قضية ضمنية، تقوم مقام الحقيقة أو المعتقد، يستدل عليها بواسطة التعليمات التي يوفرها الرابط "إذن "، فتبدو في صورة المبدأ

(1) _تخالف مدرسة السكابولين ديكرو في مسألة الاستعانة بالسياق عند إسناد وجهات النظر، لأنها تنطلق في بناء مفاهيمها من فحص خطابات وملفوظات حقيقية ،وتهدف إلى إقامة نموذج تحليلي فعال في دراسة أنماط مختلفة من الخطابات، بينما يرسي ديكرو أبحاثه المتعلقة بالتعدد الصوتي في الحقل اللساني الدلالي الصرف، منطلقا من فرضية أن الدلالات مهما كانت درجة ضمنيتها تكون موسومة لغويا،ينظر :
Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p36
(2) _ Ibid، p35
(3) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 28
(4) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 89

المتعارف عليه:"إذا كان الجو جميلاً، فليخرج سعيد للتتره"، [1] ويعرف هذا النوع من الاعتقادات بالمواضع**TOPOÏ**[2]، والموضع المستخدم هنا يمثل وجهة نظر مسندة إلى الجماعة، التي قد تكون كبيرة أو صغيرة العدد، أو تحيل إلى حكمة، أو إلى جماعة متجانسة التكوين تتبنى آراء شائعة.[3]

وما قيل عن وظيفة الرابط"إذن" في أدائه لوظيفة أصواتية حجاجية، يصدق على باقي الروابط الحجاجية، مع احتفاظ كل منها بخصوصياتها التركيبية والدلالية،كما سيتضح لاحقا عندما نعرض لهذه الروابط بالتعريف أولا، ثم بالتطبيق في القسم المخصص له من هذا البحث بعد ذلك.

ج) الذوات الخطابية الخطابية[4] Etres discursifs:

وهي مصدر وجهات النظر(ê-d) ونرمز لها بـــ (ذ خ) وينظر إليها أقطاب مدرسة السكابولين بوصفها "صورا" للمشاركين في الخطاب، أو غيرهم من

---

(1) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique، p 90

(2) _ الموضع وجمعه مواضع هو الترجمة الشائعة لمصطلح(Topos_Topoi) المأخوذ من اليونانية ،ومرادفه في الفرنسية (Lieu commun) ويعني إجمالا استكشاف وجمع المعلومات وإبراز الحجج ،كما يطلق لفظ موضع على "صيغة خطابية مميزة لنمط من الحجة" وهناك من يجعلها مرادفا للمشهورات (Doxa)(ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص589)؛ ويشير شيم بيرلمان إلى أنها تصنيفات للحجج تسهل استمارها عند الحاجة، ومن هنا جاءت تسميتها بـــ"خزان الحجج"، وقد قسمها أرسطو إلى مواضع عامة يمكن استخدامها في كل علم من العلوم، ومواضع خاصة يقتصر استخدامها على علم ،أو نمط خطابي معين، ومن أشهر أصناف المواضع :مواضع الكمية (الأكثر، أفضل من، الأقل، مثلا)، مواضع النوعية ويعترض بها على الحجج المبنية على الكمية(الأجود أفضل من الأكبر والأكثر)، وإلى جانب هذين الصنفين وهما الأشهر توجد أصناف أخرى مواضع الترتيب، ومواضع الموجود، ومواضع الجوهر، ومواضع الشخص، وغيرها (لمزيد من التفصيل،ينظر:

Perelman, Chaim et Obrechts Tyteca,Olga.1970 (1958) :Traité de l’argumentation . La (nouvelle rhétorique . Bruxelles : Éditions de l’Université de Bruxelles. ، P112-132

(3) _Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C ،2004: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 39,90

(4) _ هناك فرق بين الذوات الخطابية في منظور المدرسة السكندنافية ومفهوم ذات الخطاب Sujet de discours التي تعني أحيانا المتكلم ،وأحيانا أخرى المخاطب، ينظر : ب. شارودو ود. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص 538-539

الشخوص الذين يرد ذكرهم فيه. وهي النظرة التي تعد عماد مفهوم التعدد الصوتي اللغوي، لأن "الأصوات" تصدر عن شخوص هم نتاج الصور التي يقدمها المتكلم عنهم في نلفظه.[1] والشخص اللغوي مفهوم اجترحه **فلوتوم(Fløttum)**، وعنى به كياناً من كيانات عالم الخطاب، أي كياناً يمكننا أن نقيم ربطاً بينه وبين المرجع اللغوي بواسطة أسماء العلم أو المركبات الإسمية، أو الضمائر الشخصية، الخ[2]

تصنف الذوات الخطابية ضمن ثلاثة أصناف، بحسب انتمائها إلى الشخص الأول، أو الثاني أو الثالث،[3] (الحاضر، المخاطب، أوالغائب[4]). وفي آخر التعديلات المدخلة على نظرية السكابولين، ميز **نولكه (Nølke)** بين" ذوات الملفوظ"، التي تقدّم على أنها تلفظت بوجهة نظر، وذوات خطابية نصية" والتي تمتلك وجهات نظر، دون أن تكون لوجهات النظر هذه، أي مرجعية تلفظية.[5]

نأتي الآن إلى الشخص الثالث (الغائب). خلافا للشخص الأول (المتكلم)، والشخص الثاني (المخاطَب) اللذين هما ضروريان للتلفظ [6]، تدرج صور الثوالث اختياريا في الملفوظ، " بواسطة المركبات الاسمية، والضمائر وأسماء الأعلام"[1]. وإلى

(1) - Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p22-23
(2) _ Fløttum. K, 2003b: Polyphonie dans les textes scientifiques, Étude de deux cas français, In: Polyphonie linguistique et littéraire VII, Roskilde, Samfundslitteratur Roskilde, p 188
(3) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 37
(4) _ المقابلات العربية للمصطلحات الفرنسية :
La première، la deuxième et la troisième personne
(5) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 23
(6)_هناك خلاف في مسألة اعتبار الضمير الثالث من الإشاريات الضميرية لأنه في نظر فريق من الباحثين (منهم سارفوني) لا يتمتع بالخاصية الانعكاسيةREFLEXIVITE التي تميز عناصر السياق التلفظي: المتكلم، والمخاطب، وزمان ومكان الملفوظية =ولكي يضاف إلى قائمة الإشاريات، ينبغي توسيع السياق التلفظي: بإضافة موضوع الكلام إليه (وهو ما اقترحه بيرندونيه ولسانيون مناطقة)، ينظر للتفصيل : سارفوني. جان : الملفوظية ،،ترجمة قاسم المقداد ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998، ص34-35
(1) _ Nølke. H: Types d’êtres discursifs dans la ScaPoLine , p 86

جانب الثوالث الفردية هناك بالطبع ثوالث جماعية تتوزع على سلّم يشمل المجموع اللامتجانس، حيث تتمايز العناصر الفردية من حيث المبدأ؛ و المجموع المتجانس الذي يمثّل ذوات خطابية ينظر إليها على أنها جماعة غير محددة الهوية، كالمرجعية القانونية، والمشهورات، والأفكار الشائعة، والحقائق الأبدية.[1]

في حالة الثوالث غير المتجانسة (المبني للمجهول الأصواتي ON)[2]يتعلق الأمر بذوات خطابية تشكل جماعة، بينما في حالة المجموع المتجانس (الجهة الموثوقة) فيكون المجموع كتلة واحدة غير قابلة للتقسيم، وإن كانت الثوالث الجماعية تتوزع على مساحة ممتدة بين هاتين النقطتين المتباعدتين الواقعة كل منهما أقصى ما يمكن عن الأخرى، ومن ثم يعتمد على العوامل السياقية في تحديد طبيعة المجموع الذي يكون مصدرا لوجهة النظر.[3]

ليكن الملفوظ التالي: " يزعم سعيد أن صالحا مريض " الذي يحمل افتراضا مسبقا هو: " صالح ليس مريضا"، وجهة النظر هذه مصدرها (الجهة الموثوقة)، لكننا نستطيع تصور مقام تكون فيه هذه المعرفة غير متجانسة.[4] في دراستنا هذه لن ننطلق من هذه المعيارية الخاصة باللغة الفرنسية التي تميز بين إحالة الضمير ON،وغيره من الصيغ التي تحيل إلى مجهول (الجهة الموثوقة أو غيرها)، بل سنعامل

(1)-Nølke. H: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine , p 91

(2) _يقابل هذا الضمير المسمى ضميرا لاشخصيا Pronom impersonnel،في الغالب صيغة المبني للمجهول في اللغة العربية، خاصة في الملفوظات التي تحيل إلى ما يمثل صوت الجماعة ،كالقيم والقوانين، وقواعد السلوك، نحو قولنا : يمنع التدخين منعا باتا، يرجى وضع الأمتعة في المكان الفلاني ،وفي نقل الشائعات: يقال أن، وفي الخطابات الشعبية مجهولة المؤلف : يحكى أن ...

(3)- Nølke. H: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine, p 92

(4) _ Ibid, p 92

مختلف الصيغ معاملة متساوية، تستنجد بالعناصر السياقية لإقامة تطابق بين الصيغة التعيينية للثوالث، وما تحيل إليه من ذوات حقيقية.

د) الروابط التلفظيةLiens énonciatifs:

تقوم الروابط التلفظية - كما يدل عليه اسمها - بالربط بين الذوات الخطابية ووجهات النظر، بواسطة روابط المسؤولية، وروابط عدم المسؤولية،[1] فتكون الذات الخطابية المسؤولة عن وجهة النظر أيضاً مصدراً لوجهة النظر هذه نفسها، أما إذا لم تكن مسؤولة عنها، فبإمكانها أن تتقبلها (تتفهمها)، أو تعتبرها ممكنة، ومثال ذلك حالة (ربما) نحو قولنا: "ربما يأتي سعيد"، حيث لا يتحمل المتكلم سوى مسؤولية "ربما".

- وجـــ ن 1 = [س](صحيح(أتى سعيد))

- وجـــ ن 2 = [مت] ((ربما)(وجـــ ن 1))[2]

لكن المتكلم يمكنه أن يدحض وجهة النظر، وعندما يكون هناك رابط دحض تنعدم كل إمكانية للانضمام إلى وجهة النظر المدحوضة من جانب كل صور المتكلم، خلافاً لباقي روابط عدم المسؤولية، وإذا أخذنا بمنظور المدرسة الإسكندنافية، فإن هناك تقسيماً ثنائياً لمختلف أنماط الروابط.[1]

(1) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p 30

(2) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 33- 36

(1) _ Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C: ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique,p 48

روابط المسؤولية	روابط عدم المسؤولية	
	روابط غير دحضية	روابط دحضية

يستلزم رابط المسؤولية أن تحكم ذات خطابية(المتكلم منشئ الكلام LOC) على محتوى وجهة نظر بأنه "صحيح"، يمكن تبنّيه والقبول بحجاجيته. وفي حالة الرابط الدحضي، تعتبر هذه الذاتُ الخطابية وجهة النظر المعنية " خاطئة أو مغلوطة". وفي الحالة الثالثة تستلزم الروابط غير الدحضية نوعا من الحياد أو التحفظ. وهو ما حدا بنولكه إلى اقتراح مقاربة هذه الروابط التلفظية بمجملها، ضمن سلّم متدرج يكون أحد طرفيه " قريباً جداً من الدحض " ويكون الآخر " تقبلاً قوياً ".[1] وهو ما يفرض على المحلل التأني في فحص الملفوظات والحكم عليها، فقد يلتبس علينا تحديد الرابط في الملفوظ المدروس، إذا لم نستطع إعادة بناء السياق التلفظي الافتراضي انطلاقا من التعليمات الدلالية المتضمنة في بنية الملفوظ اللغوية.

(1) _ Nølke. H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 26

الفصل الأول

مدونة الرسائل من منظور

أجناسي تداولي

- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات
- إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي
- التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي عند الجاحظ

في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات

تشكّل مسألة تحديد الخصائص التي يؤسَّس بها الجنس الأدبي مركز اهتمام المشتغلين في حقل تحليل الخطاب. ومنطلق ذلك الاهتمام ما أصبح مجمعا عليهم بينهم من التصاق مفهوم الجنس الخطابي باستعمالات اللغة المختلفة، وبكون الحدث اللغوي لا يكون له معنى عند إنتاجه وعند تلقّيه، دون استحضار فكرة تنميطه أو تجنيسه. فـــ« "الحسّ الجنسي"يعتبر جزءا من "الحّس اللغوي"»[1](*)في عرف المشتغلين بتحليل الخطابات والنصوص، خاصة أولئك الذين استفادوا من إنجازات الدرس اللساني ما بعد البنيوي، بتياراته التلفظية والتداولية والسوسيولسانية، فغدا اطّراح مفهوم الجنس جانباً عند تحليل الخطاب أمرا متعذرا لأننا « إنْ كنا نريد أن نتجنب كل نظر نوعي في الخطاب حول الأعمال الأدبية، فإن الصمت سيكون هو المخرج الوحيد، وذلك لأننا منذ اللحظة التي نطابق فيها عملا من الأعمال عن طريق مصطلح عام مهما كان (وإن كان عن طريق "عمل فريد تماما")، فإننا نستخدم فئة نوعية»[2]حتى إن كنا لا نعرف القواعد التي نميز بواسطتها هذا الجنس الخطابي من ذاك، لأن فكرة الأجناس-كما يذهب إلى ذلك **م.باختين**

---

(1) - راستيي.فرانسوا: فنون النص وعلومه، تر: ادريس الخطاب، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2010، ص 278

(*)- نجد فكرة تماثل علاقة الجنس بالنص مع علاقة اللغة بالكلام أيضا، عند **وولف دييتر ستامبل** الذي يقول :"لا غرابة في أن نرى الكتاب يستخدمون الثنائية السوسيرية اللغة/الكلام لتصوير العلاقة بين النص و الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه. و الحق أن هذا التماثل له ما يبرره. فلئن كانت اللغة في المستوى اللساني الصرف هي التي تجعل الكلام مفهوما من الناحية النظرية، فإن النص إنما يصبح وحدة اصطلاحية للممارسة الاجتماعية انطلاقا من الجنس ومن قواعده "نقلا عن : محمد القاضي الشريف :الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXI، كلية الآداب منوبة–تونس ودار الغرب الإسلامي-بيروت1998، ص30

(2) - ديكرو.أ وسشايفر .ج.م: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب2007، ص560

(**M.Bakhtine**) - ليست طارئة على اللغة، بل هي جزء من اللغة كنظام، أوهي أشكال تأليفية للأشكال اللغوية التي يتألف منها هذا النظام،[1] وذاك ما تعامت عنه اللسانيات السوسيرية المفرطة في الشكلانية.[*]

فبعض الباحثين يتوجهون للبحث عن معايير ثقافية اجتماعية، تدخل في مجال تحليل الخطاب بمختلف نظرياته، في حين يركز آخرون على رصد المعايير الشكلية واللسانية التي من شأنها أن تسعفهم في تصنيف النصوص ضمن أجناس مختلفة، كما يفعل المشتغلون في حقل علم النص. فقد نعمد إلى وصف أجناس النصوص اعتمادا على التصورات النموذجية والتقليدية التي توجد لدينا عن النصوص، والتي يسميها **ج .م .شايفر (J.M Schaeffer.)الأجناس التاريخية** إشارة إلى الأسماء التي التصقت بها عبر مراحل التاريخ، وأصبحت عَلَماً عليها رغم ما يمكن أن يبديه الدارسون المعاصرون عليها من تحفظات،[2] كما أننا نستطيع وصف الأجناس وتحديدها بالنظر إلى معايير أخرى متعددة؛ فإن أخذنا بتصنيف السنة الأدبية (**الأجناس التاريخية**)، كان علينا أن نعتمد معايير تتصل بالجانب اللغوي من تركيب وشكل ومحتوى، أو بالمراحل التاريخية ومدارسها، أو ببنية النصوص

(1)-يقول باختين:"إن سوسير يتجاهل الحقيقة التي تقول إنه خارج أشكال اللغة توجد أيضا أشكال من التأليف بين هذه الأشكال؛ وبكلمات أخرى، فهو يتجاهل الأنواع الخطابية". تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تر:فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان1996، ص115

(*)- يؤكد بلانييه Plenyet أن فكرة تجذّر مقولة التجنيس في اللغة تناظرها مقولة مشابهة في حقل الخطاب الأدبي، أشار إليها في قوله إن الجنس"اصطلاح تنضوي تحته كل قراءاتنا ومن الخطأ اعتباره أمرا قد تجاوزه الزمن". ينظر: محمد القاضي الشريف :الخبر في الأدب العربي، ص19-20. و لا يبتعد كيليطو عن هذا الطرح حين يقول: "خصائص نوع لا تبرز إلا بتعارضها مع خصائص أنواع أخرى. تعريف النوع يقترب من تعريف العلامة اللغوية عند سوسير:النوع يتحدد قبل كل شيء بما ليس واردا في الأنواع الأخرى " عبد الفتاح كيليطو: الأدب و الغرابة، دراسة بنيوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب2006، ص26

(2)-جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟ تر:غسّان السيّد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، يونيو2005، ص53-56

وتنظيمها التلفظي؛ وإن أخذنا بنظريات تحليل الخطاب المعاصرة، تحتّم علينا أن نخضع لمعايير من قبيل ما تطرحه المناظير الوظيفية، أو التلفظية، أو النصية، أو التواصلية.[1](*)فلو نظرنا في تصنيف الأجناس مثلا إلى وظيفتها اللغوية والاجتماعية، أي باعتبار ما ينجز بواسطة هذا النص، أوما يتركه من أثر، فإننا سنتحدث عن "خطاب جدلي "وآخر "إخباري "[2]...وهكذا. وهذا تحديدا ما يسمّى التصور التداولي للجنس.

غير أن هناك اقتراحا معاصرا لا يقلّ خصوبةً في محاولة تجاوز الإشكالات التي تطرحها مسألة التجنيس، هذا الاقتراح هو ما جاء به **ج. م. شايفر (J.M. Schaeffer)** في كتابه:"ما الجنس الأدبي؟"، حيث يعرض شبكة من المعايير التي استمدها من المفاهيم اللسانية المتصلة بالوظائف التواصلية والتمظهرات النصية، وبمجال التلفظ والخطاب، ووظائف اللغة المختلفة، وقدّمها ضمن مستويات ثلاث، هي: مستوى التعبير، مستوى المقصد، ومستوى الوظيفة.[3]

وفي الجملة لا تخرج تصنيفات النصوص- كما يذهب إلى ذلك **أحمد المتوكل**- عن توسل معايير عامة ثلاثة، تولِّد أجناسا خطابيةً رئيسيةً تتناسل منها أجناس فرعية، وهذه المعايير هي: الموضوع والآلية والبنية، فينتج عن التصنيف

(1)- ب .شارودوود، د. مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص 269 - 271

(*)- يعتمد التصنيف القائم على السنة الأدبية على أنماط من المقاييس :مقاييس خاصة بالتركيب والمحتوى والشكل معا، ومقاييس متصلة بتصور تمثيل الواقع، ولها علاقة بتأسيس المدارس الأدبية، ومقاييس تنظر إلى بنية النصوص، ولاسيما تنظيمها التلفظي. وتعتمد نظريات تحليل الخطاب أسسا مختلفة في وضع معايير التصنيف، وتنقسم حسب وجهة النظر التي تعتمدها إلى : وجهة نظر تصنيفية، وجهة نظر تلفظية، وجهة نظر نصية، وجهة نظر تواصلية (ينظر للتفصيل: ب .شارودوود ود.مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص269_270)

(2) –Maingueneau. Dominique, 1998: Analyser les textes de communication, Paris, Nathan. p 45-48

(3) - جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟، ص60-77

القائم على معيار الموضوع: الخطاب الديني، والخطاب العلمي والخطاب الإيديولوجي، والخطاب السياسي ...الخ، وينتج عن النظر إلى البنية الخطاب القصصي والروائي والشعري ضمن نمط خطاب أكبر هوالخطاب الأدبي، أما اتخاذ الآلية معيارا، فيتولد عنه الخطاب السردي والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي، ويشترط المتوكل للاحتفاظ بهذا التنميط والعمل به أن تؤخذ بعين الاعتبار مفتوحية الصنف ودرجيته وفرعيته.(1)

وخلاصة ما تقدّم أننا في سعينا لدراسة هذه المسائل المتصلة بالتجنيس، لا بد لنا من التعرض للسمات الخارجية لتجنيس النصوص، وهي التي يتولّد عنها ما يعرف بالإكراهات المقامية، سواء قمنا بتجنيس يعتمد المعايير الاجتماعية والثقافية، أو ذلك المبني على معيار الوظيفة، ثم ننتقل إلى مستوى آخر نرصد فيه السمات التجنيسية الداخلية للنصوص، وهي التي تتجلى فيها الإكراهات الخطابية الملازمة لجنس الخطاب، ونعني بها السمات اللغوية البحتة، كالمكوّن المعجمي، أو الأشكال التركيبية، أو المجاز، أو التكوين النصي...وغيرها، مما نجمعه عادة تحت مسمّى"الأسلوب"،(2) بيد أن هذا لا يعني الفصل التام بين مستويي السمات الداخلية والخارجية عند معالجة قضية التجنيس وتطبيقها على الرسائل، لأنّ ما سنعتمده من نظريات يتبنى إجراءات تفرض النظر إلى الخطاب باعتباره نتاجَ تفاعل بين السياق المقامي والنص، ذلك التفاعل الجدلي الذي يجعل كلا منهما

(1)-المتوكل. أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2010، ص25

(2)- بصورة عامة تراعى في تصنيف النصوص معايير خارجية (خارج النص) تخص شركاء التواصل ووقائعه، ومعايير داخلية (داخل النص)كأبنية الحمل و أبنية الإحالة وغيرها. (زتسيسلاف وأورزنياك: مدخل إلى علم بناء النص، مشكلات بناء النص، تر:سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة2003، ص49)

ينشئ الآخر ويعدّله أثناء عملية التواصل،[1] فيكون التنقل بين هذين المستويين إجراءً نبتغي به الحرص على فعالية الفحص التحليلي للخصائص المشتركة في كل جنس أدبي.

المبدأ الحواري وتصنيف الأجناس: يتلاءم مفهوم الجنس عند **م.باختين (M.Bakhtine)**مع ما يسمّى في تحليله بـــ"أنماط الخطابات" بمعناها الحصري الذي نجده في اللغوات Jargon، مثل الخطاب الإشهاري، أوالخطاب الفلسفي، أوالخطاب الديني،[2] والحق أن هذه الأجناس "أجناس أولية"، فهي -حسب **م.باختين** -تتشكل وفق"المبدأ الحواري"للغة، المبني بدوره على "دوائر متعددة لاستعمال اللغة" ويفسّر **م.باختين** ذلك بأن كل الملفوظات التي ننتجها تكون بالضرورة مسبوقة بملفوظات أخرى تشبهها، تنتجها عقول أخرى، فتكون ملفوظاتنا موجهة إلى آخرين، تماما كما تلقّينا نحن ملفوظات أخرى كان مصدرها غيرنا؛ وهذا هوجوهر ما يعنيه **م.باختين** بالمبدأ الحواري.[3]

وتبعا لذلك يؤثر الجنس في كل مستويات بناء النص بحكم خضوعها البديهي للمبدأ الحواري، من هنا يتبين لنا أن **م.باختين(M.Bakhtine)**يصف الجنس ويحدد خصائصه انطلاقا من من منظور "التفاعل الخطابي"؛ أما"الأجناس الثانوية" فهي في نظره وحدات تواصلية اجتماعية وثقافية أكثر تركيبا وتنظيما (الرواية والمقال الصحفي، والبحث العلمي، مثلا)لأنها تتشكّل من خلال احتواء

(1)- ب .شارودوود ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص133؛ وينظر أيضا: ليونز.جون: مرجع سابق، ص215

(2)- Maingueneau. Dominique, 2005: L'Analyse de discours et ses frontières, Marges linguistiques 9, http : //www ،margeslinguistiques, com, p 9-10

(3)-Bakhtine. Mikhaïl, 1978: Esthétique et théorie du roman, Paris, Gallimard, p 111 ، وينظر أيضا : تودوروف .ت :ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ص108

الأجناس الأولية ودمجها.[1]

إن مفهوم"الحوارية"الذي اقترضه المختصون في تحليل الخطاب من **م.باختين**« يحيل إلى العلاقات التي يقيمها كل ملفوظ مع الملفوظات المنتجة قبله، وكذلك مع الملفوظات التي يفترض أن ينتجها متلقوه لاحقا».[2]

نخلص مما تقدّم إلى أن الحوارية في المفهوم الباختيني تبرز في كل الظواهر النصية التي تتجلى فيها العلاقات التي يقيمها المشاركون في الخطاب فيما بينهم: كالاستفهامات، والمخاطبات، والنداءات، والأوامر، والروابط التداولية، والجمل المنفية...إلخ، وهذا في جملته ما يسمى في نطاق دراسات أخرى "التعدد الصوتي"[3]

وقد استلهم الكثير من الباحثين **م.باختين(M.Bakhtine)** وعمّقوا بحث القضايا التي أثارتها أبحاثه، ولا سيّما نظرته إلى الخطاب باعتباره تجليّاً للنشاطات الاجتماعية، وهو الرأي الذي أخذ يتكرس في مجمل الدراسات ما بعد البنيوية، والتي ألحّ أصحابها على وجوب إحداث قطيعة مع تصنيفات الشعرية القديمة للخطاب التي أغفلت أن « النصوص تنسجم مع الممارسات الاجتماعية، هذا فضلا عن أن حالات التلفظ والتأويل تكون عبارة عن تواردات لهذه الممارسات ».[4]

ومن أبرز المساهمات التي تندرج ضمن الأبحاث السوسيولسانية مساهمات **نورمان فايركلو (Norman.Fairclough)** التي لا تخلو من تأثُّرٍ بطروحات

(1) - تودوروف . ت :ميخائيل باختين المبدأ الحواري ، ص108

(2) - Charaudeau .Patrick et Maingueneau.Dominique ،2002: Dictionnaire d'analyse de discours,Paris ,Seuil, p175

(3)-هذا المفهوم هو مرتكزنا الأساسي في المقاربة التي اخترناها لتحليل مدونة الرسائل الجاحظية، وقد تعرضنا له بالتفصيل في المدخل النظري، ص 46-69

(4)-راستيي. فرانسوا: فنون النص وعلومه، ص272

الفيلسوف الروسي القائلة إن الجنس شكل من أشكال النشاط الاجتماعي، بمعنى أن النشاط ينظِّم إنتاج النص وتوزيعه واستهلاكه في مختلف المستويات، فنراه يعرِّفه بأنه: « استعمال اللغة مقترنا بنشاط اجتماعي معين».[1]

كما يؤكد **ن. فايركلو** مثل **م.باختين** أنّ السمة البارزة في النصوص هي سمة اللاتجانس في المستوى الخطابي والأجناسي على السواء، وهما سمتان مرتبطتان بمبدأ الحوارية. وعلّة ذلك في نظرهما هو أن هذه النصوص تعكس التغيرات والتراعات الاجتماعية والثقافية، فظواهر من هذا القبيل تنقَلُ عبر الممارسة الخطابية وتتجلى في صورة تفاعلات نصية، وفي هذا يقول **فايركلو(Fairclough)** إنّ الجنس يُكسِب النص تاريخا لأنه يحيل إلى نصوص سابقة و إلى مواضعات (لغوية وتجنيسية)، فتتأسس-في نظره- تبعا لذلك، ما يسميها "سلاسل التفاعلات النصية".[2]

يتضح مما تقدّم أن التغير الاجتماعي هو الذي ينشئ اللاتجانس في النص، وهو تحديدا ما يجعل مفهومي التفاعل النصي(التناص) والتفاعل الخطابي مصطلحين مفتاحيين في نظرية **فايركلو**، رغم انطلاقه من تصور اجتماعي للمسألة.[3]

تعتبر المستويات المختلفة للخطاب -الجنس، نمط النص، الأسلوب-في نظرية **فايركلو** مستويات متعالقة ككل مكونات الخطاب، فمنها جميعا متعالقةً يتكون نظام النص[4] غير أنّ الجنس يتميّز من بينها بدور خاص، باعتباره مكوّنا«يهيمن على باقي المكونات ويداخلها، لأنه يرتبط ارتباطا وثيقا بمختلف الممارسات

(1)- Roitman. Malin: op.cit, p16-17
(2)-Ibid ،p16
(3)- Ibid
(4)- Ibid

الاجتماعية»،[1] فما دامت المجتمعات تعجّ بالإيديولوجيات المتعددة، فإن النصوص تحاكيها في ذلك، وهذا ما يجعلنا نتبين بوضوح أن كل النصوص يميزها اللاتجانس، أولنقل "التفاعلات النصية".[2]

يتأسّس على هذا في نظر فايركلو **(Fairclough)** دائما مبدأ هام يفرض علينا أن نتناول كل ملفوظ نريد فهمه في أبعاد ثلاثة: بعد نصي، وبعد خطابي، وبعد ثالث اجتماعي ثقافي.[3] في البعد الأول، وهوالبعد النصي، يكون علينا أن نبحث عن الكيفيات التي يتم بها في النص بناء التمثيلات(المعارف والمعتقدات) وصور الهويات والعلاقات الاجتماعية(المعايير الإيديولوجية) من خلال الاختيارات التركيبية – النحوية. وفي البعد الثاني، الخطابي، تتوجه عنايتنا إلى فحص التجليات الظاهرية للتفاعلات النصية(نحوالخطاب المستحضر، النفي، الافتراض المسبق، الروابط، الخطاب الواصف).

وفي البعد الثالث الاجتماعي - الثقافي، نعمد إلى تتبع الآثار الإيديولوجية المنطبعة في النص، مفترضين أن النص يمثل تجسيما ما للمجتمع، يتعيّن على من يقوم بالتحليل في هذا البعد أن يكشف عنه، فيبيّن العلاقة القائمة بين النص والواقع، وهنا تبرز ظاهرتان مهمتان في تحليل الخطاب، وهما: اللاتجانس، وتداخل الأجناس.[4]

(1)- Roitman. Malin: op.cit, p16

(2)- ب .شارودوود ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص 293-295

(3)- Roitman. Malin: op.cit, p16

(4)-Ibid

العقد التواصلي الشامل وتصنيف الأجناس:

يقدّم **باتريك شارودو (Patrick Charaudeau)**أحد المتخصّصين المشهورين في تحليل الخطاب محاولة لوضع نظرية للأجناس غير الأدبية في بحثه المعنون:" مقصدية الخطاب، الأجناس المقامية والبناء النصي"،" **Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle**"، وكما رأينا مع فايركلو يعترض **شارودو(P. Charaudeau)** على فكرة تحديد خصائصَ للأجناس بوصفها مؤسسات ثابتة ومكتملة التشكّل، لكنّه يخالفه في الاعتراض على كونها تتحدّد بواسطة المجالات الاجتماعية، أومن خلال واسماتها الشكلية. ولذلك يحدّد المشكلة التي يثيرها تصور التجنيس من هذا المنظور، بما يلي: «أَنْ نعلّق دلالة الخطابات بمكانة الفاعل المنتج للفعل اللغوي [دون غيره]، وبشرعيته، أكثر من ربطها بدوره كذات متلفظة، فإن ذلك قد يعني أنه سينتج خطابا منمّطا في ميدان ما، مهما كانت الطريقة التي سيتكلم بها».[1]

كما أن إشكالاتٍ أخرى ستُطرح حين نحاول أن نحدد الأجناس اعتمادا على فحص الواسمات الشكلية، ذلك أن تعدد المعنى الذي يميز الصيغ اللغوية(المفردات، البناءات النحوية، أنماط الجمل القضوية...الخ) يحول دون التمييز السليم لفئات الكلام انطلاقا فقط من الواسمات الشكلية، ومن ثم فمسألة التجنيس-حسب نظره- تتحدّد بالإكراهات الداخلية والخارجية، ومدى معرفة

(1)-Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle, in: Analyse des discours,Textes, types et genres. Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud, p 3

المتخاطبين بهذه الإكراهات، فالذوات المتكلمة-حسب **شارودو** [1]– تكون دائما مزودة بذاكرة للخطابات، وأخرى للوضعيات التواصلية، وثالثة للصيغ والعلامات، وانطلاقا من هذه الذواكر الثلاث تتأسس تعاقدات للتعارف بين الذوات المتكلمة المنتمية للمجموعات الخطابية والتواصلية والسيميائية المعنية بالفعل التواصلي.

ولأجل تحديد الجنس، ينبغي النظر إلى الوضعية التواصلية التي تقوم على العناصر التالية: المقصد، هوية المشاركين [في عملية التواصل]، موضوع الحديث **Le propos**، والظروف المادية، ويُعنى بالمقصد في هذا السياق التوجه التداولي للذات المتكلمة(كأن يرجو، أو يخبر، أويحمل على الاعتقاد... الخ)ويُعنى به أيضا التوجه الدلالي للذات المؤوّلة(كأن يرى واجبا عليه أن يجيب، أويعرف، أويعتقد)،[2] هذه العناصر تشكل "**العقد التواصلي الشامل** "، الذي يعرفه شارودو« باعتباره مجموعة الشروط التي يتحقق فيها كل فعل تواصل(مهما كان شكله شفويا أو مكتوبا فرديا أو تخاطبيا)... ما يسمح لأطراف التبادل اللغوي من أن يعترف الواحد منهم بالآخر...وبالتعرف على مرمى الفعل...وبالاتفاق على ما يكون الموضوع المحوري للتبادل...وبالأخذ بعين الاعتبار وجاهة الإكراهات المادية التي تحدد هذا الفعل »،[3] وهكذا يسمح لنا مفهوم «**العقد**»بجمع النصوص التي

(1)-Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle, p 7

(2)– ويتم ذلك من منظور تداولي بردها إلى بعض أصناف أعمال الكلام التي وضعها أوستين وسيرل، مثل: الإثباتات(حكى، وصف، علق، وتتجسد في الملحمة والرواية والنثر العلمي)، والأمريات (استوقف، دعا، رجا، طلب، أمر، سأل؛ وتتجسد في الشعر الغنائي والدرامي، والمسرح)، والتعبيريات(مدح، وبخ، تأسف، وتتجسد في الشعر الغنائي خاصة، وفي الخطابات ذات البعد الاجتماعي العملي، وفي الشهادات). للتفصيل ينظر:

Combe. Dominique,1992: Les genres littéraires , éd. HACHETTE , Paris, p 95

(3)– ب .شارودوود ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص 138

تشترك في خضوعها لنفس شروط الوضعية التواصلية، في صنف واحد.

تفرض الإكراهات الخارجية إكراهات داخلية، خطابية؛ فالمقصد، شأنه شأن هوية المشاركين في عملية التواصل يحدّد نموذج التلفظ (وصفي، سردي، أوحجاجي)الذي ينبغي أن تستخدمه الذات المتكلمة، ومن ثمّ يمكننا «تحديد الأجناس في نقطة الالتقاء بين "الإكراهات المقامية المحددة بالعقد التواصلي الشامل"و"إكراهات التنظيم الخطابي" و"خصوصيات الأشكال النصية التي ترصد بواسطة تواتر السمات الشكلية"».(1)

ويخلص **شارودو (P.Charaudeau)** إلى اقتراح تسمية بديلة، هي تسمية: الأجناس المقامية، فمقام التواصل الذي يمثل (المستوى1) يؤسّس"العقد الشامل **Contrat global**"بين المتخاطبين، وهذا العقد يفرض إكراهات على تنظيم الخطاب(المستوى 2)وهي الإكراهات التي تبرز في التشكيل النصي (المستوى 3)، ومع أن المعطيات النصية لا تكفي للقيام بتصنيف أجناسي، فإنها تنطوي على إشارات تساعد على ذلك. ولما كانت هناك مكونات متعددة تنتمي إلى مستويات مختلفة تتدخل في بناء الجنس، فإن تحديده يمرّ عبر« تمفصل المستويات الثلاث[المذكورة سابقا]ووضع المعطيات المتصلة بها في حالة تعالق (لا إدماجها الواحد بعد الآخر) ».(2)

وإذاكان **شارودو(P.Charaudeau)** قد اقترح تصوّرا عاما لتجنيس الخطاب، لم يميّز فيه بين الخطابين العادي والأدبي، وكان في ذلك التنظير أكثر عناية

(1)-ب .شارودوود ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص 271

(2)- Charaudeau.P:Visées discursives ،genres situationnels et construction textuelle , p23

بالخطاب الناتج عن التفاعل الشفوي المباشر، فإن **د. مانغونو (D. Mainguenau)** اهتم من جانبه بوضع تصور مفاهيمي لما يكون عليه التعاقد الأدبي. فرغم أن الخطاب الأدبي لا يخضع لقوانين كتلك التي يخضع لها الخطاب العادي القائم على التفاعل المباشر، كما في تصور **شارودو(P.Charaudeau)** السابق، بحيث لا يستطيع المتلقي التدخل في نص اكتمل إنجازه، إلا أنّ خضوع الخطاب الأدبي لقوانين الخطاب، كقانون التعاون، أوقانون الجهية لا يمكن إنكاره،[1] وإن كان يتمّ بطرق خاصة بهذا الخطاب، في إطار تعاقد أو مُواضَعة خفيّة " **Convention tacite**"، يعرف المتلقي بموجبها كيف يهيكِل انتظاراته، آخذاً في الحسبان الاعتبارات المتصلة بالجنس الأدبي أو جنس الخطاب الذي يُدعى إلى التفاعل معه.[2]

والأجناس لا تكفي مع ذلك لتحديد كل التعاقدات الممكنة في حقل الأدب، طالما أن الأعمال الأدبية يمكنها هي الأخرى أن تؤسس تعاقداتها الخاصة بها،[3] وعلى أي حال، فمهما كانت درجة نزوع الأعمال الأدبية إلى اكتساب شرعية خارج دائرة التعاقدات الجنسية القائمة، فإن ذلك لا يحقّق لها إلا تميّزا جزئيا، «فالعقد الخاص الذي تقيمه لن يكون إلا جزيرة صغيرة في خضم القواعد

(1) - في المنظور التأويلي الهرمنيوطيقي لا يعد ذلك عائقا للتواصل، بل إثراء للتأويل، لأن النص ينفتح على عدد لامتناه من القراء، فـــ" خلافا للوضع الحواري حيث يكون الوجه للوجه مَحَدَّداً بحالة الخطاب نفسها، فإن الخطاب يقتضي جمهورا يتسع فرضيا إلى كل من يعرف القراءة. هنا تجد الكتابة تأثيرها الأهم: تحرر الشيء المكتوب من الشرط الحواري للخطاب؛ ويترتب عن ذلك أن العلاقة بين الكتابة والقراءة لم تعد أبدا حالة خاصة للعلاقة بين التكلم والإصغاء" ريكور. بول: من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة 2001، ص86

(2)- Mainguenau.D: Pragmatique pour le discours littéraire, p 121-122

(3)-Ibid, p122

الخفية [للجنس]التي لا تستطيع منها فِكاكاً(وإن اقتصر ذلك على الانتماء إلى هذه المؤسسة* المعروفة باسم الأدب) ».[1]

السمات الأجناسية الداخلية:

لا يمكننا الفصل بين داخل الخطاب وخارجه كما تقدم بيانه في حديثنا عن الطبيعة التفاعلية لعلاقة السياق المقامي بالنص، فالنص بما هو تنفيذ للخطاب في المقام التواصلي يحمل في بنيته واسمات سياقية مقامية، تحيل إلى مقام التلفظ، وفيما تقوم بذلك تمارس تأثيراً على البنيات النصية للخطاب وما يقع دونها من بنيات لغوية معجمية وتركيبية، وهو ما يصطلح على تسميته في أدبيات التحليل النصي بالبعد التكويني.

التصنيف الأجناسي من منظور التكوين النصي:

ينحو **ج.م. أدام (Jean-Michel.Adam)** نحوا مختلفا في تحديد خصائص الأجناس وتمييز أنماط النصوص معتمدا على نظام القوالب أوالأبعاد **Modules**، فيقدّم خمسة قوالب(أو"أبعاد"في أحدث تعديل لنظريته)للتنظيم النصي؛ وهي: البعد التكلّمي(اللاقولي)، التلفظي، الدلالي، النحوي الأسلوبي، والتكويني. هذه القوالب الخطابية - في نظر **أدام** -تخضع لتفاعل مستمر، ينتج عنه

(*)- يشرح وليك و وآرن مصطلح " المؤسسة"شرحا طريفا بقولهما: "و النوع الأدبي "مؤسسة"، كما أن كلا من الكنيسة، و الجامعة، والدولة مؤسسة.إنه يوجد –لا كما يوجد الحيوان، أو البناء، أو دار العبادة، أو المكتبة أو مبنى الحكم – ولكن كما توجد المؤسسة. إن المرء يستطيع أن يعمل من خلال المؤسسات القائمة وأن يعبر عن نفسه من خلالها، وأن يخلق مؤسسات جديدة، أو أن يمضي بقدر الإمكان دون أن يشارك في السياسة أو في الشعائر. و يمكن للمرء أيضا أن ينتمي إلى المؤسسات ثم يعيد صياغة شكلها بعد ذلك." (رنيه وليك وآوستن وآرن: نظرية الأدب، تر:عادل سلامة، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض- السعودية 1992، ص313-314)

(1)- Mainguenau.D: Pragmatique pour le discours littéraire, p123

أنماط نصوصٍ متداخلة، وهو ما يصدق على كل أنماط النصوص.[1]

ويتحتم التفريق هنا بين نوعين من اللاتجانس؛ اللاتجانس المُظهَـــــــــر Hétérogénéité montrée، واللاتجانس التكويني Hétérogénéité constitutive، فالخطاب من حيث تكوينه النصي يحمل بطبيعته مقاطع نصية متنوعة، ومظاهر جِهِيّة متباينة، وتداخلا لأجناس وسجّلات لغوية متعددة، تعكس وجود مستويات التلفظ ومصادره المختلفة، وفقا لمبدأ التعدد الصوتي أوالحوارية الملازمة لكل خطاب؛ فما كان من هذه العناصر مصرّحا بمصدره التلفظي، أوملمّحا إليه من خلال واسمات لغوية، فهو من مظاهر اللاتجانس الخطابي المظهر/المعروض، وما كان مضمرا في الخطاب، شأن الافتراض المسبق، والضمنيات التحادثية، فهومن قبيل اللاتجانس الخطابي التكويني،[2] وهذا ما يمثل قاعدة للبحث في سمات التجنيس الداخلية المميزة لكل جنس من أجناس الخطاب.

وبحسب رؤية **أدام (J-M Adam)**ينطوي كل بعد على عدة ظواهر في مستوييه الشامل والموضعي، ففيما يخص البعد التلفظي تفرض الإكراهات التجنيسية الشاملة تقديم النص من خلال مشهد تلفظي، على المستوى الموضعي خاصة، وعلى مستوى هذا البعد «تُطرح مسألة تحمل مسؤولية الملفوظات، وبشكل أوسع، مسألة الانسجام والاتساق التلفظي للنص»،[3] بتعبير آخر، على هذا المستوى يمكن أن

(1)- Adam. Jean-Michel,1997: Unités rédactionnelles et genres discursifs, cadre général pour une approche de la presse écrite, Pratiques 94, Paris : CRESEF, p 3-18

(2) - ب .شارودو ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص282-283

(3)- Adam. Jean-Michel, 2002: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, in Olsen. M,(éd,): Polyphonie littéraire et linguistique ,Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur, p39-84, p52

يشتغل التحليل الأصواتي بدءا بالملفوظ وانتهاء بالنص.[1]

أما بالنسبة لـــ"البعد التكويني" ينظر **أدام (J-M Adam)** إلى النص باعتباره بنية من المقاطع النموذجية المنمَّطة: سردية، أو وصفية، أوحجاجية، أوتفسيرية، أوحوارية، ويظهر التداخل بينها في هذا المستوى حين يقع التوليف بين هذه المقاطع، أويندمج بعضها في بعض، ولتوضيح هذه المسألة النظرية الهامة يمثل **أدام** بالمقطع الحجاجي - وهوالنمط الذي يعنينا في بحثنا هذا - بالصورة التالية[2]:

أطروحة سابقة← معطيات← استلزامات← استنـــتاج/ تحفظات ← أطروحة جديدة

(حامل وضامن (اللهم إلا

،إذن، وعليه) ، لكن)

على غرار **م.باختين وفايركلو**،يهتم **أدام (J-M.Adam)** بالبعد الحواري للخطاب (بمعناه الباختيني)، حين يعنى بذلك أن كل حجاج لتبَّني أطروحة ما يكون بالضرورة حجاجا من أجل رفض أطروحة سابقة، ولهذا السبب نراه يدرج مفهوم «الأطروحة السابقة» في خطاطته السابقة، بينما يتأسّس "الاستنتاج" لديه على معطيات، ويقوم هذا التأسيس على "حامل" و"ضامن"، كما يمكن أن يلجأ إلى التحفظ على الاستنتاج (حصره)، وربما دحض الأطروحة الجديدة، بيد أن ترتيب مكونات المقطع الحجاجي ليس ثابتا، وليس من الضروري أن يؤتى بكل المكونات.[3]

(1)-Adam. J-M: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, p52
(2)-Ibid, p73

(3) - ب .شارودو ود.مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص512

إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي

تثير عملية التصنيف الأجناسي للخطاب الرسائلي إشكاليات عديدة ومتنوعة، تتصل من ناحية بالإكراهات المقامية الخارجية لجنس الخطاب، ومن ناحية أخرى بإكراهاته النصية الداخلية.[1] ويبرز في هذا السياق على الخصوص مسائل من قبيل خصوصية التفاعل الرسائلي القائم على الكتابة، لا على التواصل الشفوي؛ ودلالة التسمية على نمط من الكتابة معروفٍ بتنوعه والتباس الحدود فيه بين مايسميه باختين "أجناسا أولية" "وأجناسا ثانوية"؛ إضافة إلى إشكاليات أخرى لا تقل إثارة؛ مثل اللاتجانس الخطابي الذي يميز الجنس الرسائلي بصورة لافتة للانتباه، وقضية الأدبية التي احتدم الجدل حولها طويلا، خاصة عند النقاد الغربيين، وغيرها من القضايا والإشكالات.[2]

نحاول فيما يلي رصد أهم هذه الإشكاليات في ضوء ما تقدّم بيانه في العرض النظري الخاص بالتصنيف الأجناسي للخطابات.

(1)-تسمي آمنة دهري الإكراهات الأجناسية الداخلية قيود النوع ، وتحيل بها إلى "مجمل الخصائص التواصلية والتركيبية البنائية، والبلاغية، والدلالية"؛ وتسمي الإكراهات المقامية الخارجية"قيود السياق" وهي" قيود الشرط الثقافي والفكري التي تحكم ممارسة التواصل، وتضبط مقاصدها الخاصة والعامة". دهري آمنة: الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، جامعة الحسن الثاني- المحمدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الرسائل والأطروحات، رقم5، ص20

(2) - الإشارة هنا إلى غ. لانسون(Gustave Lanson) الذي استبعد الرسائل من تصنيف الأجناس الأدبية، بدعوى أنها مجرد محادثات مكتوبة، وأصرّ على حكمه ذاك حتى في موقف الحكم على رسائل الأدباء عندما قال:« إنها أعمال ليس لها من الرسائل إلا الاسم». ينظر:

Adam. J. M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed SEDES, 1998, p51

1-إشكالية التسمية:

لا تطرح إشكالية التسمية بحدّة في جنس أدبي كما تطرح في التصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل، فهي من المنظور الباختيني إسم جامع للأجناس الأولية والأجناس الثانوية،[1] وهو ما يجعل دلالة المصطلح ملتبسة عند الحديث عن الرسائل باعتبارها جنسا أدبيا، خلافا لما هو عليه الحال في أجناس أخرى، كالملحمة، والأسطورة، والمأساة، والملهاة، والرواية، والأقصوصة، والنادرة، وغيرها من الأجناس الأدبية التي اختصت بأسماء تدل عليها دلالة صريحة.

وقد نبّه **ويليك ووارن** إلى التضليل واللبس الذي قد ينجم عن أسماء الأجناس، فيؤدي إلى إشكاليات في تصنيف الخطابات وفي تلقيها، والحكم عليها.يقول الباحثان : «فالنوع الأدبي ليس مجرّد إسم، إذ التقليد الجمالي الذي يشارك فيه العمل الأدبي يشكّل صفاته. الأنواع الأدبية "يمكن أن ينظر إليها على أنها ضرورات نظامية تلزِم الكاتب من جهة وكذلك يلزِمها الكاتب بدوره" » [2]

وعليه يمكننا حصر إشكاليات تسمية الجنس الرسائلي في النقاط التالية:

- استعصاء تصنيفها، لما تتميز به أفراد هذا الجنس من تعدّد في الأصناف الفرعية،[3] وتباين في الخصائص والسمات الداخلية والخارجية على السواء.

---

(1) - يقول **باختين** بوجود هرمية أجناسية ذات طبقتين كبريين؛ طبقةِ الأجناس الأولية التي تندرج فيها أجناس الخطابات العادية التي تنتج في يوميات الناس العادية، وضمن أوضاع الحياة الواقعية، فتشمل أنواعا من السرد، والحجاج، والوصف، وغيرها، وطبقةِ الأجناس الثانوية التي تحتضن الخطابات المعتنى بصياغتها، والتي ترتبط بمقامات خاصة ومؤسّسية، كأصناف الخطاب الأدبي، والخطاب العلمي، والخطاب الإيديولوجي ...إلخ. ينظر: ت. تودوروف :ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، ص125

(2)- **رنيه وليك وآوستن وآرن: نظرية الأدب**، ص313

(3) - أُحْصِي في العصر القديم بأوربا« ليس أقل من تسعة وأربعين شكلاً من الرسائل، دون حساب الأجناس المتعددة للمراسلات المهنية ». ينظر: جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟، ص 88

- صعوبة الحسم في ما هو أدبي وما ليس أدبيا، من هذه الأصناف المتعددة للرسائل، نظرا لافتقاد الإجماع على المعايير التي يمكن اعتمادها في التمييز والتصنيف، وهو ما تبنّاه **غ. لانسون**(Gustave Lanson)[*] في موقفه من رسائل الأدباء، عندما نفى عنها الطابع الرسائلي، واعتبره فضلة لايعتد بها في التصنيف.[1]

- حلول التصنيف العشوائي القائم على الحدس والتخمين محل التصنيف العلمي للسبب السابق ذكره، كما حصل في الدراسات النقدية العربية، التي أهملت معايير تصنيفية هامة ، كتلك المتصلة بخصائص التلفظ ومقاماته،[2] وإن كانت هذه الدراسات لا تختلف حول قضية أدبية الرسائل.[3]

2- إشكالية "التفاعل":

تواجه الباحث الذي يتصدى لدراسة خطاب الرسائل من منظور تداولي إشكالية توظيف مفاهيم تداولية، مثل التفاعل والتلفظ اللذين يتطلبان سياقا لإنجاز

(*)- غوستاف لانسون (1857-1934):ناقد فرنسي من رواد المنهج التاريخي المقارن

(1) - في قوله: :«إنها أعمال ليس لها من الرسالة إلاّ الإسم»ينظر:

Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives ،p 39

(2)- صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم(مشروع قراءة شعرية)،ط1، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-دار الفارابي، منوبة، تونس2001، ص64

(3)- تؤكد بسمة عروس هذه الملاحظة بقولها:"يجمع جلّ الباحثين في قضية الأجناس الأدبية وتجلياتها ضمن المدونة النقدية العربية، على ضمور التفكير في هذا المجال وندرة النصوص الحاملة لتصورات معمقة وتصنيفات صارمة تبين مراتب الأنواع والأجناس، ومواقع مختلف الفنون والأنماط ومنازل جملة الأشكال والأصناف".ينظر كتابها: التفاعل في الأجناس الأدبية/مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس الهجري، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس2008، ص 105

عملية التواصل؛ ولما كان خطاب الرسائل المنجز بواسطة الكتابة يؤجل عملية التلقي، ويغيّب السياق المقامي بمركباته المختلفة، فإنه يطرح بحدة ضرورة البحث عن مقاربة نظرية خاصة لمسألة التفاعل في الخطابات المكتوبة، وفي مقدمها الخطاب الرسائلي.

يتميز الخطاب الرسائلي إذن بتغييب السياق، الناتج عن التباعد المكاني والزماني لعمليتي البث والتلقي، فيتيح ذلك للمراسِل إمكانية مراجعة كلامه، وتعديله، وتصفيته من الشوائب، متخلّصا من كل العوامل التي ينطوي عليها السياق إذ «نرى أنه في حالة الكلام المحكي توجد كل هذه العوامل خارج المنطوق، مما يؤدي إلى غيابها داخله، أما في حالة النص المكتوب فإن الحضور الخاص الملموس لهذه العوامل يشير إلى غيابها "الحقيقي"»[1] كما يقول **تودوروف (T.Todorov)**.

وقد تنبّه القدماء إلى هذا الفارق، واعتبروه مزية من مزايا الكتابة.[*] يقول قدامة بن جعفر: «...أما الرسائل فالإنسان في فسحة من تحكيكها وتكرير النظر فيها، وإصلاح خلل إن وقع شيء منها. ثم هي نافذة على يد الرسول أو طيّ الكتاب، فقد كُفي صاحبها المقام الذي ذكرناه، والحصر الذي وصفناه» [2]وإن كان هناك من بين القدماء من لا يجعل بينهما من فرق سوى أن الرسالة تكتب، والخطبة يشافه بها.[3]

(1)-تودوروف. ت: الأدب و الدلالة، تر: محمد نديم خشفة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب–سوريا1996، ص18

(*)- هذه السمة تميز التواصل الكتابي عامة. يقول و. أونج: "تطور عملية الإبعاد التي تحققها الكتابة نوعا جديدا من الدقة في التعبير اللفظي، وذلك بإزالته من ثراء السياق الوجودي المضطرب الذي يوجد الجانب الأكبر من التعبير الشفاهي فيه" والتر ج. أونج : الشفاهية والكتابية، تر حسن البنا عز الدين، د ط المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، فبراير1994 (سلسلة عالم المعرفة)، ص159

(2)- ابن جعفر. قدامة: نقد النثر، تح:طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، د ط، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة 1941، ص105-106

(3)- العسكري.أبوهلال: كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة1952، ص136)

ومقابل هذه الآراء التي تكتفي بالتمييز الحيادي بين التواصل الشفوي والتواصل الكتابي، وتجعل سمة "التفاعل"مقترنة بحضور السياق، مقصورة على الأول دون الثاني، كان على منظري المقاربة التداولية للخطاب الأدبي أن يجتهدوا في إيجاد سند مفاهيمي يضمن لهذه المقاربة وجاهتها.

يذهب **د. مانغونو** (D.Mainguenau)في كتابه: Pragmatique pour le discours littéraire، إلى القول بإمكانية وجود تفاعل بين باث المكتوب ومتلقيه رغم عدم تحقق التواصل وتأجيله بسبب التباعد الزمني والمكاني بين عمليتي البث والتلقي، معتبرا أن قراءة المكتوب شرط كاف لإتمام عملية التواصل تحقق شروط التلفظ التداولية، لاسيما وأن النص المكتوب يحمل في طياته من الواسمات السياقية ما يمكن من استحضار السياق المقامي لحظة القراءة. وقد عبر مانغونو عن هذا المفهوم بالعبارة الاصطلاحية: "القراءة باعتبارها تلفّظاً"(*)، دعما وتكملة لمفهوم "التعاقد الأدبي"(1)

وفي مجال الدراسات التطبيقية نحت الباحثة **ك. ك. أوركيوني(Catherine kerbrat-Orechionni)** النحو نفسه عندما أنجزت دراسة نوعية قارنت فيها بين التفاعل الرسائلي والتفاعل الشفوي(في المحادثة)في مقال لها بعنوان: **L'interaction épistolaire**، خلصت فيه إلى تأكيد وجود هذا التفاعل، وإمكانية دراسته تداوليا، مبرزة عددا من الفروق التي يتبيّن من فحصها أن للتواصل

(*) - يقترب من هذا المفهوم تصور **ريكور** لتكامل الكتابة مع القراءة.يقول ريكور: "تصبح مشكلة الكتابة مشكلة تأويلية، حين تتم الإحالة إلى قطبها المكمّل وهو القراءة...القراءة هي الفارماكون، هي العلاج الذي "ينجو"فيه معنى النص من غربة تنائيه... " ريكور.بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ص79-80

(1)- Mainguenau.D,2005:Pragmatique pour le discours littéraire ,p122

الكتابي خصوصيته فيما يتصل بموضوعة"التفاعل".[1] تقول الباحثة: «علينا أن نذكّر أيضا بما يلاحظ غالبا، وهو أن التباعد المكاني والزماني الذي يميز العلاقة (باث- متلقي) في التواصل الرسائلي يشكل معطى أساسيا في هذا الشكل من التواصل؛ فنحن نكتب لأننا متباعدون، وفي الأوان ذاته للإيحاء بأننا مجتمعون، يدفعنا إلى ذلك سعينا إلى ردم هوة الغياب. ومن هنا تتولد المفارقة في الخطاب الرسائلي، فبقدر ما توهم وفرةُ الإحالات إلى السياق المكاني والزماني، بالحضور، تؤكد حقيقة الغياب، طالما أن هذه الإحالات لا يكون لها ضرورة في وضعيات التواصل التشاركية» [2] [(*)]فهي تؤدي وظيفة التعويض التي تجعل التفاعل ممكنا بواسطة الكتابة، فيُلجأ إليها لتجاوز التباعد المكاني في الخطاب الرسائلي، وتمكين القارئ العام من تأويل الخطاب الرسائلي وحسن التفاعل معه.

إشكالية اللاتجانس الخطابي والأجناسي:

يعرَف الجنسُ الرسائلي بمرونة بنيته وطواعيتها لحمل أنواع شتى من الأجناس الخطابية والأدبية، فجسم الرسالة مهيأ ليدمِج في تنظيمها النصي المقاطع السردية والحجاجية والوصفية، بحيث لا تكون الرسالة أحيانا إلا منصّة تعرض عليها القصة، أو المناظرة، أو التسجيل الوصفي للظواهر والكائنات؛ بل إن الرسالة قد تكتفي

(1)- kerbrat-Orechionni.Catherine: L'interaction épistolaire, Dans:La lettre entre réel et fiction , Sous la direction de Jurgen Siess,Ed,SEDES 1998, p15-18

(2) - kerbrat-Orechionni.Catherine:L'interaction épistolaire ،p17

(*)- زيادة على ذلك، هناك من يرى أن "غياب المكتوب إليه ضروري لميلاد الأثر(الرسالة) ووجود المسافة(الناتجة عن هذا الغياب)ملازم له وإلغاؤها يلغيه". ينظر: دهري آمنة، الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، ص23-24

بالإعلان عن القصيدة يريد لها صاحبها أن تتلفّع بها حتى تبلغ مأمنها.[1]

وتسمى هذه الظاهرة في أدبيات تحليل الخطاب بظاهرة اللاتجانس الخطابي، وكان **باختين** أول من أشار إليها، معتبرا إياها سمة عامة لا يخلو منها أي خطاب، مهما كان الجنس الذي يندرج فيه، فـــ«الخطاب يكاد لا يكون متجانسا أبدا: فهو يمزج أنماطا متنوعة من المقاطع النصية، وينوع الجِهِيّة وسجلات اللغة وأجناس الخطاب؛ ومن عوامل عدم التجانس ينسب دور متميز إلى حضور خطابات "مغايرة"، أي يمكن نسبتها إلى مصدر تلفظي آخر»[2] ويمثل الخطاب الرسائلي- وهو حواري بطبيعته – نموذجا مميزا لظاهرة اللاتجانس الخطابي بحضور صوت المخاطَب فيه؛ إما عن طريق الاستحضار المُظْهَر الصريح، أو عن طريق المضمرات، كالتضمينات، والافتراضات المسبقة، وهو ما يعبر عنه اصطلاحيا باللاتجانس المظهر واللاتجانس التكويني.[3]

ويمكن لهاتين الظاهرتين من اللاتجانس أن تكونا مطية لتداخل أجناسي، كما يحدث كثيرا في الأدب الرسائلي العربي القديم، وقد عكف **صالح بن رمضان** على دراسة تجليات اللاتجانس الخطابي في موروثنا الرسائلي القديم، واقترح تسمية

(1)-يقول ج.م.شايفر: « تستطيع الرسالة التي هي جنس محدد من خلال مقصدها الخاص، أن تكون شعراً أونثراً،ويمكنها أن تمتلك الموضوعات الأكثر تنوعاً دون أن تتوقف مع ذلك، عن أن تكون رسالة». ينظر: ما الجنس الأدبي؟، ص 78

(2) - ب. شارودو ود. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص283

(3) - جاءت بهذا التمييز بين اللاتجانس الخطابي الصريح واللاتجانس الخطابي التكويني الباحثة ج.أ. روفيز J.Authier Revuz؛ففي نظرها يحمل الخطاب من حيث تكوينه النصي بطبيعته مقاطع نصية متنوعة، ومظاهر جهِيّة متباينة، وتداخلا لأجناس وسجّلات لغوية متعددة، تعكس وجود مستويات التلفظ ومصادره المختلفة، وفقا لمبدأ التعدد الصوتي أوالحوارية الملازمة لكل خطاب؛ فما كان من هذه العناصر مصرّحا بمصدره التلفظي، أوملمّحا إليه من خلال واسمات لغوية، فهو من مظاهر اللاتجانس الخطابي المظهر/المعروض، وما كان مضمرا في الخطاب، شأن الافتراض المسبق، والضمنيات التحادثية، فهومن قبيل اللاتجانس الخطابي التكويني.(ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص283-284)

الظاهرة بـــ"تداخل الأجناس"[1]، وقسّمها مقتديا بالباحثة **ج.أ. روفيز** إلى "تداخل صريح"،وآخر"ضمني"، فعرّف أولهما بأنه« حضور مقطع من نص محفوظ في سياق الكتابة. وهذا المقطع ينسب إلى صاحبه أو يذكر من القرائن ما يفيد أنه كلام مضمّن» [2].أما الآخر فيقول عنه:« يحدث التداخل الضمني بين النصوص بوجه عام في مستويين: مستوى يشمل الأبنية المجردة، ومستوى يشمل النصوص المحفوظة أي التي استخدم فيها أصحابها تلك الأبنية » [3] وهذان التعريفان لا يخرجان عما اقترحته **ج.أ. روفيز** في تمييزها بين اللاتجانس الصريح، واللاتجانس التكويني، زيادة على أنهما يخلوان من المصطلحات التي تعيّن الظواهر الخطابية تعيينا مجردا عاما، كمصطلحات الافتراض المسبق، والمضمر، والمواضع ، وغيرها.

يمثّل **ابن رمضان** للتداخل الصريح بالشاهد الأدبي، الذي تندرج تحته نصوص مختلفة الأجناس، كالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، وأبيات الشعر، والحكم، والأمثال، وأنماط السرد(الخبر، والنادرة، والحكاية...الخ). [4] والطريف أن الباحث في دراسته لتداخل الأجناس في هذا المستوى يركّز على الشواهد الأدبية التي تصنف ضمن "الأقوال المنقولة المباشرة" كالآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر، ويهمل ظاهرة أهم في خطاب الرسائل، وهي ظاهرة

(1)- يشير بن رمضان إلى تفطن العرب القدماء للظاهرة، فمحمد بن عبد الغفور الكلاعي يسميها"باب المرصع"، حيث يقول:"وسمينا هذا الباب المرصع لأنه رصع بالأخبار، والأمثال، والأشعار، وروايات القرآن الكريم، وأحاديث النبي عليه السلام، إلى غير ذلك من النحو و العروض وحل أبيات القريض" ....ويربطها عند المعاصرين بمفهوم "الحوارية" عند باختين، و"التناص" عند جوليا كريستيفا" 'ينظر: صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص413-415)

(2)-صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص416

(3)- نفسه، ص455

(4)-نفسه، ص416-417

حمل الرسالة لأجناس أدبية كالقصة، رغم أنه يستحضر رسائل أبي العلاء المعري، وابن شهيد، مسمّيا إياها رسائل قصصية.

يقول الباحث محدّدا هدفه من دراسة النموذج: «ونقتصر في هذا المضمار على رسائل المعري لأنّ وصف نظام الاستشهاد يقتضي اعتماد وحدة نصية ودراستها دراسة آنية، ولأن منهج انتقاء الشواهد في عمل من هذا القبيل لا يبرز دور الشاهد الأدبي في تكوين بنية الرسالة القصصية» (5)

إذن، لا يعتبر الباحث إدراج القصة في جسم الرسالة مظهرا لتداخل الأجناس الصريح يوازي في أهمينه إدراج الشواهد الأدبية الأخرى، فالرسالة القصصية جنس قائم الذات حسب تحليله.

أما التداخل الضمني، فلا ندري ما الذي يعنيه بن رمضان بالأبنية المجردة، والنصوص المحفوظة التي أوردها في تعريفه، وقدّمها بوصفها تمظهرات للتداخل الضمني، ولا ندري أيضا إلى أي مدى تنطبق عليها التسميات المتداولة في حقل التحليل التداولي وتحليل الخطاب، مثل "الخطاب المنقول المباشر الحر"، و"الافتراض المسبق"، و"المضمر"، وغيرها.

ويمثل ابن رمضان لهذا الصنف الثاني من تداخل الأجناس، بادئا بما سماه"الأبنية المجردة"، فيعرفها بأنها« جملة الأساليب التي يمنحها كاتب معين طابعا خاصا، ويستعملها على نحو من الأنحاء يعرَفُ به، ثم يستعيرها الكتاب الذين يأتون من بعده، فيستعملونها على ذلك النحو عينه »(6). ولا يخفى ما في هذا التعريف

(5)-صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ، ص446
(6)_نفسه، ص455

من عدم التحديد، بل والتداخل مع منطوق تعريفه للتداخل الصريح، الذي نص فيه على "الاعتداد بالقرائن" في قوله:" أو يذكر من القرائن ما يفيد أنه كلام مضمّن".ولا يختلف الأمر كثيرا في تعريفه للمكوّن الثاني للتداخل الأجناسي، وهو"النصوص المحفوظة" التي يقول في تعريفها: « ...هي مقاطع يدرجها الكتاب في الرسائل دون أن ينسبوها إلى أصحابها، أو يذكروا مصادرها»[1] فمتى كان تصريح الكتاب بما أخذوه عن غيرهم شرطا لاعتبار الخطاب المأخوذ تداخلا أجناسيا ضمنيا؟ إذ باكتشاف القارئ المؤوّل للمصدر الحقيقي، يتحول المأخوذ إلى خطاب مستحضر صريح، دلّت عليه القرينة كما تقدّم بيانه.

وعند التطبيق يورد الباحث عددا من الأمثلة المقتطفة من رسائل شتى، للاستدلال على ما سماه"الأبنية المجردة"، و"النصوص المحفوظة". فعن الأولى يشير إلى "أسلوب الذم بما يشبه المدح" الذي منحه الجاحظ —حسبه- تلوينا خاصا بالرسالة الهجائية، والذي تجسّده "رسالة التربيع والتدوير" أحسن تجسيد؛ وهو النمط الذي يعتبره الباحث"بنية مجردة" قام الكتّاب بعد الجاحظ بمحاكاتها وتوظيفها في كتاباتهم بوصفها تداخلا أجناسيا ضمنيا.[2]

أما عن الثانية، وهي "النصوص المحفوظة"، فيعرض المثال التالي المتعلق بالمحسّن البديعي المسمى بـــ"التلميح" :« ونذكر مثلا تعليق ابن بسام على إحدى رسائل أبي المغيرة ابن حزم في شكوى الزمن، فهو يورد قوله في وصف الموت:"لكنه أمير من وراء سجف، يسعى بلا رجل، ويصول بلا كف" ويقول : "وهذا محلول من

(1)-صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص455
(2)-نفسه، ص457

قول أبي الطيب حيث يقول....:

وما الموتُ إلا سارقٌ دقَّ شخصُه يصولُ بلا كفٍّ ويسعى بلا رِجْلِ» [1]

والخلاصة التي نتوصل إليها مما سبق أن الجنس الرسائلي يمثل أرضية خصبة للالتجانس الخطابي والأجناسي، إلى الحد الذي يجعل مهمة تصنيف الخطابات الرسائلية أمرا في غاية الصعوبة، لانفتاح هذا الجنس على غيره من الأجناس بصورة لا نجدها في أي جنس آخر.

إشكالية الأدبية:

يطرح الخطاب الرسائلي بحدّة مشكلة الأدبية، من وجهين، فهو لا يعَدّ ضمن الأجناس الأدبية جوهريا، أي تلك الأجناس القائمة على التخييل في التقاليد الغربية الممتدة من أرسطو إلى نقاد الأدب المعاصرين، وهوأيضا ذلك الخطاب الذي يتميّز بعدم وضوح الحدود بين أصنافه الأدبية (الأجناس الثانوية)، وأصنافه العادية (الأجناس الأولية).

أما الوجه الأول، فالأصل فيه أن التقليد الغربي القائم على التصنيف الأرسطي المعروف، لم يعترف بأدبية الرسالة، ونظر إليها على أنها مجرد كلام عادي ذي أغراض عملية، اضطر منتجه إلى إرساله عبر قناة الكتابة لتعذّر التواصل الشفوي المباشر، زيادة على خلوّه من عنصر التخييل الضروري لإحداث الإثارة التطهيرية، وهو ما يقوم على تمييز الأجناس الأدبية الجوهرية (الأجناس التخييلية)

(1)-صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص456

والأجناس غير الجوهرية (الأجناس غير التخييلية) التي لا تكتسب الصفة الأدبية إلا إذا اثبتت استحقاقها لها.[1] لذلك اقترح كثير من المعاصرين إعادة النظر في معايير التصنيف التقليدية، واستبدالها بمعايير أكثر علمية فـــ« إذا كان مجال التخييل يعدّ، في كل الأوقات، أدبياً بصورة جوهرية، فإنّ المجال الذي يقترح **جينيت** تسميته بالإلقاء، أي مجال الأدب القائم على معايير ثابتة، ينقسم في المقابل، إلى مجال أدبي جوهرياً هومجال الشعر "المنظوم"، ومجال آخر هو مجال الأجناس غير التخيلية المنثورة، والتي هي كذلك بطريقة مشروطة»[2]، أي أنها تصبح أدبية عندما تتوفر فيها شروط تتعلق أساسا بأسلوبها، وبإمكان توجهها إلى قارئ عام ضمن تعاقد توافق عليه المؤسسة الأدبية، ذلك أن « الأدب لا يختزل إلى التخييل ولا إلى أفعال خطابية غير جادة، صحيح أن أكثر أسماء الأجناس الشرعية للتقليد الأدبي الغربي تقوم على المجال اللعبي: علماً بأن بعض الأجناس غير اللعبية مثل الأدب الترسلي، والسيرة الذاتية، والتاريخ، قد دخل ضمن مجال الأدب».[3]

ولعل هذا التقليد الغربي في استبعاد الجنس الرسائلي من حظيرة الأجناس الأدبية، هوالذي أخّر الاعتراف به، وأدى بنقاد القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وعلى رأسهم **غ. لانسون (G .Lanson)**، إلى اصطناع الوجه الثاني من الاعتراض. يرى هذا الناقد أن الرسائل لا يمكن أن تكون أدبا لسببين؛ أولا: لتعذّر تصنيفها بسبب كثرة أنواعها واستعصائها على الإحصاء، مما يحول دون وضع قواعد لها ككل الأجناس الأدبية، وثانيا: لارتباطها المباشر

(1)-جان ماري شيفر: ما الجنس الأدبي؟، ص75-76
(2)-نفسه، ص60
(3) - نفسه، ص 76-77

بالشؤون العملية للحياة، يقول **غ. لانسون (G .Lanson)** بنبرة اعتراضية حادة: «الخطأ في استعمالنا للكلمة، إذ لا يوجد فن رسائلي، لا يوجد جنس رسائلي، على الأقل بالمعنى الأدبي لكلمة "جنس"».[1]

ولتجاوز هذه الإشكالية، يقدم **ج. م. أدام (J-M.Adam)** تصورا لكيفية إدراج رسائل الأدباء التي تستوفي شروط الأدبية ضمن دائرة التجنيس الأدبي للخطابات، مبيّنا أن مشكلة الأشكال الرسائلية الأدبية والتخييلية وما أبداه بعض الدارسين من تردد في تصنيف بعض مراسلات الأدباء، يمكن أن تفسر بالرجوع إلى الفكرة التي قدمها **م.باختين(M.Bakhtine)** حول التمييز بين أجناس أولية (بسيطة)وأخرى ثانوية (مركبة)، والتي اعتبرها "ذات أهمية نظرية كبرى". فالأجناس الثانوية، عند **م.باختين** كالرواية، والمسرح، والخطاب العلمي، والخطاب الإيديولوجي، تشترك في كونها نتاج ظروف تبادل ثقافي تغلب عليه الكتابة، والطابع الفني، والعلمي والاجتماعي السياسي؛ في حين تتحدد الأجناس الأولى بالطابع اليومياتي، وبعفوية الاستعمال اللغوي، أي بتدنّي درجة إتقان صياغتها، يقول **م.باختين**:«عندما تتعقد دائرة النشاط الاجتماعي (التشكيل الاجتماعي الخطابي) من حيث تنظيمها، تتعقد الممارسات الخطابية(الأجناس) التي تتطلبها»،[2] ويؤكد **أدام (J-M.Adam)** تصوره السابق بإيراد قول **أ.غريماس (A.Greimas)** : «لكي يعدّ التفاعل الرسائلي جنسا أدبيا، ينبغي (...) أن تخترق الحميميةَ التي تكون بالكاد منتهكة، عينٌ أجنبية؛ عينُ قارئ خارج المجال[التواصلي الأصلي]، وتحوّلها

(1)- Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p 39

(2)-Ibid, p 52

إلى مشهد، وإلى تمظهر خطابي»[1] وربما يكون هذا ما عناه **مانغونو** بمفهوم القراءة كتلفظ في إطار التعاقد الأدبي.

بهذه الصورة، كان الخلاف على أدبية الرسائل من وجهة نظر تجنيسية عند الغربيين قدماء ومعاصرين، أما عند العرب فلم تطرح هذه الإشكالية بالصورة نفسها، فمسألة الأدبية والتصنيف الأجناسي للخطابات الأدبية عند القدماء، لم يتم تناولها باعتبارها موضوعات ذات أولوية لعدة اعتبارات؛ منها أن الاعتراف بأدبية أي جنس من أجناس الكلام كان يتمّ حدسيا وعمليا كما حصل مع الشعر، ديوان العرب في عصور التأليف النقدي الأولى، وقد تجلّى ذلك في كثرة ما أُلِّف في الشعر من كتب نقدية. بلاغة الشعر وأدبيته هذه هيمنت على التنظير النقدي، فلم يُلْتَفت إلى النشر إلا قليلا، وعندما ظهرت الرسائل وانتشرت في شكلها الديواني، تم تقبلها في نطاق مقاماتها التواصلية، وكان لها من القيمة ما كان للخطابة قبلها؛ جنس من الكلام يؤدي أغراضا اجتماعية وسياسية في المقام الأول، ويوفر متعة فنية وإثارة انفعالية بعد ذلك، لا ترقى إلى ما يحققه الشعر المهيمن على الأذواق عهدئذ، ولولا أن قدَرَ الرسائل في تلك العهود شاء أن يقيّض لها طبقة من الكتاب الأدباء، لكان مصيرها مشابها لمصير الرسائل في الثقافة الغربية القديمة.

لم يحفل النقاد القدماء بتجنيس الرسائل إلا في حدود تمييز وظائفها التواصلية الاجتماعية، كما لم ينشغلوا بالبحث في أدبيتها، بقدر ما عنوا بوضع

(1)-Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p 52

القواعد والمعايير لكيفية كتابتها، فظهرت كتب[1]ألفت في ذلك، ككتاب ابن المدبر(ت279 هـ):"الرسالة العذراء في موازين البلاغة"، وكتاب ابن الصيرفي(ت 542 هـ):"القانون في ديوان الرسائل"، وكتاب شهاب الدين الحلي(ت 725 هـ):"حسن التوسل في صناعة الترسل"؛ أما المعاصرون فكانوا فريقين، فريق الدارسين الذين اتبعوا المناهج السياقية، ولا سيما المنهج التاريخي، وهؤلاء أنجزوا مهمة تحقيق التراث الرسائلي القديم وتصنيفه، والتعريف بأعلامه. أما دراسته من النواحي الأسلوبية، ومن ناحية التصنيف الأجناسي فقد عابه الكثير من القصور، ففي دراساتهم التي تناولوا فيها الأسلوب لم يصلوا إلى إبراز الخصائص الفنية المائزة للجنس الرسائلي، ومن ثم أخفقوا في بيان إسهامه في تطور النثر العربي القديم.[2] أما تصنيفهم للرسائل فكان عشوائيا، إذ «...التبس في أذهان نقاد الرسائل القديمة تاريخ كتابة الرسائل باعتبارها عملا تواصليا عاديا بتاريخ أدب الرسائل، فلم يتم التمييز بين تاريخ الأفكار وتاريخ الأدب »،[3] كما أهملوا في تصنيفهم المفاهيم المعاصرة كأجناس الخطاب وخصائص التلفظ، وجرّدوا الرسائل الديوانية والإخوانية من صفة الأدبية.[4] أما الفريق الثاني فقد توسل المناهج الحداثية، وحاول أن ينفض الغبار عن هذا الموروث الأدبي العظيم من خلال دراسات- لا تزال قليلة في عددها، جزئية في ما تشتغل عليه من قضايا- وضعت المعالم الكبرى للاهتمام

(1)- ذكرها صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم في كتابه :الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (انظر ببليوغرافيا هذا الكتاب، ص621_631)

(2)-صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص61

(3) - نفسه، ص ن

(4)- نفسه، ص64

بالجنس الرسائلي، ليأخذ حقّه من العناية كسائر الأجناس الأدبية، مثل الأجناس الشعرية، والأجناس النثرية السردية.[1]

(1)- نمثل لهذه الدراسات بالعناوين التالية: **التفاعل في الأجناس الأدبية:** مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة، لبسمة عروس؛ **الترسل الأدبي بالمغرب:** النص والخطاب، لآمنة دهري؛ **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج،رسائله نموذجا**، لسلمان علي محمد علي؛ **كتاب الإمتاع والمؤانسة ، بين سلطة الخطاب و قصدية الكتابة**، لوتيكي. مليكة ...الخ

في التصنيف الأجناسي التداولي لخطاب الرسائل عند الجاحظ

أشرنا فيما سبق إلى قضايا تتعلق بخصائص تجنيس الرسائل الأدبية الموروثة عن الكتاب العرب القدماء، ومن ضمنها رسائل الجاحظ التي يمكنها أن ترقي في هذا الباب إلى مرتبة الخطابات المؤسسة.[1] وهذه الخصائص في جملتها تمثل الثوابت المشتركة للجنس الرسائلي، من حيث هوخطاب ناتج عن مقامات تواصلية اجتماعية وأدبية، لها إكراهاتها التي تترك آثارها على مختلف مكونات الخطاب التلفظية والخطابية والنصية. ولا شك أن كل جنس رسائلي، بل كل خطاب رسائلي مفرد ينحو في هذه الجوانب إلى التميز، وإنجاز نوع من المفارقة والخرق لما تم التواضع عليه أجناسيا، دون أن يكون ذلك إخلالا بالتعاقد التواصلي الشامل من جهة، ولا بالتعاقد الأدبي الذي يربط القارئ بهذا النوع من الخطابات القائمة على التحادث الثنائي، وما يقتضيه من مرسل إليه معين في الأساس.

انطلاقا من هذا التصور نقارب رسائل الجاحظ من المنظور الأجناسي، لنتبيّن ما الذي يميزه من خصائص تلفظية مقامية، وخصائص تكوينية نصية، معتمدين على ما تقدم عرضه من المفاهيم النظرية في المبحثين السابقين.

1-السمات الخارجية المقامية لرسائل الجاحظ:

تسمية الرسائل وتصنيفها / مصدرالتسمية ودلالاتها:

نلاحظ في البدء أن تسمية المدونة التي نشتغل عليها باسم "الرسائل"تسمية

(1)- محمد مشبال :البلاغة والسرد- جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة عبد المالك السعدي، تطوان المغرب 2010، ص160

معطاة قبليا، وجدت مع النص الذي تعيّنه، وهي بذلك تلحق بأسماء **"الأجناس التاريخية"**،[1] التي تفرض علينا شروط البحث وملابساته الانطلاق منها، رغم ما يمكن أن تثيره من إشكالات، ورغم ما يمكن أن نبديه حولها من تحفظات. فالمطلع على رسائل الجاحظ، المتمعن في تنوع مضامينها وثرائها، المتوقف عند ملاحظات الكاتب نفسه حول خصوصيات مقاماتها،[2] قد ينتهي به الأمر إلى ترديد ما قاله لانسون عن رسائل الأدباء: «إنها أعمال ليس لها من الرسالة إلاّ الإسم».[3]

لا نريد بهذه الملاحظة الأولية حول اسم الجنس أن نثير جدلا حول التسمية في ذاتها، فكثير من الرسائل يصنفها بعض الدارسين تصنيفات مختلفة، تركّز على الموضوع والوظائف التواصلية والاجتماعية، بدرجات متفاوتة من الدقة والتوفيق،[4] بقدر ما نبدي الملاحظة لإثارة إشكالات أخرى لا تقل أهمية.

فإذا تجاوزنا التصنيف العام، وقبلنا به، فستصادفنا إشكالية تصنيف نصوص الرسائل في أجناس رسائلية فرعية. فقد تواضع الدارسون - خاصة أصحاب المناهج السياقية - على تقسيمات فرعية للرسائل تركّز على الموضوع، أو على الوظيفة الاجتماعية والثقافية، دون التفات إلى خصائص المقام التلفظي، ولا إلى المقاصد الخطابية المتصلة بالمقام الأدبي.[5] وينبغي أن نعترف بأن مهمة التصنيف الفرعي للرسائل ليست متيسرة، ولا سهلة الإنجاز، لما تتميز به الرسالة من طواعية لحمل

(1)- تقدم تناول هذا المفهوم في مبحث سابق، ص72 وما بعدها

(2)-يشير الجاحظ صراحة أحيانا إلى سبب كتابة الرسالة وملابساتها، كرسائل الاعتذار والاستعطاف والهجاء والنصح والتحريض على المشبهة، وتقديم الكتب التي ألفّها ...الخ

(3)- تقدمت الإحالة إلى المرجع في مبحث سابق، ص86

(4)- تصنف حسب الموضوعات إلى أدبية وسياسية وكلامية، وبحسب المقامات إلى مفاخرات، ومهاجيات، ومجادلات ...وهكذا

(5)- تنظر هذه التقسيمات في : صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص162

أجناس خطابية مختلفة، سردية، وحجاجية، ووصفية، وتفسيرية، إذا أخذنا فقط بمعيار الآلية المعتمد في تصنيف الخطابات،[1] بل إن الرسائل قد تُحْمَل في القصائد الشعرية، وتتعدد مكوناتها فيها، كما تتعدد وتتنوع في النثر، وهذا بالطبع يضخم المشكلة ويزيدها تعقيدا.

إلا أن الذي نريده هنا، هو الوقوف عند التصنيفات التي كانت رسائل الجاحظ موضوعا لها، وهي في الغالب تصنيفات لم تخصص لها دراسات تبرر منطلقاتها وأسسها، وإنما هي تصنيفات اعتمدت كمسلّمات، فحملتها عناوين الكتب التي نشرت فيها الرسائل مشروحة ومحقّقة، أو مشروحة دون تحقيق.[2] فهناك – مثلا- الاكتفاء بالتجنيس العام، كما فعل عبد السلام هارون في تحقيقه للرسائل، وهناك اعتماد التصنيف"الموضوعاتي" في كتاب علي بوملحم المكون من ثلاثة أجزاء، والتي تضمنت زيادة على اسم "**رسائل الجاحظ**"العناوين الفرعية **"الرسائل الأدبية"، "الرسائل الكلامية"، "الرسائل السياسية".**

يضاف إلى هذا تصنيفات نجدها في الدراسات التي تناولت أدب الجاحظ منفردا، أوضمن قضايا الأدب العربي القديم،[3]حيث تسمى الرسائل أحيانا باسم

(1)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص74

(2) - تنظر عناوين هذه الكتب في فهرس المصادر والمراجع، في : صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص342 وما بعدها

(3)-يتحدث **طه حسين** على سبيل المثال، عن رسالة التربيع والتدوير، باعتبارها نموذجا في الهجاء يتجاوز أفضل قصائد الهجاء (طه حسين: من حديث الشعر والنثر ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الخامس). ط 1. دار الكتاب اللبناني. بيروت- لبنان 1973))، ص:547. وهو الرأي الذي تتبناه **وديعة طه نجم** في مقالها المعنون(أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الأدبية) دون أن تحيل إلى طه حسين، بقولها: " أما الفن الذي طعم به الجاحظ النثر العربي في هذه الرسالة، فقد كان معروفا كفن من فنون الشعر لا النثر؛ وأعني به فن الهجاء. ولست أظن كاتبا سابقا على الجاحظ قد تعرض لهذا الفن نثرا، بل الشائع في الأدب العربي أن الهجاء فن من فنون الشعر" (مجلة كلية الآداب العراقية العدد الحادي عشر- حزيران 1968م)، ص141-142

الخطاب المستحضر الذي تحمله، توظيفا لمفهوم اللاتجانس الخطابي والأجناسي، أوما يسميه بعضهم تداخل الأجناس،[1] ومثال ذلك: رسائل المفاخرات، ورسائل النوادر (النادرة الرسائلية) وغيرها.

وإن كان لهذه الاختلافات من دلالة في سياق بحثنا هذا، فهي الدلالة التي تربطه بحوارية الخطاب الرسائلي وأصواتيته، فمقام الترسّل المجمع عليه في كل التصنيفات يسِم من خلال اسم الجنس"**الرسالة**"مقامَ تلفظ حواري ثنائي، وتعدد النعوت التي تلحقه حين يقرأ أصواتيا يحيلنا إلى ظاهرة مائزة لخطاب الرسائل الجاحظي، وهي خاصية التعدد الصوتي التي يتيحها التلفظ المزدوج بنوعيه: التلفظ الرسائلي، بين المتكلم (الجاحظ)ومخاطبه (المرسل إليه المعيّن أوغير المعيّن)، والتلفظ المحمول في جسم الرسالة، بين متلفظين ومتلفظين مشاركين، أومتلفظ لهم، يتعددون بحسب الرسالة المعنية بالدراسة.[2]

إكراهات المقام /الكتابة اختيارا لا اضطرارا:

عرفنا فيما تقدم أن التفاعل الرسائلي تفرضه إكراهات التباعد المكاني وتعذر التفاعل المباشر،[3] غير أن الحالة التي تمثلها رسائل الجاحظ تمثل خرقا لهذه القاعدة، فرسائل الجاحظ لم تتوسل قناة الكتابة، لافتقاد الفضاء التواصلي الشفوي، بل لجأ الجاحظ إليها اختيارا، في إطار التأسيس لنوع من

(1)- يعتمد صالح بن رمضان: هذا المصطلح بديلا عن مصطلح اللاتجانس الأجناسي، ينظر: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص411 وما بعدها

(2)- في الفصول المخصصة للتحليل الأصواتي الخطابي سنتناول هذه المسائل بتفصيل أكبر، ص241-317

(3)- تقدّم تناول هذه المفاهيم في مبحث سابق، ص 88 وما بعدها

التخاطب الكتابي يكون موازيا ومنافسا للتواصل الشفوي الـــذي تمثلـــه الخطابـــة، ولاسيما خطابة المناظرات والمفاخرات، فقد حتم المقام التواصـــلي الـــذي اختـــاره الجاحظ أنْ يعمد إلى توسل الرسائل، أي الكتابة، إذ اســـتقر لديـــه الـــوعي وهـــو يمارس التواصل كتابيا بأفضلية الكتابة على المشافهة.[1]

يقول مبررا لجوءه إلى الكتابـــة الرســـائلية: «*... علـــى أن قـــراءة الكتـــب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم، إذ كـــان مـــع التلاقـــي يكثـــر التظـــالم، وتفـــرط النصرة، وتشتد الحمية، وعند المواجهـــة يفـــرط حـــب الغلبـــة، وشـــهوة المباهـــاة والرياسة، مع الاستحياء من الرجوع، والأنفة من الخضـــوع، وعـــن جميـــع ذلـــك تحدث الضغائن، ويظهر التباين، وإذا كانت القلوب علـــى هـــذه الصـــفة وهـــذه الحلية، امتنعت من المعرفة، وعميت عن الدلالة*»[2]

يبين لنا المقتطف السابق كيف أن الجـــاحظ يبتـــدع هـــذا النـــوع مـــن الكتابة، فيؤسس نصا أعلى لم يسبقه أحد في وضـــع أسســـه وتحديـــد تقاليـــده وطقوسه،[3] ويُرْكِبُه الرســـالةَ وهـــي كـــل المتـــاح يومئـــذ كســـند لحمـــل المكتوب، مما حدا ببعض المعاصرين إلى تصور صلة قرابـــة بينـــه وبـــين فـــن

(1)-محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين. ط4. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1994، ص: 234-235

(2)- الجاحظ: رسالة الفتيا، ضمن الرسائل الأدبية، ت وش علي بوملحم، د ط، دار مكتبة الهلال، بدون تاريخ ص:248. ويورد الجاحظ هذا القول بنصه تقريبا في الحيوان، تح : عبد السلام هارون ج1، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر-القاهرة 1965، ص 84-85

(3)- صالح بن رمضان: أدبية النص النثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة-تونس 1990، ص205

المقال الأدبي،[1](*) كما يشهد هذا النص - حين نُصِرّ على استنطاقه والتحاور معه - على ظاهرة أخرى عرفها عصر الجاحظ، وهي التدافع القوي بين بلاغة الشعر، وبلاغة الكتابة، أولنقل بين ثقافة المشافهة وثقافة الكتابة.[2] (**)

يسجل صالح بن رمضان ملاحظة مهمة في هذا السياق، وهي أن المشافهة اعتدت على الكتابة اعتداء سافرا عندما راحت تحوّل مكتوب الرسائل إلى مرويات شفوية، أدّت إلى إفقادها سمةً جوهرية من سماتها، وهي الموثوقية والبقاء على مر الأزمان.[3]

وقد نتج عن مقام التلفظ الاختياري آثاراً مقامية تلفظية، تجلت في تعدد المخاطبين (المرسل إليهم الحقيقيين) بهذه الرسائل، وهم في الأغلب الأعم من الوزراء ورجالات الدولة[4] الذين كانت تربط الجاحظ بهم علاقة صداقة، أوعلاقة

---

(1)-محمد يوسف نجم: فن المقالة، سلسلة الفنون الأدبية-1، ط4، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت –لبنان (د ت)، ص17-24

(*)- يذهب **جاك روجو** المذهب نفسه في تقريب فن الرسالة من المقال، مؤكدا أن " هناك رسائل أخرى ... تقوم مقام الجرائد، وكان هذا النوع كثيرا في الوقت الذي كانت فيه الجرائد نادرة خالية من الطُّرَف، إن أهم مثال مشهور عن هذا النوع هو بعض رسائل السيدة دي سيفينييه De sévigné ويمكن أن نقرن بهذا النوع بالرغم من اختلاف النبرة تلك الرسائل التي تتناول موضوعات طريفة إخبارية، لكن تكون على طريقة سينيكا-Sénèque تتناول أيضا قضايا فلسفية وعلمية وروحية الخ...فتظهر بطريقة ما كمقالات في مجلة علمية" (جاك روجو Jacques Rougeot: الأدب الترسلي، ضمن :نخبة من الأساتذة: الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، (د ط)، طلاس للدراسات والترجمة و النشر، دمشق –سوريا(د ت))، ص220

(2)- مصطفى ناصف: محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1997، ص56-57

(**)- الاعتداد بالمشافهة والقول بهامشية الكتابة وأضرارها، ليس حكرا على الثقافة العربية القديمة. يشير ريكور إلى وجود هذه الدعاوى في الثقافة الغربية عند أفلاطون وسقراط قديما، و عند روسو و برغسون في عهد أقل قدما. ينظر: ريكور.بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر:سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء- المغرب 2006، ص73-75

(3)- صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص45

(4)- لم يكن توجيه الرسائل إلى هؤلاء إرسالا بالمعنى الدقيق المتعارف علية في التفاعل الرسائلي الذي يخضع لمقام اضطراري، بل كانت إهداء في الغالب.

ولاء إيديولوجي سياسي لبني العباس حلفاء المعتزلة؛ أو ممن كانت علاقتهم به سيئة، كأحمد بن عبد الوهاب، وفئة الكتاب بصورة عامة. (1)

هذا في المستوى التلفظي الأول الذي أنتج التفاعل الرسائلي كفعل كلامي كلّي، أما في المستوى التلفظي الثاني الذي يُحمَل عادة في جسم الرسالة، ويكوّن موضوعها، فيقوم الجاحظ بمشهدة تفاعل آخر، قد يكون هو مسؤولا عن التلفظ فيه، وقد يسنده إلى متلفظ آخر، وعندها تدلّنا الواسمات الأصواتية على علاقة الجاحظ بملفوظات الآخرين الذين تم استحضارهم في خطاب الرسائل.(2)

والطريف في رسائل الجاحظ أنه - وبفعل المقام الاختياري للتلفظ الرسائلي - لا ينسى أن يخاطب القارئ من خلال الخطاب الواصف، وهو مستوى تلفظي آخر يسِم اللاتجانس الخطابي في الرسائل، فيوجهه، ويعطيه حقا مقرّرا في تلقّي الرسالة، ويبرئه من تهمة التطفّل عليها، كما قد يحدث في الرسائل الحميمية (الإخوانية) التي أنتجها الأدباء.(3)

لاتجانس الخطاب الرسائلي بين الأصواتية والحوارية:

يتم التمييز بين مفهوم الحوارية ومفهوم الأصواتية عادة عند المشتغلين بالدراسات التداولية المهتمة بظاهرة اللاتجانس الخطابي، لأن الحوارية وهي مفهوم

(1)- تعكس رسالة التربيع والتدوير ورسالة في ذم أخلاق الكتاب، العلاقة السيئة للجاحظ بهذه الفئة، لأسباب نجدها مفصلة في الكتب التي عنيت بالجانب السيري التاريخي لآثار الجاحظ. ينظر: علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص 70-71

(2) - نحيل هنا ضمنيا إلى مفهوم كفالة التلفظ الذي سنوظفه لاحقا في الفصول التطبيقية، ص289

(3) - في هذا النوع من الرسائل لا يكون التعاقد الأدبي مع القارئ العام واضحا، ولا تتم شرعنته إلا عبر موافقة صاحب الرسالة، أوتصرف أهله، أوالمؤسسة الأدبية، إذا تقادم الزمان. (ينظر رأي ج.م.ادام في المسألة، ص97-98 من هذا البحث)

وضعه **م.باختين(M.Bakhtine)** لها مدلول خطابي اجتماعي وثقافي، فهي تهتم برصد مظاهر حمل الخطاب الواحد لخطابات متعددة، على مستوى الإحالة السياقية المقامية، ولا تهتم بوسمها في ملفوظات النص، بينما تهتم الأصواتية -ولا سيما اللسانية- التي وضع أسسها أ. **ديكرو(O.Ducrot)** برصد واسمات الأصوات اللغوية على مستوى الملفوظات. لذلك تعنى الأولى بالخطاب المستحضر، وبالتشكيلات الخطابية المستعادة في النص في شكل اعتقادات ومعارف مشتركة، في حين تعنى الثانية أكثر بالمضمرات، والافتراضات المسبقة، ووجهات النظر الثاوية في الملفوظات، كالملفوظات المنفية، والأسئلة البلاغية، وتلك المتضمنة في الجمل المركبة القائمة على الربط السببي أوالاستنتاجي، أوالإضرابي... وغيرها.[1]

تغتني الرسائل بالتمظهرات الحوارية والأصواتية، وسواء اعتمدنا المنظور الحواري، أو الأصواتي فسنكون أمام العديد من الملفوظات والمقاطع النصية الملائمة للدراسة الحوارية-الأصواتية، التي ستكشف لنا تجذر خاصية اللاتجانس الخطابي والأجناسي في رسائل الجاحظ، ممثّلةً في الاستحضار الصريح المُظْهَر لخطابات آتية من مصادر وآفاق شتى، يلتقي الشاهد القرآني والحديثي فيها بالشاهد الشعري، وبالمشهورات الأمثالية والحكمية... وغيرها. كما يلتقي بالخطابات المضمرة المستعادة بمضامينها لا بنصّها، في صيغ متنوعة تبدأ بالملفوظ، وتنتهي بالمقاطع النصية. ويغلب على محمولات الرسائل من الخطابات الطابع الحواري السجالي بين المتناظرين المنتمين إلى جماعات اجتماعية أو سياسية، أومذهبية، أومهنية متباينة، تعكس الصراع الذي كان قائما في المجتمع العباسي، فيصبح الخطاب الجاحظي ـــ

(1) - فصلنا القول في مفهوم الحوارية والتعدد الصوتي وما يرتبط بهما من مفاهيم فرعية في الفصل المدخلي، ص45-69

كما يقول **م.باختين(M.Bakhtine)**[1] _ بتنوعه، وتعقده الخطابي والتكويني، وضجيج الأصوات الذي يسكنه، صورةً لذلك الصراع.

السمات الداخلية للخطاب الرسائلي عند الجاحظ:

أشرنا فيما تقدم إلى طغيان المشافهة على الكتابة في عصر الجاحظ، وما تعرضت له نصوص الرسائل من تضييع وبتر وتصحيف،[2] وهو ما يملي علينا التحفظ في إصدار أحكامنا المتصلة بالبنية التكوينية للرسائل، خاصة حين نفحص تخطيطها النصي، أو أقسامها، لكننا نستطيع القول إجمالا إنّ رسائل الجاحظ لم تخرج في العموم عن التقليد الترسلي العربي الذي كان يولي عناية كبيرة لأقسام الرسالة الثلاثة: الصدر، والمتن، والاختتام، وإن كانت بحكم الطابع الخطابي الحجاجي الذي غلب عليها قد راعت من حيث بناؤها التركيبي والمعجمي والدلالي صور المتخاطبين المتنوعة، فكانت كل رسالة متميزة بخطتها التي تكفل لها تأدية وظيفتها العامة، من خلال عقد تخاطبي يتحكم فيه السعي إلى استمالة المخاطب

(1)- تزفيتان تودوروف :ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ص133-134 و140

(2)- يشير صالح بن رمضان إلى العدد الكبير من الرسائل التي لم تصلنا، وإلى ضياع النسخ الأصلية للرسائل التي بين أيدينا، و يبين كيف أن التقليد الشفوي الذي كان مهيمنا فرض على هذه النصوص أن تحول إلى مرويات قبل أن يعاد تدوينها كما دون الشعر وسائر الآثار التي كانت تتناقل مشافهة (ينظر: صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص32 و45).و خلافا لهذا الرأي، يتأرجح محمد الشريف القاضي بين القول بوجود تعايش بين المشافهة والتدوين، وبين الإشارة إلى صراعهما و محاولة كل منهما القضاء على الآخر. و لكنه لا يشير إلى ظاهرة فقدان أصول الآثار المكتوبة كالرسائل، والاضطرار بعد ذلك بزمن إلى استحضارها عبر الذاكرة وتدوينها على يد نساخ، منهم من لم يعاصر كتاب هذه الآثار. (ينظر: محمد القاضي الشريف :الخبر في الأدب العربي، ص160). والحق أن قضية موثوقية الرسائل أصبحت موضوعا مثيرا للاهتمام عند المعاصرين في إطار البحوث الداخلة في حقل نقد النصوص، والمثال الذي نضربه هنا هو البحث المعنون " نحو منهج سليم في قضية موثوقية الرسائل العربية الإسلامية المبكرة "للباحثة وداد القاضي التي تطرح جملة من الأسئلة، منها قولها:" ...فهل الصورة التي جاءت عليها الرسائل العقيدية في القرن الثالث هي نفسها الصورة التي بها كتبت أول ما كتبت في القرن الأول و أوائل القرن الثاني؟" ضمن:في قراءة النص الديني (سلسلة موافقات)، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1990 ص157-158

وإقناعه. [1]

تصرّف الجاحظ في أقسام الرسالة:

لا تخلو رسائل الجاحظ من مظاهر متعددة للانزياح عن النموذج العام القاعدي الذي اقترحه **ج. م. أدام(J-M.Adam)** لأقسام الرسالة،[2] ولا عن النموذج الشائع في التقليد الترسلي العربي، خاصة في الصدور والخواتم، فهي من جهة تشترك مع الموروث الرسائلي العربي في غياب الافتتاح والاختتام المذكورين في التخطيط النصي الذي جاء به **أدام**، واللذين يتضمنان على التوالي تسمية المرسل وعنوانه وزمان الرسالة في الافتتاح، وإمضاءها في الاختتام، ومن جهة أخرى تتزاح عن النموذج الرسائلي العربي الذي قنّنه منظرو كتابة الرسائل القدماء، في جوانب عديدة تتعلق بالافتتاح والاختتام وما يتضمنانه من صيغ الدعاء وضمائر الخطاب، وطرق التخلص من قسم إلى آخر.

فلو تناولنا صيغ الدعاء في الصدور والخواتم لألفينا الجاحظ يتصرف فيها بما تقتضيه إكراهات المقام الترسلي ومقاصده، فقد عدَل الجاحظ عن الصيغ النمطية التي وضعها منظروكتابة الرسائل، والتي راعوا فيها المراتبية الاجتماعية للمخاطب

(1) - صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص310

(2)-يشير **ج. م. أدام** (Adam. J-M) وهو يحلّل البنية التكوينية للشكل الرسائلي إلى التقليد القروسطي الأوربي، الذي يهيكِل الرسالة ضمن خمسة أقسام:التحية Salutatio، الاستمالة الطوعية Captatio benevolentiœ، السرد/العرض Narratio، الطلبPetitio، الخاتمةConclusio، ثم يعقبه بعرض التقليد الكلاسيكي الغربي الذي يجعلها ثلاثة فقط:الاتصال بالمرسل إليه، عرض الموضوع ومعالجته، وإنهاء الرسالة(ينظر:

Adam. J-M: ،Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse (pragmatique des pratiques discursives،p42

وتعتمد آمنة دهري تقسيما خماسيا مشابها لهذا، تضمِّنه: الاستفتاح، الصدر، الانتقال، الموضوع،الاختتام؛ مشيرة إلى قسم سادس يمكن الاستغناء عنه، وهو التاريخ والختم(ينظر: دهري آمنة، الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، ص36)

وعلاقة المرسل به،[1](*) إلى صيغ أخرى رآها أوفى بأغراض المقام وخصوصياته، ومثال ذلك عدوله عن استعمال صيغة "جعلت فداك " في **رسالة الجد والهزل**، حيث يقول مخاطبا ابن الزيات:« *جُعِلْتُ فدَاك، ليس من أجل اختياري النَّخْل على الزرع أقصَيْتَني، ولا على ميلٍ إلى الصَّدَقة دون إعطائيَ الخراجَ عاقبَتَني...*».[2]

فالأصل في هذه الصيغة ألاّ تستعمل في مخاطبة الأعلى مرتبة من الوزراء والأمراء، ورجالات الدولة، أولياء الأمور والنعمة، لكن الجاحظ وظفها هنا للتعبير عن مقام تحولت فيه العلاقة بينه وبين مخاطَبه، الذي كان صديقا له قبل أن يكون وزيرا.[3]

وقد يملي على الجاحظ المقام الترسلي الاستغناء عن الافتتاح كليا، خاصة إذا ارتبط ذلك المقام بالهجاء وما يستلزمه من محاجة للمخاطَب، والمسارعة إلى الحملة عليه، كما فعل في رسالة التربيع والتدوير التي تناول فيها هجاء أحمد بن عبد الوهاب، إذ تبدأ الرسالة بما يلي:« *كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القِصَر، ويدّعي أنه مفرط الطُّول*»[4] وهو ابتداء خال من طقوس الابتداء المعروفة، يلج به

(1)-أجمع على ذلك منظرو الكتابة القدماء. يقول أبوهلال العسكري في تبيان طريقة مخاطبة المراسلين:"...و أن تعرف مقدار المكتوب إليه من الرؤساء و النظراء و الغلمان والوكلاء، فتفرق بين من تكتب إليه بصفة الحال وذكر السلامة، وبين من تكتب إليه بتركها إجلالا وإعظاما، وبين من تكتب إليه: أنا أفعل كذا، وبين من تكتب إليه: نحن نفعل كذا؛ "فأنا" من كلام الإخوان و الأشباه، و"نحن"من كلام الملوك" العسكري.أبوهلال :كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربيةعيسى البابي الجلبي وشركاه، القاهرة1952ص158-159"

(*)- لا يقع العدول عن الصيغة النمطية دائما، فقد أحصى علي محمد علي سلمان ثلاث عشرة عبارة دعائية في رسالة"نفي التشبيه" الموجهة إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد "كلها تدور حول معنيين مناسبين للمقام العام للرسالة من جهة، وللمخاطب من جهة أخرى"(كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجا)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيرون –لبنان 2010ص 199-200)

(2)- ضمن الرسائل الأدبية، ص327

(3) - علي بوملحم: رسائل الجاحظ (الرسائل الأدبية)، تقديم الرسالة، ص63

(4)- ضمن الرسائل الأدبية، ص 431

الجاحظ إلى الهجاء مباشرة، متوسلا الوصف كما هو ظاهر في الشاهد.

أما الخواتم فقد جرى فيها الجاحظ على تنويع صيغ الدعاء وغيره من عبارات الاختتام، فربما عمد فيها إلى الالتفات من مخاطبة المرسل إليه إلى مخاطبة عموم القراء كما جاء في رسالة التربيع والتدوير في قوله:« *خفِّضْ عليك أيّها السامع، فإن الخطأ كثير غامر(...)والصواب قليل خاص، ومقموع مسْتَخَفّ (...) فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول(...)*»[1] وقد جاء هذا الختام منسجما مع متن الرسالة، إذ خرج من ذم مخاطبه إلى ذم الزمان الذي جمعه به،[2] كما يصح اعتباره ختاما تعليقيا على المتن، ومن هذا النوع الأخير يمكننا أن نورد المثال التالي من رسالة الشارب والمشروب:« *وقد كتبت لك في هذا الكتاب ما فيه الجِزَاية والكفاية، ولو بسطت القول لوجدْتَه متّسعا، ولأتاك منه الدَّهْم، وربما [كان] الإقلال في الإيجاز أجدى من إكثار يخافُ عليه الملل(...)فجعلت الهزل بعد الجد جِماما، والمُلْحة بعد الحُجّة مستراحا*»،[3]وليس في هذا الاختتام تعليق على المضمون أوتلخيص له، أواستنتاج تُهُدِّي إليه، بل فيه تعليق على خصائص الخطاب البلاغية خاصة.

وفي بعض الرسائل لا يكون للاختتام من هدف سوى تجويد صياغة العبارات الختامية مع تضمينها حكمة مناسبة لإحداث الأثر الانفعالي المنشود في

(1)-ضمن الرسائل الأدبية، ص490
(2) - صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 320_321
(3)- ضمن الرسائل الأدبية، ص287

المخاطب، وهو ما يعرف في بلاغة الخطابة بالباتوسPathos،[1] وأمثلته في رسائل الجاحظ كثيرة، نورد منها قوله في خاتمة رسالة في مناقب الترك «*ولوكان هذا الكتاب من كتب المناقضات(...)لكان كتابا كبيرا، ولكن القليل الذي يجمع خير من الكثير الذي يفرق*» استعمل الجاحظ موضعا عاما اعتبره أرسطو صالحا لجميع الأقيسة الخطابية، وهوموضع الأقلية والأكثرية.[2]

الخطاب الواصف[3]والعناية بالقارئ العام:

عرف الجاحظ في كل خطاباته بتضمين الخطاب الواصف، وسمي ذلك استطرادا، أو توسّعا، أوخروجا عن الموضوع، ونظر بعض الدارسين إلى ذلك بكثير من الارتياب في قدرة الجاحظ على التأليف، فعدوه قصورا منهجيا، وقلة تحكم في سيرورات التحليل والتدرج في معالجة الموضوعات.[4]

وهذا ما يكشف لنا عن صورة متكلم /كاتب «يعرض على الناس مشهد إيطوس إنسان منتبه إلى خطابه »[5]يسوس القول فيه بما يُيَسّر التفاعل مع المخاطَبِين الذين يتوجه إليه، أيّاً كانوا، وأينما كانوا.

---

(1) – يحيل هذا المصطلح الذي يعني"فيض انفعالي" إلى توسل استراتيجيات خطابية تثير الانفعال، لحمل المخاطب على الاقتناع دون الاعتماد على الحجج العقلية، أو زيادة عليها. ينظر: ب .شارودوود، د. مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص413-414

(2)- صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص323

(3)- يعرفه ب. شارودو ود. مانغونوفي **معجم تحليل الخطاب**، بأنه تعليق المتكلم على تلفظه الخاص، ويمثل هذا "عدم تجانس تلفظي، فالملفوظ يقيّم نفسه ...في الوقت الذي ينجَزُ فيه ملتمسا تأييد المشارك في التلفظ" ومن أمثلته :إن جاز القول، بتعبير آخر، الأصح أن أقول...الخ، وله عدة وظائف منها : التصحيح الذاتي، التصحيح للغير،" إبراز عدم ملاءمة بعض الكلمات ...إلغاء مسبق لخطأ تأويل ...الاعتذار...إعادة صياغة قول..."(ص 362)

(4)- لاحظ ذلك المسدي، ينظر: قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت-القاهرة1993، ص: 103، 111

(5)- ب. شارودو ود. مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص362

لا نريد الوقوف مطوّلا عند مقاطع الخطاب الواصف الموجَّهة إلى المرسل إليهم المعنيين، الذين كشف الجاحظ أو الروايات عن أسمائهم، أوالذين لم يكشف عن أسمائهم، فذلك نوع من التفاعل طبيعي، وأَدْعَى إلى أن يكثر اللجوء إليه في التفاعل الرسائلي، طلبا لتعويض المؤثرات المكانية والزمانية المفقودة، والمؤثرات غير اللغوية المتعذر إظهارها في فضاء الكتابة.

فمن أمثلة ذلك ما يرد كثيرا في الصدور والخواتم وأحيانا في المتون من مخاطبة للمرسل إليه للتعليق على التلفظ، ومنه في رسالة "فصل مابين العداوة والحسد"، قوله يبين قيمة الرسالة نفسها لمخاطَبه (المرسل إليه المعين ومن ورائه القارئ العام): «*هذا كتاب - أطال الله بقاءك - نبيل بارع، فُصِل فيه بين الحسد والعداوة، ولم يسبقني إليه أَحَدٌ...* »[1].ويتضح في هذا الخطاب الواصف نزوع الجاحظ إلى تهيئة القارئ وتحفيزه على الاهتمام بالرسالة. والوظيفة التي أداها هنا هذا الخطاب هي تقييم التلفظ إيجابيا، بقصد استثارة باتوس القارئ، وشدّه إلى الخطاب.

الأصل في الرسائل التحادث الثنائي- كما مرّ بنا في موضع سابق - لكن ممارسات كتاب الرسائل ومنهم الجاحظ قد تخرق المواضعة التي يفرضها التعاقد الشامل الافتراضي، عند التحول إلى مقام الترسُّل الأدبي، فالجاحظ مارس الكتابة الرسائلية اختيارا لا اضطرارا.[2] وكان من مقاصده أن يوجّه الخطاب إلى عامة القراء عبر المرسل إليهم المعنيّين في نصوص رسائله، سواء عيّنهم بأسمائهم أم أغفلها.

(1)- ضمن الرسائل الأدبية، ص367

(2)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث متقدم من هذا الفصل، ص104 وما بعدها

ويبرز هذا التوجه في صورتين على المستوى النصي في كثير من رسائل الجاحظ، وخصوصا في تلك الرسائل التي تتناول شأنا عاما من شؤون السياسة أوالدين أو الاجتماع، فنراه يفتح خطاب الرسالة ليتنزّل فيه خطاب واصف يحاور فيه القارئ، أوينبهه، أويعلق فيه على تلفظه هو، أوتلفظ من يستحضرهم في فضاء الخطاب الرسائلي.

أما الصورة الأولى فهي المخاطبة بضمائر الخطاب أوالغياب مع وجود القرينة الدالة على تحويل الخطاب من المرسل إليه المعيَّن إلى القارئ، ومثاله قول الجاحظ في خاتمة رسالة "المسائل والجوابات في المعرفة":« *ولولا أنّ هذا كلام لم يكن من ذكره بُدٌّ لأنه تأسيس لما بعده ومقدمة لما بين يديه وتوطئة له، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضابا، ولكن يمنعني عجز أكثر الناس عن فهم غايتي فيه إلاّ تتريله وترتيبه* »[1]. وأما الصورة الثانية فيوظف فيها كلمة "قارئ" للدلالة على إشراكه في تلقي الرسالة،[2] ومن ذلك الشاهد التالي من خاتمة رسالة "الشارب والمشروب": « *...فخلطت لك جدًّا بهزْل، وقرنْتُ لك حُجّة بمُلحة، لتخِفّ مؤونة الكتاب على القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع*»[3]

هذا عن تعيين المخاطب ضمن الخطاب الواصف، أما محتواه فيتنوع بحسب موضوع الرسالة ومقامها التواصلي، أوالأدبي، في إطار التنوع الذي يمكِنُنا أن

(1)- ضمن الرسائل الكلامية، ص120

(2)- أمثلته كثيرة في الرسائل، ومنها قوله : " وقد ذكرنا في آخر كتابنا هذا مقطّعاتٍ من أحاديث البطّالين والظُّرفاء ليزيد القارئ لهذا الكتاب نشاطا ويذهب عنه الفتور والكلال ولا قوّة إلا بالله، "كتاب مُفاخرة الجواري والغلمان، ضمن الرسائل الأدبية، ص185؛ وقوله: " وهذا بابٌ لولا أن نشغل القارئ لهذا الكتاب بغير ما قصدنا إليه وعزمنا عليه لأتينا عليه "كتاب كتمان السر وحفظ اللسان ضمن الرسائل الأدبية، ص109

(3) - ضمن الرسائل الأدبية، ص287

نتصوره لنصٍّ يُقرأ في أمكنة وأزمنة متعددة ومتباينة.

ففي الشاهدين أعلاه تعليقات على الخطاب المحمول في متن الرسالة، تندرج ضمن مستوى حواري يتفاعل فيه المتكلم -الكاتب مع المتكلّم له - القارئ حول إكراهات الخطاب المقامية التلفظية من جهة، والنصية الخطابية من جهة ثانية. ويؤكد هذا مرة أخرى ما تقدمت الإشارة إليه من أن الخطاب الرسائلي عند الجاحظ يتجاوز التعاقد الشامل الذي نادى به **شارودو(P. Charaudeau)**، إلى تعاقد أدبي له اشتراطاته الخاصة التي يحكمها مقام الترسل الأدبي ومقاصده، فيكون النص بذلك مفتوحا مُهيّأً لاحتضان القراءات المتعددة من حيث الزمان والمكان ووفرة التأويلات، ككل النصوص الأدبية.

نظام التأشيريات الشخصية :

يعكس نظام التأشيريات الشخصية الإكراهات المقامية والخطابية التي أحاطت بإنتاج الرسائل، فخضع استعمالها لاعتبارت متنوعة تتعلق بالإيطوس[1] الخطابي للمتكلم، ومراتبية المخاطبين، والعلاقة الاجتماعية والعاطفية القائمة بينهم، ومقصدية المتكلم-الكاتب، والانزياحات الأجناسية التي عرف بها الخطاب الرسائلي عند الجاحظ. لذلك سنعرض لفحص هذا النظام من منظور التركيب الزوجي:متكلم/مخاطَب، فاستعمال الضمير لتعيين المتكلم، لا ينفك وظيفيا وتداوليا عن استعمال الضمير الذي يناسبه لتعيين المخاطَب، مما يتولد عنه في حالات كثيرة

(1)- تعريب لمصطلح Ethos، وهو "مأخوذ من الخطابة القديمة" و"يشير إلى صورة الذات التي يبنيها المتكلم في خطابه ليمارس تأثيرا في المخاطب". (ب .شارودوود، د. مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص230)

خروجٌ عن المواضعات والقواعد التي وضعت للكتابة الرسائلية في هذا الجانب بالخصوص، وهي الحالات التي سنمثل لها، ونحاول تفسيرها فيما يلي.

يعيّن المتكلم-كاتب الرسائل نفسه غالبا بضمير المفرد، خاصة عندما يتوجه إلى مرسل إليه معيّن، ومثال ذلك قوله في رسالة الحكمين: «...*وقد كنت حذّرتك، يا ابن حسان،(1) أمورا، فكأني أغريتُك بها، وآنستُك بأمور، فكأني أوحشتُك منها...*»[2] وقد يفسّر ذلك بتوجيه الخطاب إلى شخص معيّن سماه الجاحظ في نص الرسالة، فكان هوالمخصوص بالخطاب دون أن يمنع ذلك من انفتاح النص ليغشاه القارئ العام.

وفي رسائل المفاخرات الأخرى يعيّن الجاحظ نفسَه بضمير الجماعة، ففي رسالة العثمانية التي يبدو صدرها مبتورا، والمخاطب فيها غيرَ معيّن. نقرأ: «*ثمّ إنّا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإيّاه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله*»[3]. ويتكرر ذلك في ختام الرسالة الطويلة، حيث يبرز ضمير الخطاب المفرد محيلا إلى مرسل إليه غير معيّن، قد يكون شخصا تاريخيا بعينه، كما قد يكون القارئ العام، يقول: «...*ولولا أنّ فيما قدّمنا غنى عما أخّرنا لقد فسّرنا كما أجملنا...، فاحذرْ حوادث الدهر، واتصال المشاكلة ...*» [4]

ولم نعثر في الرسائل على حالات عيِّن فيها المخاطب بضمير الغيبة، إذا

(1)- ابن حسان هوالشخص الذي وجهت إليه الرسالة، وهومن أنصار العثمانية، كان معتزليا ثم ترك الاعتزال كما جاء في متن الرسالة (ينظر تعليق علي بوملحم على الرسالة، ضمن الرسائل السياسية، ص401)

(2)- ضمن الرسائل السياسية، ص339

(3) - نفسه، ص 129

(4)- نفسه، ص327

استثنينا رسالته في ذم أخلاق الكتاب، حيث كان الكتاب معنيين بخطاب الهجاء الموجه إليهم، ومع ذلك غيّبهم الجاحظ إمعانا في تحقيرهم وذمهم، و لم يرض إلا بمخاطبتهم عبر وسيط، فكان التلفظ بهذه الصورة هجاء في حد ذاته.

وهناك حالات لا يلتزم فيها الجاحظ بصورة واحدة في استعمال الضمائر، فينوّعها عادلا من المفرد إلى الجمع، ومن الجمع إلى المفرد، مما يحتّم علينا أن نبحث عن تفسير لهذه الظاهرة، على المستوى التلفظي، وما يرتبط به من إكراهات. فإذا فحصنا النظام التأشيري الضمائري في "رسالة التربيع والتدوير"، وجدنا الجاحظ يستخدم ضمير المتكلم المفرد في مواجهة ضمير المخاطب المفرد، عندما يكون في مقام التحدّي القائم على توجيه الأسئلة العلمية: «حدّثني كيف *رأيت الطوفان؟*»[1]، «خبّرني *كيف صار الماء أبعد من الفلك ...* »[2]. وفي مقام فضح الصفات يستخدم الجمع مقابل المفرد: «*فلمّا طال اصطبارُنا حتى بلغ المجهودَ منا ...*»[3]وفي موضع آخر « *يا عمّ ِلَمِ تحملُنا على الصدق، ولِم تجرّعنا مرارة الحق ...*»[4] فكأنما يشاركه في الشهادة على تلك العيوب جمعٌ من الناس.

و في "رسالة الأوطان والبلدان"، يعدِل إلى ضمير الجمع في المتن بعد أن استعمل ضمير المفرد في الصدر، ومثاله: «*ونحن وإن أطنبنا في ذكر جملة القول...*»[5]ويعقبه في موضع آخر: «*ونحن قد ندخل دجلة في الأسحار ...*،

(1)- ضمن الرسائل الأدبية، ص443
(2) - نفسه، ص 445
(3)- نفسه، 432
(4)- نفسه، ص 442
(5)- نفسه، ص 102

ولسنا نشك أنّ أناسا ينتابون المواضع...»[1] وقد يفسّر هذا بالتعبير عن إيتوس رجل المعرفة الملمّ بالموضوعات، المؤهل لتعليمها للناس وتفسيرها لهم، وقريب منه مقام التكلم باسم الجماعة أوالمذهب، كما نجد في كتاب القيان: «*وقد كنا ممسكين عن القول بحُجتنا فيما تضمّنه كتابنا هذا ...*»[2]

كما يتحول الجاحظ أحيانا من التكلم بضمير المفرد في الصدر، إلى ضمير الجمع في الخاتمة، نجد ذلك في رسالته "في ذم أخلاق الكتّاب"، يقول في مقدمتها: «*قد قرأت كتابك ومِدْحَتَك أخلاق الكتاب وأفعالهم، ووصفَك فضائلهم وأيامهم، وفهمتُه* »[3] ويقول في خاتمتها:«*قد أتينا على بعض ما أردنا فيما له قصدنا...*»[4] فهولا يخاطب الكتّاب مباشرة رغم أنهم هم المعنيون الحقيقيون بالرسالة، بل يعيّنهم بضمير الغائب إمعانا في ذمهم، والحطّ من مترلتهم.

ويتكرر ذلك في "رسالة فخر السودان على البِيضان"، ففي خاتمتها يقول: « *فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السودان...*»[5]. ونراه يجمع بين ضميري المفرد والجمع في صدر كتاب "مناقب الترك"، ففي مستهل الصدر، وفي صيغة الدعاء تحديدا، قال «*وجعلَنا وإيّاك ممن يقول بالحق ويعمل به...*»[6] وفي التخلص من الصدر إلى المتن عاد إلى ضمير المفرد، فقال: «*وقد أعجبَني ما رأيتُ من شغفك*

(1)-ضمن الرسائل الأدبية، ص 112
(2)-نفسه، ص 64
(3)- ضمن الرسائل السياسية، ص 605
(4) - نفسه، ص 617
(5)-نفسه، ص 557
(6)- نفسه، ص373

بطاعة إمامك ...»[1] والتفسير الذي نراه لهذه الظاهرة، هو أن صيغة الدعاء يناسبها ضمير الجمع أكثر من المفرد، حتى في مخاطبة الأعلى مرتبة، لأنه مشمول بهذا الضمير، ومستقل بعد ذلك بضمير الخطاب. وفي الخاتمة يعدل إلى ضمير الجمع: «*وقد قلنا في مناقب جميع الأصناف بجُمَل ما انتهى إلينا وبلغَه علمُنا ...*»[2]

كان هذا تحليل إجمالي لنظام التأشيريات الشخصية في خطاب الرسائل، وقد انتهينا فيه إلى أن هذا النظام بما يؤديه من دور مركزي في تكوين السياق الخارجي والداخلي، يسهم بقدر كبير في توفير آلية من آليات تأويل هذا الخطاب والكشف عن قوانين اشتغاله، في إطار التأرجح بين إكراهات الجنس وإكراهات المقام التلفظية والخطابية.

الوحدات النصية (المقاطع)وتراكبها في النص الرسائلي الجاحظي:

يتركّب النص الرسائلي الجاحظي من ثلاث وحدات نصية كبرى تناسب الصدر، والمتن، والخاتمة كما تكرر الحديث عنه فيما تقدم، وقد كنا عرضنا لنصَّي الصدر والخاتمة في الأسطر السابقة، والآن نعكف على تحليل المتن لما له من أهمية خاصة في هذا الخطاب.

فبالرجوع إلى الفكرة التي انطلقنا منها سابقا؛ وهي أن رسائل الجاحظ كانت نتاجَ مقام ترسل اختياري، لم يعْنِه من الرسالة إلا التقاط ذريعة اللجوء إلى

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص373
(2)- نفسه، ص 519

الكتابة من أجل استدعاء القراءة وتوسيع نطاقها،[1] وكنا قد استدللنا على ذلك من الخطاب الواصف الذي حملته الرسائل، والذي كشف فيه الجاحظ عن مقاصده من كتابة الرسائل، بامتداح الكتابة تارة، وبمخاطبة القارئ العام تارة أخرى.[2]

ولا نتصور الجاحظ يتوجه إلى القارئ بهذا الخطاب، ويقحمه في عالمه لولا أن ذلك الخطاب يحوي ما يعني القارئ، ويتيح له إمكانية هيكلة انتظاراته، وابتناء التأويلات المناسبة لمقاماته، فالمطلّع على مدونة الرسائل لا يشعر عند قراءتها بأنه غير معني بها، ولا يجد في متونها شأنا شخصيا من شؤون الجاحظ، حتى في رسائل العتاب، والاعتذار، والاستعطاف، التي هي مقامات تواصلية شخصية تعريفاً وعرفاً، بل تسلِمه سيرورة التأويل ومحاورة النص، ومقام التلفظ الأدبي الذي تكمِّل القراءة بناءَه،[3] إلى مشاهد تلفظية تَحْضُر فيها أصواتٌ متعددة ومتنوعة ومتناقضة، تعكس طوائف المجتمع العباسي في القرنين الثاني والثالث، الاجتماعية والدينية والفكرية والمهنية والعرقية والسياسية.[4]

لذلك جاء النص الجاحظي غنيّاً بالحِجاج الذي تعلو درَجَتُه، فيكون سجالا بين أصحاب الفرق والمذاهب والأحزاب السياسية، ويفْتُر فيكون حوارا هادئا، ويتوسط بين هذا وذاك فيكون استدلالا معرفيا يلبس ثوب المناظرة الكلامية. هذا ما حملته متون الرسائل، فكانت نصوصها في الغالب مكوَّنة من مقاطع نصية حجاجية هيمنت عليها، وأكسبتها الصفة الحجاجية التي عرفت بها. وهي المقاطع

(1) -Mainguenau.D:Pragmatique pour le discours littéraire, p27

(2)- ينظر المبحث المتقدم في هذا الفصل، ص117

(3) - نوظف في تحليلنا هنا مفهوم القراءة كتلفظ الذي وضعه مانغونو(ينظر المبحث المتقدم في هذا الفصل، ص90)

(4)- هنا إحالة غير مباشرة إلى رأي باختين الذي سبق عرضه، ص98

التي قد تتداخل معها مقاطع وصفية أو تفسيرية أوسردية، حسب نوع الرسالة وموضوعها ومقصدها، فكلما اقتربت الرسالة من دائرة السجال السياسي والمفاخرة العرقية أوالقبلية، كانت أغنى بالمقاطع الحجاجية.

نؤجل الاستدلال على صحة هذه الفرضية إلى حين تناول الفصول التطبيقية، التي سنقوم فيها بفحص الحمولة الحجاجية لمتون الرسائل، من خلال القراءة الأصواتية، في مستوياتها اللسانية، والنصية، والخطابية،[1]ونكتفي في هذا المقام بإعطاء مثال عن المقاطع الحجاجية معتمدين على نموذج المقطع الحجاجي الذي تضمنته نظرية **ج.م.أدام (J-M.Adam)** في التنظيم النصي،[2] والتي يوجد لها نظائر عند باحثين آخرين، من أمثال **شارودو(P. Charaudeau)** الذي عالج قضية أساليب بناء الحجاج، فقسمها إلى قسمين؛ هما البناء الخطي، والبناء التبويبي،[3] أوكما فعل أحمد المتوكل فيما سماه الوحدات النصية التي يدرج ضمنها الجملة والقطعة والنص.[4]

لتميّزه بهيمنة القالب الحجاجي، نفترض أن نص المتن الرسائلي، يتكوّن من عدة مقاطع حجاجية، قد توجد من ضمنها مقاطع حجاجية حاملة بدورها لمقاطع حجاجية صغرى متَضَمَّنة، في شكل استطرادات، تتخلل الحجاج، كما نفترض -

(1)- تنظر الفصول المخصصة لذلك لاحقا

(2) -Adam .Jean-Michel. L'argumentation dans le dialogue. In: Langue française. N°112, 1996. pp. 31-49.doi : 10.3406/lfr.1996.5359, p35-36

(3)- ينظر تفصيل ذلك في : ب. شارودو:الحجاج بين النظرية و الأسلوب، تر: أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان 2009، ص103-110

(4)- ينظر تفصيل ذلك في: المتوكل. أحمد : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية / بنية الحطاب من الجملة إلى النص، د ط، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط – المغرب 2001، ص227

وهذا وارد أيضا- أن تتداخل المقاطع الحجاجية مع مقاطع وصفية، أوتفسيرية _تبريرية، وربما سردية.[1]

ونمثل للمقطع الحجاجي هنا بنص مقتطف من رسالة الجاحظ "صناعة علم الكلام":

«...ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات [أن أصحاب الحساب (...)يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأي (...)وأنّه ليس العلمُ إلا ما كان طبيعيا واضطراريا لا تأويلَ له، ولا يَحتملُ معناه الوجوه المشتركة، ولا يتنازع ألفاظَه الحدودُ المتشابهة ...]

[فلوكان المهندس الذي أبرم قضيته، وهذا الحاسب الذي قد شَهَر حكومتَه، نظرَ في الكلام بعقل صحيح وقريحة جيّدة، وطبيعة مناسبة (...) لكان تهيّبُ الحكم أزينَ به، والتّوقّي أولى به، فكيف بمن لا يكون عَرَف من صناعة الكلام ما يعرفه المقتصِد، والمتوسَّط له.]

[على أنّا ما وجدنا مهندسا قطّ ولا رأَيْنا حاسبا يقول ذلك إلا وهو ممن لا يتوقّى سرَف القول، ولا يشفق من لائِمة المحصِّلين ...]

[على أنهم يقولون أنّ في الحساب ما لا يُعلَم، وأن في الهندسة ما لا يُدرَك ولا يُفهَم، والمتكلمون لا يقرّون بذلك العجز في صناعتهم، وبذلك النقص في

(1)- تتميز الخطابات عامة باللاتجانس الخطابي والأجناسي، ومن بين ما يتحدد به الجنس الخطابي مبدأ هيمنة أحد هذه القوالب :السرد، الوصف، التفسير، أوالحجاج (ينظر على الخصوص :
Adam .Jean-Michel: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse (pragmatique des pratiques discursives, p43

غرائزهم]» [1]

لدراسة هذا المقتطف نستعين بخطاطة المقطع الحجاجي النموذجية التي وضعها ج. م. أدام (J-M.Adam) [2]:

أطروحة سابقة + معطيات - عرض حجج - إذن يحتمل ← نتيـــــــجة

ق، حجة 0 (مقدمات) ق، حجة 2 ق، حجة 4 أطروحة (جديدة)

↑ ↑

اللهم إلا مواضع

حصـــر

المقطع 1: الأطروحة السابقة:علم الكلام علم + المعطيات (المقدمات: العلم ليس فيه آراء متعددة، العلم طبيعي، اضطراري، لا تأويل فيه...) ـــــــ عرض الحجج:علم الكلام فيه الآراء المتعددة، ليس طبيعيا، ولا اضطراريا، ،فيه التأويل/ الموضع المعتمد فيه: الشيء يتعين بصفاته، إذا فقدت الصفات انتفت الماهية ـــــــ إذن احتمال أن لايكون علم الكلام علما، اللهم إلا إذا أثبتت له الصفات(حجة غير موجودة في المقطع) ← نتيجة: ترجيح أن علم الكلام ليس علما، فلا سبيل لإثبات صفات العلم له (أطروحة جديدة).

تتحول هذه الأطروحة الجديدة إلى أطروحة في المقطع الحجاجي 2 الذي يوجه حجاجيا نحونتيجة مضادة لنتيجة الحجاج في المقطع 1.

(1)- ضمن الرسائل الكلامية، ص57

(2)- Adam. J- M: L'argumentation dans le dialogue, p35

المقطع 2: الأطروحة السابقة: الحكم على علم الكلام بأنه ليس علما + المعطيات (المقدمات:الحكم على الشيء يقتضي معرفته، الحكم على الشيء يتطلب العقل الصحيح...) ـــــــ عرض الحجج: الذي حكم لا يعرف علم الكلام، لا يملك عقلا صحيحا... الموضع المعتمد:لا تحكم إلا إذا كنت مؤهلا، لا تحكم إلا إذا كنت عاقلا ـــــــ إذن احتمال أن لا يكون الحكم على علم الكلام صحيحا، اللهم إلا إذا أُثبِتَ أن صاحب الحكم مؤهل وذوعقل صحيح (حجة غير موجودة في المقطع) ← نتيجة:ترجيح أن الحكم على علم الكلام بأنه ليس علما، ليس بصحيح (= علم الكلام علم)

بعد هذا التحليل يهمنا أن نضيف أن المقطع 2 سيتبعه ثلاثة مقاطع 3 و4 و5 تُوجّه حجاجيا توجيها مشتركا مع المقطع 2 نحوالنتيجة ج: علم الكلام علم، وهوما يشكل حجاجا مضادا للحجاج الوارد في المقطع 1 الذي وُجِّه حجاجيا نحوالنتيجة:لا_ج، ويتضح من إيراد وجهتي النظر المتضادتين: وجـ ن 1(م1)، ووجـ ن2(م2+م3+م4) الطابع الحواري للخطاب الرسائلي الذي يهيمن عليه القالب الحجاجي، ومنه المناظرات والمفاخرات والمفاضلات التي تغطي مساحة كبيرة من مدونة الرسائل الجاحظية، ولا يفوتنا هنا أن ننبّه إلى ما تضمّنه المقتطف من تشغيل لآليات الحجاج المتركبة في البنية الأصواتية للملفوظات، كالافتراض المسبق، والمضمرات، المتولدة عن طريق الواسمات الحجاجية، كالنفي والروابط الحجاجية، والأسئلة البلاغية...وغيرها.[1]

(1) - سنعرض لهذه المفاهيم بالتفصيل لاحقا في الفصول التالية

خلاصة واستنتاجات:

ناقشنا فيما تقدّم طروحات مختلفة حول تجنيس الخطاب عامة، والخطاب الرسائلي خاصة، وخطاب الجاحظ الرسائلي بوجه أخص، وانتهينا إلى تقبل أطروحات شتى لكل من **م.باختين(M.Bakhtine)** وفايركلو، **وشارودو (P. Charaudeau)**، وج. م. أدام **(J-M.Adam)**، **ود. مانغونو (D. Mainguenau)**، والتي يربط بعضها مفهوم الجنس بالنشاط الاجتماعي، ويربط بعضها الآخر بين السمات التجنيسية الخارجية والداخلية، أو يؤسس للربط بين وضعية التواصل والعقد الشامل أو العقد الأدبي من جهة، والمستوى النصي من جهة أخرى. وفيما يلي من فصول، سنستثمر مفهومي "الإكراهات المقامية"و"الإكراهات الخطابية"، وغيرها من المفاهيم في التطبيق على مدونة الرسائل،ولاسيما عند تناولنا لقضية انعكاس صورة الأصوات الحقيقية في النص.

أما فيما يتصل بالسمات التجنيسية الخارجية، وعند قيامنا بالتحليل البلاغي التجنيسي سنفحص الإكراهات الخطابية الناتجة عن إكراهات مقام التواصل، وعلى الأخص ما يلي: 1)المقصد الإقناعي للرسائل

2)الموقف الذاتي والاجتماعي السياسي لصاحب الرسائل (الإيتوس[1])

3) البحث في مسألة الذوات الخطابية لكل من المرسل (الكاتب) والمتلقّي، ومدى تعبيرهما عن الذات الجماعية غير العلَمية.

كما أننا سنحاول أن نتلّمس إلى أي مدى تنعكس هذه العناصر التجنيسية الخارجية في لغة النص وأسلوبه. يضاف إلى هذا أننا سنبحث في كيفية تحوّل السمات التجنيسية الداخلية إلى واسمات دالة على العقد الشامل للخطاب الرسائلي وعلى عقده الأدبي. هذه هي القضايا التي سنعكف على معالجتها، والتي تبدو لنا ملائمة وعملية في تحليل الخطاب الرسائلي عند الجاحظ، الذي يميّز مقصديته الأساسية-رغم تنوع موضوعاته وتعدّدها- أنه يستهدف تبني مواقف تجاه قضايا معيّنة، والسعي لإقناع المتلقين على اختلاف مواقعهم من تراتبية تلقي نصوص الرسائل بها، غير أنه يتحتم علينا التنبيه إلى أن هذه المقصدية يُعبَّر عنها بصيغ لغوية متنوعة؛ منها النفي، والاستفهام، والدحض، والاستعارة، والتهكم...إلخ. وسيكون

(1)- يشير الإيتوس " إلى صورة الذات التي يبنيها المتكلم في خطابه ليمارس تأثيرا في المخاطب "(ب .شارودوود ود.مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص230)و يميز سعيد يقطين بين صور عدة للكاتب، فصورته في المصنفات الجامعة غيرها في المؤلفات أو الكتب الأخرى :"إن التمييز بين المؤلف و المصنف، باعتباره تمييزا عاما يخفي احتمالات وإمكانات عدة للتمييز. وهكذا فالانطلاق من التصور الذي حددناه وترجمناه على هذا المستوى كفيل بتدقيق نظرنا، وتعميق فهمنا إلى هذه الكتب وأصحابها. وإن هذا التدقيق يتيح لنا إمكانية التمييز بين مختلف صور الجاحظ التي يتخذها في مختلف كتبه مثلا. فهو في "رسالة التربيع والتدوير" غيره في البيان أو الحيوان أو البخلاء أو في باقي رسائله وكتبه." سعيد يقطين: الكلام و الخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب1997، ص211

تناولنا لهذه الأساليب/الاستراتيجيات الحجاجية، قائماً على ربط مقصدية النص مع الملفوظات المحتوية لهذه الأساليب من منظور الوظائف التي يؤديها التعدد الصوتي فيها.

وعلى هذا النحو، ستكون دراستنا لتمظهرات التعدد الصوتي في هذه الأساليب مطيّة لتحديد الجنس الأدبي للرسائل، وضبط خصائصه، مستعينين في ذلك بنماذج تحليلية متعددة ومتنوعة، بعضها مقترض من تطبيقات **ديكرو** و**أنكومبر**، وبعضها مُستلهَم من تطبيقات المدرسة الاسكندنافية المعروفة بـــ (**Scapoline**)، وغيرها.

الفصـل الثانــي

التحليل الأصواتي اللساني

- النفي الجدلي.
- الاستفهام/السؤال البلاغي.
- الروابط والعوامل الحجاجية.
- الموجهات

توطئـــة:

ينحصر التحليل الأصواتي اللساني في مستوى الجملة، ويمثّله في الدراسات اللسانية التداولية نموذج التحليل الذي يقترحه **أ.ديكرو(O.Ducrot)** ضمن نظريته المعروفة بالنظرية التداولية المندمجة، التي تمتاز عن غيرها من النظريات التداولية بالنظر إلى ظاهرة التعدد الصوتي كظاهرة لسانية يمكن دراستها وفحصها على مستوى البنية اللغوية للملفوظات، من خلال مكوّنات لغوية متعددة ومتنوعة تنطوي دلاليا على تعليمات تحيل إلى عملية التلفظ، وتدلّ على آثار الأصوات المتعددة التي يحملها الملفوظ، والتي تسند إليها أقوال متباينة وأحيانا متضادة، وتتوزع مسؤوليات كفالتها تلفظيّاً على عدة متلفظين.[1]

ويقوم النموذج التحليلي الذي يقترحه **أ.ديكرو** على التمييز بين المتكلم(الناطق بالملفوظ أو منتجه) والمتلفظين، ومادام كل ملفوظ ينطوي على عدة أقوال(وجهات نظر)، يُسنَد كل قول إلى متلفظ، ثم ينظر إلى موقع المتكلم من هؤلاء المتلفظين عبر فحص روابط المسؤولية الثلاثة(التماهي، الدحض، التقبل)، وتتحدد هذه المسؤولية بحسب الواسم الأصواتي، والسياق التلفظي الذي يرد فيه الملفوظ، فبعض الواسمات تستنفر الأصوات وتُسنِد إليها أقوالا صريحة في الملفوظ، مثل روابط السببية والتعليل: "بما أن"و"مادام"و"لما كان"، وبعضها يستنفر أصواتا تُسنَد إليها أقوال تكون مضمرة في بنية الملفوظ، نستنتجها بواسطة الافتراضات المسبقة والتضمينات، مثل النفي والاستفهام.[2]

(1)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث لاحق، ص212 ومابعدها

(2)- سيتم عرض هذه المفاهيم في المباحث التالية من هذا الفصل والفصلين التاليين.

وقد اخترنا في هذا الفصل التطبيقي الأول أن نتناول أكثر الواسمات الأصواتية اللسانية استعمالا، مما تَنْصَبُّ عليها الدراسات التداولية التطبيقية، ونعني بذلك: ألفاظ النفي، أدوات الاستفهام البلاغي، الروابط والعوامل الحجاجية، والموجّهات (ويشمل النوعان الأخيران وحدات لغوية تنتمي إلى مقولات نحوية شديدة التنوع).

1-النفي الجدلي

1.1-مفهومه واشتغاله أصواتيا:

يعدّ النفي أهم واسمات التعدد الصوتي،[1] لا على مستوى الملفوظ فحسب، بل على مستوى النص أيضا. لذلك لا تخلو دراسة تداولية تُعنى بتحليل تعدد الأصوات من إثارة موضوع النفي وإشكالاته، والنفي الذي يعنينا في هذا البحث هو ما يعرف بالنفي الجدلي الذي يندرج ضمن استراتيجيات الحجاج، فيؤدي فيها دور الاعتراض مقترنا بظاهرة تعدد الأصوات الخطابية.

يجد مفهوم النفي الأصواتي أساسا له في ثنائية ش.بالي: الموضوع – التعليق modus – dictum من جهة، وفي نظرية أفعال اللغة **لأوستين وسيرل.** فحسب بالي يمكن تحليل الملفوظ انطلاقا من فحص عنصرين مكونين له: الـــ dictum (الموضوع) والـــ modus (التعليق ،أو الموقف الذي يتخذه المتكلم من كلامه.

---

(1)_ لا أدل على هذه الأهمية من كون الملفوظات المنفية نالت حصة الأسد من مدونة الأمثلة التي توسّلها الباحثون للاستدلال على الوسم اللغوي للتعدد الصوتي .وزيادة على ذلك فقد مثل موضوع النفي دائما حقلا أثيرا للبحث اللغوي بمختلف منازعه وتياراته وميادينه ،فقد تناوله من الفلاسفة أرسطو، وراسل، وفريج، وبرغسون، ونيتشه وفرويد، وفي ميدان اللسانيات يعد كتاب ياسبرسن (1917) المعنون : النفي في الإنجليزية وفي لغات أخرى هندو- أوربية أهم كتاب مرجعي في دراسة النفي، ،وتبعه كل من دامورات وبيشون (1911-1940) وبلينكبرغ (1928)، وطوجي (1965)، وغاطون (1971)، الذين قدموا كلهم مساهمات في وصف البنية التركيبية للنفي ،كما اهتم كل من كليما (1964) وجاكندوف (1969) بدراسة حيز النفي في اطار النظرية التوليدية الأساس standard (الموحدة).
وفي حقل الدراسات التداولية ركزت أعمال الكثير من المعاصرين على الجوانب التداولية والدلالية للنفي، وقد ذهب هؤلاء الى تبيان عدم جدوى التركيز على الجوانب التركيبية في دراسة النفي، والالتفات أكثر الى جوانبه الدلالية التداولية، ومن بين اصحاب هذا الاتجاه ، نذكر لوسك (1980)، كاللبو(1911)، ديكرو(1980a – 1984) وأيضا جيفون 91 ،وهيرننديز (1985)، هورن (1989)، موشلر (1982، 1991، 1997)، ونولكه (1993) وينبغي الاشارة الى أن كتاب هورن يقدم أهم دراسة معاصرة لظاهرة النفي ،ينظر:

Roitman. Malin: op.cit, p54

؛ والمبخوت.شكري:إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، د ط، مركز النشر الجامعي-كلية الآداب و العلوم الإنسانية منوبة ، تونس 2006 ،ص19-20

والنفي ينظر اليه عادة باعتباره موجها " إبستيميا " للدحض،[1] أي أن النفي يكون طارئا على الإثبات، أو تابعا له...فمن هذه الناحية لا يختلف النفي الجدلي عن الاستفهام في أداء الوظيفة الثانية(اللاحقة) للعملية الفكرية، مقابل الوظيفة الأولى التي يؤديها الإثبات، لذلك يبدو التلفظ حين يقترن بالنفي كأنه اعتراض على إثبات سبق إيراده فعلا من طرف متلفظ حقيقي أو مفترض.[2]

أما **سيرل(Searle)** فيرى أن معنى الملفوظ(أيّ ملفوظ) هوإنجاز المتكلم لعمل في القول،[3] ففي الجملة المنفية –بحسب هذا الرأي – يمثل النفي قوة متضمنة في القول مسلطة على المحتوى.

وانطلاقا من هذه الملاحظات بدأ **ديكرو (O.Ducrot)** في بناء تحليله للنفي الأصواتي، ضمن نظريته المعروفة بالتداولية المندمجة، والجديد في مقاربته هو موضعته لتفسير النفي على مستوى التلفظ الذي يكون موسوما بالطبع لغويا في البنية اللغوية للملفوظ،[4] وجاء بعد **ديكرو وسيرل، موشلر** الذي نحا نحوا مخالفا في تفسير ظاهرة التعدد الصوتي المحمولة في النفي، حين وضّح كيف يمكننا وصف بعض الوظائف الخطابية للنفي باعتبارها قوة متضمنة في القول، في كتابه "القول ونقيض القول Dire et contredire " الذي عالج فيه موضوع الفعل اللاقولي(العمل المتضمن في القول) للدحض.[5]

(1)_ ديكرو.أ وسشايفر .ج. م :القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ص 704
(2)_ المبخوت.شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية الدلالية، ص56 وما بعدها(الاستفهام)، و65 وما بعدها(النفي)
(3)_ لمزيد التفصيل في مفاهيم نظرية أعمال الكلام يراجع مبحث سابق، ص6_17
(4)-Ducrot. O: Dire et ne pas dire, p 38
(5)- Roitman. Malin : op.cit, p56

النفي الوصفي والنفي الجدلي:

لا يلائم التحليل الأصواتي كل الملفوظات المنفية، ويؤكد هذا ما دأب الدلاليون على طرحه من تمييز بين النفي الجدلي والنفي الوصفي، ويقوم هذا التمييز الذي أصبح كلاسيكيا منذ **ديكرو**(O.Ducrot)، على أن النفي الوصفي – وهو يختص بالجملة- وظيفته إثبات محتوى منفي(النفي جزء لا يتجزأ من محتوى الجملة)، في حين يختص النفي الجدلي بحالة التلفظ، فينظر إليه على أنه فعل نفي، أي رفض محتوى مثبت في وقت سابق من طرف متلفظ يختلف عن المتكلم، أو عن الجهة المتلفظة التي صدر عنها هذا الفعل اللغوي(فعل النفي)؛[1]بتعبير آخر يتميز النفي الجدلي باعتباره استراتيجية حجاجية جوهرها الاعتراض على ملفوظ سابق، بقيمته التداولية كونه يرتبط بتعدد الأصوات، إذ أنه يستحضر متلفظَين: الأول المتلفظ صاحب الملفوظ المثبت السابق ،والثاني هو المتكلم(الناطق بالقول) الذي يرفض هذا الإثبات،[2] و« تفرض هذه العلاقة الاقتضائية أن يكون القول المنفي "متعدد الأصوات"بعبارة **ديكرو(....)** رغم وحدة القائل النافي وسيطرة غرضه على بقية الأقوال. وهو ما يرشح عمل النفي لغويا للتعبير عن تعارض الاعتقادات

(1)-Ducrot. O, 1973: La Preuve et le Dire, Repères، Mame, Paris, p123

(2)_ المثال التالي يوضح أكثر هذه المسألة : لا أستطيع القيام بكل شيء وحدي

وج ن 1 : أستطيع القيام بكل شيء وحدي

وج ن 2 : لا أستطيع القيام بكل شيء وحدي

يقدم المتكلم نفسه في صورة المسؤول عن وجهة النظر 2 ،أي أنه يرتبط برابط مسؤولية مع محتوى الجملة المنفية ،بالنسبة لهدا المثال لا نحتاج الى سياق بالمعنى الضيق لاختيار التأويل الأصواتي المناسب ،فمعرفتنا بالعالم تحيطنا علما بأن " القيام بكل شيء " وجهة نظر لا يتكفل بها المتكلم (إراديا) وفي ظروف عادية ،في هذا السياق، يؤخذ الملفوظ المنفي على أنه اعتراض على وجهة نظر (1) (حقيقية أومتخيلة)، إلا أنه ينبغي دائما البحث عن التعليمات المتضمنة في السياق للوصول إلى تأويل مقبول للنفي ،ينظر:

Roitman. Malin : op.cit, p57

ووجهات نظر المتخاطبين. وهذا التعدد هو ما نسميه التقاول الذي يفترض التأليف تركيبيا بين النفي والإثبات على وجه يجعل أحدهما منطوقا مقولا والآخر ضمنيا مقتضى.»[1]

وفي هذا السياق ينبغي أن نلاحظ أن بنية النفي الجدلي التي تكون غالبا ثنائية، مكونة من ملفوظ منفي يتضمن رفض إثبات سابق، تكون متبوعة بتصويب، يقترن أحيانا بـــ "لكن"الدالة على الرفض؛ وهذه الأداة هي التي تحوّل النفي الجملي، الخالي من دلالة الرد إلى نفي حجاجي، يحمل دلالة الجدل والرد.[2]

أما النفي الوصفي، فهو- خلافا لما تقدم – يصف حالة الشيء، ولا يراد به معارضة وجهة نظر ثاوية في الملفوظ، وهذا مثال مأخوذ عن **ديكرو** يوضح ذلك:

-لا توجد غيمة واحدة في السماء

إذا افترضنا أن هذا الملفوظ وصف لواقعة، فهولا ينطوي على أيّ جدل، إذ أن هذا المتكلم عند تلفظه بالجملة " لا توجد غيمة واحدة في السماء " لا يدحض أي رأي، بل هو بصدد وصف حالة شيء، يمكن أن نعيد التعبير عنها بجملة مثبتة هي: " السماء صافية تماما "، ولكن، يمكن – كما يؤكد **ديكرو**(O.Ducrot)– أن يصلح هذا الملفوظ لدحض وجهة نظر سبق تقديمها، ولهذا السبب يفضل أن نتحدث عن وظيفة وصفية أو جدلية للنفي، لا على نفي وصفي وآخر جدلي.[3]

(1)- المبخوت.شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ط1 ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت 2009، ص12

(2)- Ducrot. O: La Preuve et le Dire, p:125-126

(3)- Ducrot. O: Dire et ne pas dire, p 38

معايير التأويل الجدلي للنفي:

يضع الباحثون المختصون ثلاثة معايير لتأويل النفي جدليا، وهي: الحيّز، الطبيعة الدلالية للمكون أو للجملة المنفية، والسياق.[1]

-حيز النفي[2]: يخضع الحيّز للقواعد التركيبية الدلالية، فالنفي قد يستغرق جملة كاملة، فيكون حيّزه واسعا، ويسمى عندئذ نفي الجملة، نحو قولنا: سعيد لا يقرأ.

وقد ينحصر النفي في مركّب واحد من مركّبات الجملة فقط، كأن يكون ذلك المركّب الرديف/المفعول المطلق(كثيرا)، فيكون حيّزه محدوداً، ويسمّى في هذه الحال نفي مركّب، نحو قولنا: سعيد لا يقرأ. [3]

في حالة الحيز الواسع لا توجد عناصر من شأنها الحد من الحيز، بينما تحده بعض العناصر في حالة الحيز المحدود، مثل: بعض ردائف الأفعال(بعناية، ببطء) والمكمّمات(كثيرا، بعض، كل، قليل ...). وبالمقابل هناك ردائف جملية لا يشملها أبدا حيز النفي مثل "، بالمقابل، عكس ذلك، لســــــــوء الحظ". ولهذا السبب لا تستخدم هذه الردائف إلا في مواضع محددة من الجملة. تأمل الأمثلة:

---

(1)_الباحثون المعنيون هم : ديكرو1984، موشلار 1982، موللر 1991، فولكا 1993

(2)_ اهتم اللسانيون كثيرا بمفهوم حيز النفي فنظروا إليه باعتباره ظاهرة تركيبية(بنيوية) ودلالية، أو هذه وتلك في الوقت نفسه؛ ظاهرة مزدوجة تركيبية ودلالية معا، واعتمادا على ما جاء في أعمال الباحثين " هلدنر ، وموشلر ، وموشلر وروبول ، فولكا)، يعرّف الحيز بأنه: الخاصية البنائية والدلالية التي تتميز بها الجمل، والتي تؤثر (تعمل في) في وحدات أخري من الجملة. ينظر:

Roitman. Malin : op.cit, p65-66

(3)-Dubois .Jean & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS ,p 321

وينظر أيضا للتوسع: المبخوت. شكري:إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، ص240-241

-لسوء الحظ، هولا يقرأ.

- هولا يقرأ، لسوء الحظ.

-*لا يقرأ لسوء الحظ.(بدون فصل)[1]

-الطبيعة الدلالية للمركب المنفي: تهمنا دلالة الجملة المنفية، أو دلالة المركّب، بقدر ما تهمنا البنية التركيبية لهما في تأويل وظيفة النفي، إذ أن هناك ظاهرتين تؤثران على أصواتية الملفوظ المنفي، وهما: الألفاظ والعبارات التدرجية[2] والأفعال الجهية،[3] تبرز من بين العناصر الدلالية المؤثرة في تأويل النفي، الظواهر التدرجية.[4]في المثال: " فلان ليس سعيدا، يكون اللفظ "شقي" تدرجيا، فنفي اللفظ التدرجي لا يستدعي استبداله بضده غير المنفي.

ينشأ عن نفي مُسنَد تدرجي- حسب **نولكه(Nølke)**- دمج دلالي، مما يحفز تأويله باعتباره نفيا وصفيا.[5]وعليه لا يكون هناك تضاد بصورة آلية بين(ليس شقيا) و(شقي) أي أن(ليس شقياً) لا تعني بالضرورة(سعيد)(الذي هو ضد شقي)، فالملفوظ(ليس شقياً) قد يعني " إنه سعيد بعض الشيء" أو"انه سعيد قليلا ". وهكذا يكون بالإمكان موضعة "ليس شقيا" في أي درجة من درجات السلم(سعيد – شقي) ما عدا قُطْبِه السفلي(شقي)، وهو ما يعني أن دلالة التدرج المنفي تكون ضبابية إذا ما قيست بدلالة اللفظ التدرجي غير المنفي. فبسبب هذا الدمج

(1)- Nølke. Henning. 1993: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives , Paris : Kimé, p25-36, 244

(2)_ الكلمات والعبارات التدرجية هي عجيمات تتموضع على سلم يمثل أسفله وأعلاه كلمتان متضادتان، مثل : قديم / جديد، كبير /صغير، سهل / صعب، سعيد / شقي، فقير /غني ينظر: Ibid, p254

(3)_سيتم التعرض للأفعال الجهية لاحقا ضمن مبحث "الموجهات"،ص176

(4)-Ducrot.O,1980: Les échelles argumentatives. Paris , Minuit, p27-39

(5)- Nølke. Henning: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives ,p254

الدلالي(بين اللفظ التدرجي والنفي)، يتبنى هؤلاء الباحثون الثلاثة المشار إليهم أعلاه قراءة وصفية لنفي الألفاظ التدرجية.[1] وهو ما تؤكده صعوبة التقاط وجهة النظر الثاوية في الملفوظات المتضمنة لهذه الألفاظ.

وخلافا للألفاظ والعبارات التدرجية، هناك نوع من المسانيد يقبل القراءة الجدلية، هو العبارات الجهية مثل الأفعال الجهية، أمكن(ـــه) ووجب(عليه)، تحمل هذه الأفعال في دلائليتها فكرة البديل، أي الأصواتية.[2]

عند التطبيق على المدونة لاحقا، سنتوسع في تحليل التأويل الأصواتي للنفي، من خلال التعرض لعدد وافر من الأمثلة التي تحتوي كلمات تدرجية، وأفعالاً جهية.

-السياق التفاعلي:

يتكون السياق المعني هنا من العلاقات عبر الجملية القائمة بين الملفوظ المنفي(المكوّن من وجـــ ن1، ووجـــ ن2) ومحيطه اللغوي، فهذه العلاقة بين وجهتي نظر النفي، وبين سياقه هي التي ينطلق منها التأويل الأصواتي، ومن ثم يدخل في مسمى السياق هنا السياقان الأصغر(العناصر اللغوية التي تسبق مباشرة الجملة أو تعقبها)، والسياق الأكبر(المحيط النصي)، وكذا السياق الداخلي للعجيمات.[3]

(1)- Ducrot. O: Les échelles argumentatives،p27-39
(2)-Nølke. Henning: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciative ,p 259
(3)- ديكرو.أ ،وسشايفر .ج.م :القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، ص 771-775

غير أن تركيزنا في مستوى التحليل اللساني والنصي، يحتّم علينا الاهتمام أكثر بالسياق الأصغر، والذي ينبغي أن نحدّده بدقة فنقول أننا نعني به العناصر التي تتجاوز المسند والمسند إليه، وما يلحق بهما من مكملات في الملفوظ المنفي، يتعلق الأمر بعناصر تقع خارج نواة الملفوظ المنفي، والتي يمكنها إقامة علاقات عبر- جملية معه(الإحاليات، الضمائر، الروابط ... إلخ).[1]

2.1)النفي الجدلي في خطاب الرسائل:

تبيّن لنا من العرض النظري الخاص بالنفي كواسم للتعدد الصوتي أن هناك شروطا تركيبية ودلالية وتداولية لابد من توافرها ليكون النفي قابلا للتفسير التداولي الأصواتي، أي ليصحّ اعتباره واسما أصواتيا. والمبدأ العام الذي يكاد يقع عليه الإجماع بين اللسانيين، هو ما يتصل بالشرط التركيبي، الذي يكون بموجبه النفي جدليا أصواتيا عندما يتسلط النفي على الجملة، ويكون وصفيا مجرّداً من الأصواتية في الحالة المقابلة التي يتسلط فيها النفي على مركّب من مركّبات الجملة. ويسمّى هذا المعيار بمعيار الحيز أوالمدى،[2] غير أنّ هذا المعيار عند التطبيق على النصوص الأصيلة، لا يكون دائما مطّردا، فقد ثبت في دراسات بعض اللسانيين التداوليين أن حالات من النفي الكلي(نفي الجملة) تمتنع عن التأويل الجدلي، وتغيب فيها الأصواتية، كما ثبت أن هناك حالات للنفي الجزئي(نفي المركّب)تقبل التفسير

(1)_ فهذه العناصر تساهم بالضرورة في بناء معنى الملفوظات ،غير أننا ننبه إلى أنه من المهم ألا ننسى بأننا حين نقوم بتحليل يأخذ في الحسبان دور السياق، لا يمكننا أبداً الزعم بمعرفة السياق معرفة كاملة، ومفصلة ،لذلك نضطر في لحظة ما إلى اعتماد فرضية معينة حول ما أراد المتكلم قوله، أي أننا نختار هذا التأويل أوذاك .ينظر:

Roitman. Malin: op.cit, p71-72

(2)- الحيز عامة هو –حسب ليونز- "الجزء من الصيغة [المنطقية] التي يعمل فيها [العامل]" أما حيز النفي خاصة فـ" هو ما يلي حرف النفي. و ما يلي حرف النفي لا يكون(...) إلا كلاما عمل بعضه في بعض يدخل عليه النفي حرفا لـيردده، بالمعنيين ترديدا و دحضا" المبخوت. شكري : إنشاء النفي، ص377،380

الجدلي، وتحضر فيها الأصواتية، خلافا لما يفترضه معيار الحيز المرتبط بالشرط التركيبي المشار إليه أعلاه.

لذلك يلتفت المحللون التداوليون –ولا سيما في حقل الدراسات الأصواتية- إلى معايير أخرى تساعد في تمييز النفي الجدلي من النفي الأصواتي، ونعني بذلك تحديدا معيارين أساسيين؛ معيار الخصائص التركيبية والدلالية للفظ المنفي(في حالة النفي الجزئي أو المقيّد)، ومعيار السياق النصي.

يؤدي المعيار الأول دورا في تحديد جدلية النفي من عدمها، فإذا كانت القاعدة العامة تقضي بأنّ نفي الألفاظ التدرجية[1]Scalaires(في إطار ضدية متعددة، مثل: فقير /غني)لا يقبل إلا التأويل الوصفي، فإن هناك حالات تتيح تفسير هذا النوع من النفي جدليا وأصواتيا، خاصة إذا تدخّل السياق النصي والمقامي في تزويد المؤوِّل بالتعليمات الضرورية لذلك، ويصدق ذلك على وحدات لغوية أخرى كالردائفيات المعرفية Adverbiaux épistémiques، والجمل الملحقة بواسطة بعض الروابط، والنفي المقيّد زمنيا ...إلخ[2]

أما المعيار الثالث والأخير، والمتمثل في السياق، فيبدو أنه المعيار الأكثر طواعية للتطبيق في التحليل التداولي الأصواتي، فأيّاً كانت حالة النفي التي نتصدى لها؛ نفي جملة أو نفي مركّب، وأيّاً كانت خصائص اللفظ المنفي التركيبية

(1)- التدرجية **La scalarité** هي الإحالة إلى سلم قيم، وهي من ثم مفهوم مجرد يتجلى في صور متعددة في الاستخدام اللغوي، من خلال المحتوى المعجمي للعبارات ؛ فصفتان مثل "متجمد" و"بارد"تعيّن كل منهما درجة معينة على سلم الحرارة . والعلاقات الموجودة بين هاتين الصفتين هي ما يوصف بالتدرجية في تحليلات بعض الباحثين. ينظر:
HEDERMAN. Pascale, PIERARD. Michel et VAN RAEMDONCK. Dan :La scalarité : autant de moyens d'expression, autant d'effets de sens, De boeck Université, Travaux linguistiques, 2007/1- N° 54, pages 7 à 15, p9

(2)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق من هذا الفصل، ص137 وما بعدها

والدلالية، فإنه لا يتسنى لنا الفصل في جدلية النفي أو وصفيته إلاّ بالرجوع إلى التعليمات التي يمدّنا بها السياق، فيما يخصّ الإحالة البعدية أو القبلية، أو الإبدالات الجدولية التي يستدعيها اللفظ المنفي، أوالبنيات التضادية والأصواتية، أو التوجيه الحجاجي للملفوظات.[1]

بعد هذه الاستعادة الموجزة للمفاهيم النظرية المتصلة بالنفي، نعكف الآن على دراسة نماذج من حالات النفي التي تضمنتها الرسائل، مستعينين بما تقدم بيانه نظريا.

-المقتطف الأول: « *فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب*، ولا *كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلتة ولحظة الخلسة، دون أن يجتمعوا على الحديث والمسامرة، ويزدوجوا في المناسمة والمثافنة،*[*] *ويُسَمّى المولعُ بذلك من الرجال الزِّير، المشتق من الزيارة، كل ذلك بأعين الأولياء وحضور الزواج، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمِنوا المنكر...، »*[2]

ينطوي هذا الملفوظ المنفي على فعلين كلاميين هما:

1-فعل إثبات المتلفظ م1 لـــ **ق**(كان بين رجال العرب ونسائها حجاب...)موجه للمرسل إليه مر 1(وهو المتكلم/المتلفظ بالنفي، على اعتبار أن هذا الأخير في مقام مناظرة، ويرد على الإثبات، أي يدحضه). نلاحظ هنا أن

(1)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق من هذا الفصل ، ص131-140

(*)- المناسمة:جاء في لسان العرب:"ناسمت فلانا أي وجدت ريحه ووجد ريحي"(مادة: نسم)،وفي الشاهد شدة التقارب بحيث يشم المتحادثون ريح بعضهم بعضا ،والمثافنة:المجالسة (ينظر لسان العرب، مادة: ثفن)

(2)- الجاحظ: رسالة القيان، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص: 66

الإثبات قول مضمر، يتم تحديده انطلاقا من فحص الواسم الصوتي المتمثل في حرف النفي "لم"[1]، الذي يستنفر ظاهرة تعدد الأصوات في هذا الملفوظ.

2-**فعل دحض** الإثبات المسند إلى المتلفظ م2، بواسطة النفي: لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب...، وهو موجّه- حسب قراءتنا وتحليلنا للوضعية التلفظية إلى مر2، وهو هنا المتلفظ م1 منجز فعل الإثبات(المستمع / الشريك في التلفظ)، لأن نمط الخطاب الذي بين أيدينا، وهو المناظرة يقوم على الحوارية الثنائية غالبا، لذلك تبرز في الملفوظ مؤشرات دالة على توتّر تواصلي، إن لم نقل خصومة رأي، ونعني بذلك تحديدا العطف المقترن بالنـــفي "ولا كانوا..."، وإرداف النفي بتصويبات تشكّل الحجاج المضاد، بصورة تدمج النفي في استراتيجية أكثر فعالية هي استراتيجية الدحض.[2]

-**المقتطف الثاني:** « *ولكنّا نقول:* ***لا يجوز أن يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيطة أكثر من واحد،*** *لأن الحكام والسادة إذا تقاربت أقدارهم وتساوت غايتهم قويت دواعيهم إلى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة*»[3]

نحلل هذا المقتطف في ضوء المقاربة اللسانية للتعدد الصوتي دائما، والتي تركز على الوسم اللغوي من خلال فحص اشتغال ألفاظ النفي جدليا .

(1)- لمعرفة الفروق التداولية بين حروف النفي، ينظر: المبخوت. شكري، إنشاء النفي، ص117-134

(2)-"الدحض عمل رد فعل حجاجي اعتراضي ."الدحض" من وجهة نظر الاستعمال يترع إلى الإشارة إلى كل صيغ الرفض الصريح لموقف، باستثناء مقترحات عمل:يدحض المرء أطروحات، وآراء تدعي الحقيقة، لكنه يرفض(لا"يدحض") مشروعا.أما الاتهامات فيمكن أن "تدحض"أو "ترفض" "ينظر مدخل "الدحض"في : ب .شارودو ود. مانغونو:معجم تحليل الخطاب ،ص479

(3)- الجاحظ : استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص:196

نلاحظ أن النفي هنا كلّيٌّ يسلّط على الجملة كلّها، أي على محتواها القضوي كلّه، بواسطة حرف النفي "لا"، وبالنظر إلى السياق النصي، يتبيّن لنا أن هذا النفي جدلي، لأنّ الملفوظ يحمل وجهتي نظر متضادتين، إحداهما صريحة(وجـــ ن 1)والثانية مضمرة(وجـــ ن2) نصل إليها بإعمال قانون الافتراض المسبق:

-وجـــ ن 1: لا يجوز تعدد الأئمة

-وجـــ ن2: يجوز تعدد الأئمة

تسند(وجـــ ن 1) إلى المتكلم الذي يعيّن نفسَه في الملفوظ بضمير الجماعة، بواسطة رابط الموافقة على رأي قد ينسب إلى صوت جماعي، هو هنا صوت جماعة المعتزلة،[1]كما أنّ بمقدورنا القول أن(وجـــ ن 1) يُسنَد إلى صوت جماعي يتماهى معه المتكلم، ويتبناه ويعلن كفالته للتلفظ به.

وتُسنَد(وجـــ ن 2) إلى متلفظ ثانٍ، وهو غير معيّن في الملفوظ بواسطة أيّ ضمير من ضمائر الخطاب، غير أنه مفترض الوجود كمتلفظ شريك يتلقى الملفوظ، ويتفاعل معه، ويتبنى الرأي المخالف المشار إليه بواسطة العبارة "أكثر من واحد "أي "أكثر من إمام"، ووجهة النظر هذه ثاوية في الملفوظ، استنفرها النفي بواسطة

(1)- ظلت آراء الجاحظ في الإمامة معتمدة لدى جمهور المعتزلة، خصوصا فيما يتصل بوجوب الإمامة، ونفي النص والوصية، و شروط الإمام وصفاته، و عدم الاعتراف بإمامة المتغلب. هذه المسائل توسع بحثها بعد الجاحظ، والتفصيل في فروعها، بما يؤكد صوابها و صحة ما انبنت عليه، حتى أن القاضي عبد الجبار(ت415 ه)، وهو رأس الاعتزال في المرحلة الانتقائية، سار في نفس الاتجاه معمّقا البحث في موضوع الإمامة باعتباره مبحثا شرعيا، يعالج من حيث مادته ضمن نصوص القرآن الكريم و السنة المطهرة الصحيحة، واجتهادات الخلفاء الراشدين الأربعة.(عبد الستار الراوي :العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ط1.المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .1980، ص :403-425 .)

الافتراض المسبق، لأجل أن يقوم المتكلم متماهيا مع المتلفظ1 بدحضها، مستندا من الناحية الحجاجية على الموضع[1] القائل: تعدد الأئمة يؤدي إلى الفتنة.

المقتطف الثالث: « *ليس شيء من المأكول والمشروب أجمعَ للظرفاء، ولا أشدَّ تألُّفا للأدباء، ولا أجْلبَ للمؤنسين منه، ولا أدْعى إلى خلاف المُمَتَّعين، ولا أجدرَ أن يستدام به حديثُهم ويُخرَج مكنونُهم، ويطول به مجلسهم، منه* »[2]

نجد في هذا المثال لفظ نفي آخر هو"ليس"، حيث يسلّط النفي على الجملة كلّها(المسند هو بؤرة النفي)، وباستقراء عناصر السياق النصي يتبيّن لنا أن هذا النفي نفي جدلي، ومن ثم يقبل التحليل الأصواتي، فالمثال مأخوذ من رسالة جدالية يرد فيها الجاحظ على من يحرّمون شرب النبيذ،[3] وينكرون فوائده، وهي رسالة "مدح النبيذ وصفة أصحابه"، كما يدلنا استخدام أسماء التفضيل بكثافة في الملفوظ على مقام الجدال والمفاضلة، واختلاف الآراء في المسألة، وعليه يحضر في هذا الملفوظ على الأقل صوتان، يتبنى كل منهما وجهة نظر:

وجــ ن 1: تفضيل النبيذ على غيره من المأكول والمشروب

وجــ ن2: رفض تفضيل النبيذ على غيره من المأكول والمشروب

تسند(وجــ ن 1) إلى متلفظ 1يتماهى معه المتكلم الذي لا يعيّن نفسَه في الملفوظ بواسطة ضمير المتكلم، اعتمادا على رابط الموافقة على رأي قد ينسب إلى

(1)- يراجع تعريف الموضع في هامش ص65 من المدخل النظري

(2)- الجاحظ: مدح النبيذ وصفة أصحابه، ضمن رسائل الجاحظ الأدبية، ت وش علي بوملحم، ص 266

(3)- يشير بيلا في سياق تعليقه على تحليل الجاحظ للنبيذ في رسالة الشارب والمشروب، إلى أن " المناقشات اللغوية والفقهية والكلامية التي أسهم الجاحظ بنصيب وافر منها لم يكن هدفها سوى حصر التحريم في الخمر واستثناء النبيذ" (الجاحظ في البصرة و بغداد وسامراء،ص335)

صوت جماعي، هو هنا صوت جماعة غير معروفة بدقة،[1] وهي وجهة النظر المعبر عنها صراحة في الملفوظ، والتي يحملها الملفوظ المنفي.

وتسند(وجـــ ن 2) إلى متلفظ ثانٍ، وهو غير معيّن في الملفوظ بواسطة أيّ ضمير من ضمائر الخطاب، غير أنه مفترض الوجود كمتلفظ شريك يتلقى الملفوظ، ويتفاعل معه، ويتبنى الرأي المخالف المشار إليه بواسطة عناصر الجداول الإبدالية لأسماء التفضيل(أجمع، أشد، أجلب ...الخ). ووجهة النظر هذه ثاوية في الملفوظ، استنفرها النفي بواسطة الافتراض المسبق، لأجل أن يقوم المتكلم متماهيا مع المتلفظ1 بدحضها وإثبات نقيضها.

هذه أمثلة عن النفي أردنا بها أن نقف على كيفية اشتغال أدواته وحروفه أصواتيا على المستوى الجملي اللساني، على أن نتوسع في تحليل النفي كظاهرة أصواتية على المستوى النصي والخطابي لاحقا، لا سيما وأن النفي من المنظور التداولي يعدّ الواسم الأبرز للتعدد الصوتي لسانيا ونصيا، كما يساهم خطابيا في إنشاء ظواهر متعددة كالدحض، والاعتراض، والافتراض المسبق.

(1)- قد تكون جماعة الأحناف، إذ يعرف عن المذهب الحنفي اعتماده على الرأي، أي العقل.ولذلك يبدو الجاحظ من خلال آرائه الفقهية، و تصوره لأصول الفقه أقرب ما يكون من المذهب الحنفي، المعروف بإعماله الرأي، أي النظر العقلي أكثر من الأثر، و ابتعاده عن الأخذ بحرفية النصوص، و هو ليس بدعا في ذلك لأن أغلب فقهاء المعتزلة كانوا حنفية. (عبد الستار الراوي: العقل والحرية/دراسة في فكر القاضي عبد الجبار،ص، 139-140)ويدعم هذا التحليل التوازي الذي يقيمه محمد عابد الجابري بين هيمنة علم الكلام المعتزلي على مجال العقائد، وهيمنة الفقه الحنفي على مجال الفقه، لكونهما يعتمدان على العقل و يقدمانه على النص (انظر تكوين العقل العربي،ص، 106).

2-الاســـتفهام/السؤال البلاغي

1.2)مفهومه واشتغاله أصواتيا:

يعنينا هنا حسب خطة البحث الاستفهام باعتباره مقولة تركيبية ترجع إلى المستوى اللساني، عندما يتحول عن أصل معناه، فيصبح واسما لغويا لظاهرة التعدد الصوتي، في تمفصلها مع الحجاج وغاياته الإقناعية.

هناك عدة تحديدات لمفهوم الاستفهام ضمن النظرية اللسانية التداولية، فهو شأن كل نمط من أنماط الملفوظات يتجاوز في وظيفته ما سطره له النحو الوصفي، نحو الجملة.

فمن وجهة نظر نظرية أعمال الكلام يحدّد مفهوم الاستفهام في مستويين، مستوى العمل الكلامي المباشر، أو "الأوّلي"، فيدل عندئذ على طلب الحصول على معلومة أوخبر،[1] ومستوى العمل الكلامي غير المباشر، أو" المشتق"، أي الذي يتحقق بواسطته عمل كلامي آخر ضمن دائرة الأعمال الكلامية(الأعمال المتضمنة في القول). في المستوى الأول، يمثل الاستفهام باعتباره عملا لغويا مباشرا أوليا وسما للحكم الإيجابي على المحتوى القضوي للملفوظ، الناتج عن تشكك المتكلم في صدق ذلك المحتوى، ورغبته في معرفة درجة مطابقته للواقع .[2] « وقد يبدو من جهة الحالة الذهنية التي يصدر عنها الاستفهام ضربا من التراكب بين اعتقاد عدم اليقين وإرادة المعرفة»؛[3] أما في المستوى الثاني، مستوى الأعمال الكلامية غير

(1)- Orrechioni. C-K, 2005: Les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Armand Colin, p 86

(2)_ المبخوت. شكري:دائرة الأعمال اللغوية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2010، ص 195

(3)_ نفسه، ص ن

المباشرة التي يستعمل ضمنها الاستفهام في غير ما وضع له أصلا، أي في حالة تحقيقه لعمل كلامي غير مباشر، أو"مشتق"وهو ما يسميه **المبخوت** "حركية الاستفهام داخل دائرة الأعمال اللغوية مع الأعمال اللغوية الأخرى"[1] فيتأسس على النظر إلى العلاقة بين الاستفهام والنفي والإثبات التي تمثل«حالة طريفة لبيان حركية دائرة الأعمال اللغوية، بما أن الاستفهام وسم للإمكان يقتضي الإمكان، في حين أن الإثبات وسم للإيجاب يقتضي الإمكان، أما النفي فهو وسم للسلب يقتضي الإمكان، وبحكم القواعد الاستدلالية يمكننا الانتقال بيسر من الإمكان إلى السلب أومن الإمكان إلى الإيجاب»[2]

و يوافق هذا تصور **ديكرو**(O.Ducrot) للتمييز الذي ينبغي أن يقام بين استعمالي الاستفهام حسب أصل الوضع، أي خلاف ما سُطّر له في قواعد التركيب والدلالة. يرى **ديكرو** أن الأعمال المتضمنة في القول في حالة الاستفهام يمكن تحقيقها بطريقتين: " **أولية**"، أو"**مباشرة**" بواسطة الجمل المخصصة أصلا لأدائها، مثل الأمر، لطلب الشيء ؛ والثانية "مشتقة" أو"غير مباشرة "كاستعمال الاستفهام لتنفيذ عمل الطلب، وهو ما يبدو، من ناحية نظرية، محرجا(طرح السؤال وإرادة الطلب، مع وجود أسلوب مخصص للطلب وآخر مخصص للاستفهام).[3]

والحل الذي يقترحه **ديكرو**(O.Ducrot)يكمن في الاستعانة بمفهوم التعدد الصوتي، الذي يساعدنا على التمييز بين المتكلم والمتلفظ إذ أن« الجملة الاستفهامية

(1)_المبخوت. شكري:دائرة الأعمال اللغوية، ص212
(2) _ نفسه، ص217

(3)_Ducrot .O: Le dire et le dit, p 226-227

تعطي، بمقتضى دلالتها، التعليمتين الآتيتين للسامعين المنوطين ببناء معنى ملفوظات هذه الجملة:

أ ــ ينبغي أن تُبرِز هذه الملفوظات متلفظا يعبر عن شكّه فيما يتصل بالقضية التي طرح حولها الاستفهام

ب ــ عندما يكون هذا المتلفظ متماهيا مع المتكلم، يُقرأ الشك الذي عبر عنه كسؤال، أي أن التلفظ يُوصف باعتباره إلزاما للمخاطب بالجواب.

وانطلاقا من هذه القيمة المعطاة للجملة، يمكننا التنبؤ بإمكانيتين فيما يخص الأعمال اللاقولية المرتبطة بالتلفظ، فأحيانا يكون هناك عمل "أولي" هو السؤال، وأحيانا يكون هناك عمل "مشتق "- قد يتمثل في عمل الطلب أو غيره»،[1] كأن يكون إثباتا أو نفيا للمحتوى القضوي، وهوما أدرجه البلاغيون العرب القدماء في الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام، يقول **شكري المبخوت**: «...بحسب المعلومات التي نجدها في كتب النحو والبلاغة، يبدو عملاَ التقريرِ والإنكار، وهما مما يعتبر مرتبطا بالاستفهام، أفضل ما يمكن أن ينجم عن التعامل المقولي المفترض داخل دائرة الأعمال اللغوية، وللتقرير والإنكار في غير العربية شبيه هوما سمّي بـــ"السؤال البلاغي"»[2]

(1)-Ducrot .O: Le dire et le dit, p: 227

(2)_ المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص217

عرف التداوليون السؤال البلاغي بأنه "الاستفهام الذي لا يحتاج فيه صاحبه إلى الإجابة لبداهتها"(ديكرو،1981،ص15-16 ؛1984،ص90) وميز ديكروبين نوعين من الأعمال المشتقة من الاستفهام ..."الطلب المشتق""(ديكرو16 ؛1984،ص86-89)مثل "هل تستطيع أن تناولني الملح؟" والثاني "السؤال البلاغي"وهوالذي يقوم فيه الاستفهام بدور الإخبار "(ديكرو ؛1984،ص90 ؛1991،ص17) .نقلا عن :بسمة بلحاج رحومة الشكيلي :السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل/ط1، دار محمد علي للنشر ، تونس2007، ص11

لا يختلف الاستفهام في ارتباطه بالإثبات عن النفي، فكلاهما يمثل خطوة ثانية(لاحقة) للحكم بالنسبة للإثبات،[1] غير أن السؤال من منظور حجاجي يُوجَّه عادةً لاستدعاء النفي، كما يرى أصحاب نظرية الحجاج في اللغة، وفي مقدَّمهم **ج. ك انكومبر(Anscombre J.C)وأ. ديكرو(O.Ducrot)**، اللذان يقدّمان فرضية أن الملفوظ الاستفهامي: هل **ق؟** يتوجه إلى استدعاء نمط من النتائج ينفي **ق**، ضمن منظور التنسيق الحجاجي. ولتفسير مفهوم التنسيق الحجاجي، يطرحان ما يلي: يكون الملفوظان مل1 ومل 2 متناسقين حجاجيا، إذا قدّم مل1 في الخطاب بصفته ملفوظا يستطيع إثبات أونفي مل2 أو ما يستفاد منه(نتيجته).[2] وعلى هذا الأساس يكون الاستفهام حجاجيا عندما يكون بلاغيا، أي عندما يخرج عن مقتضى الظاهر كما يقول البلاغيون العرب القدماء.

ينطوي الاستفهام البلاغي(غير الحقيقي) على قوة حجاجية، ويذهب **ج. ك انكومبر وأ. ديكرو** إلى افتراض أن كل استفهام بلاغي يحمل حجاجا بصيغة النفي، والعكس غير صحيح. ويحدث أن نجد استفهامات بلاغية جزئية تحيل إلى إجابات، رغم كونها ذاتية، إلا أنها تمنح الملفوظات توجيها حجاجيا إيجابيا.[3]

لذلك يتصرف المتكلم حيال الاستفهام البلاغي، وكأنه جواب يفرض نفسه على السؤال المطروح بالنسبة عليه، وإلى المستمع على حد سواء، وكل ما يفعله

(1)- المبخوت.شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية الدلالية ،ص56وما بعدها

(2)-Ducrot. O et Anscombre. J-C: L'argumentation dans la langue, p115-116

(3)- Ibid, p128

السؤال هو التذكير بهذا الجواب، فهو لا يختلف في الدور الذي يؤديه كثيرا عن الإثبات المتضمن في الجواب، والمعطى في سياقه كحقيقة مقبولة.[1]

حتى البلاغيون يؤكدون مرارا أن هذا النمط من الأسئلة يحمل دلالة النفي، نفي المضمون المتعلق بموضع السؤال، وفي هذا النوع من الاستفهامات البلاغية تتجلى القيمة الحجاجية الجوهرية للسؤال في إنجاز فعل الحجاج.

لتلخيص النظرية الحجاجية المتعلقة بالاستفهام (الكلي) يقترح **ج. ك انكومبر Anscombre J.C**)وأ. **ديكرو(O.Ducrot**)تحديد بنية السؤال، من خلال المحددات الثلاثة الآتية:

1- الإثبات المسبق لـــ ج

2- التعبير عن شك بخصوص ج

3- الطلب من المخاطب اختيار أحد الأجوبة التالية: إثبات ج، نفي ج، أوتقديم جواب يتضمن أحد الموجّهات المكيفة للحكم على ج، مثل: ربما، محتمل، فعلا، بالتأكيد.[2]

وبناء على ما تقدّم يفترض التفسير الأصواتي ان الجملة الاستفهامية تضع على الركح ثلاثة متلفظين مختلفين: م1، م2، م3 الأول مسؤول عن الاثبات المعطى مسبقا لمحتوى قضوي ايجابي **ق**، والثاني مسؤول عن التشكك المعبر عنه حول صدق **ق**، والثالث أخيرا، مسؤول عن الطلب الموجه إلى المخاطب لإزالة

(1)-Ducrot. O et Anscombre. J-C: L'argumentation dans la langue, p130
(2)-Ibid,p 130

ذلك الشك، فالملفوظ الأول م 1، وما يتعلق به من الاثبات المعطى مسبقا، يستدل عليه خصوصا ببعض الاستعادات الإحالية كقولنا:

- هل سيأتي سعيد ؟ إن ذلك سيسعدني، ما يستعيده اسم الاشارة / الإحالي " ذلك " هو تحديدا محتوى الاثبات المعطى مسبقا: سعيد سيأتي، وبناء عليه ففي حالة طرح سؤال " حقيقي"، يكون استعمال الاستفهام دالا على توافق المتكلم مع م1 وم3، أي انه يشاركهما في التعبير عن الشك، وفي القيام بطلب إزالته، ولكنه لا يتوافق مع م1، بما أنه يكشف عن شكه حيال صدق القضية **ق**، أما في الاستعمال البلاغي الحجاجي كما في المثال: " أترغب في البقاء هنا؟ لا أنصحك بذلك"، يظهر المتكلم متوافقا مع م2 فقط، والتعبير عن الشك هو الذي يتحكم في التوجيه الحجاجي نحوالنفي.[1]

إن ما يبعث على الاستفهام ليس في الغالب هو الرغبة في إصدار حكم بالصواب أو الخطأ على قضية، بل هو حاجات متعددة الوجوه والأشكال تولّدها الوضعيات التواصلية، فـ"تنوع الحالات النفسية التي تعبر عنها الجمل الاستفهامية: طلب معلومات، مداولة، طلب تأكيد، تشكيك، رفض فرضية، طلب مصادقة، كلها ترجع إلى عامل مشترك،

(1) -Moeshler. Jacques & Auchlin. Antoine :op.cit, p155

وهو تشكيل مواقف غير مرتبطة بمناقشة قضايا، أي لا ترمي إلى إصدار حكم أو قرار، بل على العكس إلى وضعه على بساط المناقشة".[1](*)

2.2) السؤال البلاغي في خطاب الرسائل:

لا تخلو رسائل الجاحظ من أساليب الاستفهام بمختلف أصنافها، الحقيقية والبلاغية، والتي تتوزع في المدونة بصورة متفاوتة، حسب ما تقتضيه مقامات الخطاب الترسّلي، وما تنطوي عليه من عناصر: الموضوع، والزمن، والمخاطب بالرسالة.

والذي يعنينا دراسته من هذه الأساليب بطبيعة الحال، هي حالات الاستفهام البلاغي، أوالسؤال البلاغي الذي يعد واسما أصواتيا كما تقدم بيانه في العرض النظري.[2]

---

(1)- Moignet. Gérard, 1974: Études de psycho-systématique française, Paris, Klincksieck, p100

(*) _ لم تغب هذه الملاحظة على البلاغيين العرب القدماء :فقد نبه الجاحظ إليها بقوله :"وسأل سائل في تحريم الخنزير عن مسألة، فمنهم من أراد الطعن، ومنهم من أراد الاستفهام ومنهم من أحب أن يعرف ذلك من من جهة الفتيا " (الحيوان ،ج2،ص31) .**نقلا عن : بسمة بلحاج رحومة الشكيلي :السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل.** تعلق الباحثة : "فقد ميز الجاحظ في نصه هذا بين السؤال والاستفهام ،فجعل الاستفهام غرضا من أغراض السؤال ووظيفة من وظائفه المتعددة، وذكر للسؤال أغراضا أخرى تؤكد سعة هذا المفهوم " ،وأشار إليه أيضا ابن جني في قوله :"وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء، منها أن يُرِيَ المسؤول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به ،ومنها أن يري الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد لما له في ذلك الغرض، ومنها أن يعدّ ذلك لما بعده مما يتوقعه ،،لغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عما يعرفه لأجلها وبسببها"(الخصائص،ج2، ص464)وهكذا جمع ابن جني بين كل أنواع الخروج انطلاقا من من مقياس واحد، وهوالاستفهام عن الشيء مع العلم به، وقصر التنوع على أسباب ذلك الخروج وأغراضه " **المرجع نفسه، ص13**

(2)- ينظر تفصيل ذلك في المبحث السابق، ص 147-152

ينظر إلى السؤال البلاغي في الدراسات التداولية باعتباره عملا كلاميا غير مباشر، تنجز بواسطته أعمال مختلفة، مما يدرج في صنافات الأعمال الكلامية المعروفة، مثل: الطلب، والأمر، والوعد ...وغيرها، والتي يسمّيها شكري المبخوت "دائرة الأعمال اللغوية".[1]

ومن وجهة نظر التحليل الأصواتي، تحمل بنية الاستفهام اللغوية من التعليمات ما يساعد على استحضار أصوات متعددة، انطلاقا من أن الاستفهام البلاغي لا يتجه إلى طلب العلم بالشيء، وإنما إلى نفيه كما هو تصور أصحاب النظرية الحجاجية،[2] ونفيه أو تقريره كما يذهب إليه البلاغيون العرب القدماء، في ما سموه "خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر".[3]

(1)- تصور شكري المبخوت دائرة الأعمال اللغوية باعتبارها مجموعة من الأعمال اللغوية الأساسية، وهي: الإثبات، النفي، الأمر، النهي، الاستفهام، التمني. و تكمن أهمية تصور هذه الدائرة – في نظره- في أنها تتيح تفسير الكيفية التي يشتق بها من كل عمل فيها الأعمال القريبة منها "وكيف تتعامل في مابينها لتبرز لنا الحركية الملحوظة بين مختلف الأعمال اللغوية " (المبخوت. شكري: دائرة الأعمال اللغوية، ص165)

(2)- أصحاب نظرية الحجاج، أو نظرية الحجاج في اللغة، و أشهرهم: أوزوالد ديكرو و جون كلود أنكومبر. وقد عرضا أصول نظريتهما في كتابهما: L'argumentation dans la langue. و تقوم هذه النظرية على تصور أن "موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها ، يوجه قوله وجهة حجاجية ما" (المبخوت. شكري:نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص352)

(3)- اقترب البلاغيون العرب القدماء من مفهوم الأعمال الكلامية غير المباشرة، من خلال اهتمامهم بتأثير المقام على دلالات الكلام. يتحدث السكاكي عن الأساليب الإنشائية (الإنجازيات):التمني و الاستفهام والأمر والنهي والنداء، فيقول:" متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولد منها ما ناسب المقام...كما إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب: أتفعل هذا؟ امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى، لعلمك بحاله، وتوجه لما لا تعلم، مما يلابسه، من نحو: أتستحسن؟...وولد الإنكار و الزجر... " السكاكي. أبويعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان1987،ص304-305

يفترض التفسير الأصواتي أن الجملة الاستفهامية تضع على الركح ثلاثة متلفظين مختلفين: م1، م2، م3 الأول مسؤول عن الإثبات المعطى مسبقا، لمحتوى قضوي إيجابي **ق**، والثاني مسؤول عن التشكك المعبر عنه حول صدق **ق**، والثالث أخيرا، مسؤول عن الطلب الموجه إلى المخاطب لإزالة ذلك الشك. وبناء عليه يكون استعمال الاستفهام في حالة طرح سؤال " حقيقي"، دالا على توافق المتكلم مع م1 وم3، أي أنه يشاركهما في التعبير عن الشك، وفي القيام بطلب إزالته، ولكنه لا يتوافق مع م1، بما أنه يكشف عن شكّه حيال صدق القضية **ق**، أما في الاستعمال البلاغي الحجاجي ،فيظهر المتكلم متوافقا مع م2 فقط، والتعبير عن الشك هو الذي يتحكم في التوجيه الحجاجي نحو النفي.(1)

للتعرف على استراتيجية الاستفهام في رسائل الجاحظ، وتبيّن مدى فاعليتها من الناحية الأصواتية الحجاجية، نتناول فيما يلي تحليل نماذج مقتطفة من بعض الرسائل:

المقتطف 1: «*جُعلْتُ فداك، ما هذا الاستقصاء وما هذا البلاء؟ ! وما هذا التّتبع لغوامض المسألة، والتعرض لدقائق المكروه؟ !و ما هذا التغلغل في كل شيء يُخْمل ذكري؟ ! وما هذا التّرقّي إلى كل ما يحطُّ قدْري؟!*»(2)

تكشف هذه السلسلة من الأسئلة عن سياقها التداولي: متكلم حريص على علاقته مع المستمع/الشريك في التلفظ – مستمع شريك في التلفظ يبدو نظريا غير

(1)- Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine : op.cit, p155

(2)- الجاحظ: رسالة الجد والهزل، ضمن الرسائل الأدبية، ص340. وهي رسالة موجهة إلى محمد بن عبد الملك الزيات الكاتب الوزير

مستعد للجواب بالإثبات على أسئلة المتكلم – علاقة مهتزة بينهما بسبب إساءة الثاني الأعلى مقاما اجتماعيا، للأول.

تساعد هذه العناصر على استبانة المضمون الحجاجي لهذه الأسئلة، أي على كونها أفعال حجاج، نظرا لطبيعتها البلاغية. وكونُها كذلك يبرره احتمالها للجواب بالنفي، فلا يتوقع من المستمع / الشريك في التلفظ إثبات تهم الاستقصاء والبلاء وتتّبع غوامض المسألة وغيرها على نفسه، سيقول –على سبيل الافتراض-: ليس هذا ولا ذاك، لأنه مجبر على أحد الجوابين: إما **ق**، أو لا- **ق**.

يسعى المتكلم اعتمادا على استراتيجية الاستفهام إلى إحداث تغيير في العالم المعرفي والاعتقادي للمستمع /الشريك في التلفظ، أي إلى تغيير موقفه، وتصحيح الأضرار الناجمة عن الإساءة موضوع الحوار. وهذا ما يساعد الاستفهامُ البلاغي على تحقيقه لأنه يضيّق أفق البحث والتفكير، بل يحصره في جواب جاهز معطى ضمن بنية السؤال الدلالية التداولية.[1]

و عليه يمكننا تصور الخطاطة التالية للتشكيل الأصواتي للسؤال الأول، وسحبها على الأسئلة الأخرى في المقتطف:

متلفظ1: هناك استقصاء وهناك بلاء(وجهة نظر ثاوية مستبعدة غير ملائمة للسياق ،و تناسب السؤال الحقيقي)

منلفظ 2: هناك شك في وجود استقصاء وبلاء(وجهة نظر صريحة تعبر عنها البنية التركيبية الدلالية للاستفهام ،لا يتماهي معها المتكلم، بل يدحضها)

(1)-تقدّم التأصيل النظري للمسألة في ص151 من هذا الفصل

متلفظ 3: لا يوجد استقصاء ولا بلاء(وجهة نظر ثاوية مسنَدة إلى المخاطَب، يتماهى معها المتكلم بواسطة رابط المسؤولية: الموافقة، وتمثل فعل الكلام غير المباشر للاستفهام ،و هو **النفي أو الدحض**= الاستبعاد)

-المقتطف الثاني: «*و لو أن شيبتي التي بها استعطفتُك، وكِبْرَةَ سنّي التي بها استرحمتُك، اللتان لم يَحْدُثا عليّ إلا وأنا في ذُراك، ولم يحلاّ بي إلاّ وأنا في ظلّك. فكيف وقد أكرمتَني جديدا، ثم تريد أن تهينَني خَلِقا، وقوَّيت عظمي أغلظَ مما كان، ثم تريد أن توهنَه أرقّ مما كان. وهل هرمتُ إلاّ في طاعتك، وهل* **أخْلَقَني إلا معاناة خدمتِك** *؟*»[1]

بتطبيق مفهوم العوالم الممكنة الذي جاء به **ر.مارتان(Martin.Robert)** في تحديده لماهية الاستفهام،[2] نقول:

ـــ إن هرم الجاحظ(المتكلم) يصحّ إذا وفقط إذا وجد عالم كان فيه الجاحظ قد عاش كل حياته ما عدا فترة الشباب في كنف مخاطَبه.

ـــ إنه يُوجَد عالم واحد على الأقل تكون فيه القضية السابقة خاطئة، وهو العالم الممكن الذي لا يكون الجاحظ(المتكلم) فيه قد عاش كل حياته ما عدا فترة

(1)- رسالة الجد والهزل، ضمن الرسائل الأدبية: ص:355- 356

(2)- يحدد **ر مارتان** وظيفة الاستفهام بكونه يعلق الحكم القيمي على الحقيقة المتضمنة في القول "فهي تبدو كالعالم الآخر بالنسبة إلى الخطأ والصواب، كوظيفة حجز لقيمة الحقيقة، أو كعرض لمناقشة قول يكون مسبقا صحيحا أو خاطئا في صورة عالم من العوالم" فعندما يقارن الاستفهام بالإثبات، يبدو عملية لاحقة، تستهدف تعليق الحكم على قيمة الحقيقة. ينظر:

MARTIN, Robert, 1987: Langage et croyance. Les « univers de croyance » dans la théorie sémantique », Pierre Mardaga, éditeur, Bruxelles , p:21

الشباب في كنف مخاطَبه، وعندئذ لا تصح العلاقة السببية القائمة بين هرم الجاحظ وعيشه كهولته وشبابه في كنف المخاطَب.

التأرجح بين هذين العالمين، وما يتفرّع عنهما من عوالم ممكنة، هو الذي يبرّر اللجوء إلى استراتيجية الاستفهام، فكأن المتكلم باستخدامه الاستفهام المقترن بالحصر، يفرض على مخاطبه جوابا بالنفي، أو كأنه يتجاوز هذا الجواب المعروف سلفا إلى التعبير عن قلق وحسرة على تنكر المخاطب له، أو لنقل إلى إشهار قلقه وحسرته لا مجرد قولهما – كما يقول أ ديكرو(**O.Ducrot**) وج ك انكومبر(**J.-Cl. Anscombre**).[1]

ننهي هذا التحليل بوضع خطاطة التشكيل الأصواتي للسؤال البلاغي محـــل الدراسة:

متلفظ 1: أخلقتني معاناة خدمتك وغيرها من المعانَيات(وجهة نظر ثاوية تتضمن إثبات القضية **ق**، يستنفرها السؤال الحقيقي، و لا تناسب مقام العتاب)

متلفظ 2: هناك شك في أن معاناة خدمتك وحدها هي التي أخلقتني (وجهة نظر صريحة تعبر عنها البنية التركيبية الدلالية للاستفهام، لا يتماهي معها المتكلم، بل يدحضها)

متلفظ 3: لم تخلقْك معاناة خدمتي فقط، لا يوجد استقصاء ولا بلاء(وجهة نظر ثاوية مسندة إلى المخاطَب، يتماهى معها المتكلم بواسطة رابط المسؤولية: الموافقة .و تمثل فعل الكلام غير المباشر للاستفهام ،و هو النفي أو الدحض)

(1)-Anscombre, J.-Cl. et Ducrot. O:L'argumentation dans la langue ; « Interrogation et argumentation », p:133

-المقتطف الثالث:

يوظف الجاحظ في رسالته المشهورة "التربيع والتدوير" سلاسل طويلة من الأسئلة يوجهها إلى أحمد بن عبد الوهاب(*)؛ وهي أسئلة معرفية لا يراد بها تقويم التعلّمات كما هو الحال في المقام البيداغوجي(1)، بل يراد بها التعجيز والسخرية من المخاطب. وهي تتكرر تقريبا وفق النسق الذي نجده في قوله:« خبرني: كيف صار الماء أبعدَ من الفلك ولا يكون إلا في بطن الأرض، وهو أشبه بالهواء كما أن الهواء أشبه بالنار، وكيف يكون أحقَّ بالوسط والأرض أبعدُ من سيّة الفلك، وكيف طمعَ -جُعِلْتُ فداك- الدهريُّ في مسألة العلاة والمطرقة وفي البيضة والدجاجة، مع تقادم ميلادك ومرور الأشياء على بدنك، وكيف كان بدءُ أمر البدّ في الهند، وعبادة الأصنام في الأمم، وقصة عمرو بن لحي في العرب[؟]»(2)

الافتراض المسبق لأسئلة الجاحظ السابقة ومثيلاتها في رسالة "التربيع والتدوير"، باعتبارها أفعالا لغوية غير مباشرة هو: **لا أعرف.** وهذا الافتراض المسبق معبّر عنه ضمنيا في نهاية الرسالة في قول الجاحظ: « فإن أردت أن تعرف حقَّ هذه المسائل وباطلَها وما فيها خرافةٌ وما فيها محالٌ وما فيها صحيحٌ وما فيها فاسدٌ، فالزمْ نفسَك قراءةَ كتبي ولزومَ بابي... »(3)

(*)-أحمد بن عبد الوهاب ليس من الكتاب المرموقين، فالتراجم المعروفة لا تعرض له. وقد أشار إليه صاحب الأغاني عرضا ،و ذكر أنه كان كاتب أمير و لم يكن كاتب ديوان (ينظر طه الحاجري: الجاحظ حياته و آثاره، ص275)

(1)-الاستفهام في المقام البيداغوجي، وهو "ضرب من الأسئلة التي يشكل تحديد قيمتها التداولية ، إذ يكون اللفظ فيها لفظ استفهام في حين يكون المستفهم عنه لا هو بالمعلوم فيجزم بانتفائه أو بثبوته كما هو الحال في السؤال الحقيقي، و تسمي أوريكيوني هذا النوع من الأسئلة"أسئلة موجهة" Questions orientées"(ينظر: بسمة بلحاج رحومة الشكيلي :السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل، ص12)

(2)- الجاحظ: التربيع والتدوير، ضمن الرسائل الأدبية، ت و ش علي بوملحم، ص445-446

(3) – نفسه، ص486

يتيح لنا هذا النوع من الخطابات(الخطابات التي تستخدم فيها الأسئلة حججا) تحليلها في ضوء مفهوم السلاسل الحجاجية.[1]و لأجل ذلك نستحضر قاعدة أ .**ديكرو**(O.Ducrot) في بناء الحجاج على الاستفهام ــ أي قيام القول الاستفهامي مقام الحجة على القول المثبت، سواء كان هذا القول ظاهرا أو مضمرا، حيث يمكن للملفوظ الاستفهامي: ق؟ أن يؤدي دور مل1 وفقا لمبدأ التنسيق الحجاجي، فيتوجب عندئذ توجيهه لاستنتاج لا- ق[2]

عند التطبيق على رسالة التربيع والتدوير نحصل على ما يلي:

م1: لا أعرف(رد المخاطب/ الشريك في التلفظ المستنبط من قول المتكلم: فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل)

ق؟: مجموع الأسئلة المطروحة على المخاطب/ الشريك في التلفظ، ومنها: كيف صار الماء أبعد من الفلك ولا يكون إلا في بطن الأرض...؟ وكلها يجاب عنها إضمارا بالنفي، أي لا- ق

في نفس السياق نلاحظ أن الاستفهام قد يرد ضمن الحوار الجدلي المباشر، كردٍّ على أقوال الخصم، لدحضها وإثبات خطئها، أي بصورة يستخدم فيها الاستفهام حجة مضادة. في رسالة" **المسائل والجوابات**"، نقرأ ما يلي: « *فإن قالوا: "ليس أحدٌ يعرف أن علامة الحق استشهادُ الضرورات غيرُنا، قلنا: أوَلستم-*

(1)- السلالم الحجاجية: يعرف طه عبد الرحمن السلم الحجاجي بأنه "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفيه بالشرطين التاليين:أ-كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه. ب-كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين،كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه" (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص277)

(2)-Anscombre. J-Cl et Ducrot.O:L'argumentation dans la langue , p117

معشر أبي إسحاق النظام – تختلفون في أمور كثيرة وقد كنتم يؤمنُّكم أن تكونوا على باطل أنْ تقولوا: استشهادنا للضرورات على باطل؟»[1]

يقودنا تحليل هذا المقطع إلى فك تركيبه على النحو التالي:

م1: أ) **الإثبات**:استشهاد الضرورات ينفرد به المعتزلة.

ب) **التعليل**(الحجة): غير المعتزلة لا يعرفونه

ق؟(=~ ق): أ) ليس انفراد المعتزلة باستشهاد الضرورات شرطا كافيا لتجنّب الباطل. ب)الحجة المضادة: لأنهم يختلفون فيما بينهم، وينقسمون إلى محقٍّ ومُبْطِل. وعليه يسدُّ الملفوظ الاستفهامي مسدَّ الملفوظ المنفي في استراتيجية الدحض، لأنه يعادله بموجب قواعد الضمنيات التحادثية[2](*)

(1)- الجاحظ: المسائل والجوابات في المعرفة، ضمن الرسائل الكلامية، ت و ش علي بوملحم، ص115

(2)- يميز بين الضمنيات الموسومة لغويا و الضمنيات غير الموسومة لغويا، و على أساس ذلك يقيم ج. سيرل تقابلا بين أعمال اللغة غير المباشرة الاصطلاحية، و أعمال اللغة غير المباشرة غير الاصطلاحية؛ بينما يعتمد هـ. ب. غريس المقابلة بين الضمنيات الاصطلاحية (العرفية)و الضمنيات التحادثية. (ب .شارودوود ود.مانغونو :معجم تحليل الخطاب ، ص297). للتوسع، يرجع إلى: مبحث الضمنيات في المدخل النظري، ص23 وما بعدها

(*)- تعرضنا لمفهوم الدحض في هامش متقدم من هذا الفصل ، ص143

3-الروابط والعوامل الحجاجية

1.3-مفهومها واشتغالها أصواتيا:

تُظْهِر المقاربة الأصواتية لاشتغال عدد من المورفيمات(الروابط والعوامل الحجاجية والموجّهات)خطأ الفكرة القائلة بواحدية الذات المتكلمة التي كانت تعدّ مسلّمةً من مسلّمات اللسانيات قبل الملفوظية، وحسب الصيغة المشكلنة التي جاء بها **ديكرو(O.Ducrot)**: يكشف المقول آثار قوله، و تختزن الملفوظات تعليقات حول التلفظ أهم وأكثر قيمة من التعليقات التي تبرز عند القيام بالأفعال اللاقولية.[1]وتؤدي الروابط الحجاجية خاصة –بأصنافها الثلاثة التي يتناولها هذا الفصل- وظيفة الإحالة إلى عمليات التلفظ، فيما يتصل تحديدا بإدراج الأصوات ووجهات النظر التي تحمل عادة في اللغات الطبيعية محتوى حجاجيا، أي يتمفصل فيها الحجاج بما هو تعدد للرؤى والأحكام، مع تعدد الأصوات باعتباره آلية لسانية تتحقق بها حجاجية الخطاب الطبيعي.

ولما كانت وظيفة اللغة الحجاجية تقتضي تضمّن اللغات الطبيعية واسمات لغوية لتحقيق هذه الوظيفة، فقد كانت الروابط والعوامل الحجاجية هي الآليات المتوسَّلة لذلك« فاللغة العربية، مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر من هذه الأدوات: لكن، بل، إذ، حتى، لا سيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما.. إلا...الخ»[2]

(1)_Ducrot . O: Le dire et le dit, p174, 179

(2)_ العزاوي. أبوبكر:اللغة والحجاج،د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع،بيروت 2009، ص32

وقد طرح تعريف الروابط والعوامل الحجاجية وقواعد اشتغالها كثيرا من الإشكالات على الباحثين، لتباين خصائصها التمييزية عن المقولات النحوية التي تصنّف ضمنها، فمفهوم الروابط في عرف بعضهم مثلا، هو توسيع لمفهوم أدوات العطف الذي ساد في النحو التقليدي، فهو يشمل عبارات وكلمات تنتمي إلى «مقولات نحوية متنوعة من نوع أدوات العطف، وأدوات الربط التعليقي والردائف "والتي تشترك في وظيفة الربط "الذي تحدثه بين السياق اللغوي [يسار][1]الملفوظ الذي تتصل به وذلك الملفوظ نفسه».[2]

ويفضّل **موشلر وروبول(Reboul & Moeschler)** تسمية هذه المورفيمات بالروابط التداولية، ويقدّم لها تعريفا أكثر دقة، يقول فيه:« الرابط التداولي هو واسم لغوي، ينتمي إلى مقولات نحوية متنوعة(الروابط التنسيقية، الروابط الإلحاقية، الردائف، العبارات الردائفية) والذي:

أ)يفصل وحدات لغوية كبرى، أو أي وحدات خطابية

ب)يرسل تعليمات حول طريقة ربط هذه الوحدات

ج)يفرض استنباط استنتاجات من هذا الربط، لا يمكن الحصول عليها في حالة غيابه»[3]

يضاف إلى ذلك إشكال التمييز بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، والذي انتهى فيه الباحثون إلى نتائج غير حاسمة، مؤداها أن «...الروابط تربط بين

(1)_في المرجع المترجم من الفرنسية " يمين" ،و غيرناها لتناسب نظام كتابة العربية من اليمين إلى اليسار.

(2)_ ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص127

(3)- Reboul .A.&.Moeschler. J, 1998: Pragmatique du discours, Paris, A.Colin. p 77

قولين، أوبين حجتين على الأصح(أو أكثر)، وتسنِد لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...الخ، أما العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية(أي بين حجة ونتيجة أوبين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما ...إلا، وجل أدوات القصر».[1](*)

أما اشتغال هذه "الوحدات اللغوية "أصواتيا فيتم حسب تصـــــور **ديكرو** (**O.Ducrot**) وفقا للمسار التلفظي التالي: يقدم المتكلم بتلفظه "أ" على الركح مرسلا مل1 يحاجج من "أ" إلى "ن"؛ وبتلفظه "لكن ب" يقدم على الركح مرسِلا مل2 يحتج من "ب" إلى "لا-ن"، وأخير يتماهى مع مل2 ويحتج إذن نحو"لا – ن".[2]

وحتى نتبيّن الفرق بين الاشتغال النحوي لهذه الروابط واشتغالها التداولي، لابد لنا من فحص التمييز الذي أصبح اللسانيون يقيمونه بين وظائف ثلاث تؤديها هذه الروابط؛ الوظيفة النحوية، وظيفة فعل الكلام، والوظيفة الإبستيمية(الاعتقادية)، وهو ما يتجلى في استعمالات الرابط "لأن"في الأمثلة التالية:

---

(1)_ العزاوي. أبوبكر :اللغة والحجاج، ص33

(*)- في تصنيفه لتقنيات الحجاج التي يجعلها ثلاثة: الأدوات اللغوية الصرفة ،الآليات البلاغية، الآليات شبه المنطقية، يفصل الشهري بين ألفاظ التعليل"بمافيها الوصل السببي و التركيب الشرطي" التي يدرجها في الصنف الأول "الآليات اللغوية الصرفة "ولا يعدها روابط حجاجية، والروابط الحجاجية الأخرى التي يصنفها ضمن الآليات شبه المنطقية، مثل(لكن، حتى، فضلا عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد).وهو تصنيف يخالف فيه المجمع عليه بين المشتغلين في حقل التداولية اللسانية، الذين يميزون بين الروابط والعوامل، ولا يختلفون في كونها جميعا آليات لغوية.(الشهري.عبد الهادي بن ظافر:استرتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان2004، ص477)

(2)-ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص128-129

1-لقد عاد لأنه يحب وطنه

2-هل عاد؟ لأنه يحب وطنه

3- لأنه يحب وطنه، فهوقد عاد

في الاستعمال الأول يؤدي الرابط وظيفة بيان السبب النحوية، وفي الاستعمال الثاني يفسّر سؤال المتكلم ووجاهة طرحه، وهو فعل كلامي، وفي الاستعمال الثالث تكشف لنا الوظيفة الإبستيمية للرابط تعليل العودة الذي يتصوره المتكلم عندما يعتبر ان العودة دليل على حب الوطن.[1](*)

فالروابط من منظور تداولي هي واسمات تستنفر التضمينات المتعارف عليها وفق قواعد المحادثة أو قوانين الخطاب، وميزتها الجوهرية أنها مندمجة تتدخل في البنية الدلالية للغة الطبيعية.[2] وبالتالي فإن وظائفها-كما بيّنا أعلاه- لا تكون «واضحة وشفافة في الاستعمال، كالوصل والفصل في المنطق... »[3]، فلا يكفي أن نعرف عن الرابط ما هي الوظيفة المقررة له في النحو، إذ قد يشترك رابطان في أداء وظيفة نحوية واحدة، ومع ذلك لا يمكننا استعمال أحدهما مكانَ الآخر، كما لا يمكننا الاكتفاء عند تأويل الملفوظات بافتراض نمط واحد من تأثير الرابط على معانيها وتوجّيهها الحجاجي. لإيضاح هذه المسألة يقارن أ. **ديكرو(O.Ducrot)** بين الرابطين"بما أن**Car** " و"ما دام **Puisque**"، انطلاقا من الشروط التداولية التي

(1) _ Moeshler.Jacques & Auchlin. Antoine: Initiation à la linguistique contemporaine، p191

(*) الأمثلة مأخوذة من هذا المرجع، مع بعض التعديل

(2)_ عشير.عبد السلام:مرجع سابق، ص 82

(3)_ نفسه، ص83

تتحكم في التواصل، ويجد في مفهوم تعدد الأصوات ما يساعده على تفسير الانتقال من هذا الرابط إلى ذاك في الاستعمال، كما يظهر في المثال التالي المقترض من **ديكرو**:

1-بما أن الجو جميل، فلنخرج للتتره

2-مادام الجو جميلا، فلنخرج للتتره

في المثال الأول حسب **ديكرو(O.Ducrot)**، يتحمل المتكلم مسؤولية التلفظ بـــ مل 1"إنّ الجو جميل"باعتبارها حجّة موجَّهة نحو النتيجة المعبر عنها في مل2 "لنخرج للتتره"، لذلك استخدم الرابط "بما أن"، أما في المثال الثاني، فإنه يقدم مل1 باعتباره حجّة يتكفل بمسؤوليتها المخاطَب، فهولا يفعل شيئا سوى أنه يسايره فيما زعمه، يقول ديكرو: إنه« يزعم أنه قال مل2، مسايرا لاعتقاد المتلفظ له، أو أنه قاله لمجرد أن المتلفظ له سبقه لقوله، بالمقابل يمكنه أن يقول حقا مل2، إذا أخذه تحت كفالته، أو لحسابه الخاص، وكل ما عليه أن يفعله بعد ذلك، هو أن ينبّه إلى أنه يتكلم كلاما مطابقا لكلام المتلفظ له ».[1]

فدون الاستعانة بالتحليل الأصواتي، لا يمكننا التمييز الدقيق بين دلالتي "بما أن"و "ما دام"و الآثار التداولية التي تنجم عن استعمالهما في المقامات المختلفة. وهذا ما ينطبق على كل الروابط والعوامل الحجاجية ، وغيرها من الواسمات الأصواتية.

(1)-Ducrot. O: Les échelles argumentatives, p 48

2.3) الروابط والعوامل الحجاجية في خطاب الرسائل:

تؤدي الروابط والعوامل الحجاجية –كما بيّنا في العرض النظري المتقدم - وظيفة الإحالة إلى عمليات التلفظ، فيما يتصل تحديدا بإدراج الأصوات ووجهات النظر التي تحمل عادة في اللغات الطبيعية محتوى حجاجيا.[1]ونذكّر هنا بالتمييز الذي ينبغي أن نستحضره عند التطبيق على هذين الواسمين الأصواتيين؛ الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية. فالأولى حسب اللسانيين التداوليين تربط بين قولين، أو بين حجتين، ويمثّلُ لها عادة بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...الخ؛ أما العوامل الحجاجية، فتستخدم للربط بين متغيرات حجاجية، أي بين الحجة ونتيجتها، أوبين مجموعة من حجج والنتيجة التي توجِّه إليها، وتنضوي تحت مقولة العوامل الحجاجية أدوات مثل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما ...إلا، وغيرها من أدوات القصر.[2]

وزيادة على ما تقدّم التذكير به، ونحن بصدد التطبيق على الروابط والعوامل الحجاجية في مدونة الرسائل الجاحظية، لابد لنا من استحضار تصور اشتغال هذه "الوحدات اللغوية "أصواتيا، يقترح **ج. م. أدام(J-M.Adam)**انطلاقا من تعريفه للروابط بنية دلالية نموذجية ينشئها الرابط الحجاجي وهي: ق [ر] ك، بحيث ق وك قولان أوحجتان، و[ر] رابط، وتسمى وجهات النظر المتضمنتان في **ق وك** وجهات نظر ترابطية.[3] وللتمثيل نورد نموذج اشتغال الرابط "لكن" كما يتصوره

(1)_ ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص162 وما بعدها
(2)_العزاوي. أبوبكر :اللغة والحجاج، ص33
(3) -Nølke.H: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, p 28

ديكرو(O.Ducrot) يشتغل الرابط الحجاجي "لكن"وفق المسار التلفظي التالي: يقدّم المتكلم بتلفظه بـــ"أ" على الركح متلفظا مل1 يحاجج من "أ" إلى "ن"؛ وبتلفظه بـــ "لكن ب" يقدّم على الركح متلفظا مل2 يحتج من من "ب" إلى "لا- ن"، وأخير يتماهى مع مل2 ويحتج إذن نحو"لا - ن".(1)

تصادفنا في رسائل الجاحظ روابط وعوامل حجاجية متنوعة، يتجلى من خلالها الطابع الحجاجي لخطاب الرسائل، وما يزدحم فيها من أصوات يستحضرها الجاحظ لأفراد وجماعات متباينة المشارب الفكرية والدينية والمذهبية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، يستعين الجاحظ بروابط مثل: لكن،لما،لأنّ...إلخ وعوامل حجاجية مثل: قلّما...إلا ،إنما...و غيرها. وفيما يلي دراسة أصواتية تطبيقية لنماذج من الملفوظات التي ترد فيها هذه الوحدات اللغوية:

المقتطف الأول:

« وقد قال الله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون﴾(*)وهذا مثل ضربه الله، **لأنّ** *الناس يعلمون أنْ لو وُضِع في إحدى كفّتي الميزان شيءٌ ولم يك في الأخرى قليل ولا كثير، لم يكنْ للوزن معنىً يُعْقل، وذلك أنّ أحدا من الخلق لا يخلو من هفوة زلّة أوغفلـــــة، فأخْبَرَ أنّ من كان حسناتُه الراجحة على سيّئاته،*

(1)_ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص128-129

(*)- الآية102-103 من سورة المؤمنون

مع الندم على السيّئات، كان على سبيل النجاة، طريق الفوز بالإفْلاح، ومن مالت سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب أولى به».[1]

تنتمي"**لأنّ**" لصنف الروابط المسمّاة بـــ"روابط التتابع" السببية،[2] أو التعليلية، وتؤدّي وظيفة بيان العلاقة السببية بين قضيتين(قولين)، ومن منظور حجاجي، تقوّي الحجّةُ المتضمَّنة في القول الثاني(ق2) يسارَ الرابط، النتيجة المتضمَّنة في القول الأول(ق1) يمينَ الرابط في البنية النمطية: ق1 [لأن]ق2، وعليه يكون التشكيل الأصواتي للشاهد المقدَّم أعلاه على النحو التالي:

-ق1: يحاسب الله الناس على كل كبيرة وصغيرة{وجـــ ن1 مسندة إلى متلفظ 1(يستحضر خطاب سلطة ممثلا في الآية الكريمة التي ترد هنا محمولة في ملفوظ ينسب إلى المتلفظ1)يتماهى معه المتكلم بواسطة رابط الموافقة }

-ق2: لا يكون للميزان معنى دون أن يحاسب الله الناس على كل كبيرة وصغيرة(وجـــ2 تحيل إلى صوت جماعي ذو خبرة، كعلماء الدين وعلماء اللغة أو غيرهم، وهو الصوت الذي يستحضره المتكلم، ويتماهى معه)

نلاحظ في حالة هذه الروابط التتابعية السببية أن المتكلم يتماهى مع الصوتين اللذين يسند إليهما ق1وق2، لأن القولين يشتركان في نفس التوجيه الحجاجي، أي يوجِّهان نحو نتيجة واحدة، وينطبق التحليل السابق على الرابط السببي الثاني

(1) - المعاش والمعاد، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم: ص:71-72

(2)-تصدى العديد من الدارسين لهذا الصنف من الروابط، و اعتبروا أنها تنشئ علاقة تتابع بين قضيتين مترابطتين، وهناك من يرى أنها تربط بين مكوني قضية واحدة وتعبّران عن فعل تلفظي واحد مثل **ج.م.أدام** (ينظر: خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب ،ط1، عالم الكتب الحديث ، الأردن2012 ،ص 92)

الوارد في المقتطف، وهو الرابط "**وذلك أن**"، ماعدا أن ق2 في التشكيل الأصواتي تتحول إلى ق1، ويكون مابعد الرابط "وذلك أن"ق2 في التشكيل الأصواتي الخاص بالملفوظ: "الناس يعلمون أن لو وضـــــع في إحدى... معنى يعقل، و**ذلك أن** أحدا من الخلق لا يخلو... كان العطب والعذاب أولى به"

-المقتطف الثاني:

«*ولولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة لكانوا هَمَلا ولتُرِكوا نُشْرا وحَشْرا، ولسَقَط عنهم الأمر والنهي، ولكنّهم قد يفضِّلون بين الأمور إذا أُورِدَتْ عليهم وكُفُوا مؤونة التجربة وعلاج الاستنباط، ولن يبلغوا بذلك القَدْر قدرَ المستغني بنفسه المستبدّ برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة*».[1]

يعتبر الرابط "**لكن**" أهم الروابط الحجاجية، لما ينشئه من علاقة تعارض وتعديل بين الأقوال أو الحجج،[2] وتشاركه في هذه الوظيفة التداولية الحجاجية روابط أخرى في مدونة الرسائل الجاحظية من قبيل: بل، على أن، إنما(في بعض استعمالاتها)، وفي الشاهد الذي اخترناه هنا للتمثيل، يؤدّي حرف الاستدراك

(1)- الجاحظ: استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ش وت علي بوملحم: ص :186

(2)- دليل هذه الأهمية هو أنه كان محل اهتمام كبير لدى الدارسين في حقل الدراسات التداولية ،فقد خص بالكثير من الدراسات ،واحتل صدارة الروابط التي كان هؤلاء الدارسون يتخذونها سندا للاستدلال على صحة فرضياتهم (ينظر : خليفة الميساوي :الوصائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب، ص88)

"لكن"[1]وظيفة التعديل، بحيث لا تلغي حجّةُ(ق2)حجّةَ(ق1)، بل تبقي عليها وتعدّلها، لتفصيل ذلك نقدم الخطاطة التالية:

- ق1: في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة، أي في طاقتهم معرفة الله وما يوجبه من شرائع دون حاجة إلى الرسل بالاعتماد على عقولهم فقط(تُسند وجـــ ن 1 إلى متلفظ 1- قد يكون صوتا جماعيا "المعتزلة"- يوافق عليه المتكلم لكنه لا يكتفي به، فيكون ما استُدْرِكَ عليه هنا ليس صحة المحتوى القضوي، وإنما كونُه غير كاف)

-ق2: ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة، أي أنهم محتاجون إلى الرسل لتخفيف مشاق التجربة والاستنباط، إعمالا **لمقولة اللطف الإلهي**[2](وجـــ ن 2 مسندة إلى متلفظ 2، وهو في هذه الحالة صوت جماعي غير متجانس تدخل في تشكيله عدة جماعات مذهبية إسلامية، تؤمن كلها بحاجة البشر إلى الرسل والأئمة، يرتبط المتكلم بوجـــ ن2 برابط تقبُّل، لأنه لا يجعلها متعارضة مع وجـــ ن2)

على المستوى الحجاجي يمكننا قراءة الملفوظ السابق قراءة تفضي إلى الكشف عن تعارض بين قولين، أوحجتين ؛ حجة 1"العقل يؤهل الإنسان إلى

(1)- يميز الدارسون بين "لكن"الحجاجية التي تقيم تعارضا بين حجتين توجه إحداهما نحو نتيجة ن ،والأخرى نحو النتيجة لا- ن،و"لكن"الإبطالية التي تستخدم لإبطال حكم على قضية وإثباته لأخرى، نحو قولنا :جاء علي لكن أحمد لم يأت(ينظر: العزاوي. أبوبكر :اللغة والحجاج ،ص61-63)

(2)- يعرف صاحب كشاف اصطلاحات الفنون مقولة اللطف الإلهي عند المعتزلة بأنها "ما يختار المكلّف عنده الطاعـــة أو ما يقرب منها مع تمكنه، و يسميّان المحصِّل و المقرِّب ،و التوفيق اللطف لتحصيل الواجب، و الخـــذلان منـــع اللطـــف و العصمة اللطف المحصّل لترك القبيح..." التهانوي . محمد:موسوعة كشاف اصطلاحات العلـــوم والفنـــون،تر: عبـــد الله الخالدي،ج2، ط1، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت 1996، ص1407

معرفة الله " توجه إلى النتيجة ن: "يستطيع البشر الاستغناء عن الرسل والأئمة"، والحجة 2 المدرجة بواسطة "لكن" وهي "إرسال الرسل أيسر مؤونة في إيصال البشر إلى معرفة الله "، وتوجه إلى النتيجة لا-ن: لا يستطيع البشر الاستغناء عن الرسل.

الطريف في هذا المثال أن الرابط التعديلي /التوفيقي "لكن" أدّى إلى تشكّل وجهة نظر ثالثة، لا نجد مشقة في إسنادها إلى المتكلم /كاتب الرسائل، الذي وضع على الركح وجهتي نظر تبدوان متناقضتين، ثم قام بدمجهما من خلال الرابط "لكن" مدعوما ببعض الموجّهات كحرف النفي "لن" ذي الدلالة الزمنية المحيلة إلى المستقبل، والحرف "قد" وما يفيد من تشكك واحتمالية لاقترانه بالمضارع، وعبارات ذات دلالة جهية تقديرية مثل "قدر المستغني"، "المكتفي بفطنته"...إلخ

-المقتطف الثالث:

« *وليست بحمد الله من باب الطّفْرة والمداخَلة، ولا من باب الجوهر والعرض، **بل** كلها في الكتاب والسنة، وبجميع الأمة إليها أعظم الحاجة*»(1)(*)

تشتغل "بل"حرف الإضراب في بعض الحالات مثل "لكن" الحجاجية، فتؤدي وظيفة الربط بين حجتين متعارضتين تخدمان نتيجتين متضادتين، تكون ثانيتهما هي الأقوى، وإلى جانب هذا الاستعمال تشتغل "بل"حجاجيا وتستنفر

(1)- الجاحظ: رسالة الفتيا، ضمن الرسائل الأدبية، ت وش علي بوملحم، ص: 252

(*)- يعلق علي بوملحم في المقدمة التي وضعها لهذه الرسالة بقوله "وينفي الجاحظ عن كتابه صفة علم الكلام ،وهذا ما دعاني إلى عدم وضعه في رسائل الجاحظ الكلامية" وهذا الاستنتاج ليس دقيقا، لأن الجاحظ نفى أن يكون الكتاب ذا صلة بالمباحث الفرعية لعلم الكلام، المباحث الخاصة بالعلم الطبيعي، وليس علم الكلام ككل.

التعدد الصوتي، حين تكون مرادفة لـــ"حتى"،[1] وهي الحالة التي نمثل لها بهذا المقتطف، يمكننا قراءة هذا الشاهد حجاجيا وأصواتيا وفق الخطاطة التالية:

ق1: ليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر والعرض.

ويتضمن حجة 1 توجَّه حجاجيا نحوالنتيجة: الكتاب جدير بالقراءة، ولا مبرر لرفض قراءته بدعوى المذهبية، ويسند القول ق1 إلى متلفظ 1 يتماهى معه المتكلم، ويفترض أن يكون هذا المتلفظ كل من قرأ، أو سيقرأ الكتاب، ويحكم بخلوه من مفاهيم علم الكلام المعتزلي.[2]

-ق2: كلها في الكتاب والسنة...

ويتضمّن حجة2 وهي أقوى من حجة1، وتوجَّه حجاجيا نحو نفس النتيجة: الكتاب جدير بالقراءة، ولا مبرّر لرفض قراءته بدعوى المذهبية، ويسند ق2 إلى متلفظ 2 يتماهي معه المتكلم تماهيا تاما، وبدرجة أكبر من تماهيه مع الصوت الذي أسْنَدَ إليه ق1، لأن ق2 تضمنت زيادةً على نفي المحتوى الكلامي عن الكتاب، إثباتا لالتزامه بالكتاب والسنة، حسب ما يفهم في أوساط أهل السنة والجماعة خصوم الجاحظ والمعتزلة. وهذا ما يفتح التحليل الحجاجي الأصواتي على

(1)- بل/لكن، بل/حتى: ينظر تفصيل المقارنة بين هذه الروابط في :أبوبكر العزاوي، اللغة و الحجاج،ص61-69

(2)- يريد الجاحظ بذلك توقّي مهاجمة الخصوم لمحتوى كتابه الذي خصصه لأصول الفقه، هؤلاء الخصوم الذين كانوا يشنّعون على المعتزلة، ويكرهون منهم اشتغالهم بعلم الكلام، بل إن بعض الخصوم كانوا يخرجونهم من الملة بسبب ذلك. في كتاب فضل الاعتزال و طبقات المعتزلة عدة فصول استهدف بها القاضي عبد الجبار (ت-415 هـــ)الاحتجاج لعلم الكلام ومشروعيته، ومن ذلك:-فصل في قولهم إن الكلام بدعة - فصل في نسبتهم المعتزلة إلى الخروج عن التمسك بالسنة والإجماع، وأنهم ليسوا من السنة والجماعة (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ،تح: فؤاد سيد يونس. ط2. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب. تونس، الجزائر. 1986ص:181-185).

ظاهرة الخطاب المستحضر التي سنعرض لها لاحقا في الفصل المخصص للتحليل الأصواتي الخطابي.[1]

المقتطف الرابع:

" ***فإذا*** *وجب أن الكلام غير محرم* ***فإنّ*** *وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريما لعلة من العلل، وإن الترجيع له أيضا لا يَخْرُج إلى حرام، وإن وزن الشعر من جنس وزن الغناء، وكتاب العروض من كتاب الموسيقى، وهو من كتاب حدّ النفوس، تحدّه الألسن بحدّ مقْنِع، وقد يُعْرَف بالهاجس كما يعرف بالإحصاء والوزن، فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنّة نبيّه عليه السلام*»[2]

يقدم لنا هذا المقتطف رابطا تتابعيا من صنف مختلف، هو صنف الروابط الاستنتاجية التي تنشئ بين قولين أو قضيتين علاقة لزوم طبيعي، بحيث يؤدي ق1 إلى ق2 ضرورة وفق موضع معتمد لدى جماعة ما ينتمي إليها المتخاطبان أو المتخاطبون، ومن جملة الروابط التي تؤدي هذه الوظيفة في اللغة العربية الرابط المركّب "إذا ...فـــ"، والروابط "إذن"، "لذلك"، "وعليه".

لاحظنا أن الرابط الأكثر ورودا في متون الرسائل هو الرابط الشرطي المركّب "إذا ...فـــ" ونظائره من أدوات الشرط مركّبة مع الحروف الواقعة في جواب الشرط، ولأجل التمثيل لهذا الصنف من الروابط، اخترنا المقتطف أعلاه.

(1)-ينظر في فصل لاحق، ص246

(2)- الجاحظ، كتاب القيان، ضمن رسائل الجاحظ الكلامية، ت وش علي بوملحم، ص: 73-74

يشتمل الملفوظ المتضمن في هذا المقتطف قياسا مضمرا[3]يمكننا إعادة بناء عناصره على النحو التالي:

ق1: وجوب أن الكلام غير محرم، لعدم وجود علة التحريم(مقدمة مصرح بها)

ق2: الغناء كلام(مقدمة صغرى مضمرة)

ق3: وجوب أن الغناء غير محرم، لعدم وجود علة التحريم(نتيجة)

الحجة في ق1 حجة سلطة،[4] تحيل إلى حكم شرعي مجمع عليه، ومن ثم يستنفر الرابط هنا صوت الجماعة(الأمة)الذي يتطابق مع المتلفظ 1، ويسند إليه وجـــ ن1؛ أما ق2 فيحيل إلى موضع هو"الغناء من جنس الكلام وتلحينه لا يضيف إلى معناه شيئا"، ويسند إلى متلفظ 2 الذي يتماهى معه المتكلم، ويتطابق مع صوت جماعة غير متجانسة، تضم المتكلم /كاتب الرسائل وجماعته، وغيرهم. وفي الأخير يضع المتكلم على الركح متلفظ3 يتبنى النتيجة الواردة في ق3"وجوب عدم تحريم الغناء" ويتضمن وجـــ ن 3 التي تسند إلى صوت جماعي متجانس يتماهى معه المتكلم، هو"صوت المعتزلة".

(3)- القياس المضمر Enthymême عند أرسطو هو "قياس قائم على معقولات أوعلامات"أما عند المحدثين فـــيعنى بـــه القياس الذي "يضمر فيه إما التقديم(المقدمة) و إما اللزوم(النتيجة)"لالاند: الموسوعة الفلسفية،تع:خليل أحمد خليـــل،ط2، دار عويدات للنشر و التوزيع،بيروت-باريس2001 ص351

(4)- حجة السلطة: ينظر تعريفها في هامش ص299، من الفصل الرابع

4-الموجّهات:

1.4)مفهومها واشتغالها أصواتيا:

نتناول مفهوم الموجّهات "**Modalités**"، باعتبارها واسما من واسمات الأصواتية، تمهيدا للتطبيق عليه لاحقا، بعد أن كنا قد عرضنا له عند تناولنا للنفي في علاقته بالأفعال الجهية.(1)

لقد أثار هذا المفهوم كثيرا من الأسئلة وطرح كثيرا من الإشكالات حول تعريفه، وإجرائيته على اللسانيين المتخصصين فهم " يشيرون إلى أن الأمر يتعلق بميدان تصعب الإحاطة به ويقدّمون وجهة نظر يعتبرونها مؤقتة وتجريبية وكشفية"(2)حوله، ولا أدل على ذلك من تعدد تعريفاته وتباينها، والتردد الذي يطبع تنظيرات الباحثين حوله، وحول صلته بالمفاهيم اللصيقة به، كمفهوم التوجيه والجهة، وغيرها.

وأعم تعريف يمكننا الركون إليه في هذا المقام، هو التعريف الذي استقر عليه جماعة من الباحثين(**أريفيArrivé، غاديGadet، وغاليشGalmiche: 1986**)، ونصه: "التوجيه هو المسار الذي يبْرِز فاعل التلفظ من خلاله موقفَه من الملفوظ الذي أنتجَه".(3) إلى جانب هذا التعريف قدّم باحثون آخرون تعريفات أخرى كثيرة، أجمعت جلّها على موقف المتكلم من عملية التلفظ، من خلال استعمال

(1)- ينظر المبحث المتقدم ،ص138-139

(2)_ سارفوني. جان : الملفوظية ،،ترجمة قاسم المقداد ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998، ، ص62

(3)-Vion.Robert :Dimensions énonciatives، discursives et dialogiques de la modalisation،in :LINGUAS & LETRAS ، vol 8.n°15 .2° sem.2007.p.193-224 ،p194

الموجّهات، لكنها تباينت في مسألة ربط الموقف بعناصر المقام التلفظي،[1] وهو ما أفضى إلى الحديث عن تعريف موسّع، وآخر مضيّق (مختزل)،[2] وإلى بروز نقد وجه لهذه التعريفات جميعها.

وترجع جذور هذا المفهوم إلى ش. بالي(**Bally. Charles ,1932**) الذي جعل منه أساساً لنظريته في الملفوظية، حين ميّز بين بعدين في الملفوظ وهما: MODUS و DICTUM (التعليق والموضوع)[3]فجعل الثاني DICTUM (الموضوع) يحمل محتوى قضويا، وMODUS (التعليق) يحمل موقف الذات المتكلمة من ذلك المحتوى.[4]

---

(1)_يورد **فيون. ر Vion.Robert** في المرجع السابق عدة تعاريف منها : تعريف **دوبوا** الذي يرى أن التوجيه هو وعي الذات المتكلمة بالمسافة الموجودة بينها وبين ملفوظها ،(p194)؛ وتعريف **مانغونو وشارودو الذي نصه:**"تحدد الجهية موقف الذات المتكلمة من ملفوظها الخاص" (p195)؛ تعريف **فيون** نفسه الذي يقول فيه: نقترح تعريف التوجيه باعتباره تلفظا مزدوجا ينتج عن ازدواج الوضعية التلفظية للمتكلم (p202).ينظر:Vion.Robert : op.cit

(2)- نمثّل للتعريف الموسع بمقترح **جولي Joly ورولان Rouland** اللذين يتبنيان رؤية **غ .غيوم** التي تسم علاقة المتكلم بكلامه بخاصية "التعبيرية "والتي نعرفها بأنها: أي فعل تعبيري يهدف إلى "التأثير على المخاطب" ،وبهذا ماهَى جولي و رولان بين التعبيرية والموجّه، وهوالأمر الذي يفسر أن مفهوم الموجه عندهما هومفهوم شامل .ينظر: سارفوني. جان: الملفوظية ص62.

ويمثل معجم تحليل الخطاب للتعريف الموسع ،بتعريف **ج .ديبوا** الذي يخلط فيه بين التلفظ والجهية، حين يقول عن التلفظ بأنه "يحدد باعتباره موقف الذات المتكلمة إزاء ملفوظها "(...) وعن الجهية بأنها "تحدد السمة التي لا تنفك الذات من إضفائها على ملفوظها ". أما التعريف الاختزالي، فيمثل له بما ذهب إليه **ب .شارودو** من أن الجهية لا يكون "إلا جزءا من ظاهرة التلفظ، ولكنها تكوّن محوره باعتبار أنها هي التي توضح ما هي مواقع الذات المتكلمة بالنسبة إلى مخاطَبها، وإليها هي نفسها وإلى قولها "ينظر:ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب ،ص371

(3)_ يوضح ش .بالي هذين المصطلحين بقوله :" الجملة هي أبسط شكل ممكن للتعبير عن الفكرة، والتفكير هو رد فعل على تمثيل ما، من خلال فحصه وملاحظته، أو تثمينه، أو إبداء الرغبة فيه(...)الجملة الصريحة تتكون من جزءين :أحدهما =هوما يتعلق به الحكم الذي يشكل التمثيل (مثلا : المطر ،شفاء)ونسميه اقتداء بالمنطقويين، DICTUM(الموضوع)، أما الجزء الآخر، فيحمل المكون الجوهري للجملة، والذي بدونه لا توجد الجملة، وهوالعبارة الموجهة، المتعالقة مع الذات المفكرة، يعبر عن التوجيه/الجهة منطقيا وتحليليا فعل جهي (مثل : اعتقد، استطاب، تمنى) وفاعله، الفاعل الجهي ،وهما معا يكونان الـــ MODUS (التعليق)، صنوالـــDICTUM " ينظر:

Vion.Robert : op.cit, p196

؛و ينظر أيضا: سارفوني. جان: الملفوظية ص60

(4)_ ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص373

وإذا تجاوزنا إشكالية ضبط التعريف، وجدنا اللسانيين يختلفون كثيرا في حصر العناصر اللغوية التي يمكن إدراجها ضمن قائمة الموجّهات؛[1] ذلك أن وظيفة التوجيه تؤديها –بحسب التعريف الذي نعتمده –عناصر شديدة التنوع، الأمر الذي أدّى إلى وجود تصنيفات متباينة،[2] أشهرها التصنيف الذي يقترحه **مونياي (A.Meunier)** ويميّز فيه بين جهات التلفظ وجهات الملفوظ، فيدرج في الصنف الأول ما يترك أثرا في شكل التواصل كجهات الجمل: استفهامية، وتقريرية وأمرية، أي بالقوة المتضمنة في الملفوظات، أو بالردائف التي تحيل إلى التلفظ، مثل: بصراحة، في قولنا: بصراحة إنه مخطئ. أما جهات الملفوظ فيعني بها **مونياي** تلك التي تتسلط على محتوى الملفوظ أو أحد مكوناته، وتنقسم إلى: جهات منطقية، مثل: ممكن، ضروري، محتمل؛ وجهات تقديرية أوتقييمية ،مثل: محزن، مؤسف، محبط...الخ[3]

بعد تعريفنا للموجهات، وتحديدنا لأصنافها، يتعين علينا أن نقف عند مسألة ذات أهمية بالغة في بحثنا، وهي علاقة الموجّهات بمفهوم تعدد الأصوات.

يرى **فيون (Vion.Robert)** أن الموجّه عندما يربط ملفوظا لاحقا بملفوظ سابق، مثل حالة الموجه "طبعا"يرتكز الملفوظ الأول على الملفوظ الثاني، ويعيد صياغته بعد أن يضمِّنه تعليقا انعكاسيا. فالمتكلم بمحاورته لآراء أخرى،

(1)_ تشتمل هذه القائمة على ظواهر لغوية شديدة التنوع، مثل: الردائف والتعابير الردائفية، وأدوات التعجب ،والصفات، والأفعال، والجمل باعتبار الإثبات والنفي والاستفهام والأمر، والأبنية التركيبية، وأزمنة الأفعال، والخطاب الواصف، وغيرها، ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب: ص374

(2)_هناك تصنيفات أخرى لا يتسع المقام لعرضها كلها ،كتصنيف أ. **كيليولي**.

(3)_ ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب :373-374

يستحضرها في كلامه، وبهذا الربط الذي يتيح تواجد عدة أصوات في الملفوظ، يستطيع أن ينجز بالتوازي مقولتين متمايزتين لحقيقة "واحدة"، تدلان على النشاط المتدرج للبناء التشاركي للمعنى.[1] وبذلك تكون الموجّهات واسما مهما للتعدد الصوتي، وإحدى الآليات الأساسية التي تُدْرَج بها الأصوات على مستوى الملفوظات، لالتصاقها ببنية أيّ جملة يمكن تصورها، ولارتباطها بموقف المتكلم من المحتويات القضوية التي تحملها أقواله.

2.4)الموجّهات في خطاب الرسائل:

لا يكاد يخلو خطاب من موجّهات تعكس موقف المتكلم فاعل التلفظ من تلفظه، الذي عادة ما يكون حاملا لأصوات الآخرين زيادة على تلفظه الشخصي الذي يتكفل بتحمل المسؤولية عنه، وتبرز هذه الموجّهات مدى تماهي المتكلم مع ما تتضمنه أقوال المتلفظين المحمولة في الخطاب الناتج عن تلفظه، أو تمايزه عنها من خلال روابط المسؤولية الثلاثة المعروفة، وهي: التماهي، والدحض، والتقبل.[2]

يحملنا هذا التصور الذي سبق لنا إيضاحه في القسم النظري على القول إن أنسب الخطابات لبروز آثار الموجّهات، هي الخطابات التي تحضر فيها الحوارية

(1)- Vion.Robert: Dimensions énonciatives, discursives et dialogiques de la modalisation, p211

(2)- ينظر تفصيل ذلك في المدخل النظري، ص68-69

والتعدد الصوتي بقوة، وبالأخص الخطابات ذات الطابع السجالي التي تستدعي اللجوء إلى الرد، من خلال تقديم الدعاوى والاعتراض عليها.[1]

عندما ننتقل إلى التطبيق على الموجّهات في مدونة الرسائل، يتبين لنا أن كثيرا من الموجّهات التي يضرب بها المثل في المراجع ذات الوظيفة التنظيرية، لا تحضر في النص الجاحظي، بقدر ما تحضر موجّهات أخرى تؤدي الأدوار نفسها، أو أدوارا قريبة منها، ويرجع ذلك في نظرنا إلى التباين الموجود بين معجم الكتابة النثرية الترسلية في عصر الجاحظ، والمعجم المعاصر الذي اعتمدت عليه الدراسات التداولية المعاصرة المعروف عنها أنها أجنبية المنشأ من جهة، وأن نسختها العربية هي أساسا ترجمة تحاول الوفاء للأصل قدر الإمكان.[2]

لذلك يتيح لنا التطبيق وضع اليد على موجّهات تنتمي إلى مختلف الأصناف، إلى الأفعال، والردائف، وأشباه الجمل، والجمل، نقوم بوصف ما تختزنه من تعليمات تحيل إلى مقام التلفظ، ونقارنها بتلك الموجّهات التي اكتسبت صفتها المرجعية في تنظيرات المحلّلين التداوليين.

نعثر في متون الرسائل على الكثير من الملفوظات الموجّهة، التي يأخذ فيها التعدد الصوتي تجليات مختلفة بحسب رابط المسؤولية التلفظية، الذي يتحدد بدوره أيضا بعناصر المقام الترسلي وشروطه التداولية. وفي الأسطر الموالية نحاول التمثيل

(1)- يعرف طه عبدالرحمن الدعوى بقوله:"حد"الاعتراض" أن يرتقي "المعروض عليه "إلى درجة من يتعاون مع "العارض"(صاحب الدعوى) في إنشاء معرفة نظرية مشتركة، ملتزما في ذلك أساليب معينة يعتقد بأنها كفيلة بتقويم العرض(الدعوى) وتحقيق الإقناع" (ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص42-43)

(2)- الكتابات العربية المعنية ترجمات في الأساس، ورصد الموجهات في النصوص التراثية العربية لا يتيسر إلا عند التطبيق عليها.

لهذا النوع من الملفوظات بنماذج نقتطفها من الرسائل، ونحللها في ضوء الجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي.

المقتطف الأول:

« *ونحن وإنْ* ***رأينا*** *أن فضل الرجل على المرأة* ***في جملة القول*** *في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس* ***ينبغي*** *لنا أن نقصّر في حقوق المرأة، وليس* ***ينبغي*** *لمن عظّم حقوق الآباء أن يصغّر حقوق الأمهات، وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات، وأنا وإنْ كنت* ***أرى*** *أن حقّ هذا أعظم فإن هذا أرْحَم* »[1]

نجد في هذا المقتطف الفعلين الجهيين "رأى"، وهو من أفعال الاعتقاد، أو الرأي،[2] والفعل "ينبغي"وهو من أفعال الوجوب، وتقوم خطتنا في التحليل هنا على فحص البنية اللغوية انطلاقا من ثنائية **ش.بالي** Ch.Bally(الموضوع والتعليق)[3] لنتبيّن كيف يشتغل الموجّه في الجملة التي يدخل عليها تركيبيا، ثم كيف يتم إنشاء التعدد الصوتي بواسطة ذلك الدخول الذي يعد وسما لغويا لهذه الظاهرة.

نفترض البنية النموذجية التالية: موجه +جملة(موضوع +تعليق)

عند تطبيقه على الجملة الأولى في المقتطف نحصل على:

(1)- رسالة النساء،ضمن الرسائل الكلامية، ص:101

(2)- تسمية افعال القلوب بأفعال الاعتقاد Verbes d'opinion موجودة في تراث اللغوي القديم عند الاستراباذي الذي حدد وظيفتها بأنها "تعيين الاعتقاد الذي هي عنه (...) صادرة" (المبخوت. شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ص51)

(3)- ينظر تفصيل ذلك في المبحث الخاص177-178

موجه(رأينا+في جملة القول)+موضوع(فضل الرجل على لمرأة)+ تعليق (أكثر وأظهر)

يدخل الموجّه المكوّن من الفعل الجهي الاعتقادي "رأى"وشبه الجملة المتعلق به(الرديف) "في جملة القول"[1] وهو **موجه تقديري**، على الجملة /الملفوظ المكوّنة من موضوع(فضل الرجل على المرأة...)وتعليق(أكثر وأظهر)، فيعدّل دلالته من خلال تسلطه على التعليق الذي لا يبدو المتكلم /المتلفظ موافقا عليه موافقة تامة، وهذا ما يعبر عنه بواسطة الموجه التقديري"في جملة القول"التي تفيد هنا تحفظا على القول المسند إلى متلفظ آخر، نعيّنه في التشكيل الأصواتي لهذا الملفوظ، بـــ"المتلفظ 2"، وهذا ما تجلّيه أكثر الخطاطة التالية:

ق1: رأينا في جملة القول أن فضل الرجل على المرأة...

ق2: أن فضل الرجل على المرأة...

-ق1 يتضمن وجـــ ن1 مسندة إلى المتكلم المتلفظ، وربما يشاركه فيها صوت جماعي(المعتزلة) لوجود ضمير الجماعة.

-ق2 يتضمن وجـــ ن2 مسندة إلى المتلفظ2، وهو أيضا صوت جماعي كما يدل عليه السياق، قد يكون فرقة من الفرق الأخرى، أو الرأي العام السائد عهدئذ في المجتمع.[2]

(1) - ترادف "إجمالا " وهي مما يسمى الردائفيات في المصطلح اللساني المعاصر ،وتنتمي إلى صنف الموجهات التفديرية

(2)- يشيع بين الباحثين المعاصرين الدارسين للفكر الديني نسبة الآراء الفقهية المقصرة في حق المرأة إلى أهل الحديث.

هذا عن الفعل الجهي "أرى"، أما الفعل الوجوبي"ينبغي" فقد جاء في الشاهد مقترنا مع النفي، وهو ما يجعله يضع بين أيدينا حالة من حالات التعدد الصوتي المؤكدة، لوجود واسمين أصواتيين يؤدي تعاملهما إلى بروز الأصوات بوضوح من ناحية، وإلى وجود حالة من التعارض السجالي بين هذه الأصوات من ناحية أخرى.

دون العودة إلى التحليل اللساني الأولّي الذي طبقناه عل الفعل الجهي "أرى"، نباشر التحليل الأصواتي للملفوظ، قصد الكشف عن اشتغال الموجه "ينبغي".

يتدخل المتكلم/ المتلفظ في قول الغير ويعدّله بواسطة الموجه "ينبغي" المقترن بأداة النفي "ليس"، فيبدو التلفظ وكأنه يضع على الركح متلفظَين يتحاجّان في قضية حقوق المرأة؛ متلفظ 2 تقدّم دوره في الكلام يتبنى وجهة نظر مقصّرة في قضية حقوق المرأة، يستحضره المتكلم بواسطة الافتراض المسبق، ويسند إليه القول: "لا بأس بأن نقصر في حقوق المرأة"، ومتلفظ 1 هو المتكلم يرد عليه بالقول: "ليس ينبغي أن نقصر في حقوق المرأة"، ومن البديهي القول أن المتلفظ 2 لا يتلفظ بالقول المنسوب إليه حرفيا، وإنما هو قوله معدلا بعد دخول الموجّهات عليه. لذلك يمكننا أن نضم إلى بنية التوجيه في هذا الملفوظ، حتى الفعل "قصر"، لأنه لا يعقل أن يقول شخص: ينبغي أن نقصر، يمكننا أن نتصور حوارا تتعاقب فيه الأقوال على النحو التالي:

أ-حقوق المرأة هي كذا وكذا فقط(افتراض مسبق)

ب-هذا تقصير في حقوقها(افتراض مسبق)

ليس ينبغي أن نقصر في حقوق المرأة

-المقتطف الثاني:

« ولكن **لا بدّ** من حاكم واحدا كان أو أكثر على [كل] حال، ولا **يجوز** أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحدود، و لم **يقل** أحد **البتّة** أن من الحُكْم والحاكم بدّا، ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم وقالوا: وأي ذلك كان من إقامة الواحد والإثنين أو أكثر من ذلك، **فعلى** الناس الكفّ عن محارمهم وترك الأصل والتناجي فيما بينـــهم والتخـــاذل عند الحادثة تنوبُهُم من عدوّ يدهمهم من غيرهم أو خارِبٍ يخيف سُبُلَهم من أهل دعوتهم، و**عليهم** فيما شَجَر بينهم إعطاء النَّصَفَة من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسْر الأمر ويسْره»[1]

يواجهنا في هذا الملفوظ عدد من الموجّهات المتباينة في تصنيفها النحوي، فهناك صيغة "**لابد**" التي تمثل نفيا معوجما،[2]والفعل الجهي"**يجوز**" المقترن بالنفي، والفعل الجهي"**قال**"متبوعا بالموجه التقديري"البتة"، وأخيرا الموجّهان "**على**" و"**عليهم**"؛ وهما اسما فعل أمر. سنخص بالتحليل صيغة النفي المعوجمة "لابد"،

(1) - كتاب استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ص187

(2)- تعرف العوجمة Lexicalisation في قاموس ديبوا بأنها" المسار الذي يتم من خلاله تحويل سلسلة من المورفيمات (مشجر تركيبي) إلى وحدة معجمية. وهي بذلك تمثل مسارا لـــ"إزالة النحوية"، أو إجراء لتغليب المعجمي على النحوي، فالمفردات المكونة لمشجر تركيبي ما لا تعود قابلة للتحليل إلى أجزاء، من منظور الاستعمال اللغوي اليومي"

(Dubois. Jean & autres :Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p277)

ومن ذلك عوجمة النفي في اللغة العربية ،في عبارات نحو: لابد، لاغرو، لامناص، لا أحد...الخ

والفعل الجهي"قال"متبوعا بالموجه التقديري "البتة"، ونستغني عن تناول الموجّهات الأخرى لتشابهها مع الموجه "لا ينبغي"الذي تقدّم التطبيق عليه.

تنتمي صيغة "لابد" إلى صنف الموجّهات المنطقية التي تفيد الإلزام والضرورة، وتقوم في هذا الملفوظ بإقحام صوت يهيمن على التلفظ السابق وينسخه، ويبدي حياله موقفا صارما يتجلى في استحضار مرجعية ذات سلطة، يفترض أن يذعن لها الجميع.

نتصور العلاقة التي أنشأها الموجه "لابد" على النحو التالي[1]:

_ **التلفظ السابق:** لا ضرورة للحاكم واحدا كان أو أكثر

_ **التلفظ اللاحق:** لا بد من حاكم واحد أو أكثر

بإعمال آلية الافتراض المسبق في تحليل الملفوظين في التلفظ السابق واللاحق، نكشف عن وجود قولين مضمرين فيهما؛ في التلفظ السابق المتضمن للنفي، يستنفر النفي وجهة نظر ثاوية، يعبر عنها الإثبات الذي جاء النفي لدحضه، ونقدّره بـــ: هناك ضرورة للحاكم واحدا أو أكثر، وفي التلفظ اللاحق تحرّك صيغة "لابد" وجهة نظر ثاوية ليست سوى الملفوظ المتضمن في الملفوظ اللاحق، وهو: لا ضرورة للحاكم واحدا كان أو أكثر، لكن نزوع المتكلم /المتلفظ المسؤول عن التلفظ اللاحق، الذي وصفناه بالمهيمن، يترع إلى حسم الجدل في المسألة بواسطة الموجه"لابد" متبوعا ومدّعما بشبه الجملة المتعلقة به "على كل حال".

(1)- نعتمد في هذا التحليل على نموذج ر.فيون في تحليل الموجهات الذي سبق التعرض له في: ص190

يستوقفنا كما تقدّمت الإشارة إليه فعل **"قال"** الذي لا يكون جِهِيّا في كل استعمالاته، فهولا يفيد التوجيه إلا إذا دل على معاني محددة كالاعتقاد والظن والرأي، وهي المعاني التي تتلاءم مع التعبير عن الموقف تجاه التلفظ أو الملفوظ،(1) وهي الحالة التي يمثلها الملفوظ: "و لم **يقل** أحد **البتة** أن من الحكم والحاكم بدا" تمثل الاستعمال الجهي للفعل "قال".

يرد الفعل الجهي "قال"مقترنا بالنفي، مما يقوّي دلالته التوجيهية، فتسلُّط النفي على الفعل "قال"يعني تسلَّطه على الجملة كلّها، ويعرف هذا بالنفي الكلي، أو نفي الجملة، وهو النفي الذي يرجح التأويل الجدلي الأصواتي، وإذا أضيف إلى النفي الجدلي فعل جهي تأكّد بصورة قطعية الطابع الجدلي للملفوظ، وكونه متعدد الأصوات.

يستنفر الواسم الأصواتي المزدوج هنا "لم"و"يقل"صوتين متعارضين، الصوت الأول هو صوت المتكلم /المتلفظ متماهيا مع صوت الجماعة "الأمة" أو "الإجماع" الذي أحال إليه باللفظ"أحد"الذي لا يرد في صورته هذه إلا منفيا، إذ لا نقول: قال أحد، بل نقول: قال أحد الناس، ويسند إلى هذا الصوت ق1: "لابد من الحاكم"، أما الصوت الثاني فهو صوت غير معيّن في الملفوظ، وربما أحال إلى الرأي الشاذ في مسألة نصب الإمام، وإليه يسند ق2 وهو قول مضمر، نتوصل إليه بواسطة الافتراض المسبق، ونصه: "لا ضرورة للحاكم".

(1)-يكون الفعل "قال" جهيا عندما يرادف في دلالته "اعتقد"،و"رأى"، و"ظن"

كانت هذه أمثلة عن الموجّهات في رسائل الجاحظ،[1] وهي نزر قليل مما تنطوي عليه هذه المدونة من الموجّهات التي يتوسلها كاتب الرسائل كثيرا للتعبير عن موقفه من الآراء والطروحات التي تأتي محمولة في طوايا أقوال الآخرين التي يستحضرها الجاحظ، وهو يحاور بعضهم حوارا هادئا، أو يجادل بعضهم الآخر جدالا لا مهادنة فيه.

(1)- من الموجهات الكثيرة التي يستعملها الجاحظ : زعم، صحة قولي الواردة في رسالة الرد على النصارى في قوله :" رحمك الله ووجه آخر يعرفون به **صحة قولي** وأنت تعلم أن العرب حين **زعمت** أن الملائكة بنات الله كيف استعظم الله تعالى ذلك وأكبره، وغضب على أهل" ضمن الرسائل الكلامية، ش وت علي بوملحم، ص :271

الفصـل الثالث

التحليل الأصواتي النصي

- الإحاليات واشتغالها أصواتيا
- مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات
- الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية
- استعادة وجهات النظر واستباقها

توطئـــة:

بعد إنجازنا للتحليل الأصواتي على المستوى اللساني، والذي قمنا فيه بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية على مستوى الملفوظ /الجملة، ننتقل في هذا الفصل إلى المستوى التالي في التحليل، وهو المستوى النصي لنحاول تبيّن اشتغال الواسمات الأصواتية منفردة أو مجتمعة في وحدة لغوية أكبر من الجملة، أي على مستوى المقاطع النصية، أو النصوص بكلّيتها.

وسنستعين في هذا المستوى من التحليل بمفاهيم متعددة، منها ما سبق لنا تقديمه نظريا في القسم النظري من البحث، واستعادته في الفصل التطبيقي السابق، كالمفاهيم المتصلة بآليات التحليل اللساني من نفي، واستفهام، وروابط، وعوامل حجاجية، وموجهات، أو تلك المتصلة بالجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي، كالتشكيل الأصواتي، والمتكلم، والمتلفظ، ووجهات النظر، وغيرها؛ ومفاهيم جديدة لم نعرض لها سابقا، واستدعى التحليل التطبيقي الاستعانة بها، وضمّها لعدة التحليل التي نواجه بها مهمات الدراسة الأصواتية لمدونة الرسائل، كمفاهيم وجهات النظر التفاعلية، والاستعادة، والاستباق، والمقاطع الأصواتية، وغيرها. [1]

[1]- لتعذر التحليل الأصواتي للنصوص المطولة، تفضل المدرسة السكندنافية(Scapoline) اعتماد مفهوم المقطع الصوتي Passage polyphonique الذي "يمثل نوعا من العالم المغلق المكون ذاتيا من شبكة علاقات أصواتية (...) فهو قد يتناسب مع جملة بسيطة ، أو جملة مركبة، أو عدد محدود من الجمل حسب الحالات". ينظر:

وقد أقمنا تصورنا لخطة التحليل في هذا الفصل على تدرّج نتناول عبره العناصر التالية :

بدأنا بالتنظيم النصي ومدى تأثره بظاهرة إدراج الأصوات التي تعد واحدا من إكراهات المقامات الترسلية لنصوص الرسائل، ونعني بذلك تحديدا أن الجاحظ توسّل الرسالة لممارسة كتابة الردود السجالية، ونقل مقالات الفرق وطروحاتهم الدينية والسياسية، والخوض في موضوعات اجتماعية كانت تشغل بال النخب في عصره.

و أعقبنا ذلك في مبحث ثان بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية **Marqueurs polyphoniques** على مستوى المقاطع النصية **Séquences textuelles**، انطلاقا من افتراض أصبح معروفا في التحليل النصي، وهو أن الروابط والعوامل الحجاجية وغيرها من الواسمات الأصواتية تؤدي دورا حاسما في اتساق النص وانسجامه،[1] زيادة على وظيفتها النحوية التركيبية على مستوى الجملة، وهو ما تختص بدراسته لسانيات الجملة التي لا

(Nølke. Henning ; Fløttum. Kjersti et Norén. Coco. 2004: Scapoline. La théorie scandinave de la polyphonie linguistique. Paris :Kimé.,p101-103)

(1)- تتجه جل البحوث في لسانيات النص و تحليل الخطاب إلى اعتبار الاتساق Cohésion ظاهرة لسانية صرف تنتج عن استخدام "الوسائل اللسانية الرابطة بين عناصر الجمل و بين الجمل"، و تمييزها من الانسجام Cohérence الذي لا يتحقق إلا باستحضار عناصر تاويلية موجودة في السياق المقامي والمعرفة الخلفية (ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص100-101)

تعنى إلا بدراسة الجمل في حالة استقلالها وتترك للسانيات النص الاشتغال على المقاطع النصية الأكبر حجما، وعلى النصوص.

وخلصنا من معالجة قضايا التنظيم النصي، وما يتصل بها من تحديد لمستويات التلفظ، و كفالة الملفوظات، وموقع المتكلم(كاتب الرسالة) من وجهات النظر التي يستنفرها التعدد الصوتي على المستوى النصي، ودور الواسمات الأصواتية النصية في إنشاء الظواهر الأصواتية المتمثلة أساسا في وجهات النظر المتضادة في حالة التركيب الاحتوائي (وجهات النظر التفاعليةPoints de vue dynamiques)؛ انتهينا من ذلك إلى فحص ظاهرة أصواتية نصية خاصة تفرزها الواسمات الأصواتية على المستوى النصي، وهي ظاهرة استعادة وجهات النظر Reprise de points de vue، أو استباقها Anticipation de points de vue في مواضع معينة من فضاء النص.

1- الإحاليات واشتغالها أصواتيا

لا تقلّ الإحاليات أهمية في التحليل التداولي الأصواتي عن الواسمات الأصواتية التي تقدّم الحديث عنها في هذا الفصل، وما يميزها عن هذه الواسمات في المنظور الأصواتي هوأنها واسم يشتغل على المستوى النصي الخطابي، زيادة على اشتغاله في المستوى اللساني الجملي، كما هوالحال في النفي والاستفهام والروابط الحجاجية والموجّهات. فمن وجهة النظر النصية البحتة تؤدي دورا أساسيا في اتساق النص وانسجامه، وعلى المستوى الأصواتي تكون آلية نصية لإدراج وجهات النظر المختلفة، عبر إسنادها إلى الأصوات التي يستحضرها المتكلم في خطابه.

تُقابَل الإحاليات غالبا تضاديا مع الإشاريات، حيث يُعرَّف الإحالي بأنه يُرجِع إلى السياق اللغوي، بينما يُرجِع العنصر الإشاري إلى السياق المقامي، أي إلى المعطيات المدركة المتوافرة في سياق التواصل.[1] ولاشتراكهما في وظيفة الإحالة والإرجاع، ولكونهما عناصر لغوية واحدة تؤدي وظيفيتين مختلفتين أحيانا، فقد اختلف اللسانيون كثيرا في تعريفهما، وتمييزهما، تبعا للمناظير التي يعتمدونها، ولحقول البحث التي يشتغلون فيها.

(1)-Reichler-Beguelin.Marie-José: Anaphore ,cataphore et mémoire discursive, PRATIQUES N° 57, Mars 1988 , p 20

؛وينظر أيضا: الزناد. الأزهر: نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصا ، ط1 المركز الثقافي العربي.الدر البيضاء، بيروت1993ص116

يورد الزناد التعريف التالي للإحاليات: "تطلق تسمية "العناصر الإحالية" على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أوعناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هوالنص، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هومذكور بعد ذلك في مقام آخر" [1]، ويتضح من نص التعريف أن صاحبه يستبعد الإحاليات المقامية، ويقتصر على الإحاليات النصية، وتستدعي ضرورة التمييز بين الإحاليات وغيرها من العناصر اللغوية التي تشترك معها في وظيفة الإحالة، أن نعرض مثالا عن التعاريف الموسّعة للإحالة.

يعرف المتوكل الإحالة، معتمدا على اللساني النصي فان ديك Van Dijk, Teun. بقوله :« الإحالة علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع أو في المتخيل أو في خطاب سابق/لاحق». [2] يُظهر هذا التعريف الالتباس الحاصل في تمييز الإحاليات من العناصر اللغوية الإشارية الأخرى، وهوما حاول ج.يول (G .Yule) أن يتجاوزه عندما اعتبرها تفريعا أو اشتقاقا من الإشاريات، وأنها لا تعدو أن تكون مختصة بوظيفة مواصلة الإشارة، إذ أننا« في معظم أحاديثنا وكتاباتنا، علينا أن نتابع ملاحظة ما نتحدث عنه لأكثر من جملة في الوقت الواحد، فبعد التعريف الابتدائي لكيان ما، سيستعمل المتكلم تعابير مختلفة

(1) _الزناد. الأزهر: مرجع سابق ص118

(2) _ المتوكل.أحمد :الخطاب وخصائص اللغة العربية ص73

لمواصلة الإشارة»[1]فتكون الإحاليات عندئذ إشارات إلى الإشارات الأصلية التي تحيل إلى خارج النص.

ويطرح تصنيف الإحاليات ما يطرحه تعريفها من الإشكالات، فتتعدد التصنيفات وتتباين كما تعددت التعريفات وتباينت، بيد أن أكثر التصنيفات شهرة ووضوحا، هو تصنيف **هاليداي** و **حسن (Halliday & hasan)** اللذين يقسّمانه إلى قسمين : إحالة مقامية، وإحالة نصية، وتتفرع الثانية إلى قبلية وبعدية. [2] ويقترب من هذا التصنيف ما يقترحه الزناد في كتابه" نسيج النص ،البحث في ما يكون الملفوظ نصا "، فيتحدث عن ثلاثة أقسام كبرى، قسمان يرجعان إلى النص، وقسم ثالث إلى خارج النص، وهذه الأقسام هي :

إحالة داخل النص، وإحالة خارج النص، وإحالة نصية، فتكون الإحالة داخل النص« إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أولاحقة » وتسمى الإحالة على السابق إحالة على السابق، أو إحالة بالعودة، [3]أوعائدا قبليا، أوالإحالة الرجعية، أوالإحالة العودية،[4] "«وهي تعود

(1) _ يول. جورج: مرجع سابق ص46

(2) _ خطابي. محمد : لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1991. ص17

(3) _ الزناد. الأزهر: مرجع سابق، ص118

(4) _ هي ترجمات للمصطلح الأجنبي " Anaphore"، ": العائد القبلي(،ب. شارودو و د. مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص47)،أوالإحالة الرجعية،أوالإحالة العودية(الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ص86-87)

على"مفسر"سبق التلفظ به»[1]، و تسمى الإحالة على اللاحق، أوالعائد البعدي، أوالإحالة التقدمية، أوالاستباقية،[2]وتعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها.[3]

ويقابل الإحالة داخل النص الإحالة على ما هو خارجه أوخارج اللغة، وتتمثل العناصر الإحالية المدرجة في هذا الصنف في العناصر اللغوية التي تحيل «إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي »كإحالة ضمير المتكلم على ذات صاحبه، أوإحالة عنصر لغوي(اسم الإشارة مثلا) إلى المقام ذاته، [4]ويلحق بالصنف الأول "الإحالة على داخل النص" ما يعرف بالإحالة النصية، وتختص بالعناصر المعجمية التي تحيل« على مقطع من الملفوظ أوالنص؛ وتؤديها ألفاظ من قبيل :"قصة"، "خبر"، "رأي"، "فعل"». [5]ولا يكشف الزناد، وهو يقدّم هذا التصنيف عن مصدره، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عما دعاه إلى جعل الإحالة النصية صنفين، لا صنفا واحدا دون مبرر واضح.

(1)- الزناد. الأزهر: مرجع سابق، ص118

(2) _ هي ترجمات للمصطلح الأجنبيcataphore : العائد البعدي(،ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص95)،، أوالإحالة التقدمية،أواستباقية(الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط،ص86-87)

(3) _ الزناد. الأزهر: مرجع سابق، ص118-119

(4) _ نفسه، ص119

(5) _ نفسه، ص ن

والذي يهمنا في هذا البحث من أصناف الإحاليات، هوبطبيعة الحال الإحاليات النصية، أي تلك الموسومة لغويا في نسيج النص، وهذا النوع من الإحاليات يشمل عناصر لغوية متعددة ومتنوعة، تتمثل في الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة كما يرى **هاليداي وحسن (Halliday & hasan)**،[1] أو هذه العناصر مضافا إليها العائد المعجمي **(ملنار Milner)**، العائد الرابطي**(شارولCharolles)** ، و**(كليبرKleiber)** ، العائد الرديفي.[2]

تهمنا هذه العناصر الإحالية باعتبارها واسمات تداولية أصواتية في التحليل الذي سنقوم به للمدونة في المستوى النصي، ذلك أن المجمع عليه بين اللسانيين التداوليين أو النصيين، أو محللي الخطاب أن هذه العناصر «أدخل في باب التداول منها في الدلالة إذ أنها ترتبط بالمقام وتحديدا بالمعلومات التي يفترض المتكلم وجودها لدى المخاطب عن المحال عليه حين عملية التواصل». [3]فهي وفقا لهذا المنظور ليست مستقلة بذاتها في بناء دلالتها من خلال الإرجاع إلى الواقع أو العالم، إذ لابد لنا من الرجوع إلى ما تحيل إليه في النص، من أجل تأويلها.[4]

هذا البعد التداولي للإحاليات هو الذي يؤهلها لتكون آلية نصية أصواتية بامتياز، تضطلع من خلال التفاعل مع السياق النصي باستعادة وجهات النظر،

(1) - خطابي. محمد : مرجع سابق، ص17

(2) - ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص50-51

(3) _ المتوكل. أحمد :الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص74

(4) _ خطابي. محمد : مرجع سابق، ص17

أواستباقها، لا سيما في الخطابات ذات الحمولة الحجاجية المكثفة. فالإحاليات تؤثر غالباً على وجود وجهات نظر تفاعلية في سياق الملفوظات المنفية، من خلال إحالتها إلى إحدى وجهتي النظر المحمولتين في الملفوظ المنفي.(1)

وهكذا يتبيّن لنا أن الواسمات الأصواتية هي آليات تقوم بإيجاد مستويات متراتبة من وجهات النظر، ومن جملة هذه الواسمات –كما رأينا- أدوات النفي والاستفهام، والروابط الحجاجية، والموجّهات، والإحاليات، وهي ما يصطلح على تسميته الواسمات اللغوية اللسانية والنصية.

يوازي هذه الواسمات في التحليل الأصواتي نوع آخر لا يقل أهمية، هو الواسمات الخطابية، أوبين الخطابية، **Marqueurs interdiscursifs**، وتتمثل في ظواهر بين-خطابية، مثل : الخطاب المستحضر، والأمثال، والمشهورات، والافتراضات المسبقة، وهي الظواهر التي سنعرض للتعريف النظري بها والتطبيق عليها في الفصل التالي.

غير أن هذا الفرز الذي أشرنا إليه فيما يتصل بتصنيف الواسمات الأصواتية إلى لسانية و نصية و خطابية، لا يعني بأي حال من الأحول أن كل صنف منها يشتغل بمعزل عن الأصناف الأخرى، فعلى المستوى النصي تؤدي الروابط الحجاجية _وهي واسمات لسانية حسب التصنيف المعتمد لدينا _ دورا على

(1) _Roitman. Malin: op. cit, p94

المستوى الجملي يتداخل، عندما ننتقل إلى التحليل النصي، مع دور آخر على هذا المستوى الثاني، و هكذا مع باقي الواسمات الأصواتية.

2)مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات

ينبغي من منظور تداولي ونصي -حسب ج.م. أدام(**J-M.Adam**)- أن نميّز في البنية الشكلية لكل نص رسائلي المخطط النصي القاعدي التالي:

صدر أوافتتاحOuverture ، مخاطبة استهلالية Exorde، متن أو جسم الرسالة Corps de la lettre، تخلص Péroraison، خاتمة أواختتامClôture. (1)

والملاحظة التي يمكننا أن نبديها حول هذا المخطط هو أن التقليد العربي، كما يتجلى في نصوص الرسائل التي وصلتنا يهمل في الغالب الأعم ذكر المكان والزمان، رغم ما تضمنته بعض الرسائل من الإشارة إليه والمؤاخذة على تركه.(2)ويعلل صالح بن رمضان ذلك بقوله : «إلا أن التخاطب الثنائي حمل الكتّاب في رسائل كثيرة على إهمال هذا العنصر، إذ كانوا يعوّلون على معرفة المخاطب بمكان صدور الرسالة وزمنه فيكتفون باستعمال الإشاريات المكانية والزمانية من قبيل هنا وهناك، وهذا البلد أو الإشارة إلى أحداث ووقائع معينة ...الخ»(3)، والمفارقة هي أن التقليد الغربي كما يوضح أدام (J-M.Adam) ذلك، يتسامح في القسمين (2) /المخاطبة الاستهلالية و(4) / التخلص، مخالفاً بذلك التقليد العربي الذي يبالغ في العناية بهما، لأنهما-في نظره- فضاءان

(1)-Adam. J-M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p41-42

(2) - مثل الفضل بن الحباب الجمحي الذي لام إبراهيم الصولي على إغفاله ذكرهما ،حين خاطبه :"وصل كتابك مبهم الأوان مظلم المكان، فأدى خبرا ما القرب فيه أولى من البعد "ينظر : صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم ،ص153

(3) - صالح بن رمضان: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص153-154

خطابيان انتقاليان (مقدمة للتهيئة، وتدحرج نحو الختام)، ويقعان بين لحظتي الابتداء والانتهاء من جهة وجسم الرسالة من جهة ثانية. وهما اختياريان لأنهما يؤديان وظيفة تنبيهية، أي تهيئة تلَقّي التبادل بصيانة وجه الآخر(المخاطَب) من خلال إدراج الموضوع والتمهيد له، ثم تلخيص الإقناع وإنهائه، عبر اللجوء إلى الإثارة الانفعالية (جرعات انفعالية تأثيرية) التي تهيئ للتفاعلات المستقبلية مع المرسل إليه. (1)

هذه الأقسام لا يلتزم بها كتاب الرسائل دائما-كما تقدّم بيانه - لاسيما في التقليد العربي القديم، وتحديدا في موروث الرسائل الذي وصلنا، ومنه بطبيعة الحال رسائل الجاحظ، فهذه الرسائل تهمل ذكر الزمان والمكان في الافتتاح، وتبالغ في العناية بالمخاطبة الاستهلالية والتخلص.

هذا عن نص الرسالة ككل، أما عن أهم قسم فيها وهو المتن (جسم الرسالة)، وهو الذي نقصده بالدراسة هنا، فهو—كما أسلفنا -القسم الأقل خضوعا للتنميط، فليس بالمستطاع حصر خصائصه المائزة، ولا وصفها بالاطّراد والثبات. ولذلك أسباب تتعلق أساسا بتنوع المقامات التي ترتبط بها أنماط لا حصر لها من الرسائل، الأمر الذي يتولد عنه على المستوى التكويني طواعية

(1)-Adam. J-M : Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l’analyse pragmatique des pratiques discursives،p42

جسم الرسالة لحمل مضامين متنوعة عبر تنويعات نصية تتناسب مع المكون المهيمن والمقاطع التي يتركب منها.[1]

وقد عرفنا فيما تقدم أن رسائل الجاحظ ليست رسائل بالمعنى الدقيق والحصري للكلمة، وأنها -كما قال **لانسون(G.Lanson)** - نمط من الكتابة ليس لها من الرسالة إلا الاسم،[2] فهي كما تشهد بذلك جلّ الدراسات التي تناولتها نصوص حاملة لأنماط متنوعة من الخطابات الحجاجية التي تعرض للقضايا السياسية، والكلامية، والاجتماعية، متوسّلة تارة الرد على أطروحة، أو رأي، أو استعراض آراء خصمين اختصموا في قضية سياسية أو دينية أو كلامية، ينطق فيها الجاحظ أحيانا باسمه الخاص، وأحيانا باسم جماعته(المعتزلة)، وأحيانا أخرى يمَّحي تلفظيا، ويترك المجال لمناظرة أو مفاخرة، يصطنع فيها دور المحايد...و هكذا.

هذه الخصائص التي أتينا على ذكرها مختصرة تجعل نصوص الرسائل الجاحظية نصوصا حوارية بامتياز، إذ أن خطاب الرسائل حواري بطبيعته، فهو يفترض تفاعلا ثنائيا بين مرسِل ومرسَل إليه. زد على ذلك أن هذه الرسائل تغتني بالخطابات المستحضرة لطوائف من المتحاورين المختلفي المشارب والرؤى والمعتقدات، والذين يقع الجاحظ منهم على بعد مسافات متباينة، أويتماهى مع

(1)-Adam. J-M : Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, p43

(2) - ينظر تفصيل ذلك في الفصل الأول، ص 102

بعضهم أنواعا مختلفة من التماهي. وهذا ما حملنا على مقاربة هذا الخطاب الجاحظي تداوليا في ضوء مفهوم التعدد الصوتي.

لتبيّن آثار التعـــدد الصـــوتي في التنظـــيم النصـــي للرســـائل ككـــل، واعتمادا على الملاحظات التي تقدّم بيانها حـــول خصـــائص الترســـل العـــربي القديم، ونصوص مدونة الرسائل خصوصا، نبدأ مســـار رصـــد تلـــك الآثـــار باقتراح البنية التلفظية الأصواتية النموذجية التالية للرسائل الجاحظية:

_ المستوى الأول للتلفظ:

الجاحظ (مرسل الرسالة) ï الشخص الذي توجه إليه (متلقي الرسالة)/ الملفوظ (كل نص الرسالة)

_ المستوى الثاني للتلفظ:

أ) المتلفظ 1 ï المتلفظ له 2 و3... ن/ الملفوظ 1 (قد يكون خطاب المتكلم /كاتب الرسالة، وقد يكون خطابَ متلفظ آخر)

ب) المتلفظ 2 ï المتلفظ له 1و3... ن/ الملفوظ 2 (خطاب آخر 2 مسند إلى المتلفظ له2) [1]

(1) - ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص 49 وما بعدها

تشترك الرسائل كلها في وجود مرسل واحد حقيقي هو المتكلم كاتب الرسائل :الجاحظ، وهذا في المستوى التلفظي الأول، لكنها تختلف في المرسل إليهم الذين تُوجّه إليهم الرسائل، فبعضهم يسمّيهم الجاحظ في نص الرسائل، وبعضهم يغفله، وبعضهم يستحضر خطابه في الرسالة ويتفاعل معهم حواريا، وبعضهم يضعه في موقف المتلقي الذي يشاهد تفاعل المتحاورين الذي يضعهم الجاحظ على الركح، ولا يشركه في الحوار.(1)

أما في المستوى التلفظي الثاني، فقد يكون المتكلم /كاتب الرسائل هو المتلفظ الذي يستأنف الكلام ويواصله، وقد ينسحب ويترك الركح ليظهر فيه متلفظ آخر أو أكثر. في الحالة الأولى يكون متن الرسالة نصا أحادي الصوت Monologal، وفي الحالة الثانية يكون تحاوريا (متعدد الأصوات)Dialogal غير أن هذا لا يعني خلو النص الأحادي الصوت من الحوارية والتعدد الصوتي، وفقا للتصور الباختيني، فكلا النمطين لا يخلوان من حضور أصوات أخرى إلى جانب صوت المتكلم، والفارق بينهما فارق في البنية الخارجية، أي في وجود أدوار للكلام في النص، بحيث يكون التلفظ مُسنَدا إلى أكثر من متكلم، أو أن

(1) - تفيدنا تعليقات محقّقي الرسائل و ملاحظاتهم في معرفة ذلك بالتفصيل عندما تدعو الضرورة إلى ذلك لاحقا.

يكون متكلما واحدا مسؤولا عن التلفظ، ويقوم داخل الملفوظ الذي ينجزه باستحضار متلفظين آخرين. [1]

عند التطبيق على مدونة الرسائل الجاحظية، يمكننا التمثيل لهذين الصنفين بالرسائل التالية:

_ **رسالة التربيع والتدوير** : نص أحادي الصوت يتوجه فيه كاتب الرسائل بالخطاب إلى مخاطب معين هو **محمد بن عبد الوهاب** من بداية الرسالة إلى نهايتها، ويخلو هذا النص من إسناد التلفظ إلى متكلم آخر مسؤول عن تلفظه الخاص، المتميز نصيا عن نص تلفظ المتكلم كاتب الرسائل.

تبدأ هذه الرسالة بـــ:« *كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر وهو يدعي أنه مفرط الطول ...*» [2]

ويستأنف المتكلم /كاتب الرسائل كلامـــه بمخاطبـــة أحمـــد بـــن عبـــد الوهاب مباشرة بقوله:« *بسم الله الرحمن الرحيم: أطال الله بقاءك..*»[3]

---

(1)-Bres. Jacques et Nowakowska. Aleksandra: Dis-moi avec qui tu«dialogues»، je te dirai qui tu es …De la pertinence de la notion de dialogisme pour l'analyse du discours ،in Marges linguistiques - Numéro 9، Mai 2005 - M،L ،M ،S،éditeur http:/ /www،marges-linguistiques. com-13250 Saint-Chamas (France),p2-3

؛ وينظر أيضا، للتفصيل في الفرق بين الحواري والتحاوري : ب. شارودو و د. مانغونو :معجم تحليل الخطاب، ص170 وما بعدها

(2)- ضمن الرسائل الأدبية، ص431

(3)-ضمن الرسائل الأدبية، ص ن

وتأتي بعد ذلك مقاطع تتضمن الأسئلة التعجيزية التي يوجهها الجاحظ إلى مهجوّه، والتي يبدأها غالبا بفعل الأمر"خبرني" دون أن يتيح لمخاطبه أن ينطق نطقا صريحا، كما هي عادة الجاحظ في استضافة خصومه ومناظريه في رحاب نصوصه، اللهم إلا إذا كان الاستحضار عن طريق الضمنيات والافتراضات المسبقة.

ويندرج ضمن هذا القسم رسائل كثيرة مما يصنف في الرسائل الأدبية، مثل: رسالة طبقات المغنين، ورسالة المعلمين، ورسالة كتمان السر وحفظ اللسان...إلخ؛ والرسائل الكلامية، مثل: صناعة الكلام، و رسالة المسائل و الجوابات في المعرفة، ورسالة حجج النبوة، ورسالة استحقاق الإمامة ...إلخ

_ **رسالة العثمانية:** متن هذه الرسالة نص تحاوري (متعدد الأصوات)، فبعد افتتاح موجز، ينسحب المتكلم كاتب الرسائل، بعد أن يضع على الركح متكلّمَين يتحدثان بضمير الجماعة، ويتناوبان على أخذ أدوار الكلام في سلسلة من المقاطع التي تمفصلها كلمتا :"قالوا" و"قلنا"؛ قالوا تعلن بداية الكلام الذي يسند إلى الشيع أتباع علي(ض)، و"قلنا" تؤشر لبداية رد العثمانية أتباع أبي بكر وعثمان (ض).

تبدأ هذه الرسالة بـــ:«*ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا به* »[1]

ويستأنف االمتكلم /كاتب الرسائل كلامه، مقتصرا على إسناد أدوار الكلام بالصورة التالية:

قالت العثمانية:...، (خطاب مستحضر مسند إلى العثمانية)

وقالوا ":.....، (خطاب مستحضر مسند إلى الشيعة)

قلنا: ...، (خطاب مستحضر مسند إلى العثمانية) [2]...

وهكذا حتى نهاية الرسالة التي يختمها الجاحظ في أقل من صفحة بقوله :«*هذا جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية، ولولا أن فيما قدمنا غنى عما أخرنا لقد فسرنا كما أجملنا...*» [3]

عرضنا فيما تقدم لآثار الحوارية والتعدد الصوتي على التنظيم النصي العام للنص، وفيما يلي نحاول أن نبرز تلك الآثار على مستوى المقاطع الصوتية، من

(1) - رسالة العثمانية، ضمن الرسائل السياسية ص127

(2) - نص الرسالة طويل، ويقع في 200 صفحة، لذلك تتكرر صيغة إدراج الأصوات بواسطة الفعل"قال"، وتتنوع بين : قالت العثمانية، قالوا، قالت الشيع ،فإن قالو،قلتم ،قلنا ...الخ

(3) - رسالة العثمانية، ص327

خلال التعرض لصيغ إدراج الأصوات على مستوى هذه المقاطع، التي يسميها محللو التعدد الصوتي بالمقاطع الأصواتية.[1]

لإنجاز هذا التطبيق اخترنا نموذجا مقتطفا من رسالة "الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ":

«*قلت لك إني قد سمعتُ من هذا روايات ورويتُ فيه أشعارا وسمعتُ من الناس فيه خوضا كثيرا، وسأقيمُك على الواضحة وأقف لك على الجادة، بل على العلم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء الله؛ وخيرُ الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبا وجعلناه نحلة و مفخرا؛ وسنقدّم قبل القول في هذه المسألة قولا، فافهَمْه، قالت الجهمية: "لا نقول إن الله معنى ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئا فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته "، وقالت الرافضة: "هو جسم فضلا عن أن نقول إنه شيء "؛ وقالت المعتزلة: "هو شيء وليس كمثله شيء، وليس بجسم وليس علمه بفعل ولا صنع، وإنما قولنا: له علم، كقولنا: هو عالم، نريد أنه لا يخفى عليه خافية ".*

وقالت المرجئة: "القاذف مؤمن"، وقالت الخوارج: " القاذف كافر"، وقال بعضهم: مشرك ؛ وقالت البكرية: "بل هو أسوأ حالا من المشرك، والمنافق

(1)- ينظر تعريفها في هامش سابق من هذا الفصل، ص189

أشد عذابا من الكافر"؛ وقالت المعتزلة: "هو فاسق كما سمّاه نصًّا ولا نسمّيه كافرا فيلزمنا أن نُلْزِمه أحكام الكفار وليس ذلك حكمه، ولا نقول: مؤمن، فَيَلْزَمنا ولايتُه ومدحه وإيجاب الثواب له، وقد أخبرنا الله تعالى أنه مشؤوم من أهل النار، فنزعم أنه في النار مع الكافر وأنه لا يجوز أن يكون في الجنة مع المؤمن".

وقالت الخوارج في قتال الفئة الباغية: "نسير فيها بالإِكْفَار وبالسَّبي والغنائم و باتِّباع المُدْبر والإجهاز على الجريح "، وقالت المرجئة: "لا قتال"، وقالت المعتزلة بالقول المَرْضِيّ وهو إيجاب القتل على جهة الدَّفع لا على القصد إلى القتال ولا على السّبي ولا على الإجهاز على الجرحى ولا على استحلال الأموال، فلم نفرّط إفراط الخوارج ولم نقصّر تقصير المرجئة، ودين الله بين المقصر والغالي، وهذا الاشتقاق، وهو التوسّط والاقتصاد، هو الاعتزال لغلوّ من غلا وتقصير من قصّر؛ والأصل الذي نبني عليها أمورنا فيمن ليس عندنا كعلي وسابقته وأرومته وكامل خصاله بل في أدنى رجل من أوليائنا، أنّا متى وجدنا له عملا يحتمل الخطأ والصواب لم يكن لنا أن نجعل عمله خطأ، حتى يعيينا فيه وجه الصواب، وليس لنا بعد أن قضينا بأنه خطأ أن نقضي بأنه خطيئة حتى يعيينا [القدر](*) بأنه سليم من طريق المآثم، فإن قضينا بأنه إثم فليس لنا أن نقضي بأنه

(*) -[القدر]هكذا في نص الرسالة في "رسائل الجاحظ، الرسائل السياسية، ش و ت علي بوملحم" و لعله خطأ مطبعي أو تصحيف في أصل الرسالة، والصواب كما نقدر حسب سياق الجملة (العذر). نشير إلى أن هذه الرسالة غير موجودة في مجموع الرسائل التي حققها عبد السلام هارون.

ضلال ونحن نجد لصرف الدفع عنه أنه ضلال إلى الإثم محتملا، وإن قضينا بأنه ضلال فليس لنا أن نقضي بأنه كفر إلا بعد ألا نجد من ذلك بدّا، فيكون الحق أحقّ ما حُكِم به وصُبِر عليه.

فمن كانت – حفظك الله- هذه سيرته وطريقته في أدنى أوليائه، فكيف تظنّه في أرفع أوليائه؟ فهذا ما لا يحلّ لي أن أظنّه بعلي بن أبي طالب؛ فإنْ كان عندك برهان واضح ودليل بيّن يكشف لنا عن الحال فيه حتى يتبين به أنه كان سببا من إراقة الدماء، فعلينا السمع واليقين والإقرار، وعليك البيان والإفهام بالدليل والحرص »[1]

تتوافر في هذا النموذج الخصائص التالية:

- المضمون الحجاجي الكثيف:

يندرج النموذج المنتقى للتحليل هنا ضمن الرسائل السياسية الحافلة بالجدل، بما يعنيه الجدل من عرض آراء الخصوم المختلفي الآراء، المتضادين في منطلقاتهم وأهدافهم، ومن ثم فإننا نسمع أصوات هؤلاء جميعا في ملفوظات هذا النموذج.

- تنوع أنماط الملفوظات التي تنطوي على تعدد الأصوات:

(1) - الجاحظ: رسالة الحكمين، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم، ص: 380-381

تنوعت أنماط الملفوظات التي تنطوي على ظواهر التعدد الصوتي، فهناك إدراج للأصوات بواسطة صيغ لغوية صريحة، مثل: قال، قالوا، قالت، قلنا، نقول، وبعدها مقول القول؛ وكذلك صيغ تفيد النقل عن متلفظ آخر، مثل: كما سماه،... أخبرنا. كما ينطوي النص على صيغ صرفية أخرى تؤدي هذه الوظيفة، بمراعاة السياق التلفظي، بمكوناته المختلفة، ولا سيما المخاطب بالرسالة، وأصناف المتلفظ إليهم في ثنايا الخطاب، والخلفية المعرفية المشتركة[1] لأطراف التواصل، ومن بين هذه الصيغ: أدوات النفي، الاستفهام، الشرط.

- غنى النموذج بالمؤشرات التداولية:

يغتني النموذج بالمؤشرات التداولية التي تساعد على استحضار السياق التلفظي، مما يهيّء لتأويله بصورة صحيحة، في إطار التحليل الأصواتي الحجاجي، الذي نحن بصدده، ومن ضمن هذه المؤشرات: وجود ملفوظات تتضمن خلاصة اعتقادات الفرق الإسلامية، تسمية هذه الفرق، إشارة النموذج إلى مستمع رئيسي للخطاب (متلقي الرسالة) بواسطة ضمير المخاطب، وإسناد الدعوى المعترض عليها إليه، وفي هذا ما يكشف عن صنف الخطاب، الجمع بين الديني والسياسي... إلخ

(1) -الخلفية المعرفية المشتركة و تسمى أيضا الأطر و المدونات والخطاطات و هذه المصطلحات-كما يرى يراون و يول-ليست"نظريات متنافسة ، لأنها تهدف كلها إلى وصف الكيفية التي تنظم بها معرفة العالم في ذاكرة الإنسان ، ثم كيف تنشط هذه المعرفة في عملية فهم الخطاب "خطابي. محمد : مرجع سابق، ص62-63

هذه الخصائص تمنح النموذج المختار مصداقية السند المعتمد في هذا المستوى من البحث، أي مستوى دراسة ظاهرة تعدد الأصوات في رسائل الجاحظ نصيا، وسننحو في التطبيق عليه المنحى التالي:

- عناصر الوضعية التلفظية/ مستويات التخاطب
- تحليل الملفوظات حسب صيغة الإدراج
- فعل الحجاج وتعدد الأصوات في النموذج

عناصر الوضعية التلفظية [1]/ مستويات التخاطب:

تبيّنّا فيما سبق أن دراسة الخطاب من منظور المقاربة التداولية الأصواتية يكشف عن تعدد في مستويات التخاطب، فليس الخطاب/ الملفوظ مهما كان حجمه مرهونا بواحدية المتكلم الناطق به، ولا بواحدية المسمتع المنطوق له، قد يكون الخطاب/الملفوظ موجَّها إلى شخص واحد باعتبار دور معيّن يطلب منه

(1)- الوضعية التلفظية أو مقام التلفظ: هناك تداخل في استعمال هذا المصطلح مع مصطلحي مقام التواصل و مقام الخطاب . لذلك يجب التمييز بينها بجعل الأول يحيل على دلالات الواسمات اللغوية ذات القيمة الإشارية (الضمائر، ظروف المكان و الزمان)،و جعل الثاني (مقام التواصل) يحيل "على المحيط الخارج =لغوي" ، بينما يخصص الثالث (مقام الخطاب) للإحالة على "معطيات المعرفة الجارية بين الخطابات، و التي تحدد أقصى التحديد ذوات التبادل"(ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص519-520)

أداؤه كمتلقٍّ، لكن ذلك لا يمنع من توجيه الخطاب من مرسله(المتكلم/ كاتب الرسالة)، أومن المتلفظين داخله إلى أكثر من مخاطَب ومتلفظ له.

في النموذج الذي نحن بصدد التطبيق عليه تبدو الوضعية التلفظية كما يلي:

1-المستوى الأول للتلفظ:

- الجاحظ (مرسل النموذج=الرسالة) ï الشخص الذي يردّ عليه (متلقي الرسالة)/ الملفوظ (كل النموذج = كل الرسالة)

2-المستوى الثاني للتلفظ:

- المتلفظ 1 ï المتلفظ له 2 و3... ن/ الملفوظ 1 (قول الجهمية)
- المتلفظ 2 ï المتلفظ له 1و3... ن/ الملفوظ 2 (قول الرافضة)

وهكذا تتعدد الملفوظات بحسب من يُسنَد إليه التلفظ بواسطة صيغ الإدراج الصريحة، التي ذكرناها سابقا، فضلا عن الملفوظات التي تُدرَج بواسطة صيغ أخرى ضمن الملفوظات المدرجة بواسطة الصيغ الصريحة، مثل: قال وأشباهها، أو التي ترد ضمن الملفوظ الذي يسنده المتكلم منشئ الخطاب إلى نفسه.

عن الصنف الأول، نقدم المثال التالي:

قالت الخوارج: " القاذف كافر"

الملفوظ " القاذف كافر" المكوّن من جملة إسمية ذات مبتدأ هو اللفظ" القاذف "، وخبر هو"كافر"، وبتأويل أصواتي حجاجي ينبغي أن نستنبط نتيجة أخرى (مدلولا آخر)، بإعمال قانون"الاقتضاء أو الافتراض المسبق"؛ هذه النتيجة هي: أن القاذف مؤمن، أو فاسق، وأن الجهمية والمعتزلة القائلان بذلك على خطأ. هذا الافتراض المسبق، هو أحد نوعي الكلام الضمني،[1] في حين نسمي القول الأول قبل التأويل الكلام الصريح. ويقوم الكلام الضمني على نفي الأحكام المخالفة لما تم إثباته في الكلام الصريح.[2]

وعن الصنف الثاني، أي الملفوظات المسندة إلى متلفظ مغاير للمتكلم الناطق بالكلام، نقدم المثال التالي:

فهذا ما لا يحل لي أن أظنه بعلي بن أبي طالب

(1)- تتباين و تتعدد ترجمات المصطلح Implicite في الترجمات و الدراسات العربية ، فمن البـــاحثين مـــن يترجمها بـــ"مضمر"(ريتا خاطر في ترجمتها لكتاب ك.ك. أوركيوني: L'implicite)ومنهم من يترجمهابـــــ ضمني(حمادي صمود وعبد القادر المهيري في ترجمتهما لـــمؤلف ب. شارودو ود. مانغونو : Dictionnaire d'analyse du discours)

(2) – Mainguenau. D :Les mots clés du discours, p 68

ما يقوله المتكلم، أي ما ينطق به غير ما يتلفظ به وفقا لمقاربة تعدد الأصوات، لأن ما يقوله يُسْنَد على الأقل إلى متلفظَين يتحملان مسؤولية قولين متعارضين هما:

- ق1 ï عدم الظن بعلي بن أبي طالب
- ق2 ï الظن بعلي بن أبي طالب

ق2 تمثل الافتراض المسبق للحكم المتضمن في الملفوظ، والذي نستنبطه بتطبيق قاعدة النفي، فتبنّي الجاحظ ق1 ساقه إليه معرفته المسبقة بـــ ق2، وهوما حفّز قوله وأكسبه قوته الحجاجية القائمة على استراتيجية النفي، وهي الاستراتيجة الشديدة الارتباط بظاهرة تعدد الأصوات، لأن الحكم الذي ننفيه نستحضره في أقوالنا، ونشير ضمنيا إلى المتلفظ به.

وعلى سبيل الخلاصة، نقول بأن الأصوات تتعدد وفقا لهذه الآليات اللغوية الأصواتية في الملفوظ، بقدر ما تحتاجه الوضعية التلفظية. وفي وضعية المجادلة أو المناظرة يكون الموقف التواصلي أحفل بالتفاعلات التحادثية من حيث إسناد الأقوال إلى أصحابها، والاعتراض عليها، ونفيها أو إثباتها، فقد رأينا في النموذج الذي استعرضناه تعدّدا بارزا للأصوات مكّن من استحضار مقولات الفرق

الإسلامية المعروفة، وهي الجهمية والخوارج والرافضة والمعتزلة،[1] وهي المقولات التي نصّ عليها نصا، وأدرجت في الخطاب بواسطة صيغة صريحة، هي "قالت"، كما استحضر النموذج آي القرآن الكريم من خلال الإحالة بواسطة الصيغتين الإحاليتين"كما سماه"و"أخبرنا الله"، و يضاف إلى هذا ما يُسنِده الجاحظ إلى مناظِره (الشخص الذي يردّ عليه) ضمن الملفوظات التي يتحدث فيها بضمير الجماعة "نحن"نيابة عن المعتزلة.

تحليل الملفوظات حسب صيغة الإدراج:

لئن كنا قد عرضنا في العنصر السابق لدور بعض الصيغ اللغوية في ظاهرة تعدد الأصوات، فإن ذلك التناول كان يخدم بالأساس تحليل مستويات التخاطب، و لم نستوف به التعرض للجوانب المتصلة بتصنيف الملفوظات وتمييزها باعتبار صيغة الإدراج التي اعتمدت في إلحاقها بجسم النص ككل.

تحدثنا عن صيغ ثلاث للإدراج ؛ هي صيغ مقول القول، الوحدات اللغوية الدالة على الإحالة إلى متلفظ آخر، مثل أخبر... إلخ، و الروابط والعوامل الحجاجية المختلفة من شرط ونفي واستفهام والتي

(1) -سنعرض لتعيين مصادر الأصوات بواسطة هذا النوع من التسميات لاحقا في الفصل المخصص للتحليل الخطابي، تنظر:ص278

يتم الإدراج فيها بواسطة مبدأ الافتراض المسبق [1]، أي أن تلفظ الصوت الآخر لا يظهر على المستوى التركيبي والدلالي القاعدي، بل يظهر على المستوى الدلالي التداولي الذي يوفر لنا أدوات وموارد التأويل.

1- الملفوظات المدرجة بواسطة صيغة مقول القول:

تمتاز هذه الملفوظات من حيث دلالتها على تعدد الأصوات بوجود صيغة لغوية صريحة تدل على الانتقال إلى متلفظ آخر، ويظهر ذلك بوضوح في الخطابين الشفوي والكتابي، غير أنه في الخطاب الكتابي يدعم بعلامة التنصيص، وعزل الملفوظ المدرج بواسطة المعقوفين في حالة الخطاب المنقول المباشر، ودمجه في البنية التركيبية للجملة أو المقطع النص الذي يحمله في حالة الخطاب المنقول غير المباشر.

على المستوى التداولي لا يقع اللبس في نسبة الأحكام المتضمنة في هذا النوع من الملفوظات، فهي منسوبة بشكل صريح وقاطع إلى من تلفظ بها، بينما

(1) - يميز ديكرو بين المقتضى(الافتراض المسبق)Présupposé و الكلام المضمّن Sous-entendu باعتبارهما نوعان من الكلام المضمر Implicite، بأن يقيد الأ ول بالوسم اللغوي، و يربط الثاني أكثر بمعطيات السياق التواصلي. ففي المثال الأثير لديه: أقلع بيار عن التدخين، يكون المعطى Le posé:بيار لا يدخن حاليا ، ويكون المقتضى(الافتراض المسبق)Présupposé: بيار كان يدخن سابقا(الوسم اللغوي يحمله الفعل "أقلع")،و يكون و الكلام المضمّن Sous-entendu:افعل مثل بيار أيها الخائب (خطاب موجه إلى شخص آخر) ينظر:

O .Ducrot : Le dire et le dit,p33

يتحدد موقف المتلفظ الذي أدرجها لاحقا، ولا يمكن بحال استنباط أي دلالة على موقفه في الملفوظ المنقول عن غيره.

على سبيل المثال: لو أخذنا من النموذج المقطع الخطابي التالي (قالت الجهمية: "لا نقول إن الله معنى ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئا فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته")، فإننا سنحصل على قولين:

ق1: قالت الجهمية / المتلفظ هو الجاحظ ï المتلفظ له المخاطب بالرسالة ككل

ق2: لا نقول إن الله معنى ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئا فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته/ المتلفظ الجهمية ï المتلفظ له عموم المسلمين، وخاصة أتباع الفرق الأخرى (الجاحظ ومخاطَبه معنيان)

نلاحظ أن ق1 اقتصر على إعلان بداية التلفظ بالملفوظ ق2، وتحديد المتلفظ به (مؤشر سياقي)، وتضمن ق2 موقف الجهمية من صفات الله تعالى، وقد خلا الملفوظ من المؤشرات السياقية ما عدا ضمير الجماعة المتكلمين "نحن".

من الناحية التداولية عندما يُورَد علينا رأي مُسنَد إلى شخص أو جماعة، واستنادا إلى ما نعرفه عن الموضوع وما نعتقده (المعرفة المرجعية المشتركة)[1] نأخذ في تقييمه لأجل تأكيده أو الاعتراض عليه. هذا ما سيتكفل به الجاحظ في ما تبقى من النموذج.

2- الملفوظات المدرجة بواسطة صيغ تفيد النقل والإحالة:

تصادفنا في النص حالتان ؛ الأولى في قوله: "هو فاسق كما سماه نصا"، والثانية في قوله: "وقد أخبرنا الله تعالى أنه مشؤوم من أهل النار "، والصيغتان المستخدمتان هنا للإدراج هما "**كما سماه** " في الملفوظ الأول، و"**أخبرنا**" في الملفوظ الثاني، وتحمل كلتاهما دلالة النقل عن متلفظ آخر، كما تعتبران من المؤشرات التداولية للخطاب.

نلاحظ على هذين الملفوظين أنهما جزءان من ملفوظ أكبر هو الملفوظ المكوّن من مقول القول المسند إلى المعتزلة، والمُدرَج بدوره في ملفوظ أكبر منه (النموذج ككل). ونصه كما يلي: وقالت المعتزلة: "**هوفاسق كما سماه نصا** ولا نسمّيه كافرا فيلزمنا أن نلزمه أحكام الكفار وليس ذلك حكمه، ولا نقول: مؤمن، فيلزمنا ولايته ومدحه وإيجاب الثواب له، **وقد أخبرنا الله تعالى أنه**

(1)- هناك من يسميها الأطر والمدونات والخطاطات، وقد تم تطبيق تداخل الأطر وصراع الخطاطات في الأبحاث الأجنبية على النكت والألغاز والفكاهة. ينظر محمد مفتاح : دينامية النص ط2 . المركز الثقافي العربي . بيروت – الدار البيضاء .1990، ص47

مشؤوم من أهل النار، فترعم أنه في النار مع الكافر وأنه لا يجوز أن يكون في الجنة مع المؤمن".

ويتميز الملفوظان محل الدراسة هنا – خلافا للصنف الأول (مقول القول) بكون المتلفظ بـــ ق1 (كما سماه) وهم جمهور المعتزلة يتبنى الحكم المتضمن في ق2(هو فاسق) المسند إلى "متلفظ" آخر هو الله تعالى،[1] والذي يؤكد ذلك ليست الصيغة "كما سماه" لأنها قد تستعمل ولا توجِّه الملفوظ حجاجيا في نفس الاتجاه، كما لو أن المعتزلة يقولون عن فاعل الكبيرة فرضا "وهو كما سماه المرجئة مؤمن"، لذلك لا بد من البحث في السياق التداولي عن قرائن أخرى تفضي إلى تأكيد تبني الجاحظ لذلك؛ أول هذه القرائن الصيغة الصرفية "نصا" التي ينبغي أن تلحق بـــ ق1، فيصبح (كما سماه نصا) وتكتسب هذه المفردة قيمتها الحجاجية من كونها تكشف عن قبول حكم ق2 وتبنيه من متلفظ ق1، بل واعتباره حكما قطعيا لا يرد لأنه حجّة ذات سلطة مرجعية Argument d'autorité.[2] أما القرينة الثانية، فهي ما نعرفه عن طروحات المعتزلة ومبادئهم، مما يشكل الخلفية المعرفية المشتركة بينهم كمتلفظ، وبين المتلفظ لهم وهم في المقام الأول أتباع الفرق الأخرى. فمجرد كون الصوت

(1) -إن شئنا الدقة قلنا الآية القرآنية محل الشاهد كما يؤولها الجاحظ و سائر المعتزلة.

(2) – ينظر تعريفها في هـــ 1، ص299، من الفصل الرابع

هو صوت الله تعالى (الآية بلفـــظها أوبمعناها)، يستلزم في مقام تداولي مماثل أن يتبنى المتلفظ بـــ ق 1 الحكم المتضمن في ق2.

3- الملفوظات المدرجة بواسطة الحروف والروابط:

ويرد هذا الصنف بكثرة في القسم الثاني من النموذج، والذي يبدأ بقوله: "فلم نفرط ..."، وإن كنا نجده أيضا في القسم الأول الذي اقتصر فيه الجاحظ على إيراد مقولات الإسلاميين في التوحيد، وفاعل الكبيرة، وقتال الفئة الباغية. ويمكننا تقسيم هذا الصنف إلى قسمين:

- قسم الملفوظات المقترنة بالحروف والظروف، وتتميز ظاهرة تعدد الأصوات فيه بارتباطها بمفهوم الكلام المضمّن **Sous-entendus**،
- قسم الملفوظات المتضمنة للروابط، والتي تتضمن بنيتها عدة ملفوظات تحيل إلى متلفظين متعددين، وكذلك إلى متلفظ لهم عديدين.

من القسم الأول نأخذ المثال التالي: " فلم نفرّط إفراط الخوارج"

يظهر التعدد الصوتي أولا بإعمال مفهوم الكلام المضمر حين يحيل المتلفظ إلى مقولة أو مقولات الخوارج، ومنها: فاعل الكبيرة كافر، فنحصل باعتبار الوضعية التداولية على ق2، المتلفظُ به هم الخوارج، والمتلفظ لهم خصومهم ممن يخالفونهم الاعتقاد، أما ق1 فيبقى كما هو في البنية التركيبية

للملفوظ رفض معتقدات الخوارج، والتي يمثّلها، ويرمز إليها ق2، والمتلفظ بها هو الجاحظ نيابة عن المعتزلة؛ لذلك تحدث بضمير الجماعة "نحن".

ومن الواضح أن الذي يؤدّي دورا حاسما في كشف الكلام المضمر هنا، هو عناصر الوضعية التلفظية،[1] فدون معرفة المتلفظ وعلاقته بالمتلفظ له، و"معرفة العالم" أو "المعرفة الموسوعية "المشتركة بينهما، لا يمكن لأطراف العملية التلفظية تحقيق التواصل، المبني على قوانين الخطاب الأربعة، وهي: الشمولية، الإخبارية، الإفادة، الصدق، والوجاهة [2]

أما القسم الثاني من هذه الملفوظات، فنمثل له بما يلي:

"فإن كان عندك برهان واضح ودليل بيّن يكشف لنا عن الحال فيه حتى يتبين به أنه كان سببا من إراقة الدماء، فعلينا السمع واليقين والإقرار، وعليك البيان والإفهام بالدليل والحرص..."

(1) - خلافا لما يحصل عند إعمال مبدأ الافتراض المسبق، الذي لا يتطلب استحضار السياق التداولي، إذ يكفينا التعامل مع البنية التركيبة (اللغوية المحض) للملفوظ لاستنباط الكلام الضمني المسمى افتراضا مسبقا، فقول الجاحظ " فنحن لم نفرط إفراط الخوارج" يفترض مسبقا وجود أقوال من قبيل: هناك من فرط إفراط الخوارج، وأن الخوارج فرطوا في أمر أوأكثر، إلى غير ذلك من الأقوال .

(2) - قوانين الخطاب وضعها ديكرو، و تقابل عند غريس (قواعد المحادثة)، وهي التي تتيح الحساب التأويلي للدلالات المضمرة انطلاقا من الدلالات الحرفية، وعددها ستة: قانون الاستيعاب، قانون الإخبارية، قانون الاقتصاد، قانون كناية التقليل Litote، قانون المنفعة، قانون التسلسل. (ينظر: معجم تحليل الخطاب، ص346-347)

إذا قمنا بعزل العبارة (كان سببا في إراقة الدماء) الواقعة بعد "أنه" فإننا سنحصل على ملفوظ يختلف عن الملفوظ قبلها، فيصبح لدينا حسب الإجراء التي نتبعه في تحليل الملفوظات:

ق1: إن كان عندك برهان واضح ودليل بيّن يكشف لنا عن الحال فيه، فعلينا السمع واليقين والإقرار، وعليك البيان والإفهام بالدليل والحرص

ق2: كان سببا من إراقة الدماء

يتبيّن لنا بعد القيام بهذا الإجراء أن متلفظ ق1 (الجاحظ) يتوجه إلى متلفظ ق2 (المخاطب بالرسالة)، وأن متلفظ ق2 لا يتوجه بالضرورة لمتلفظ ق1، لأن زمن تلفظ ق2 متقدم على زمن تلفظ ق1، ولأن التواصل ليس شفويا، كما أسلفنا، ولكنه تواصل كتابي يملك فيه صاحب الخطاب المعرفة الكاملة بوضعية التواصل والتلفظ، في حين ينتمي الملفوظ ق2 المحتوى في ق1 إلى وضعية تلفظية أخرى سابقة في الزمن.

زيادة على ذلك تكشف عناصر البنية اللغوية، ولا سيما المؤشرات السياقية عن ظاهرة التعدد الصوتي في هذا الملفوظ، فضمير المخاطب (الكاف)، والأمر الوارد بصيغة اسم الفعل (علينا، وعليك) يدلاّن على حضور للمخاطَب، وتأثيره في بنية الملفوظ تركيبيا ودلاليا وتداوليا. وعلى ضوء هذا الحضور تحددت خطاطة

الحجاج،[1] التي استدعت إقحام صوت المعترَض عليه في الملفوظ، ومطالبته بتبرير الحكم الذي أثبته في القول المنسوب إليه.

(1)- وضع الخطاطة الخطابية، و منها خطاطة الخطاب الحجاجي يحيل إلى مفهوم المسرحة الذي وضعه G. Vignaux (1976) والذي يتكون من العناصر التالية: الفاعلون، الإجراءات، الوضعيات، و الواسمات الإجرائية، و الذي يعني في أبسط معانيه الكيفية التي يبني بها المتكلم خطابه، واضعا في حسبانه من يتوجه إليه بالخطاب. فالخطاطة باعتبارها تمثيلا خطابيا هي في الآن ذاته عملية و نتيجة. يقول غريس:"إذا وجه متكلم أ، في مقام معين، خطابا إلى المتكلم ب(بلغة طبيعية)، أقول إن أ يقترح =على ب ترسيمة(خطاطة)، إنه يبني عالما صغيرا أمام ب،عالما يريد أن يكون محتمل التصديق عند ب ". (معجم تحليل الخطاب ،ص505)

3)الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية

في مستوى التحليل النصي، ننتقل من الحديث عن وجهات النظر البسيطة المفردة إلى الحديث عن وجهات النظر التفاعلية. ومردّ ذلك إلى أن وجهات النظر حين ترصد في الملفوظات /الجمل المعزولة عن سياقها النصي تقدّم لنا وجهة نظر واحدة مقابل وجهة نظر واحدة أو أكثر، تخضع جميعها للتراتبية في حالة النفي والاستفهام، أو تكون ترابطية في حالة الروابط والعوامل الحجاجية.

وجهات النظر هذه نفسها حين تُرصد في المقاطع النصية أوفي النصوص، أي في سياقها النصي الأوسع، تَظْهَر مرتبطة بسلسلة من وجهات النظر التي تشاركها في التوجيه الحجاجي نحو نتيجة معينة. وفي حالة وجهات النظر التفاعلية المتضادة، توجّه مجموعة وجهات النظر التفاعلية "1"على سبيل المثال نحو النتيجة "ن"، بينما توجّه مجموعة وجهات النظر التفاعلية"2" نحو النتيجة"لا-ن". نلخص ذلك في الصيغة الرمزية التالية:

_ وجـــ ن تف 1: وجـــ ن1 + وجـــ ن2 + وجـــ ن3 ï النتيجة ن

_ وجـــ ن تف 2: وجـــ ن1 + وجـــ ن2 + وجـــ ن3 ï النتيجة لا_ن[1]

(1)- وجهة النظر التفاعلية Points de vue dynamiques هي سلسلة من وجهات النظـــر (الثاويـــة أو الصريحة) و التي تشترك في محتوى دلالي حجاجي واحد .بنظر:

Roitman . Malin: op. cit, p114

تؤدي الواسمات الأصواتية إذن على المستوى النصي وظيفة إيجاد تشكيلات من وجهات النظر التي تشترك في التوجيه الحجاجي، وتقوم بتنضيدها لتشكّل منها وجهتي نظر تفاعليتين متضادتين، تسندان إلى ذوات خطابية تستحضرها هذه الواسمات من خلال استنفارها لظاهرة التعدد الصوتي.

وتتحدد علاقة هذه الذوات بعضها مع بعض بالنظر إلى نوعية الواسم وخصائصه التركيبية والدلالية والتداولية من جهة، وما قد يقدّمه السياق النصي من تعليمات إضافية حول مقام التلفظ وعناصره والخلفيات المعرفية لجهات التلفظ من جهة أخرى.(1)

نمثّل لوجهات النظر التفاعلية بالمقتطف التالي الذي يتضمن النفي، باعتباره الواسم الأصواتي الأبرز، في حال تعامله مع الرابط " لكن" (2):

« ***ولم أقل*** *إن معاوية ليس بمذكور بالعقل والحلم وبالدهاء والفهم وبالنِّكرى* (*)*والجزم والسؤدد والعزم، وبالبيان العجيب والغور البعيد، وإنه لم*

(1)- تشتغل وجهات النظر التفاعلية على المستوى النصي (المقاطع الأصواتية أو النصوص)، بحيث تكون هنـــاك سلسلتان من وجهات النظر التفاعلية، إحداهما داحضة و الأخرى مدحوضة، وتلعب الواسمات الأصواتية النصية والخطابية دورا مهما في إحداث التفاعل بين وجهة النظر التفاعلية الداحضة ووجهة النظر المدحوضة. ينظر:
Roitman. Malin: op. cit, p114

(2)- يتفاعل النفي عادة مع "لكن"ضمن الصيغة الرمزية التالية:[ق لكن نفي ك]، ومن منظور أصواتي توصف المتوالية الأصل :[ق لكن ك]بأنها بنية يرتبط فيها المتكلم برابط مسؤولية مع ك، لا مع ق. ينظر:
DUCROT, Oswald et autres: Les mots du discours,p44

*- النكرى: غير موجودة في لسان العرب ، والنكرو النكراء: الدهاء و الفطنة، والنكارة الدهاء،و المناكرة : المحاربة

يكن كاتب وحي الله وصاحب ديوان بيت مال الله، وإنّ أبا بكر لم يُولِّه مُقَدّمة أخيه، وإن عمر لم يجمع له أرباع الشامات وإنّه لم يعزِلْه إلى أن تُوُفّي ولم يغضب عليه مذ رضي عنه، ولم يكتب له بفضل خصال القضاء ورتيب منازل الحكم، كما كتب إلى أبي موسى الأشعري و إلى قضاته في الأمصار ورجال الفُتْيا في الأطراف، وإن عثمان لم يؤكّد له ما تقدّم منهما ويثبتْ له ما جرى له من قبلهما وزاد في تثبيت عدالته وتزكية بَجَالته في سنّي الجماعة وسنّي الاختلاف، وأدنى حالاته أن يكون مؤمنا غير فاسق ووليّا غير عدوّ وعادلا غير مزوّر، مع علمي بأنهم لم يكونوا ليولّوا الثغور والأَحْرام والإمارات العظام إلاّ القويّ الأمين وصاحب الرأي الرصين.

ولكنّ الخلافة، يا ابن حسان، لا تُستحَقّ والإمامة لا تُستوجَب إلا بالتقدّم في الفضل والتقدّم في السوابق، وإلا بأن يكون الفضل إما ظاهرا للعيون ومشهورا عند جميع المسلمين قد أجْمَعوا على تقديم رجل وتأمير أمير من تلقاء أنفسهم بغير سيف ولا خوف ولا إكراه ظاهر ولا سبب يُوجِب سوء الظن فضلا على غير ذلك، وإمّا بأن يختاروه عن تشاوُرٍ وتناظُرٍ ويَظهَر فضلُه بعد طول التخابر؛ أو يكون له ذلك (في) مصره دون رهطه بميراث العمومة ويستحقها كما تُستحق المقاماتُ الموروثة؛ أو يكون ذلك من جهة وصيّة أو وراثة مشهورة؛ أو يكون ذلك نتيجة خصال كريمة لاقت القرابة وحرمة العَتْرة، فبلغ صاحبها باجتماع الخصلتين ما لا يبلغه صاحب الواحدة ويكون مقنعا للإلْف لأنه أَمَسّ

بالمعدِن وأقرب من صاحب المقام وأحرى أن لا يَخْفَى مكانه على بعيد الدار، كما لا يأنَف منه العظيم الكبير، وإنْ كان نصيبه من الطاعة دون نصيب كثير ممن لا يجري مجراه في شرفه ولا يشاكله في موضعه... »[1]

يمكننا اختزال هذا المقطع النصي الأصواتي الطويل في ملفوظ يقوم على جملة واحدة، تكشف لنا عن وجهتي النظر التفاعليتين المتضادين المعبّر عنهما فيه، كأن نقول :**أنا لم أقل أنّ معاوية مجرد من الصفات التي تحدثت عنها، ولكن هذه الصفات ليست هي التي تؤهله لتولي الخلافة.**

بالتحليل الأولي لهذه الجملة المحاكية، نتبيّن ما يلي :

-ق1: لم أقل إن معاوية ليس = قلت إن معاوية (نفي النفي إثبات) **ï** النتيجة ن:معاوية يستحق الخلافة

-ق2:معاوية ليس موصوفا بـــ... **ï** النتيجة لا_ن: معاوية لا يستحق الخلافة

يشتغل الرابط الحجاجي **"لكن"** أصواتيا، من خلال استنفار صوتين متضادين تضادا يكشف عن ثنائية :**الحجاج والحجاج المضاد**، فالقول الأول(وجـــ ن 1) يقدم حجّة 1 (معاوية يتميز بكذا وكذا من الصفات)من

(1) - الجاحظ: رسالة الحكمين، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم، ص:344-345

أجل النتيجة **ن:**معاوية يستحق الخلافة، يسند المتكلم هذه الحجّة إلى المتلفظ (ابن حسان)ويوافقه عليها مؤقتا، غير أنه سيقوم بدحضها لاحقا، مما يعني أن القول المسند إلى ابن حسان صادق من منظور مطابقته للواقع، لكنه لا يصلح للاستدلال على صحة النتيجة **ن.** وهذا جوهر **الحجاج المضاد أو الدحض.**[1]

يدلنا على ذلك الرابط "لكن " الذي يُدرج القول الثاني (وجـ 2) الحامل للحجّة2 التي توجه إلى النتيجة **لا_ن:** معاوية لا يستحق الخلافة.

يسند المتكلم هذا القول إلى متلفظ 2، ويتماهى معه بواسطة رابط المسؤولية التامة على التلفظ.

هذا إجمال القول في وجهتي النظر التفاعليتين المتضادتين في هذا المقتطف. يبقى علينا أن نبيّن كيف تشكّلت وجهتا النظر هاتان، عبر مسار الحجاج المضاد الذي اتبعه المتكلم / كاتب الرسالة.

نرمز إلى بنية الملفوظ بالصيغة النمطية التالية : [نفي ق (نفي ك)] لكن [نفي ص]، حيث نفي ق:"لم أقل..."، ونفي ك: "أن معاوية ليس ..."، ونفي ك:"الخلافة لا تستحق..."، ينجز بواسطة هذه الصيغة في المقطع الذي بين أيدينا فعل كلامي، هو فعل الدحض، بواسطة حجاج، وحجاج مضاد، يعتمد فيه

(1) - ينظر تعريفه في هامش ص 143، من الفصل الثاني

المتكلم /كاتب الرسائل على إيراد سلسلة من الحجج والحجج المضادة، حيث تمثّل الحجج وجهة النظر التفاعلية 1 المكوّنة من وجهات النظر الثاوية (المضمرة) المتضمنة في الملفوظ: نفي ك، وتمثّل الحجج المضادة وجهة النظر التفاعلية 2 المكوّنة من وجهات النظر الصريحة المتضمنة في الملفوظ :نفي ص

وعليه يمكننا من وجهة نظر حجاجية تحديد بنية الملفوظ الدحضي على النحو التالي:

أـــ **القضية ق(الإثبات)**، وتتكون من: **1-فعل رئيسي:** وصف معاوية بالصفات المذكورة في الفقرة الأولى **2- فعل ملحق (ضمني)**:استحقاقه للخلافة **3-العلاقة بينهما(الاستنتاج)**: الصفات المذكورة في الفقرة الأولى تؤهل معاوية للخلافة.

ب ـــ **القضية ك (الدحض)**، وتتكون من :

1-فعل رئيسي: إثبات صفات أخرى لاستحقاق الخلافة

2- فعل ملحق (ضمني):معاوية لا تتوفر فيه هذه الصـــفات

3-العلاقة بينهما(الاستنتاج): معاوية لا يستحق الخلافة.

من منظور أصواتي نرمز إلى وجهتي النظر التفاعليتين، وجهة نظر الفعل الإثباتي، ووجهة نظر الفعل الدحضي بالصيغة التالية:

_ وجـــ ن تف 1 (الإثبات): وجـــ ن1 + وجـــ ن2 + وجـــ ن3...

آ النتيجة **ن:** معاوية يستحق الخلافة

_ وجـــ ن تف 2 (الدحض): وجـــ ن1 + وجـــ ن2 + وجـــ ن3 ...

آ النتيجة **لا_ن:** معاوية لا يستحق الخلافة

والجدول التالي يوضح كيف نضّد المتكلم وجهات النظر الدحضية ورتّبها في مواجهة وجهات النظر الإثباتية (المدحوضة)، لينشأ عن ذلك التنضيد التقابلي وجهتا النظر التفاعليتان ؛ وجهة النظر الدحضية (**وجـــ ن تف 2**) المصرح بها، ووجهة النظر الإثباتية المدحوضة المضمّنة (**وجـــ ن تف1**):

	وجهات النظر المشكلة لـــ(وجـــ تف 2) الداحضة: نفي ص	وجهات النظر المشكلة لـــ(وجـــ تف 1) المدحوضة: نفي ق (نفي ك)	
وجـــ ن1 ↓	**ولكن الخلافة، يا ابن حسان، لا تستحق ولا تستوجب الإمامة إلا بالتقدم في الفضل والتقدم في السوابق**	تستحق الإمامة وتستوجب بلاتقدم في الفضل والتقدم في السوابق (افتراض مسبق، مضمر في الملفوظ المقابل، بعد "لكن")	وجـــ ن1 ↓
وجـــ ن2 ↓	وإلا بان يكون الفضل إما ظاهرا للعيون ومشهورا عند جميع المسلمين قد اجمعوا على تقديم رجل وتأمير أمير من تلقاء أنفسهم بغير سيف	إن معاوية مذكور بالعقل والحلم وبالدهاء والفهم وبالنكرى والجزم والسؤدد والعزم، وبالبيان العجيب والغور البعيد(افتراض مسبق، مضمر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")	وجـــ ن2 ↓
وجـــ ن3 ↓	وإما بأن يختاروه عن تشاور وتناظر ويظهر فضله بعد طول التخابر	انه كان كاتب وحي الله وصاحب ديوان بيت مال الله(افتراض مسبق، مضمر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")	وجـــ ن3 ↓
وجـــ ن4 ↓	أويكون ذلك من جهة وصية أووراثة مشهورة	وان أبا بكر ولاه مقدمة أخيه، وإن عمر جمع له أرباع الشامات و لم يعزله إلى أن توفي، ، ، وان عثمان أكد له ما تقدم منهما (افتراض مسبق، مضمر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")	وجـــ ن4 ↓
وجـــ ن5 ↓	أويكون ذلك نتيجة خصال كريمة لاقت القرابة وحرمة العترة، فبلغ صاحبها باجتماع الخصلتين ما لا يبلغه صاحب الواحدة	وأدنى حالاته أن يكون مؤمنا غير فاسق ووليا غير عدووعادلا غير مزور(افتراض مسبق، مضمر في الملفوظ المقابل، قبل "لكن")	وجـــ ن5 ↓
	النتيجة لا_ن: معاوية لا يستحق الخلافة	النتيجة ن: معاوية يستحق الخلافة	

ترمز الأسهم الأفقية في الجدول إلى تفاعل وجهات النظر، وترمز الأسهم العمودية النازلة إلى التوجيه الحجاجي، ويرمز الخط المتصل للتصريح بوجهات النظر، بينما يرمز الخط المتقطع لتضمين وجهات النظر المدحوضة.[1]

نضيف إلى ما تقدّم أن المقتطف- وإن كان من تأليف الجاحظ- فهو نتاج مقام ترسلي، يقع فيه التفاعل الحواري بين متلفظين من خلال ظاهرة تعدد الأصوات؛ أحدهما يثبت(وهوالمتلفظ2 الذي يستحضره المتكلم ضمن الفعل الكلامي)، والثاني يدحض، وهو في الأوان ذاته المتكلم والمتلفظ 1. ويبرز التفاعل خصوصا في استخدام صيغ لغوية تثبت انخراط المتحاورين في وضعية التلفظ، ومنه على الخصوص: العبارة **"لم أقل"**التي تؤكد وجود قول سابق على التلفظ الراهن، وأن المتكلم/المتلفظ1 لا يعترض عليه في ذاته، في حين تمثل صيغة النداء **"يا ابن حسان"**مؤشرا آخر على وجود تفاعل تواصلي، يتم ضمنه الأخذ والرد وقبول الحوار، بينما يَرِدُ حرف الاستدراك **"لكن"** للإعلان عن بدء الحجاج المضاد.

(1)- استلهمنا الجدول وتحليل وجهات النظر التفاعلية من النموذج التحليلي الذي اقترحه مالين رويتمان في كتابه(مع بعض التعديل) :

Roitman Malin. : op.cit, p113-125

4)استعادة وجهات النظر واستباقها [1]:

تقوم الواسمات الحجاجية اللسانية من روابط وإحاليات وغيرها باستعادة وجهات نظر مضمرة، أو صريحة سبق إيرادها في النص، كما مرّ بنا في كثير من الأمثلة التي حللناها. وهذه هي القاعدة العامة في وجهات النظر الفاعلية التي تتشكل من سلسلة من وجهات النظر ذات التوجيه الحجاجي المشترك، ولاسيما عندما يتعلق الأمر بدحض وجهة نظر مضادة. وهناك حالات يتم فيها استباق وجهات نظر تقدّم لاحقا في النص، إما صريحة أومضمرة في ملفوظ ذي طبيعة دحضية. [2]

وتؤدي الإحاليات – في حال كونها واسمات أصواتية- في الأصل وظيفتي الاستعادة والاستباق بامتياز، لأنها مهيأة لذلك تركيبيا ودلاليا أكثر من الواسمات الأخرى، مما يجعلها تجمع بين دور الرابط التركيبي الدلالي، ودور الرابط الحجاجي الأصواتي، على مستوى المقاطع النصية، وعلى مستوى البنية الكبرى للنصوص.

(1)- الاستباق Anticipation ويتم بمقتضاه تضمين وجهة نظر سيكشف عنها لاحقا ، بواسطة واسمات أصواتية معينة كالإحاليات من قبيل أسماء الإشارة. أما الاستعادة Reprise فهي تضمين وجهات نظر سبق عرضها صريحة فيما تقدم من النص.

(2) - يجسده بامتياز الملفوظ المنفي كما تقدّم بيانه في أكثر من موضع

تؤثر الإحاليات غالباً على وجود وجهات نظر تفاعلية في سياق الملفوظات الدحضية، من خلال إحالتها إلى إحدى وجهتي النظر المحمولتين في الملفوظ الدحضي. وفي هذه الحالة يتعلق الأمر باستعادة وجهة نظر موجودة فيما تقدّم من النص.

نمثل لذلك بالمثال التالي حيث يمكننا وصف أصواتية النفي من خلال الاستعادة الموسومة بالإحالي اسم الإشارة" ذلك " والضمير "الهاء "لوجهة نظر سابقة يتم نفيها بعد ذلك:

« *فإن كان ما رَويتُم في فضيلة علي حقا، وما روَوا في فضيلة أبي بكر حقا فأبوبكر خير من علي، وعلي خير من أبي بكر، وهذا هو التناقض، والحق لا يتناقض، وفي هذا دليل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بذلك ولا قاله، لأن الخبر إذا خرج مخرج العام في تفضيل أبي بكر، وكذلك في تفضيل علي، فليس له وجه إلا ما قلنا، إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال أحد القولين وصحت به الشهادة، ولم يقل الآخر وإنما ولّدته الرجال، وصنعته حملة السير، ولا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إذا كان الإسناد متساويا، وعند الرجال متقاربا، وليس في هذه الأحاديث كلها حديث يضطر خصمه إلى معرفة صحته...* » (1)

(1) - الجاحظ : العثمانية، ضمن الرسائل السياسية،ت وش علي بوملحم، ص:222-223

ننطلق في التحليل من المساواة الإحالية الدلالية التالية:

ذلك أو"ـــه"= علي خير من أبي بكر، وأبوبكر خير من علي.

وجـــ ن1: (س يعتقد أن) علي خير من أبي بكـــر، وأبـــوبكر خـــير من علي.

وجـــ ن 2: (س لا يعتقد أن) علي خـــير مـــن أبي بكـــر، وأبـــوبكر خير من علي.

يُرجِع الإحاليان (ذلـــك) و(ـــــه) إلى جملـــة جـــواب الشـــرط :" فأبوبكر خير من علي، وعلي خير من أبي بكر "، فوجهـــة النظـــر الصـــريحة المدحوضة المثبتة:" علي خير من أبي بكر، وأبوبكر خـــير مـــن علـــي " والـــتي تَسِمُها العبارة الجهية الـــتي تـــأتي بعـــد جملـــة الشـــرط مباشـــرة :" وهـــذا هوالتناقض، والحق لا يتناقض " تشترك في التوجيـــه الحجـــاجي مـــع وجهـــة النظر الثاوية في الملفوظ المنفي المتضـــمِّن للإحـــاليين(ذلـــك) و(ـــــه) : "أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بذلك و قاله " وتشكل معهـــا وجهـــة النظـــر التفاعلية " ما رويتم في فضيلة علـــي حـــق، ومـــا رووا في فضـــيلة أبي بكـــر حق " والتي استحضرت بواســـطة الإحـــاليين (ذلـــك) و(ـــــه)، اللـــذين يستعيدان هنا وجهة النظر الثاوية في جملة الشرط الـــتي بـــدئ بهـــا المقتطـــف، والتي يتم بعد ذلك دحضها بواسطة وجهة النظـــر الســـلبية:" وفي هـــذا دليـــل

أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بذلك ولا قاله، لأن الخبر إذا خرج مخرج العام في تفضيل أبي بكر، وكذلك في تفضيل علي، فليس له وجه إلا ما قلنا ".

وفيما يلي مثال آخر تُحرَّك فيه أصواتية النفي باستباق تفاعلي في الملفوظ الدحضي لوجهة نظر كامنة في السياق:

«*قلت لك إني قد سمعت من هذا روايات ورويت فيه أشعارا وسمعت من الناس فيه خوضا كثيرا،* ***وسأقيمك على الواضحة وأقف لك على الجادة، بل على العلم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء الله ؛ وخير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبا وجعلناه نحلة و مفخرا؛ وسنقدم قبل القول في هذه المسألة قولا، فافهمه،*** *قالت الجهمية: "لا نقول إن الله معنى ولا نقول إنه شيء، ومتى أضفنا إليه شيئا فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعل من أفعاله، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته "، وقالت الرافضة: "هو جسم فضلا عن أن نقول إنه شيء "؛ وقالت المعتزلة: "هو شيء وليس كمثله شيء، وليس بجسم وليس علمه بفعل ولا صنع، وإنما قولنا: له علم، كقولنا: هو عالم، نريد أنه لا يخفى عليه خافية ".*

وقالت المرجئة: "القاذف مؤمن"، وقالت الخوارج: " القاذف كافر"، وقال بعضهم: مشرك ؛ وقالت البكرية: "بل هو أسوأ حالا من المشرك، والمنافق أشد عذابا من الكافر" ؛ وقالت المعتزلة: "هو فاسق كما سماه نصا ولا نسميه كافرا فيلزمنا أن نلزمه أحكام الكفار وليس ذلك حكمه، ولا نقول: مؤمن، فيلزمنا ولايته ومدحه وإيجاب الثواب له، وقد أخبرنا الله تعالى أنه مشؤوم من أهل النار، فترعم أنه في النار مع الكافر وأنه لا يجوز أن يكون في الجنة مع المؤمن".

وقالت الخوارج في قتال الفئة الباغية: "نسير فيها بالإكفار وبالسبي والغنائم وباتّباع المدبر والإجهاز على الجريح "، وقالت المرجئة: "لا قتال "، وقالت المعتزلة بالقول المرضي وهو إيجاب القتل على جهة الدفع لا على القصد إلى القتال ولا على السبي ولا على الإجهاز على الجرحى ولا على استحلال الأموال، **فلم نفرط إفراط الخوارج ولم نقصر تقصير المرجئة، ودين الله بين المقصر والغالي، وهذا الاشتقاق، وهو التوسط والاقتصاد، هو الاعتزال لغلو من غلا وتقصير من قصر** ؛ والأصل الذي نبني عليها أمورنا فيمن ليس عندنا كعلي وسابقته وأرومته وكامل خصاله بل في أدنى رجل من أوليائنا، أنّا متى وجدنا له عملا يحتمل الخطأ والصواب لم يكن لنا أن نجعل عمله خطأ، حتى يعيِنا فيه وجه الصواب، وليس لنا بعد أن قضينا بأنه خطأ أن نقضي بأنه

خطيئة حتى يعيينا القدر بأنه سليم من طريق المآثم، فإن قضينا بأنه إثم فليس لنا أن نقضي بأنه ضلال ونحن نجد لصرف الدفع عنه أنه ضلال إلى الإثم محتملا، وإن قضينا بأنه ضلال فليس لنا أن نقضي بأنه كفر إلا بعد ألا نجد من ذلك بدا، فيكون الحق أحق ما حكم به وصبر عليه.»(1)

تحرّك أصواتية النفي في هذا المقطع النصي باستباق تفاعلي في الملفوظ الدحضي لوجهة نظر كامنة في السياق، لاسيما وجهة النظر المستحضرة بواسطة الفعل المضارع المقترن بسين الاستقبال، وضمير الغائب في عبارات جهية من قبيل :" **خير الأقاويل** "، "**أعدلها**"، "**أرضاها**"، " **أقصدها**"، ثم تعيين الصوت الذي تسند إليه وجهة النظر المستبقة باسمه"**الاعتزال**"، في الملفوظ المثبت في بداية النص: "سأقيمك على الواضحة وأقف لك على الجادة، بل على العلم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء الله ؛ وخير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبا وجعلناه نحلة ومفخرا ؛ وسنقدّم قبل القول في هذه المسألة قولا"

(1) - الجاحظ: رسالة الحكمين، ضمن الرسائل السياسية، ت وش علي بوملحم، ص: 380-381

- **وجـ ن 1:** " خير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهبا وجعلناه نحلة ومفخرا "

- **وجـ ن 2:** "فلم نفرط إفراط الخوارج و لم نقصر تقصير المرجئة، ودين الله بين المقصر والغالي، وهذا الاشتقاق، وهو التوسط والاقتصاد، هو الاعتزال لغلو من غلا وتقصير من قصر"

خير الأقاويل : وج ن 2، تستبق وجهة النظر الثاوية في الملفوظ الدحضي " **خير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها... الاعتزال** "، وجهة النظر نفسها الثاوية أيضا " **فرطتم إفراط الخوارج وقصرتم تقصير المرجئة**" المستحضرة لاحقاً في النص بواسطة الإحالي (الخوارج والمرجئة)، وعليه تكون وجهة النظر الثاوية ووجهة النظر المختزنة في الإحالي(الخوارج والمرجئة) ذات توجيه حجاجي واحد " **المعتزلة فرطوا وقصروا كغيرهم**" وتكوّنان مع الملفوظات الثاوية في النص وجهة نظر تفاعلية واحدة هي (وجـ ن تف 1) التي يتولى المتكلم دحضها بواسطة وجهة النظر التفاعلية (وجـ ن تف 2) المكوّنة من وجهتي النظر الصريحتين :" " **خير الأقاويل بل أعدلها وأرضاها عند الله أقصدها...**"و" **فلم نفرط إفراط الخوارج ولم نقصر تقصير المرجئة**

..." مضافا إليهما وجهات النظر الصريحة الأخرى الواردة في النص.

وعليه يمكننا تصور الخطاطة التالية:

-وجـ ن تـف 1: وجـــ ن 1+ وجـــ2+.....، **ï** النتيجة **ن**: المعتزلة فرطوا وقصروا كغيرهم

- وجـ ن تـف 2: وجـــ ن 1+ وجـــ2+.....، **ï** النتيجة **لا_ن**: المعتزلة لم يفرطوا و لم يقصروا كغيرهم

يسند المتكلم /كاتب الرسائل وجهة النظر المدحوضة (وجـــ ن تف 1) إلى صوت جماعي، هو صوت خصوم المعتزلة من مرجئة وخوارج وغيرهم، ويسند وجهة النظر الدحضية (وجـــ ن تـف 2) إلى صوت جماعي آخر، هو صوت المعتزلة ويتماهى معه.

الفصـل الرابـع

التحليل الأصواتي الخطابــي

- الآليات الأصواتية الخطابية
- ذوات الخطاب وذوات الواقع
- هيمنة المتكلم /كاتب الرسائل على التلفظ
- المتكلم كاتب الرسائل وكفالة الملفوظات
- استحضار خطاب الآخر
- إقحام القارئ في النص

توطـــئة:

تبيّن لنا مما تقدّم في الفصلين السابقين، أن الواسمات الأصواتية هي آليات تقوم بإيجاد مستويات متراتبة من وجهات النظر، ومن جملة هذه الواسمات –كما رأينا- أدوات النفي والاستفهام، والروابط الحجاجية، والموَّجهات، والإحاليات، وهي ما يصطلح على تسميته الواسمات اللغوية اللسانية والنصية.

يوازي هذه الواسمات في التحليل الأصواتي نوع آخر لا يقل أهمية، هو الواسمات الخطابية، أوبين-الخطابية، Marqueurs interdiscursifs، وتتمثل في ظواهر بين-خطابية،مثل: الخطاب المستحضرDiscours repésenté، والأمثال Proverbes ، والمشهوراتDoxa، والافتراضات المسبقة Présupposé. وهي الظواهر التي سنعرض للتعريف النظري بها والتطبيق عليها في هذا الفصل.

الآليات الأصواتية الخطابية، مفهومها واشتغالها أصواتيا

نعرض في هذا الفصل للتعريف بالآليات الأصواتية الخطابية التي سنقوم بالتطبيق عليها لاحقا في تحليلنا الخطابي للمدونة. فعلى غرار الآليات اللسانية والنصية، تسهم الآليات الخطابية في إنشاء ظاهرة التعدد الصوتي على مستوى الخطاب، من خلال استنفارها لأصوات متعددة، يستحضر المتكلم خطاباتها تصريحا أو تضمينا.

فقد تستحضر هذه الخطابات بواسطة واسمات لغوية، يعتمد عليها في إدراج الأصوات الأخرى المعبرة عن ذوات خطابية تحيل إلى ذوات حقيقية، تُعيِّن هوياتها، أو تترك مغفلةً، كما تستحضر بواسطة إيحاءات وتلميحات لا تدل عليها أيّ واسمات لغوية. وعندها لا يتم الاهتداء إلى هذه الخطابات ولا تُرصَد آثارها في الخطاب الأصل إلا عِبْر فحص السياق المقالي والمقامي، قصد استخلاص ما يحمله من تعليمات ومعطيات تكشف عن المواضع التي يثوي فيها الخطاب المستحضر في النص المعني بالدراسة.

دأب محلّلو الخطاب على ربط ظاهرة التعدد الصوتي والحوارية في تمظهرهما الخطابي بظاهرة أوسع، هي ظاهرة التفاعل الخطابي، أو البين-خطابية —كما يسمّيها بعضهم — وهي مفهوم استقر في أدبيات تحليل الخطاب، وتكرّس تداوله واستعماله للدلالة على ما يعدّ خاصية جوهرية ملابسة لكل خطاب طبيعي؛ وهي أن كل خطاب لا بد أن يحمل في أطوائه بصورة من الصور خطابات أخرى سبقته، أو

يفترض أنها ستكون لاحقة له، بحيث لا يمكننا أن نتصور خطابا مُبَرّأً من التقاطع والتفاعل مع الخطابات الأخرى من جنسه، ومن غير جنسه.

وقد أسّس لهذا المفهوم **م. باختين**(M.Bakhtine) مؤكدا على جوهرية الظاهرة، بقوله:« إن التوجيه الحواري هو بوضوح، ظاهرة مشخّصة لكل خطاب، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حي، يفاجئ الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معه في تفاعل حاد وحي، " آدم" فقط هو الوحيد الذي يستطيع أن يتجنب تماماً إعادة التوجيه المتبادلة هذه فيما يخص خطاب الآخر الذي يتبع في الطريق إلى موضوعه، لأن آدم كان يقارب عالماً يتسم بالعذرية، و لم يكن قد تكلم فيه وانتهك بواسطة الخطاب الأول »[1]

تعددت وتنوعت المقاربات التي سعى أصحابها إلى حصر الظاهرة وتقنينها قصد إخضاعها للدراسة العلمية الجادة. ولعل أشهر الدراسات في هذا الميدان، ما أنجزته الباحثة ج . أ روفيز (Jacqueline Authier-Revuz)، التي اجترحت مفهومي اللاتجانس المظهر، واللاتجانس التكويني . فماذا عنت بهما ؟ وما صلتهما بظاهرة التعدد الصوتي في المستوى الخطابي ؟

تميّز الباحثة بين نوعين من اللاتجانس الخطابي، اللاتجانس المُظهر Hétérogénéité montrée، واللاتجانس التكويني Hétérogénéité constitutive؛ فتعني بالأول

(1) - نقلا عن: تودوروف. تزفيتان:ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ص125

حضور خطاب الآخر في النص حضورا يمكن تحديد موضعه.[1] وتميز الباحثة في هذا النوع الأول بين أشكال موسومة (أو صريحة)،وأخرى غير موسومة؛ فتمثل للأشكال الموسومة التي يشار إليها بواسمات صريحة، بـــ"الخطاب المباشر، والخطاب غير المباشر، والتنصيص، والخط المائل، والجمل المعترضة "، وتمثل للنوع الثاني بالأشكال غير الموسومة بـــ"الخطاب غير المباشر الحر، والتلميحات، والتهكم، والمعارضة الساخرة...الخ " [2] ولأجل التعرف عليها، تتطلب هذه الأشكال من المتلفظ الشريك« التوليف بنسب متغيرة بين رصد مؤشرات نصية، وهامشية نصية، وتنشيط ثقافته الشخصية»[3]

أما اللاتجانس التكويني فيمكننا الحديث عنه –في نظر الباحثة – « عندما يسيطر ما بين الخطابات على الخطاب؛ فالخطاب ليس فقط فضاء يتسرب إليه من الخارج خطاب آخر، فهو يتكون من خلال مناظرة مع الغيرية، مستقلا عن كل أثر ظاهر لشاهد أو تلميح»[4] ويتوافق هذا مع تصور **م . باختين**(M.Bakhtine) لتجذّر ظاهرة التفاعل الخطابي في الخطاب الطبيعي الذي ينتجه أيّ متكلم .و هو ما يعرف بنظرية التحاورية المعممة.[5]

(1) - ب .شارودوود.مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص283

(2) - Jacqueline Authier-Revuz, Hétérogénéité(s) énonciative(s),In: Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111.p98

(3) - ب .شارودو ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص283

(4) - نفسه، ص284

(5) - نفسه، ص ن

نسعى في هذا المبحث إلى ضبط تصور للآليات الخطابية التي نقدّر أنها تستنفر ظاهرة التعدد الصوتي في خطاب الجاحظ الرسائلي. وهذه الآليات منها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس الخطابي المعروض أو المظهر، مثل الخطاب المباشر المنقول، والخطاب غير المباشر المنقول، ومنها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس التكويني، كالخطاب غير المباشر الحر، والافتراض المسبق، والمشهورات المضمنة في الملفوظات، والأمثال الشعبية المدمجة في النسيج التركيبي للملفوظات، بعد إزالة التكلس عنها. وفي الأسطر التالية نحاول أن نقدّم إضاءة نظرية لبعض من هذه الآليات الخطابية .

أ)**الخطاب المستحضر**[1]: حلّ مصطلح الخطاب المستحضر Discours représenté محل مصطلح الخطاب المنقول Discours rapporté في أدبيات التحليل التداولي بعد التطور الذي أحرزته الدراسات المتخصصة في هذا الحقل، ولا سيما الدراسات الأصواتية والحوارية.[2] ويدين أقطاب هذا الحقل بهذا المصطلح للمحلل السوسيو لساني **ن. فايركلو** (N.Fairclough)، الذي اجترحه ليكون دالا على جميع الظواهر الخطابية التي تجسد حضور خطاب الآخر في خطاب المتكلم. [3]

---

(1) - فضلنا كلمة "مستحضر"ترجمة لـــ" **représenté**" في وصف الخطاب على كلمة "ممثّل"التي يقترحها مترجما معجم تحليل الخطاب، لأننا رأينا في كلمة مستحضر تناظرا معجميا مع قرينتها الأجنبية، بوجود معنى الحضور في جذريهما، و لأنها أيضا تحيل إلى مدلول الظاهرة الخطابية المعنية، فهي تحضر بعد استدعائها، و لا يكتفى بتمثيلها .

(2)-J .A . Revuz : La repésentation du discours autre, un champ multiplement hétérogène, Dans : Le Discours rapporté dans tous ses états(Textes réunis et présentés par Juan Lopez Munoz, Sophie Marnette et Laurence Rosier), L'Harmattan, Paris,2004 ,Actes du colloque international, 08-11 NOV 2001, p35-36

(3)- Henning Nølke: Polyphonie linguistique et discours rapporté,in Polyphonie – linguistique et littéraire Lingvistisk og litterær polyfoni Documents de travail/arbejdspapirer, No VII, JUILLET 2003,p162

فإذا كان مصطلح الخطاب المنقول يتجاوز التقسيم التقليدي الثنائي للخطاب: خطاب مباشر، وخطاب غير مباشر، وخطاب غير مباشر حر، إلى ظواهر أخرى كتعيين الكلام المنقول بواسطة التنصيص، والأحرف المائلة، والإحالة إليه عبر الجهية، فإن عددا من اللسانيين يفضلون عليه مصطلح الخطاب المستحضر الذي يعكس بطريقة أوسع تنوع الظواهر الخطابية المراد تعيينها.(1)

يقترح هـ .نولكه (Henning Nølke)تعريفا للخطاب المستحضر، يقول عنه أنه يستند إلى الجهاز الاصطلاحي الأصواتي، في مقابل الاصطلاح اللساني الوظيفي. ونص هذا التعريف كما يلي: « يمثل الخطاب المستحضر نمطاً خاصاً من أنماط التعدد الصوتي الخارجي(...) يتميز بكونه يستحضِر خطاب الآخر – أو بالأحرى ملفوظه – وليس فقط وجهة نظر تجسد صورة التلفظ، فإن المتكلم LOC يكون مسؤولاً عن التلفظ الذي يتم بواسطته استحضار تلفظ الآخر " المتكلم المستحضر، الذي نرمز له اختصارا بـــ: LR، بعبارة أخرى: يستحضر (خ م، DR) شكل ومحتوى قول الآخر. »(2)

و بناء على هذا التعريف الذي لا يختلف كثيرا عن التقسيم التقليدي المشار إليه أعلاه، يقسّم نولكه الخطاب المستحضر إلى أربعة أقسام، معتمدا في ذلك معيار

(1) - ب .شارودوود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص185

(2) - Henning Nølke: Polyphonie linguistique et discours rapporté,p163

وجود الرابط "صيغة إدراج القول"Inquit[1](*). وتتحدد الوظيفة التلفظية لهذه الأقوال أيضا بناء على معيار "صيغة الإدراج" و جودا وغيابا.[2]

يتحدث **نولكه(Nølke.H)** عن أربعة أنماط من الخطاب المستحضر، يُعتمد في تمييزها على حضور الرابط (صيغة إدراج القول) أو عدمه: الخطاب المباشر المنقول، والخطاب غير المباشر المنقول، وتحضر فيهما صيغة الإدراج (Inquit)؛ والخطاب المباشر الحر، والخطاب غير المباشر الحر، وتغيب فيهما صيغة الإدراج . ونراه يتحفظ على هذا التقسيم، مشيراً إلى أنه لا يعدو أن يكون تقسيماً قائماً على النمذجة غير الحصرية، إذ أن هناك أشكالا عديدة مهجّنة للخطاب المستحضر، يتعذر حصرها وتمييزها كما يذهب إلى ذلك **ل. روزيي (L.Rosier).**[3]

---

(1) -يؤكد هذا التحفظ آ. **راباتال** في مقاله المعنون:أفعال الإدراك في سياق الامّحاء التلفظي، " من وجهة النظر إلى الخطابات المستحضرة"عندما يذهب إلى المرافعة من أجل توسيع دائرة الخطابات المستحضرة، لتشمل أشكالا أخرى مختلطة، مثل الخطاب المباشر الموصول بالحروف المصدرية، "و القطع النصية العائمة"Ilots textuelsوالخطاب المباشر المحمول في الخطاب غير المباشر، أو ما يعرف بـــ"الخطاب الممتص"Discours absorbé، و لتشمل أيضا أشكالا هجينة، مثل: يقال، أو يقولون، و الأقوال معادة الصياغة، و الجمل المحاكية، و الاستشهاد، و الاستشهاد الذاتي . ينظر:
Rabatel Alain , « Les verbes de perception en contexte d'effacement énonciatif: du point de vue représenté aux discours représentés » ,Travaux de linguistique, 2003/1 no46, p. 49-88. DOI: 10.3917/tl.046.0049,p51

(*)- تعني Inquit في اللاتينية "يقول"، أي الفعل Inquam"قال"، مسندا إلى الغائب المفرد"الشخص الثالث". وقد اجتهدنا في ترجمتها بـــ"صيغة إدراج القول" بناء على فحصنا للدلالة التي أعطاها إياها نولكه في مقاله المشار إليه أعلاه.نقرأ في قاموس غافيو اللاتيني- الفرنسي ما يلي:
Inquam: is,it,etc, v def [après un ou plus/ mots]=dis-je, dis-tu, dit-il… [dans une citation des parole de qqn]. Gaffiot. Felix, 1934: Dictionnaire LATIN-FRANÇAIS, Hachette79,Bd Saint-Germain,Paris, p826

(2) -يوضح **د. مانغونو** مفهوم الإظهار بقوله:"أن نقول شيئا ما، لا يبدو فعلا منفصلا عن الفعل الذي يقوم على إظهار أننا نقوله. و هذا لا يتجلى فقط عبر أفعال الكلام، بل يتجلى أيضا من خلال الواصلات ؛ فلكل ملفوظ واسمات للأشخاص و الزمن تنعكس فيها عملية التلفظ ذاتها . فالملفوظ يَبْرُز بإظهار الفعل الذي كان وراء بروزه" ينظر:
D.Mainguenau: Pragmatique pour le discours littéraire.p13

(3) - Henning Nølke: Polyphonie linguistique et discours rapporté, p165

وتتحدد الوظائف التلفظية للخطاب المستحضر في نظر **نولكه (Nølke.H)** على أساس النظر إلى وجود صيغة الإدراج، فإن وُجدت كما هو الحال في الخطاب المنقول بصنفيه، كانت الوظيفة التلفظية هي القول بأن المتكلم يستحضر فعل تلفظ الغير؛ وعندها يكون الخطاب المنقول مشمولاً بحيز صيغة الإدراج، وفي حال عدم وجود صيغة الإدراج يقتصر المتكلم على الإشارة إلى أنه يستحضر فعل تلفظ الغير، كما هو الحال في الخطاب الحر بنوعيه.[1] تُسمَّى الحالة الأولى بالأصواتية المفتوحة (المكشوفة)، والثانية بالمحجوبة (المستترة).

و ينبغي أن نستحضر هنا آراء باحثين آخرين في مسألة أصواتية الخطاب المستحضر. فـــ**ديكرو(Ducrot. O)** رائد التداولية المندمجة، وواضع نظرية التعدد الصوتي اللسانية يستثني الخطاب المباشر المنقول من أصناف الخطابات المستحضرة ذات البعد الأصواتي، لأنه في نظره يقوم على فعلين تلفظيين متمايزين؛ فعلٍ يُسنَد إلى **م1** متلفظ أصلي، والثاني يسند إلى **م2** متلفظ آخر، ويكون هذا الأخير محدّدا تحديدا واضحا، أي عندما يكون الخطاب المسند الى **م2** مفصولا بوضوحٍ دلاليا وتركيبيا عن الخطاب المسند الى **م1**، لا يكون هناك تعدد صوتي، مثل الملفوظ: قال زيد: " إنها تمطر بغزارة ".[2]

(1) - Henning Nølke: Polyphonie linguistique et discours rapporté, p167
(2)- Ducrot. Oswald: Le dire et le dit, p. 196-197

وهو بهذا يخالف الرأي المؤسّس لنظرية الحوارية الباختينية، والذي مؤداه-وفقا لمقاربة **باختين** الخطابية -أن ظاهرة التعدد الصوتي والحوارية تتجاوز المستوى النحوي للخطاب المنقول، إلى الاعتداد بكل حالات الخطاب المستحضر، سواء كانت موسومة لغويا، أو لم تكن كذلك .

وقد تبنّت **مدرسة جنيف الحوارية** هذه الرؤية، بل وجعلتها عمادَ نظريتها في التعدد الصوتي. فأقطاب هذه المدرسة، لا يعتدون في تحليلاتهم سوى بالخطاب المستحضر، مطّرحين ما تبقى من ملفوظات أصواتية، دون أن ينكِروا مقبولية التحليلات التي قام بها **ديكرو** لهذه الملفوظات المستثناة لديهم.(1)

ومن وجهة نظر تداولية سوسيولسانية، يذهب **فايركلو**(N.Fairclough) مقتديا بـــ**هاليداي** إلى توسيع دائرة الخطابات المستحضرة التي تشملها الظاهرة الحوارية —كما تقدّم بيانه —انطلاقا من مفهوم التناص أو التفاعل الخطابي، الذي يتم بواسطته استحضار التعدد الإيديولوجي، خاصة في الخطابات التي تتضمن ملفوظات النفي، باعتبارها تنطوي على علاقة التضاد الايديولوجي.

يأخذ **فايركلو** في هذا بمبادئ البنائية التي ينظر بموجبها للنصوص، ليس فقط باعتبارها مُنْتِجة لوجهات نظر حول العالم، بل بما أنها أيضا تنشئ وجهات النظر هذه وتبنيها، انطلاقا من المبدأ القائل بأن الوحدات اللغوية تعكس تمثيلات اجتماعية

(1)- Roulet, E: L’organisation énonciative et l’organisation polyphonique, p277- 278

وثقافية عن العالم. فالتفاعل الخطابي لا يَنْتُج فقط عن استحضار وجهات النظر الخارجية على مستوى النص، بل ينتج أيضا عن كون النصوص ذاتها تنشئ وجهات نظر، قد تتبناها لاحقا ذوات حقيقية.[1]

ستساعدنا هذه المناظير المختلفة على معالجة وافية لحالات الخطاب المستحضر التي تحفل بها مدونة الرسائل الجاحظية، لا سيما في مستوى التحليل الخطابي الذي نسعى فيه – حسب خطة البحث –إلى دراسة ظواهر خطابية تتعالق مع أصناف الخطاب المستحضر المختلفة، مثل: المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع، وظاهرة الامّحاء التلفظي، ودرجات التكفل بالملفوظات، ومدى تبنّي المتكلم كاتب الرسائل للأصوات التي يقوم باستحضارها، وغيرها من القضايا التي يثيرها التحليل الخطابي للمدونة.

ب)**المشهورات:** نقارب مفهوم المشهورات Doxa في بحثنا هذا باعتباره آلية خطابية تسم الصوت الآخر الذي يستحضره المتكلم كاتب الرسالة في خطابه، لأجل بناء حجاجه وتقويته. ويُعنى بالمشهورات «مجموعة تمثيلات اجتماعية سائدة لا تتسم بصحة ثابتة، ويعبر عنها بصيغتها اللغوية الجارية»[2](*)، لذلك يقال عنها أنها تدخل في نطاق المحتمل القابل للوقوع، وليس اليقيني، لارتباطها بالإيديولوجيا،

---

(1)- Roitman. Malin: op.cit, p44

(2) - ب .شارودو ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص 191

(*)- يعرفها ميشال بوجواز في"قاموس البلاغة" بأنها "مجموع الأفكار الشائعة، والمعتقدات، والتمثيلات المجمع على استساغتها".ينظر:

Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris, p 213

وما تعنيه من اختلاف في الرؤى والمقاربات. وذلك هو السبب أيضا في أن المشهورات تتعدد، بتعدد الحضارات والثقافات.[1]

ويعود وضع المفهوم إلى أرسطو الذي حدّد معناه انطلاقاً من مصطلح شبيه هو (Endoxa) وجمعه (Endoxon)، بأنه « يحيل إلى الآراء المشتركة بين جميع الناس أو جميعهم تقريباً،أو بين الذين يمثلون الرأي المستنير جميعهم، أو تقريباً جميعهم، أو أشهرهم أو أحسن من يعتبرون ذوي سلطة».[2]

بناء على مضمون هذا التعريف فالمشهورة «لا يمكن أن تحقق شرعيتها خارج إطار السلطة، بما هي مفهوم جامع يعني من جملة ما يعنيه الإرادة والإمكان»[3] ومن ثم تستعمل كلمة " المشهورات" غالبا في وصف المعتقدات الدوغمائية، السياسية والإيديولوجية، المعبرة عن حقائق متبنّاة لدى جماعات مختلفة والتي يعبر عنها بواسطة بنى متكلسة، مثل: الأمثال والحكم أو بواسطة بنى مرنة مثل التراكيب الحاملة للافتراض المسبق، أو الإثباتات. وتشترك المشهورات في أنها ترفد الحجاج بخزان من الحجج، وتساعد على التدرج في إيراد سلاسل الملفوظات.[4]

(1) - الشبعان.علي: الحجاج بين المنوال والمثال، -نظرات في أدب الجاحظ و تفسيرات الطبري، ط1، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس2008 ص 39، 41

(2) - ب .شارودو ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص 191

(3) -الشبعان.علي: مرجع سابق، ص 40

(4) - Roitman. Malin: op.cit, p51

أما باعتبارها واسما خطابيا للأصواتية، فلا توسم المشهورات لغويا، بل قصارانا أن نَجْهد في رصدها اعتمادا على معرفتنا بالعالم، أي السياق بمعناه الواسع، ولنعط الآن مثالا عن نفي أصواتي يتم بواسطته دحض المشهورة التالية:

-" كل شيء يمكن أن يبقى على حاله"

-"لا شيء يمكن أن يبقى على حاله"

بالفعل يمثل الملفوظ الداحض هو أيضا مشهورة: لا شيء يمكن أن يبقى على حاله، يكون أحيانا ممكنا ربط وجهات النظر المشهوراتية بصوت الجماعة من خلال ضمير الجماعة "نحن"، أو صيغة المبني للمجهول، وقد يقترن إيراد المشهورات بصيغ تعبيرية من قبيل "كما يعرف الجميع " و" كما تعودنا أن نفكر".[1]

وعندما نصل إلى التحليل الخطابي، سنعكف على فحص العلاقة بين المشهورات والذوات الخطابية، وخاصة كاتب الرسائل.

ج)المثـــل أو المشهورات الأمثالية: اهتم اللسانيون بالمثل، في مجال الدراسات المعجمية باعتباره وحدة معجمية متكلّسة، كما اهتموا به في مجال الدراسات الخطابية اهتماما أكبر، حيث نظر إليه بعض محلّلي الخطاب باعتباره نمطا من أنماط الخطاب المستحضر، إن لم يكن في نظرهم الخطاب المستحضر بامتياز.

(1) - Roitman. Malin: op.cit, p51

ومن ثم اكتسب أهمية خاصة في الدراسات التداولية، منظورا إليه كحالة من حالات التعدد الصوتي.[1]

يرى **ج.ك. أنكومبر(Anscombre J.-Cl)** أن المثل لا يؤتى به ليقدّم معلومات بما هو كذلك، بل يُلجأ إليه على العكس من ذلك ليكون إطارا للاستدلال وضامنا له. إن نمط الاستلزام الذي يتيحه المثل هو استلزام ذو طبيعة خطابية أساسا، سواء كان صريحا أو ضمنيا.[2] ومردّ هذه النظرة إلى وظيفة المثل، تميّزُه من الناحية التلفظية بازدواج الجهة التلفظية التي يصدر عنها عندما يقع الاستشهاد به (في مضربه)، فهو كما يقول **أ.غريماس(A.Greimas)** تلفظ «يتخلى فيه المتكلم طوعا عن صوته، ويستعير صوتا آخر لينقل قطعة من الكلام لا تعود اليه خاصة، الا بالقدر الذي يتيح له أن يستشهد بها»[3]

و ينجم عن هذا الاستشهاد استثمار ما تختزنه عبارة المثل من دلالة مجرّدة تتعلق بكليات التفكير الإنساني، أو بالمواضعات الاجتماعية، مما يعبَّر عنه بالمشهورات أو المواضع .لذلك وجدنا **ج.ك.أنكومبر** يؤكد أن المثل بطابعه اللاّزمني، يمثّل ما يشبه المعرفة غير الناتجة عن إدراك، او استلزام يقوم بهما من يستعمله، بل الأحرى –كما يقول - ألاّ نعتبره من المقولات اليقينية " الإدراك " أو

(1) – Gresillon. Almuth, Maingueneau. Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre. In:Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 112-125. doi: 10.3406/lgge.1984.1168 ,p112

(2) - Anscombre J.-Cl : Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative. In: Langue française. N°102, 1994.pp. 95-107.doi: 10.3406/lfr. 1994. 5717, p106

(3) – Gresillon.Almuth, Maingueneau .Dominique: op.cit, p112

" الاستلزام "، بقدر ما يصح أن نضمه إلى مقولات " الاقتراض " ... وتحديدا الاقتراض من مصدر مجهول،[1] مفترضا أن كل الأمثال مواضع، ولو أن كل المواضع لا يمكن التعبير عنها بواسطة الأشكال اللغوية الأمثالية .[2]

يقودنا هذا إلى القول إن المثل بما هو خطاب مستحضر، هو ملفوظ أصواتي بطبيعته، وهو مثال بارز عن التفاعل الخطابي، من حيث أنه استعادة لوجهة نظر تلفظ بها عدد من الأشخاص لا حصر لهم، عدداً من المرات لا سبيل إلى إحصائها، مما حدا ببعضهم إلى القول إن المثل هو "حكمة الشعب " يضعها المتكلم على الركح.[3] لذلك يفضل الكثير من الباحثين الحديث صراحة عن مشهورات أمثالية Doxa proverbiales، لا عن أمثال Proverbes.[4]

وخلافاً لهذه الرؤية يرى **كليبر** (Kleiber)أن المثل، وبغض النظر عن بنيته التركيبية، لا يعدو أن يكون تسمية ميتالغوية تدل على معنى محدّد، كسائر الأسماء، [5] منبها بذلك إلى ثبات الدلالة في العبارة الأمثالية، مما يجعلها أقرب إلى الدلالة القاموسية منها إلى الدلالة المتولدة عن الممارسات الخطابية.

(1) - Anscombre J.-Cl : Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative,p105
(2) - Michaux. Christine: Le proverbe:nom ou phrase ?,Université Libre de Bruxelles , Paremia, 8: 1999. Madrid, p 342
(3) – Maingueneau. Dominique. 1994 : L'énonciation en linguistique française. Paris: Hachette,p149
(4) - Roitman. Malin: op.cit,p52
(5) – Michaux. Christine: : op.cit, p340-341

لكن هذه الرؤية المعجمية لا يعتد بها كثيرا في حقل الدراسات التداولية، التي تنظر معظم تياراتها كما أسلفنا إلى المثل باعتباره نموذجا تمثيليا للخطاب المستحضر؛ أحد أبرز تجليات التعدد الصوتي . فضمن مقاربة مدرسة **السكابولين** لهذا الموضوع، يُنظر إلى المثل على أنه ملفوظ مكوّن للكلام، يحمل معنى مركباً من مجموعة تعليمات، تقدّم للمخاطب أو المخاطبين، على نحو ييسر لهم عملية التأويل. ووفقا لهذه المقاربة، تشغِّلُ الامثال-تماماً مثل النفي –تشكيلاً اصواتياً، مكوّناً من الذوات الخطابية، ووجهات النظر، والروابط التلفظية. يُقحِم المثل إذن متكلماً LOC يتبنى موقفاً ما من وجهة النظر المُسنَدة إلى إحدى الذوات الخطابية الموضوعة على الركح، ويتبنى كذلك نتيجة معيّنة، يسعى إلى توجيه مخاطَبِه إليها. (1)

ويرتبط التأويل الأصواتي للمثل بعوامل لسانية وغير لسانية؛ عوامل غير لسانية، لأن المثل ينتمي إلى خزان ملفوظات معروفة بهذه الصفة لدى جميع مستعملي لغة ما، ويؤكد ذلك أن حساب دلالة المثل، لا يتوقف فقط على مركباته اللغوية. أما العوامل اللسانية، فلأن المثل، بغض النظر عن كونه ملفوظا يمتاز بتخزين دلالته في الذاكرة، يتميز بخصائص نوعية يمكن للسانيين رصدها وتوثيقها، ووصفها كما توصف سائر الملفوظات. (2)

(1) - SOFIA, Dima: Le proverbe, un cas spécial de polyphonie. Recherches ACLIF: Actes du Séminaire de Didactique Universitaire, 2006, no 3, p235
(2) - Gresillon .Almuth, Maingueneau. Dominique. Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre, p113

نخلص مما تقدّم إلى أن الأمثال أو المشهورات الأمثالية تمثل حالة أصواتية جديرة بالاهتمام في حقل الدراسات التداولية،باعتبارها واسما خطابيا يكثر وروده في الخطابات الأدبية بمختلف أنماطها، ولا سيما الخطابات ذات المضامين الإيديولوجية، بأصنافها السياسية والاجتماعية والدينية المذهبية. وهذا ما ينطبق بصورة لافتة للنظر على الخطاب الرسائلي عند الجاحظ، حيث تغتني النصوص بالاستشهادات الأمثالية التي ليست غريبة على كاتب موسوعي، عرف بالقدرة على الرواية والتصنيف، كما عرف بالقدرة على التحليل وإبداع المفاهيم والأفكار.

د- **الافتراض المسبق:** نتبنّى في هذا المستوى من البحث التصور القائل إن الافتراضات المسبقة ذات طبيعة تداولية، ترتبط عملية التقاطها باستنطاق السياق المقامي أكثر مما ترتهن لبنية الملفوظ اللغوية، خلافا لما تفترضه نظرية التداولية اللسانية المندمجة .ودافعُنا إلى ذلك هو اعتماد مفهوم موسع للافتراضات المسبقة، يتيح لنا إنجاز التحليل الخطابي لظواهر التعدد الصوتي في مدونة الرسائل، التي تقتضي دراستها تجاوز النص إلى ما يحيل إليه من ذوات حقيقية، ومرجعيات فكرية ودينية وسياسية، يتعذر إثبات وسمها بكل تفاصيلها في البنية اللغوية للملفوظات المشكّلة لنسيج النصوص الرسائلية .

و لا بد لنا والأمر هكذا متطلّبُه أن نعرض أولا لمفهوم الافتراض المسبق نظريا، ونقدم ما قيل في تعريفه وبيان أنواعه، وما نجم عن ذلك من اختلافات في

الجوانب المتصلة بتطبيقه، وكذلك في الجوانب المتصلة بتداخله مع الظواهر المشابهة له، مما يجمعه المختصون تحت اسم "**المضمر**".

يميّز **يول**(G.Yule) بين الافتراض المسبق والاستلزام، بقوله: «الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل، أما الاستلزام فهو شيئ ينبع منطقيا مما قيل في الكلام . أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام، وليس المتكلمون ».[1] يظهر في هذا التعريف توجّه صاحبه إلى عدم تبني الطرح اللساني الجذري الذي نادى به **أ. ديكرو (Ducrot. O)** في تأسيسه لجملة المفاهيم الخاصة بنظريته التداولية، ومنها مفهوم الافتراض المسبق أو الاقتضاء، هذا الطرح الذي يقرر أن كل الظواهر الدلالية موسومة في البنية اللغوية للملفوظات. و اعتمادا على هذا المبدأ يقدّم ديكرو فرضية تقوم «على أن كل عمل لا قولي يفترض عمل اقتضاء[*]. لذلك فإن تحليل الاقتضاء يتحدد منذ المكوّن اللغوي باعتباره عنصرا دلاليا من القول ».[2] والمثال التالي يحلّل - حسب نظريته – إلى مقول ومقتضاه على النحو التالي:

القول: كف زيد عن التدخين

المقول: زيد لا يدخن الآن

المقتضي " الافتراض المسبق ": كان زيد يدخن .

---

(1) - يول. جورج: مرجع سابق، ص51

(*)- الاقتضاء مصطلح مرادف للافتراض المسبق، يميل إلى استعماله الكثير من الباحثين العرب

(2)- المبخوت. شكري :نظرية الحجاج في اللغة، ص 372

وقد اتخذ ديكرو بنيتي النفي والاستفهام (التصديقي معيارين لضبط المقتضى) حيث لا يتغير المحتوى القضوي موضوع الافتراض المسبق، عندما يدخل النفي ولاستفهام على القول.[1]

غير أن هذا الطرح الجذري لم يصمد أمام النقد حتى لدى أقطاب المدرسة اللسانية التداولية، فقد وقفت **ك.ك. أو ركيوني (C K-Orechionni)** متحفظة، من مسألة اعتبار الافتراض المسبق عنصرا أصيلا مكوّنا للمحتوى الدلالي، يُستَغنى عن المعطيات السياقية لتحديده، ورأت أن تخفّف من جذرية طرح **ديكرو**، بقولها إن الافتراضات تكون« مدرجة في اللغة، ولا يتدخل السياق أو السياق الحالي للنص إلا لإزالة تعددية المعاني المحتملة الوقوع».[2]

و رغم ما في هذا الرأي الأخير من اعتدال في الطرح، ومحاولة لاستيعاب الظواهر الدلالية التي يتدخل في بنائها الافتراض المسبق، إلا أنّ تداوليين من آفاق معرفية أخرى نحو نحوا مختلفا في مقاربة مفهوم الافتراض المسبق، فقدموا تعريفات تباينت في درجة اتساعها. و لعل أوسع هذه التعاريف ما جاء به السوسيولساني **أ. غوفمان**(E.Goffman) من تأكيد على عدم اشتراط الوسم اللغوي في الافتراضات المسبقة . يقول: « نحدد بصفة افتراضية اقتضاء [..] باعتباره حالة للأشياء نعتبرها حاصلة في نفس الوقت الذي نتعاطى فيه نشاطاً [..] وتعريف بهذا

(1) - المبخوت. شكري :نظرية الحجاج في اللغة، ص 372
(2) - أوركيوني .ك.ك: مرجع سابق، ص50

الاتساع يؤدي إلى أن نقول إنا اذا أزمعنا في المساء الرحيل غداً سحراً فإن ذلك يقتضي أن الشمس ستطلع »[1] والحق أن هذا التعريف من الاتساع بحيث لا يمكننا الاعتماد عليه إجرائيا في الدراسة التطبيقية للملفوظات والخطابات. لذلك كان علينا أن نلتمس تعريفا أكثر تحديدا وقابلية للتطبيق الإجرائي .

يقدم لنا **د. مانغونو(Mainguenau،D)** اقتراحا لتجاوز الإشكالات المشار إليها سابقا، بجنوحه إلى التمييز بين نمطين من الافتراض المسبق؛ هما الافتراض المسبق الدلالي، وهو الذي تحدث عنه **ديكرو وأوركيوني** وغيرهما، والافتراض المسبق التداولي، مبينا أن الصنف الثاني ليس مكوّناً من مكوّنات محتوى الملفوظ، بل هو عنصر يرتبط بعملية التلفظ، أي بشروط نجاح العمل اللغوي. ويضرب مثالاً بالاستفهام الذي يقتضي تداولياً عدداً من الاقتضاءات لا علاقة لها بالمحتوى القضوي لجملة الاستفهام، كافتراض أن السائل لا يعرف الجواب، أو أنه مهتم بسماع الجواب، أو أنه لا يرى أن الجواب بديهي ....الخ.[2]

و قريب من هذا الطرح ما ينادي به **فايركلو(N.Fairclough)** في كتابه " تحليل الخطاب_ التحليل النصي في البحث الاجتماعي "من ضرورة تخطي النصوص إلى سياقاتها المقامية الواسعة لإنجاز تحليل للخطاب يوصلنا إلى الكشف عن

(1) - ب .شارودوود ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص454

(2) –Mainguenau D:Pragmatique pour le discours littéraire,p89

الافتراضات المسبقة الكامنة في بنيات الأنشطة الاجتماعية المختلفة، هذه الافتراضات المسبقة التي يسميها "الأرضية المشتركة"« common ground »[1]

ننتهي من هذا العرض إلى تأكيد ما بدأنا به من أن مفهوم الافتراض المسبق لا يكون إجرائيا في تحليل الخطابات الأصيلة، مثل الخطاب الأدبي دون توسيع مفهومه، بالصورة التي وضحناها حتى يمكّننا من تحليل قضايا من قبيل المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الحقيقية، والكشف عن وجهات النظر المضمرة، وإسنادها إلى الأصوات والذوات المستحضرة في النصوص، ذلك الاستحضار الذي لا يتم دائما بواسطة آليات لسانية خالصة .

(1)- نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب_ التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، ط1، المنظمة العربية للترجمة- مركز در اسات الوحدة العربية، بيروت 2009، ص120، 127

أ)ذوات الخطاب وذوات الواقع في الخطاب الرسائلي

1-ذوات الخطاب ومدى مطابقتها لذوات الواقع:

يتيح لنا خطاب الرسائل بدرجات متفاوتة من الصعوبة المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع،[1] ويرجع ذلك في الأساس إلى إكراهات التجنيس الخارجية، التي تفرض على المتكلم /كاتب الرسائل في مقامات كالتي أنتجت فيها رسائل الجاحظ، أن يكشف عن هويته وهوية مخاطَبيه، وهوية من يستحضرهم في الخطابات المحمولة في متون رسائله.

ولما كنا لا نستطيع استبعاد الافتراض القائل بإمكانية تعذّر المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع في الجنس الرسائلي عامة، فإننا نذكّر هنا بما تقدّم بيانه في الفصل المخصص للتصنيف الأجناسي لرسائل الجاحظ،[2] وهو أن رسائل الجاحظ تمتاز على الأقل بميزتين بارزتين تؤثّران على مسألة المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع؛ فهي من ناحية نصوص **"ثبَتَ"** من خلال التحقيق النصوصي الذي خضعت له عدة مرات نسبتها إلى الشخصية الأدبية والفكرية المعروفة في تاريخنا، باسم **أبي عثمان عمروبن بحر الجاحظ**، ولا توجد إلا نصوص قليلة جدا تثير إشكالا في مسألة نسبتها، ومن ناحية ثانية أن متون هذه الرسائل في الغالب هي خطابات محمولة في الرسائل، يطغى عليها المكوّن الحجاجي، أيّا كانت الصفة التحديدية التي تعطى لها؛ رسائل أدبية، أو سياسية، أو كلامية كما صنّفها **علي بوملحم**، أو

(1) - ذوات الواقع وذوات الخطاب: يميز شارودو بين الذات المتواصلة والذات المؤولة الخارجيتين عن المقول (الخطاب)، ويندرج هذا التمييز ضمن تمييزه بين المستوى المقامي و المستوى الخطابي (معجم تحليل الخطاب، ص538)

(2) - ينظر تفصيل ذلك في الفصل الأول، ص88، 103-104

مفاخرات، أو ردود، أو مناظرات، كما يسمّيها آخرون في الدراسات التي أنجزت حول هذا النمط من الكتابات الجاحظية.[1] وغلبة هذا المكوّن استدعت من الجاحظ أن يسند الأقوال والطروحات إلى أصحابها في جل الحالات، وبدرجات متفاوتة من الوضوح، لا سيما أن القضايا التي تعالجها متون الرسائل، هي مما يندرج ضمن الخصومات السياسية والكلامية، أو من القضايا الاجتماعية المثيرة للجدل في زمن الجاحظ، أومن القضايا الشخصية التي لم تبرأ من أبعاد الانتماء المذهبي والولاء السياسي لكاتب الرسائل.

سيكون هدفنا الأساسي إذن من هذا التحليل، الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي الروابط الموجودة بين المشاركين، الذوات الحقيقية والذوات الخطابية؟ وما هي الاستراتيجيات الحجاجية التي استدعتها الإكراهات المقامية؟ وما هي الفائدة التي نجنيها من الإجابة عن هذه الأسئلة في تعميق فهمنا للخطاب الرسائلي وكيفية اشتغاله ؟

الروابط التي يمكن إقامتها بين المشاركين، لنا تصورها على النحو التالي[2]:

المستوى الخطابي	المستوى الواقعي
المتكلم	كاتب الرسائل / من يمثله أو يمثلهم
الصوت الجماعي	الصوت الايديولوجي أوالمذهبي ...الخ
المتكلم له	القارئ الخاص والقارئ العام
المتلفظ له	المخاطَب داخل متن الرسالة
الشخص الثالث (الغائب)	المتلفظ (متلفظ معيّن يستحضر خطابه للاستشهاد)

(1) - ينظر صالح بن رمضان:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، ص 61، 64

(2) - نستلهم هنا النموذج التحليلي لرويتمان الذي سبقت الإشارة إليه(مع بعض التعديل)، ص232

لا يعني هذا أنه سيكون متاحاً لنا دائماً إقامة هذه الروابط المفترضة، والمرسومة في الخطاطة السابقة، بين الذوات الخطابية والذوات الحقيقية، ذلك أننا حتى عندما نكتشف الصوت الحقيقي المطابق لذلك الموجود في النص، فإنّ ذلك لا يزيل كل لبس حول هذه المطابقة، إذ يتعذر علينا أن نظل في درجة عالية من الوضوح والشفافية في تصور العلاقة بين المستويين. وهذا ما يحتم علينا أن نعتني كثيراً بفحص كيفية إعادة إنتاج الاصوات الحقيقية على مستوى النص، والبحث عن أنجع طريقة تسمح لنا بالحديث عن هذه الذوات الحقيقية، وتأكيد أنها هي المعنية في النص.

وينطبق هذا التحفظ أكثر ما ينطبق على الشخص الثالث(الغائب)، فهو لا يطابق دائماً متلفظاً بعينه، بل يكون في الغالب تمثيلاً نصياً لذات حقيقية. أما كاتب الرسائل فإنه عملياً القائم على مشهدة* وجهات النظر على المستوى الواقعي، كما أن المتكلم هو القائم على مشهدة وجهات النظر على المستوى الخطابي.

سنتخذ كنقطة انطلاق دائماً الذوات الخطابية في علاقة إسناد مع الملفوظ الموسوم أصواتيا، ومع سياقه. وعند قيامنا بضبط هذه العلاقة، نكون في مستوى التشكيل الأصواتي(الروابط بين الذوات الخطابية ووجهات النظر)، وخلافا لما فعلناه في الفصول السابقة، لن نستخدم هذا المفهوم في تحليلاتنا إلا قليلا، وعند الضرورة، لأننا سنستخدم مفهوماً آخر في التحليل الخطابي، هو مصطلح " الصوت" للإحالة إلى التشكيل الأصواتي خطابياً كان أو حقيقياً.

(*)- "مشهدة" هي ترجمة نقترحها للعبارة الفرنسية **Mise en scène** التي يترجمها بعض الباحثين حرفيا بـــ:"وضع على الركح"

وللتمثيل الاستدلالي من نصوص الرسائل، نورد ما انتهينا إليه من تصور عام حول تباين درجة وضوح المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الواقعية، قبل أن نعمّق بحث هذه المسألة من خلال فحص التعيين النصي للذوات في المبحث الموالي.

لاحظنا بعد قراءتنا المتكررة للرسائل أن مطابقة ذوات الخطاب وذوات الواقع تزداد وضوحا كلما تعلق الأمر بالسجال السياسي والكلامي، وتقلّ في الحالات التي يكون الخطاب المحمول في متون الرسائل موجها لمعالجة قضايا اجتماعية أو شخصية. يحرص كاتب الرسائل في مقامات الجدل السياسي والكلامي على نسبة الآراء إلى أصحابها من خلال تسمية الجماعات وأحيانا الأشخاص تسمية علَمِية، وقد يلجأ إلى التسميات التحقيرية الدالة على موقفه الفكري أو المذهبي منها. فهو يسمي المرجئة، والخوارج، والشيع، والعثمانية، والبكرية، والسفيانية،[1] وهي التسميات المعتمدة للفرق الدينية المعروفة. وفي مواضع أخرى لا يجد حرجا من استعمال تسميات يرفضها الخصوم لما تنطوي عليه من دلالة قدحية، مثل: النابتة، المشبهة، الروافض، الحشوية[2](*)...وغيرها.

وبالمقابل، تقلّ عناية الجاحظ بتعيين الذوات الحقيقية في الرسائل الخاصة بالشأن الاجتماعي، أو الشخصي، إذ لاحظ بعض الدارسين أن الجاحظ يصطنع

(1) - مثلا، في رسالة:العثمانية، ص129، 138

(2) - مثلا، في الرسالةنفسها، ص133

(*)- الحق أن الفرق كانت تتبادل هذه التسميات القدحية، فأسوأ ما يوصف به المعتزلة أنهم مجوس الأمة، ويترتب عن هذا الوصف إخراجهم من الملة (ينظر تفصيل هذا الوصف في: ابن قيم الجوزية:شفاء العليل في مسائل والقضاء والقدر والحكمة والتعليل، د ط، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، دمشق-سوريا1988، ص3)

المخاطب اصطناعا في بعض رسائله،[1] لا لشيء إلاّ ليتاح له استخدام المنهج الجدالي في معالجة قضايا اجتماعية معينة، تمتاز بنوع من الحساسية، وتفترض معالجة قائمة على الإقناع العقلي والاستمالة العاطفية معا، ولا تستدعي فضح الخصم ومجادلته وإفحامه، ونمثل لهذا النوع من الرسائل، برسالة **"تفضيل البطن على الظهر"**[2] حيث لا يمكننا الجزم بهوية المخاطب بهذه الرسالة، لا بصفته الشخصية، ولا بانتمائه الجماعي مذهبيا أو اجتماعيا. كما لا نستطيع المطابقة بين الذوات الخطابية المستحضرة بواسطة الأصوات المستنفرة في النص، والذوات الواقعية، إلا على سبيل الاحتمال والترجيح، ما عدا الأصوات التي يتم تعيينها نصا بواسطة أسماء العلم أو التسميات المتعارف عليها.

2-**تعيين الذوات نصيا:** عرضنا فيما تقدم التصور العام لمسألة مطابقة الذوات الخطابية للذوات الواقعية في الخطاب الرسائلي للجاحظ، وحاولنا أن نبرز إجمالا الإكراهات المقامية والخطابية التي تتدخل في تيسير تلك المطابقة، أو جعلها تحتاج إلى جهد فاحص يستدعي استحضار المقام التلفظي الترسلي، انطلاقا مما تمدنا به النصوص من تعليمات يختزنها السياق النصي بمؤشراته وواسماته الأصواتية، أو السياق المقامي وما يشتمل عليه من معرفة نستقيها مما تحيل إليه الخطابات المختلفة التي يستعيدها خطاب الرسائل، كالنصوص المتقدمة عليه، أو اللاحقة له.

---

(1) - يقول بوملحم عن اصطناع الجاحظ للمخاطب في تقديم رسالة"تفضيل البطن على الظهر": "وهذا الشخص الذي كتب إلى الجاحظ في تفضيل الظهور على البطون، أو الغلمان على النساء، إنما هو شخص وهمي، فزع إليه الجاحظ إلى توهمه ليبرر الخوض في هذا الموضوع الشاذ"(علي بوملحم رسائل الجاحظ- الرسائل الأدبية، ص25)

(2) - يعين المخاطب في هذه الرسالة بضمير المخاطب، كما نجد في قوله:"عصمنا الله وإياك من الشبهة..." أو قوله:"وقد كان كتابك يا ابن أخي ..."ص149

بعد تقديم هذا التصور، نعكف الآن على التفصيل في هذه المسألة، وتتبُّع المطابقة بين الذوات حسب تصنيفها ضمن التفاعل الرسائلي القائم على مستويين تلفظيين متمايزين :

المستوى التلفظي 1:المتكلم(كاتب الرسائل)/ المتكلم له(المراسَل)

(1)- **المتكلم/كاتب الرسائل:**يعيّن المتكلم كاتب الرسائل نفسه، ويحيل إلى ذاته الواقعية (الجاحظ الشخصية التاريخية المعروفة) بواسطة ضمير المتكلم المفرد في صدور الرسالة غالبا، وفي متونها أحيانا، ويقلّ استخدامه لضمير المتكلم المفرد في الخواتم حتى يكاد ينعدم. ويلجأ أحيانا إلى المزاوجة بين ضمير المفرد وضمير الجماعة في صدور الرسائل وفي متونها. ويغلب عليه استخدام ضمير الجماعة في خواتمها، ويبرُز في المشهد التلفظي أحيانا متكلما دون أن يعيّن نفسه بضمير، مكتفيا بدلالة عملية التلفظ ذاتها عليه.[1]

نمثل للحالات السابقة بما يلي:

في رسالة "**المعاش والمعاد**" يعيّن الكاتب نفسه بواسطة ضمير المتكلم المفرد في صدر الرسالة ومتنها وخاتمتها ، يبدأ بقوله:« *حفظك الله وأمْتعَ بك ...وإني عرفتك- أكرمك الله- في أيام الحداثة... فلم أزل أبقاك اللّه في أحوالك تلك كلُّها بفضيلتك عارفاً... طلبت الوسيلة إليك والاتصال بحبلك ... ولم أزل أبقاك الله بالموضع الذي قد*

(1) -ينظر تفصيل ذلك في مبحث"النظام التأشيري "في الرسائل، ضمن الفصل الأول، ص123

عرفت من جمع الكتب ...فرأيت أن أجمع لك كتاباً من الأدب جامعاً لعلم كثيرٍ من المعاد والمعاش...وعلمت أن ذلك من أعظم ما أبَرُّك به وأرجح ما أتقرب به إليك» (1)

ويستأنف في المتن: « *واعلم أن الآداب إنما هي...فأول ما أوصيك به...* »(2) ويختمها بضمير المتكلم المفرد داعيا للمخاطب بقوله: « *أسأل الله المبتدئ بكل نعمة والمتولّي لكل إحسان أن يصلي على محمد خيرته من خلقه وصفوته من برّيته وأن يتم عليك نعمته ويشفع لك ما خوَّلك من نعمته بالنعمة التي يُؤْمَن معها الزوال في جواره ومرافقة أنبيائه*»(3)

وفي رسالة "كتمان السر وحفظ اللسان"(4) يعين المتكلم كاتب الرسائل نفسه في صدر الرسالة بضمير المفرد، لكنه في مواضع عديدة من المتن يَعْدِل عنه إلى ضمير الجماعة، كما في المقتطفات التالية: « *وليس قولنا "طُبِع الإنسان على حب الخبر والاستخبار"حجّة على الله...* »(5) وفي قوله: « *فنريد أن نعلم: لم صار الإنسان على ما مُنِع –وإن كان – لا ينفعه، أَحْرَصَ منه ...* »(6) وفي قوله: « *فنقول: إن الله تبارك وتعالى جعل لكل نفس مَبْلَغاً من الوُسْع...* ».(7) أما في الختام، ويكاد ذلك يطّرد في جل الرسائل –كما أسلفنا – فيستخدم ضمير الجماعة معلّقا على ما تقدم في

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص65-68
(2) -نفسه، ص70
(3) - نفسه، ص91
(4) - ضمن الرسائل الأدبية، ص85
(5) - كتمان السر وحفظ اللسان، ضمن الرسائل الأدبية، ص91
(6) - نفسه، ص97
(7) - نفسه، ص98

الرسالة بقوله: « *ولو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف مما فيه، لكان بإذن الله كافيا لمن له لبّ وعقل*»[1]

وفي رسالة "القيان"ينسحب المتكلم كاتب الرسائل (الجاحظ) من المشهد التلفظي، ويضع على الركح مجموعة من الأشخاص، يعيّنهم بأسمائهم، ويسند التلفظ من بدايته إليهم،[2] فيأخذون في التكلم بضمير الجماعة، في غياب تام للمتكلم كاتب الرسائل الذي نجد اسمه في عتبة العنوان:**رسائل الجاحظ.**

نقرأ في بداية نص الرسالة ما يلي: « *من أبي موسى بن إسحاق بن موسى ومحمد بن خالد خذار خذاه وعبد الله بن أيوب أبي سُمير ومحمد بن حماد كاتب راشد والحسن بن إبراهيم بن (...) وإخوانهم المستمتعين بالنعمة والمؤثرين للذّة المتمتعين بالقيان وبالإخوان المعدّين لوظائف الأطعمة وصنوف الأشربة والراغبين بأنفسهم عن قبول شيء من الناس أصحاب الستر والستارات والسرور والمروءات، إلى أهل الجهالة والجفاء وغلظ الطبع وفساد الحسّ*» [3]

ولا يعود المتكلم كاتب الرسائل للظهور إلا في خاتمة الرسالة حيث يعلّق على تلفظ الجماعة المتقدّم ذكرها مستخدما ضمير الجماعة كالمعتاد، بقوله: « *هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمَّيناها في صدرها، فإن كانت صحيحةً*

(1) - كتمان السر وحفظ اللسان، ضمن الرسائل الأدبية، ص110

(2) - يقول علي بوملحم معلقا على ذلك:" يذكر الجاحظ أسماء عدد من طلاب اللذة المشهورين في عصره الذين ينحلهم هذه الرسالة، وهو يفعل ذلك كعادته في كثير من رسائله، ويبدو أن الدافع الذي حمله على النحل هو رغبته في عدم تحمل مسؤولية الآراء التحرّرية التي سيوردها في تضاعيف الرسالة لأنه يدرك أنها تلقى معارضة عنيفة من جانب أصحاب الحديث و... " ينظر: هوامش رسالة القيان، ضمن الرسائل الأدبية، ص 87

(3) - ضمن الرسائل الأدبية، ص63

فقد أدّينا منها حقَّ الرواية والذين كتبوها أولى بما قد تقلَّدوا من الحجّة منها، وإن كانت منحولة فمن قبل الطُّفيليِّين إذْ كانوا قد أقاموا الحجّة في اطِّراح الحشمة والمرتبطين ليسهِّلوا على المقِّينين ما صنعه المقترفون»[1]

ولا يفوتنا في هذا الموضع من الدراسة أن نشير إلى انزياح يميز النص الرسائلي عند الجاحظ، باعتبارها نصا تراثيا "ناقص" الموثوقية، من ناحية روايته وتدوينه ونسخه، ويتمثل هذا الانزياح في وجود رسائل يتدخل الناسخ في مشاهدها التلفظية، منشئا مستوى تلفظيا ثالثا خاصا به، عندما يَعْمَد إلى تقديم تلفظ كاتب الرسائل، بقوله مثلا: « *قال أبو عثمان:...*"في صدور بعض الرسائل وفي متونها،[2] أو بإنهائه لها أحيانا بعبارات من قبيل:« *تم كتاب الحجاب، ولله الحمد والمنّة ...* ».[3]

وفي هذه الحال نكون أمام متكلم غير المتكلم كاتب/ الرسائل، ويفرض علينا ذلك الرجوع إلى النصوص المؤوّلة،[4] للقيام بالمطابقة بين الذات الخطابية ممثلة في المتكلم /الناسخ، والذات الحقيقية /الشخص التاريخي الذي قام بعملية النسخ.

(2)-المتكلم له/المرسل إليه[5]:لا تتيح لنا المقاربة التلفظية الأصواتية أن نطابق بيسر وسهولة بين المتكلم له (المرسل إليه) والذوات الواقعية، فنصوص

---

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص86

(2) - في رسالة "فضل هاشم على عبد شمس"تتكرر عبارة "قال أبوعثمان" في الصفحات:410، 412، 413، 414، 415، 416، 417...حتى الصفحة 432 فضلا عن العطف عليها بالإحالة الضميرية "وقال " والتي تتكرر هي الأخرى كثيرا، كما نجد هذه الظاهرة التلفظية أيضل في رسالة "العباسية"

(3) -كتاب الحجاب، ضمن الرسائل السياسية ، ص598، ويتكرر ذلك في الكثير من الرسائل

(4) - جملة النصوص القديمة و الحديثة التي تفاعلت خطابيا مع نصوص الرسائل:نصوص المحققين، والتراجم، والدراسات الحديثة والمعاصرة

(5) - لا نستخدم هنا المصطلح اللساني الذي يقابل المرسل والمرسلة، وإنما اللفظ العادي الذي يحيل إلى الشخص الحقيقي الذي وجهت إليه الرسالة في زمان ومكان معينين، أي المراسَل .

الرسائل تسكت في الغالب عن تعيين هذه الذوات الحقيقية بأسمائها، ذلك أن المتكلم كاتب الرسائل، وتبعا لإكراهات المقام الترسلي، يصرح بهذه الأسماء في نص الرسالة، وهذا نادر وقليل، وفي كثير من الأحيان يغفلها. وفي هذه الحالة الثانية لا نجد في نص الرسالة سوى ضمائر خطاب مبهمة الإحالة (الإحالة الواقعية)، مما يحتم علينا أن نبحث عنها اعتمادا على تحليل المقام التلفظي كما تجلّيه الظواهر النصية والخطابية، أي اعتمادا على ظاهرة التعدد الصوتي، وما يرتبط بها من وجهات نظر، يتبناها المتكلم كاتب/ الرسائل، أو يدحضها، أو يقف منها موقف المحايد.

ومن بين المعايير التي نعتمدها في ذلك دلالة ضمير الخطاب على علاقة المتكلم كاتب الرسالة بالمتكلم له /متلقي الرسالة، من حيث التراتبية الاجتماعية والعلاقة العاطفية، والانتماء المذهبي ...وغيرها من المعطيات التي يمدنا بها السياقان النصي والمقامي.

يعيّن المتكلم كاتب الرسائل مراسَليه بضمير المخاطب المفرد، ويغلب هذا على صدور الرسائل ومتونها وخواتمها-خلافا للقاعدة المرساة في التقليد العربي القديم التي تقتضي مخاطبة الأعلى مرتبة بضمير الجماعة- سواءً تعلّق الأمر بمخاطبة مراسَلِين ذوي مرتبة اجتماعية عليا أو دنيا، والملاحظ أن بعض الرسائل تخلو من ضمائر الخطاب مطلقا، فلا تبدو الرسالة موجهة إلى مخاطَب بعينه، ويغلب ذلك على الرسائل الكلامية وبعض الرسائل السياسية.

نمثل لحالات المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الواقعية، فيما يخص المتكلم لهم المخاطَبِين الأوائل بالرسائل، بما يلي:

_ **اطّراد استخدام ضمير المخاطب المفرد في الرسائل:** خلافا للطقوسية التي كرّسها منظّرو الكتابة الترسّلية في الأدب العربي القديم،[1] يندر في مدونة الرسائل الجاحظية تعيين المخاطب بضمير الجماعة، تعبيرا عن علو المرتبة الاجتماعية، وتقيّدا بآداب مخاطبة الأعلين مرتبة، فعلى امتداد نصوص الرسائل، تطغى مخاطبة المتكلم /كاتب الرسائل مراسَليه جميعا بضمير المفرد، وفيما يلي أمثلة مقتطفة من هذه الرسائل:

يخاطب الجاحظ محمد بن أحمد بن أبي دؤاد[*] في رسالة **"نفي التشبيه"** بقوله: « *وكان من أسباب دفْعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرىً واحداً ولأنك وإنْ كنت كثير الشُّغل فهو أقلُّ فراغاً منك على كثرة شُغلك وفرط عنايتك بما استكفاك واسترعاك* ».[2]

ويتكرر ذلك في رسالة **"الفتيا"** التي يوجّهها إلى أبيه أحمد بن أبي دؤاد: « *أطال الله بقاءك وأعزّك وأصلح على يديك... وأنت أيّها العالم معلم الخير وطالبه والداعي إليه وحامل الناس عليه... فنسأل الذي منحك حسن الرعاية أن يمنحنا حسن الطاعة... وعندي -أبقاك الله- كتابٌ جامعٌ لاختلاف الناس في أصول الفتيا...* ».[3] ويتكرر ذلك أيضا، في رسالة **"الحكمين وتصويب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "** التي يوجّهها إلى شخص غير معروف يسميه ابن حسان: « *وفقك الله للسلامة والغنيمة*

(1)- ينظر تفصيل ذلك في المبحث المعنون:" نظام التأشيريات الشخصية " ضمن الفصل الأول، ص116 وما بعدها

(*)- ابن أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة في عهد الخليفة المعتصم، كان أبوه معتزليا من أتباع واصل (ت 240 هـ)، وقد خلفه في منصب قاضي القضاة في عهد المتوكل، وتوفي قبله بنحو عشرين يوما، كما جاء في وفيات ابن خلكان

(2) - ضمن الرسائل الكلامية، ص218

(3) - رسالة الفتيا، ضمن الرسائل الكلامية، ص 247 ومابعدها

...وقد كنت حذّرتك، يا ابن حسان، أمورا فكأني أغريتك بها...عتبت عليك بمجادلة الرافضة ...فاجْمَعِ الآن بالك ...خبرني أيَّ شيء نفيت عن علي بن أبي طالب من الفضل...فكيف تزعم أن عليّا ... »[1].

ويخاطب أبا الفرج بن نجاح بالصيغة نفسها في رسالة"**إلى أبي الفرج**" ،قائلا: « *جُعِلْتُ فداك، وأطال الله بقاك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وأيّدك ...قد نسخت لك –أعزك الله – في صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت في أبي الفرج أدام الله عزه...* »[2] وفي خاتمتها: « *ونعوذ بالله أن يكون فيكم ما يستدعي الألفاظ الشريفة والمعاني النفيسة ...* » [3]؛وفي رسالة"**المودة والخلطة**" بقوله: « *أطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك، زعم –أبقاك الله – كثير ممن يقرض الشعر... وأنا أزعم –أبقاك الله- أن إقرار المسؤول بما ينحل من ذلك نوك...* »،[4] ثم يعدل عنه إلى ضمير الجماعة: « *على أنكم لم تحملونا إلا الِخفّ ...وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤن الثقال ...* »،[5] ليعود إلى صيغة الإفراد بعد ذلك: « *ثم اعلم-أصلحك الله- أن الذي وجد في العبرة...* »[6].

ولا تخرج رسالة"**استنجاز الوعد**"عن التصرف في ضمائر الخطاب على هذا النمط، مما يدل على اطّراد هذه الصيغة الخطابية في مدونة الرسائل، وشمولها زيادة

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص339-341
(2) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 397
(3) - نفسه، ص401
(4) - نفسه، ص407
(5) - نفسه، ص 409
(6) - نفسه، ، ص ن

على المخاطبين العاديين، أصحابَ الدرجات الاجتماعية العليا، إلا في مواضع نادرة كالتي أشرنا إليها.

_ **خلو صدور بعض الرسائل من ضمير الخطاب:** تخلو صدور بعض الرسائل من ضمائر الخطاب، فلا نجد لها أثرا في مفتتح الرسائل، وتصادفنا هذه الظاهرة التلفظية المتراحة في الرسائل التي بترت صدورها، و لم تتحدث الروايات عن توجيهها إلى مرسَل إليه محدّد، والغالب على هذا النمط من الرسائل هو تناولها للقضايا الكلامية والاجتماعية، على نحو ما نجد في رسالة "العثمانية "التي يستهلها الجاحظ بقوله: « *ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين وعليه نتوكل،و ما توفيقنا إلا بالله...* »[1] أو رسالة "**طبقات المغنين** "والتي يَرِدُ في مفتتحها: « *ثم إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة...* »[2] أو رسالة "**المسائل والجوابات في المعرفة**"والتي تبدأ بـــ: « *بالله نستعين وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله...اختلف الناس في المعرفة اختلافا شديدا...*».[3]

ربما تُفسَّر هذه الظاهرة بتعرض نصوص هذه الرسائل للبتر، وهي الآفة التي تحدّث عنها كثير من دارسي آثار الجاحظ، التي لا تختلف في ذلك عن آثار غيره من الأعلام القدماء في شتى حقول العلم والمعرفة.[4] لذلك ينبغي التحفظ في إصدار الأحكام على مثل هذه النصوص، لتعذّر إعادة بناء السياق التلفظي الذي أنتِجت فيه

(1) - ضمن الرسائل السياسية، ص129

(2) -ضمن الرسائل الأدبية، ص217

(3) - ضمن الرسائل الكلامية، ص109

(4) - يتحدث الكثير من المعاصرين عن تعرض تراث المعتزلة للإتلاف بعد انقلاب الخليفة المتوكل عليهم، و انتصاره لأهل الحديث. للتعرف على مؤلفات الجاحظ التي لم تصلنا ينظر: علي بوملحم: كشاف الجاحظ، ملحق بالرسائل، ص311-415

بصورته الكاملة والصحيحة، لا سيما وأننا نعتمد في هذه الدراسة مفهوم السياق التفاعلي الذي يتبادل التأثير مع النص؛ فيبني الخطاب فيما يسهم الخطاب من جهته في بنائه.

المستوى التلفظي 2: المتلفظون(الصوت الجماعي والفردي)/المتلفظ لهم

ونعني بهذه الذوات الخطابية تلك الأصوات التي تستحضر في الخطاب المحمول في متون الرسائل، أي في المستوى التلفظي الثاني، وتتوجّه بالخطاب إلى ذوات أخرى نسمّيها المتلفظ لهم، ويتم استحضار هذه الذوات بواسطة آليات أصواتية شتى، كالواسمات الأصواتية، والخطاب المستحضر بأصنافه المختلفة.

(1)-المتلفظون(الصوت الجماعي والفردي):يتم تعيين هذه الأصوات في متون الرسائل بواسطة أسماء العلم الفردية والجماعية، ويحال إليها بعد ذلك بالضمائر المناسبة، وهذه هي الحالة الغالبة. كما يتم أحيانا إغفال هوياتها والاقتصار على الضمائر في تعيينها، لا سيما إذا تماهت هذه الذوات مع المتكلم لهم المخاطبين بالرسائل ممن أغفلت أسماؤهم، وقد يلجأ الجاحظ أحيانا إلى رفع شيء من الإبهام الذي تحاط به الإحالة الواقعية للضمائر المعيّنة للمتلفظين، باستخدام نعوت معينة تدل على انتمائهم.

وكما دأبنا فيما تقدم، نمثل للحالات التي عرضنا لها بما يلي:

§ **ضمير المتكلم المفرد /اسم العلم الفردي:** يحيل ضمير المتكلم المفرد في الخطاب المستحضر المحمول في الخطاب الأصل لرسالة "رسالة في الجد والهزل" إلى الذات الحقيقية التي يحدد المتكلم كاتب الرسالة هويتها باسم العلم **"محمد بن عبد**

الملك بن الزيات"(*)وهو شخصية معروفة في تاريخ الأدب العربي، يسند المتكلم كاتب الرسائل لها الكلام، ويستحضر خطابها في مواضع عدة من رسالته هذه، ومن ذلك: « *سمعتك وأنت تريدني وكأنك تريد غيري أوكأنك تشير علي من غير أن تنصني وتقول: إني لأعجب ممن ترك دفاتر علمه متفرقة وكراريس درسه غير مجموعة ولا منظومة كيف يُعَرِّضها للتّخَرُّم وكيف لا يمنعها من التّخَرُّق!*»[1] وينطبق ذلك على أسماء أعلام أخرى منها:

أبوالفرج بن نجاح الكاتب في رسالة **"المودة والخلطة"**، **ومحمد بن أحمد بن أبي دؤاد أبي دؤاد** في رسالة **"في نفي التشبيه"**، وأبوه **أحمد بن أبي دؤاد** في رسالة **"الفتيا"**. وهؤلاء من المراسَلين المخاطَبين بالرسائل الذين يندر في مدونة الجاحظ الرسائلية الإحالة النصية إلى هوياتهم. ومن ثم يتعذر علينا المطابقة بين الذوات الخطابية والذوات الحقيقية في غير هذه الحالات.

§ **ضمير المتكلم الجماعي /اسم العلم الجماعي:** خلافا للذوات الخطابية المعينة بواسطة ضمير المتكلم المفرد، يَحْضُر في خطاب الرسائل متلفظون يضعهم المتكلم الكاتب على الركح، ويُسْنِد إليهم مسؤولية التلفظ وكفالة الملفوظات.

يحيل ضمير المتكلم الجماعي في الخطاب المستحضر المحمول في الخطاب الأصل لرسالة **"الرد على النصارى "** إلى الذات الحقيقية التي يحدد المتكلم /كاتب الرسالة هويتها باسم العلم الجماعي **"اليهود"** و**"النصارى** "وهم أتباع الديانتين السماويتين المعروفتين، يقول: « *ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن " عزيراً ابن الله "*

(*)- محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة أبوجعفر الزيات الكاتب، وزير المعتصم و الواثق (ت 233 هـ)

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص 336

" ويد الله مغلولة " و" إن الله فقير ونحن أغنياء " وحكى عن النصارى أنهم قالوا: " المسيح ابن الله " وقال: " قالت النصارى المسيح ابن الله ».[1]

وينطبق ذلك على أسماء أعلام أخرى منها:"العثمانية"و"الشيع"و"العلـــوية" في رســـالة "العثمانية"، و"المرجئة"و"المعتزلة"و"الخوارج "في رسالة "الحكمين"، و"الموالي "في رسالة "في النابتة".

§ **الضمائر مبهمة الإحالة/الصوت الآخر:** تصادفنا في بعض الرسائل ضمائر تكلم فردية وجماعية أغفل المتكلم كاتب الرسالة تعيين إحالتها إلى ذوات واقعية محددة، ولكنها مع ذلك تعبر عن آراء وطروحات متبناة لدى طوائف وجماعات في المجتمع. لذلك تسمّى هذه الذوات المبهمة المحال إليها بالصوت الجماعي أو صوت الآخر. وعندما نحاول إيجاد رابط بين هذه الذوات الخطابية المعيّنة بواسطة الإشاريات الضمائرية، والذوات الواقعية التي يمكن أن تطابقها انطلاقا من فحص وجهات النظر المسندة إليها، وموقف المتكلم كاتب الرسالة من كفالة تلفظها، فإننا لا نتجاوز في محاولتنا تلك طرح احتمالات والترجيح بينها.

نمثل لهذه الحالة المتصلة بالضمائر مبهمة الإحالة بالأمثلة التالية:

في رسالة " الشارب والمشروب"يضع المتكلم/ كاتب الرسالة على الركح متلفظا، يسند إليه خطابا مستحضرا، يعيّن هذا المتلفظ نفسه بواسطة ضمير المفرد إضمارا لا تصريحا قائلا: « *وقلتَ: وما فرق ما بين الجر والسقاء والمزفت والحنتم والدباء؟ وما القول في الممتل والمكسوب؟ وما فرق ما بين النقيع والداذي؟ وما المطبوخ*

(1) - ضمن الرسائل الكلامية، ص:273

والباذق؟ وما الغربي والمروق؟ وما الذي يحل من الطبيخ؟ وما القول في شرب الفضيخ؟ وهل يكره نبيذ العكر؟ وما القول في عتيق السكر وأنبذة الجرار؟ وما يعمل من السكر؟ ولم كره النقير والمقير؟»[1] ويخلو الخطاب الحامل له من أيّ إحالة تعيّن هوية هذا المتلفظ، وتتيح المطابقة بين ذات الخطاب المستحضر، والذات الواقعية المفترض أنها تتحمل كفالة تلفظه. وتنضم إلى هذا المثال أمثلة أخرى في رسائل "الحاسد والمحسود"و"مناقب الترك" وغيرهما.

§ **ضمير المتكلم /التسميات النعتية:** تطرح هذه الثنائية المطابقة بين ذوات الخطاب والذوات الحقيقية التي يمكننا التعرف عليها، لا بأسمائها المتعارف عليها، بل بصفة من صفاتها الإيجابية أوالحيادية، أو السلبية، وأمثلة ذلك كثير في رسائل الجاحظ، نورد بعضها فيما يلي للتمثيل:

في رسالة **"الرد على المشبهة"**نطابق بين الذات الخطابية الجماعية والجماعة المعينة بواسطة الوصف "المشبهة"وهي الجماعة المتعارف على تسميتها بـــ"أهل السنة والجماعة"، في قوله مثلا: « *وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم قوله عز ذكره:* **(وجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)**[*]

قالوا: فلا يجيء إلا إلى مكان هو وفيه ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه جاز أن يخرج منه وهو فيه.»[(2)] وفي رسالة **"خلق القرآن"** يحيل ضمير الجماعة/ الذات الخطابية إلى الجماعة المسماة "النابتة" إحالة قبلية في قوله: «*وخطأ النابتة وقول*

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص275.
(*)- الآية22، من سورة الفجر
(2) - ضمن الرسائل الكلامية، ص234-235

الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلح...وأما قولهم: إن معنا العامة والعبّاد والفقهاء وأصحاب الحديث... » [1]

(2)-**المتلفظ لهم**Enonciataires: يقوم المتلفظون بتعيين من يخاطبوهم في متون الرسائل، في الخطابات المحمولة التي تتمايز عن الخطاب الحامل الأصل، أي في المستوى الثاني من التلفظ الذي يميز التفاعل الرسائلي في مدونة الرسائل الجاحظية، ويتم هذا التعيين بحسب ما يقتضيه هذا التفاعل ومقامات الترسل الخاصة بكل نمط من الرسائل، ويمكننا تصنيف الرسائل من هذا المنظور كما يلي:

- رسائل المفاخرات والمناظرات: تعيين طرفي المفاخرة بأسمائهم، ثم الإحالة إليهم لاحقا بالضمائر المناسبة، وتتميز هذه الرسائل بدرجة عالية من الامّحاء التلفظي[2] للمتكلم كاتب الرسائل، مثل: تعيين المتلفظ لهم في مناظرة العثمانية للشيعة، إذ يحيلنا ضمير الجماعة المخاطبين في الخطاب المستحضر المنسوب لأحدهما، إلى اسميهما المذكورين في خطاب المتكلم كاتب الرسائل، الذي يقوم بوضعهما على الركح ومسرحة أصواتهما من خلال عبارات مثل: "قالت العثمانية "أو"قالت الشيع"[3]في رسالة العثمانية، وعبارات مثل: "قالت المرجئة" أو"قالت الخوارج" أو"قالت المعتزلة" في رسالة"الحكمين"

- رسائل الردّ والمحاججة: يغفل الجاحظ تعيين المتلفظ إليهم بأسمائهم في الغالب، ويكتفي بمخاطبتهم خطابا مباشرا، يقوم على مشهدة الأصوات من خلال

(1) - ضمن الرسائل الكلامية، ص171

(2)- ينظر تعريفه في مبحث لاحق من هذا الفصل، ص280

(3) -رسالة العثمانية، ضمن الرسائل السياسية، ص129، 135و في غيرهما من المواضع

الإحالة إليهم بواسطة ضمائر الخطاب، أو التسميات المبهمة، ونمثل لذلك برسالة "مفاخرة الجواري والغلمان"حيث يعين المتلفظ له بواسطة ضمير المخاطب المفرد، الذي يحيل في الخطاب المحمول ذاته إلى "صاحب الغلمان" [1] مما يجعل المطابقة بين الذات الخطابية والذات الواقعية متعذرة، ويمنع من تحديد روابط المسؤولية على التلفظ وكفالته، لكننا مع ذلك نستطيع التعرف على موقف المتكلم كاتب الرسائل من وجهات النظر المسندة إلى الصوت الجماعي الذي تمثّله هذه الذات المبهمة الهوية في الخطاب المحمول الذي أنتجه المستوى التلفظي الثاني لخطاب الرسالة.

(3)-**الشخص الثالث** [2]:يلجأ المتكلم كاتب الرسائل إلى استحضار أصوات يعيّنها بواسطة ضمائر الغائب، وصيغة البناء للمجهول، والنكرة غير المقصودة، وهو ما يعرف في الجهاز الاصطلاحي للتحليل الأصواتي بـــ "الشخص الثالث"إشارة إلى المرتبة التي يشغلها في وضعية التلفظ التي يفترض أن يهيمن عليها المتكلم والمخاطب(المتكلم له) العنصران الأصيلان في مقام التلفظ.

لذلك تطرح مسألة المطابقة بين الذوات الخطابية التي تعينها ضمائر الغائب، وصيغة البناء للمجهول، والنكرة المقصودة، والذوات الواقعية صعوبة كبرى، تتأتى من كون هذه الوحدات اللغوية تتميز بضبابية الإحالة الشخصية، فلا تتحدد الذوات الواقعية التي تحيل إليها إلا من خلال فحص السياق بمكوناته النصية والمقامية. فقد

(1) - ضمن الرسائل الأدبية، ص166

(2)-الشخص الثالث La troisième personneيعنى به الشخص الغائب الذي يحال إليه بضميري الغياب في الفرنسية Il للمفرد، وهو الضمير الثالث من ضمائر الإفراد؛ وIls/Elles للمثنى والجمع، وهو الضمير الثالث من ضمائر الجمع

يحيل الشخص الثالث إلى صوت جماعي غير متجانس، وقد يحيل إلى القارئ، وقد يحيل أحيانا إلى المتكلم كاتب الرسالة ذاته.[1]

وبفحصنا لمقاطع نصية مقتطفة من الرسائل نتبيّن بصورة أوضح الأصوات التي يستنفرها الشخص الثالث، ويسند إليها وجهات النظر المختلفة.

إن من يستحضرهم كاتب الرسائل بواسطة ضمير الغيبة للاستشهاد بأقوالهم من الأعلام الذين ينتمون إلى ميادين مختلفة، من الحكماء، والخطباء، والكتاب، والشعراء، والساسة، والفقهاء، والمتكلمين، والمحدثين، فهؤلاء جميعا يعيّنون في الخطاب الأصل الحامل، بأسمائهم أو ألقابهم التي عرفوا بها، ويعيّنون أنفسهم في خطاباتهم المستحضرة بواسطة ضمير المتكلم، باعتبارهم متلفظين يتكفلون بالملفوظات في المستوى التلفظي الثاني لا كمشاركين، بل كأصوات تستدعى لدعم الحجاج وتقويته، لأن أغلبهم لا يمثل طرفا من طرفي التواصلي، بقدر ما تمثل أقوالهم المستحضرة "الخلفية المشتركة"أو "المعرفة الموسوعية" التي يحتكم إليها المتحاورون:المتكلم(كاتب الرسائل)/ المتكلم له(المراسَل)، أو المتلفظون(أصحاب الخطابات المستحضرة)/ المتلفظ لهم(خصومهم ومحاوروهم).

هذا الصنف(الشخص الثالث) من المتلفظين سنعرض له لاحقا عندما نتناول الخطابات المستحضرة التي توظف في الحجاج ذي السلطة المرجعية.

(1)- خاصة في المستوى التلفظي الثالث الذي يأخذ فيه الناسخ مسؤولية التلفظ، و يتحدث عن كاتب الرسائل بضمير الغائب، في مثل قوله:" قال أبوعثمان..."، كما مر بنا في غير هذا الموضع

ب) هيمنة المتكلم /كاتب الرسائل على التلفظ

-درجات هيمنة كاتب الرسائل على التلفظ: يربط الباحثون في حقل الدراسات التداولية ظاهرة **الهيمنة على التلفظ**[1] بدراسة الخطاب المستحضر من منظور حواري أو أصواتي، ويدرِجون دراستها أحيانا ضمن ظاهرة أوسع منها، هي ظاهرة **الامّحاء التلفظي** للمتكلم[2] والتي تبرز في الخطاب الحامل للخطاب المستحضر بدرجات متفاوتة، بحيث كلما زادت درجة حضور المتكلم في التلفظ المنسوب للمتلفظ بالخطاب المستحضر، تحقّقت ظاهرة الهيمنة على التلفظ، وبقدر ما يقل حضوره في ذلك الخطاب، تنشأ الظاهرة المقابلة، وهي المسماة **فقدان الهيمنة على التلفظ.**[3]

وتتحقق ظاهرة الهيمنة على التلفظ من خلال آليات لغوية كالموَّجهات، وأزمنة الأفعال، ونوعية الخطاب المستحضر. وفي هذه الحال نقول إن المتلفظ المتكفل

---

(1)-الهيمنة على التلفظSur-énonciation :"ظاهرة تفاعلية تبرز على مستوى التفاعلات[التواصلية]غير المتكافئة والتضادية(على صعيد تراتبية المتكلمين، وعلى الصعيدين العرفاني والتداولي)وفيها يعدل المتكلم الناقل أقوال المتكلم المنقول عنه حسب ما يناسبه، وذلك بحجب مصدر التلفظ بالأقوال المنقولة ومقصديتها".ينظر:
Rabatel.Alain:L'éffacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66 ,P36

(2)- الامّحاء التلفظي Effacement énonciatifيعرفه شارودو.بقوله:"تمحي الذات المتكلمة من فعلها التلفظي، دون أن تقحم المخاطب المباشر فيه. وفي ذلك ترسم للطريقة التي تم بها فرض خطابات العالم(الشخص الثالث)عليه. ينتج عن ذلك تلفظ يبدو موضوعيا(بمعنى"مجرد من ذاتية المتكلم")يسمح بظهور فعل تواصلي على الركح، حامل لأقوال ونصوص لا تعود للذات المتكلمة (وجهة نظر خارجية) "نقلا عن:
Rabatel.Alain:L'éffacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,,P33

(3)- فقدان الهيمنة على التلفظSous- énonciation :"يحيل إلى مقامات [تلفظية]مرتبكة تمحي فيها وجهة نظر المتكلم الناقل (أو المنقول عنه) بسبب استحضار وجهة نظر الآخر ".ينظر:
Ibid,p36

بالخطاب المستحضر امّحى تلفظيا، لصالح المتكلم المتكفل بالخطاب الأصل الحامل للخطاب المستحضر، فيكون لدينا:

_متكلم/خطاب أصل حامل للخطاب المستحضر(المتكلم هو من يعرض الخطاب المستحضر) /هيمنة المتكلم على التلفظ

_متلفظ/خطاب مستحضر محمول في الخطاب الأصل(المتلفظ هو من يعرض خطابه بنفسه)/فقدان المتكلم الهيمنة على التلفظ

وإذا خلا الخطاب الأصل الحامل للخطاب المستحضر من الآليات المذكورة سابقا، ونحا نحو الموضوعية، وتعرى من واسمات الذاتية الخطابية، تسلط الامّحاء التلفظي بدرجة معينة على المتكلم، وفي هذه الحالة نكون حيال وضعية تلفظية، تأخذ الصورة التالية:

- متكلم / خطاب أصل حامل للخطاب المستحضر / امّحاء تلفظي جزئي أوكلي للمتلفظ

- متلفظ/خطاب مستحضر محمول في الخطاب الأصل / هيمنة المتلفظ على تلفظه الخاص

ولابد لنا قبل الانتقال إلى التطبيق على أمثلة من مدونة الرسائل، أن نستكمل توضيح المفاهيم النظرية المتقدم عرضها.

يمَّحي المتكلم تلفظيا عادة في الخطابات النظرية، وما أشبهها من الخطابات التي تتطلب درجة من الحياد والموضوعية، أو تلك التي يصطنع فيها المتكلم الكاتب الحياد لأسباب تتعلق بالإكراهات الجنسية المقامية والخطابية؛ كأن يفرض الجنس الخطابي النقل الأمين لأقوال الآخر، أو مشهدة التفاعل الحواري بين متلفظين

يستحضرهم المتكلم الكاتب، ويأخذ نفسه بالتزام الحياد في المناظرة التي تدور بينهما.

وبالمقابل تدعو المتكلم/الكاتب إكراهات أخرى إلى التدخل في خطاب الغير الذي يستحضره، ويتكفل بوجهة النظر التي يحملها، من خلال التماهي مع المتلفظ صاحب الخطاب المستحضر أو النأي عنه، ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في صورة الخطاب المروي غير المباشر، أوالخطاب المروي غير المباشر الحر، أوفي الافتراضات المسبقة، ووجهات النظر الثاوية المستنفرة بواسطة الواسمات الأصواتية، من روابط وموجهات وغيرها.[1]

نمثل لحالات الامّحاء التلفظي التي عرضنا لها فيما تقدم بأمثلة من مدونة الرسائل، ففي رسالة "العثمانية"تصادفنا حالة الامّحاء التلفظي للمتكلم كاتب الرسائل، الذي يكتفي بوضع المتلفظين على الركح من خلال استحضار خطاباتهم، والتواري عن الأنظار حتى نهاية الرسالة، حيث يعود إلى الظهور لإسدال الستارة على المشهد التلفظي الذي نأى بنفسه عن المشاركة فيه، أي عن التكفل بتلفظه وما حمله من وجهات نظر متعارضة، تبنّاها المتلفظون الذين يمثلون صوتين جماعيين، عيّنهما المتكلم بضميري متكلّمِين يحيلان إلى كل من "العثمانية"و"الشيعة" الوارد ذكرهما في الخطاب الأصل للمتكلم كاتب الرسالة.[2]

أما الحالة الثانية، وهي التي تخص الامّحاء التلفظي للمتلفظ صاحب الخطاب المستحضر، فتمثل لها برسالة "تفضيل الظهر على البطن" التي يعتمد فيها المتكلم

(1) -Rabatel.Alain:L'éffacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,p34-35

(2)-انظر الشاهد في ص 205-206 ، من الفصل الثالث

كاتب الرسالة على استحضار خطاب المتلفظ دون أن يُمَشْهِد حضوره في الخطاب من خلال تلفظ صريح وتام الأركان، بل نراه يتدخل في هذا التلفظ من خلال الآليات اللغوية التي تؤدي إلى تعديل البنية التركيبية للقول المسند إلى المتلفظ، مثل قوله: «*يا أخي - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تذمّها، وما رأينا هلاك الأمم الخالية من قوم لوط وثمود وأشياعهم وأتباعهم وحلول الخسف والرجفة والآيات المُثلات والعذاب الأليم والريح العقيم والغير والنكير، ووجوب نار السعير، إلا بما دانوا به من اختيار الظهور. قال الله تعالى في قصة لوط:* **(أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العَالَمِينَ. وتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُون)** (*)....» (1)

وهو ما يجعل التلفظ الثاني مندمجا في التلفظ الأول، بصورة لا يتضح فيها مدى تكفل المتلفظ المستحضَرِ خطابُه بتلفظه، لكونه قد افتقد الهيمنة عليه، وتعرّض للامّحاء من المشهد التلفظي، الذي ملأه المتكلم كاتب الرسالة بحضوره الطاغي **"المحيط علما بكل شيء".** (2)

- هيمنة المتكلم /الكاتب على التلفظ وتصنيف الرسائل: يقودنا التحليل الذي تقدّم إلى استثمار مفهوم الامّحاء التلفظي كما طبقناه على الرسائل إلى البحث في مسألة تأثير هذه الظاهرة في تصنيف الرسائل، فنطرح السؤال التالي: هل تتيح لنا

(*)- الآيتان 165-166 من سورة الشعراء

(1)-ضمن الرسائل الأدبية، ص151

(2)- الإحاطة علما بكل شيء Omniscience مفهوم مستعار من حقل السرديات، حيث ينعت به السارد عندما تكون زاوية نظره(التبئير) للأحداث والشخصيات في درجة الصفر(يقابله التبئير الداخلي و التبئير الخارجي عند جينيت)، أي يكون قد أحاط علما بكل شيء، وكانت معرفته أكبر من معرفة الشخصيات (ينظر على سبيل المثال:جيرار جينيت و آخ:نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء، المغرب1989، ص115 ومابعدها)

تجليات هذه الظاهرة في الرسائل أن نربط بين درجات تحقّقها في الرسائل وبين التصنيفات التي درج الدارسون على وضعها لنصوصها؟ وما هي الإكراهات الجنسية التي تفرض على المتكلم كاتب الرسائل أن يمارس الامّحاء التلفظي تارة على نفسه، وتارة على المتلفظين الذين يستحضر خطاباتهم في متون رسائله؟ وإلى أيّ مدى يكون هذا التصنيف المبني على معايير تلفظية كفيلا بحسم مسألة تصنيف الرسائل الجاحظية التي لم يتوقف الجدل حولها بين المعاصرين؟

درج دارسو الرسائل على العناية بوضع تصنيفات فرعية للرسائل في إطار اهتمامهم بتجنيسها تجنيسا أكثر دلالة على محتوياتها، وعلى قيمتها الأدبية، فاعتمد بعضهم معيار الموضوع، وبعضهم معيار المقام الترسلي، إلا أن هذه التصنيفات وإن ساعدت القارئ على تلقٍّ أحسن للرسائل من خلال إضافة دلالات توضيحية لعتبة العنوان والفهارس، فهي لم تقدّم الكثير فيما يتصل بالتمييز الدقيق الذي يمكن أن يطمأن إليه في اقتراح تصنيف جديد لهذه الخطابات، ونعني بالجدة هنا التصنيف الذي يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التلفظية لكل رسالة، كهوية المراسَلِين من حيث التحديد وعدمه، والفرق بين النصوص المسماة "كتبا" والمسماة"رسائل"، والرسائل التي يتدخل فيها الناسخ ومدى موثوقية نصوصها، ومسألة تقديم الرسائل باعتبارها نصوصا متجانسة في مؤلف واحد موجه للاستهلاك القرائي... وغير ذلك من القضايا التي تعيد من جديد طرح إشكالات الجنس الرسائلي كجنس يتأبّى على التصنيف، ويداخل أجناسا خطابية كثيرة "أدبية "وغير "أدبية".[1]

(1)-ينظر رأي صالح بن رمضان في المتن، وبسمة عروس في الهامش، في مبحث سابق، ص88

ج)تبـــني الأصوات ودحضـــها

-اللاتجانس الخطابي وأنماط الخطابات المحمولة في متون الرسائل:

يفرّق محلّلو الخطاب بين لاتجانس خطابي صريح مظهر ولاتجانس خطابي تكويني، فيعنُون بالأول حضور خطاب الآخر في خطاب المتكلم عبر آليات لغوية تدل صراحة على مصدره، كالخطاب المروي بأصنافه الثلاثة، والاستشهادات المنصّصة؛ بينما يقصد بالصنف الثاني، الموصوف بالتكويني ذلك الخطاب الذي يداخل بنية الخطاب الأصل للمتكلم، ويكون مضمرا فيه، [1] بحيث نحتاج للتعرف عليه إلى أن نتوسل تشغيل إجراءات تواصلية تأويلية، كالافتراض المسبق، وفحص إحالات التأشيريات والواسمات الأصواتية.

وتمثل هاتان الظاهرتان حالات أصواتية، تتمفصل أحيانا مع الاستراتيجيات الحجاجية التي يعتمدها المتكلم في دحض وجهات النظر المسندة إلى الأصوات الجماعية، أو الاتّكاء عليها لدحض وجهات نظر أخرى.

ويمتاز الخطاب الحجاجي ببروز لافت لظاهرتي اللاتجانس الخطابي، لما تفرضه إكراهات هذا الجنس من تفاعل بين المتكلم ومن يستحضرهم من المخاطبين الشركاء في التلفظ،[2] أومن أصوات تُستدعى في خطابه الخاص الذي يتكفل فيه بالتلفظ، أوفي الخطابات المحمولة للمتلفظين الآخرين من أصوات جماعية، تسند إليها

(1)-ينظر تفصيل ذلك في الفصل الأول ، هامش ص92؛ وفي هذا الفصل، ص244-245

(2)- ينظر تفصيل الإكراهات الجنسية الداخلية و الخارجية للجنس الرسائلي في الفصل الأول، ص104،74، 116

وجهات نظر لها قيمة مرجعية تقوّي الحجاج وتدعمه، كالمشهورات، والأمثال، والأقوال ذات السلطة... وغيرها.

يضاف إلى هذا الإكراه الجنسي إكراه آخر متصل بمقام الترسل الذي يفرض ابتداء حضور المتكلم له (المراسَل) في خطاب الردّ الذي يكتبه المتكلم كاتب الرسالة، ويستحضر فيه بالضرورة خطابا حقيقيا أو افتراضيا يرد عليه، أو يستبق الرد عليه. لذلك تغتني نصوص الرسائل بالتفاعل الخطابي بين ذوات الخطاب التي يضعها الكاتب منشئ الخطاب على الركح.

_الروابط التلفظية والمسؤولية عن وجهات النظر[1]/اختراق المتكلم للصوت الجماعي:

يتباين الموقف التحليلي من وجهات النظر التي تنتج عن تفاعل ذوات الخطاب، وما يتمخض عنه من ظواهر اللاتجانس الخطابي، إذ نكون أحيانا أمام وجهات نظر لا تتحدد فيها بصورة حاسمة مسؤوليات التلفظ وكفالة الملفوظات. فقد يتبنى المتكلم موقف الموافقة على وجهة النظر المسندة إلى الصوت الجماعي المستحضَر، وقد ينأى بنفسه عنها ويظهِر الحياد، وقد يبدي اعتراضه عليها ويدحضها.

ولأجل الوقوف على ذلك نفحص الروابط التلفظية القائمة بين وجهات النظر وذوات الخطاب، لنحدّد مسؤوليات التلفظ ودرجة كفالة الملفوظات. وسنعنى هنا تحديدا بالحالات التي تتميز بضبابية في كفالة الملفوظات، أي بالحالات

(1)-ينظر تفصيل هذين المفهومين في مبحث سابق، ص62، 68

التي يخترق فيها المتكلم ملفوظات الآخرين،[1] ليبني حجاجا ضد الصوت الجماعي، أو معه.

-المتكلم /كاتب الرسائل وكفالة الملفوظات:

لئن كان المرسِل، أي الكاتب ذاتا مكشوفة الهوية، وكان المرسَل إليه، أي القارئ ذوات محجوبة الهوية غالبا، وكان تعيينهما يتم بواسطة ضمائر الجمع (وإن بطريقتين متباينتين أشد التباين) في حالة إقحام القارئ في دحض وجهات النظر، فإن المقصد الإقناعي للخطاب الرسائلي يفرض على كاتب الرسائل أن ينطق باسمه الشخصي تارة، وباسم جماعات مختلفة تارة أخرى، بحسب نمط الرسالة، وموضوعها. وقد ينطق في أحيان أخرى، باسم من يتوجه إليه بالرسالة فرداً أو جماعة، أو للقراء بصورة عامة.

وهذا يعني أنّ كاتب الرسائل يدحض وجهات النظر بهذه الصفات جميعاً، كما يفرض عليه هذا الإكراه الأجناسي المقامي أن يدحض وجهات نظر منسوبة لمختلف المجموعات الإيديولوجية، المذهبية، والعرقية، والدينية في مجتمعه؛ كما يدحض أقوالاً منسوبة إلى أشخاص بأعيانهم. بيد أننا ينبغي أن ننبه إلى أن وجهات النظر المدحوضة أو الداحضة ليست حكراً على ذات أو ذوات معينة، إذ يمكن نسبتها أو عدم نسبتها إلى صوت جماعي.

---

(1)- يصطلح على ذلك في اللغة الفرنسية بـــ:**Intrusion du locuteur**، يعرفه لندكويست**Lundquist** بأنه تسلل المتكلم إلى وجهة نظر الغير، من خلال الموجهات، أي "كل التعابير الدالة على حضور الكاتب في نصه، و التي ينبغي النظر إليها كواسمات للذات المتكلمة(أو الكاتبة)". ينظر:

Roitman. Malin : op.cit, p41

فمن جانب تقتضي الإستراتيجية أن تسند وجهات النظر المدحوضة إلى جماعة ما (كيان جماعي)، لنثبت أن هذه الجماعة مجانبة للصواب، ونرفع الكاتب إلى مقام رائد متبوع في مجتمعه، وهي الحالة التي تكون فيها الجماعة مكوّنة من أفواج متجانسة من حيث عناصرها، (أهل السنة والجماعة، الشيعة، النصارى، اليهود، فئة الكتاب...)؛ ومن جانب آخر، قد يستدعي الموقف أن نسنِد وجهات النظر الداحضة إلى جماعة (المعتزلة، أنصار بني عباس، جمهور العلماء...)، والتي يندمج فيها كاتب الرسائل، ليبيّن لنا أن هذه الجماعة ذات رأي صائب، أو أنها توافق رأي كاتب الرسائل.

في هذه الحالة الثانية قد لا نستطيع أحياناً تمييز الجماعة بدقة، خاصة عندما يتعلق الأمر بجماعة لا نستطيع حسم انتماء الكاتب إليها (الرسائل السياسية، كالمناظرة بين الشيعة والعثمانية)، فنقول بأن هذه الجماعة غير متجانسة، أو أنها غير متمايزة.

ففيما يخص هذه الجماعات غير المتجانسة/غير محسومة الانتماء، تفرض الإكراهات الخطابية للجنس الرسائلي على الكاتب تعيينها أحياناً بضمائر مبهمة " المبني للمجهول، ضمير الغائب غير المحيل إلى متقدّم: لا أحد، أولئك، هؤلاء، إن لم يسمّهم نصاً، كما قد يلجأ إلى صيغ لغوية مبهمة/غير تعيينية مثل: "لا يجب ..." أو إضرابية " حقاً إنه...لكن" أو لمشجّرات الافتراض المسبق.[1] لذلك ننبه إلى أن

(1)- Nølke. Henning ; Fløttum.Kjersti et Norén.Coco: Scapoline, La théorie scandinave de la polyphonie linguistique, p39-40

الأمثلة التي سندرسها، والخاصة بتحويل كفالة التلفظ، يُعيَّن فيها الصوت الجماعي بواسطة الضمائر خاصة، وأحياناً بواسطة الصيغ المبهمة.

سنرى من خلال التحليل اللاحق أن الصوت الجماعي الداحض لا يتطابق دائماً مع صوت إيديولوجي، وأن اختراق المتكلم للصوت الجماعي ينتج آثارا خطابية مؤكدة، إذ عادة ما تتناسب الأصوات الجماعية مع صوت المشهورات/ المواضع. وعندما تسند إلى كاتب الرسائل، فإنه بذلك يتسنّم مقعد الرائد الناطق باسم جماعة إيديولوجية على مستوى الواقع، لكنه عندما ينأى بنفسه عنها، ويدحض وجهة نظر جماعة ما، فإنه يقوّي وجهة نظره الخاصة، وهذا تحديدا ما سنعكف على دراسته وتحليله، من خلال فحص الآثار التي تنجم عن تحويل كفالة الملفوظات على التأويل الأصواتي للملفوظات.

_ دحض دعاوى الصوت الجماعي:

لإسناد وجهة النظر إلى الجماعة ثم القيام بدحضها، ينبغي توسل استراتيجيات حجاجية وحوارية تأخذ في الحسبان الإكراهات الخطابية للجنس الرسائلي، الذي هو—في صورة من صوره- جنس أحادي الصوت Monlogal.[1] تساعد البنية **(ق لكن نفي ك)** مثلا المتكلم نفسه على تقديم وجهة نظر ما، ثم القيام بدحضها.

في المثال الموالي، تُدحَض وجهات النظر المسندة إلى جماعة معينة، وتحديداً إلى أولئك الذين ينتمون إلى الفرقة الإسلامية المعروفة بـــ"أهل السنة والجماعة"

(1)-ينظر عرض المفهوم في مبحث سابق، ص 203

أو"أهل الحديث" كما يسميها خصومها، و"المشبهة "كما يسميها المتكلم/كاتب الرسائل في هذا المقتطف، وفي غيرما موضع من رسائله. نقرأ في هذا المثال:

« وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم قوله عز ذكره: **(وجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)**(*)، ...فهذا ما قال القوم، ونحن نقول: إن الشيء قد يكون في الشيء على وجوه وسنذكر لك الوجوه ونلحق كل واحد منها بشكله وبما يجوز فيه إن شاء الله تعالى.

قلنا للقوم: أليس قد خاطب الله الصُّمّ البكم الذين لا يعقلون والذين خبَّر أنهم لا يستطيعون سمعاً فإن قالوا: إن العرب قد تسمي المتعامي أعمى والمتصامم أصم ويقولون لمن عمل عمل من لا يعقل: لا يعقل وإنما الكلام محمول على كلام، وذلك أن المتعامي إذا تعامى صار في الجهل كالأعمى فلما أشبهه من وجه سمي باسمه.

قلنا: قد صدقتم ولكن ليس الأصل، والمستعمل في تسميتهم بالعمى إنما هو الذي لا ناظر له.

فإذا قالوا ذلك قلنا: فلم زعمتم أن له ناظراً وأخذتم بالمجاز والتشبيه وتركتم الأصل الذي هذا الاسم محمول عليه فإن قالوا: إنما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز على الله تعالى والثاني جائز عليه والله لا يتكلم بكلام إلا ولذلك الكلام وجه، إما أن يكون هو الأصل والمحمول عليه، وإما أن يكون هو الفرع والاشتقاق الذي تسميه العرب مجازاً. فإذا نظرنا في كلام الله وهو عندنا عادل غير جائر وهو جل جلاله يقول: **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُون)**(**) علمنا أنهم لو كانوا منقوصين غير وافرين كانوا قد

(*) الآية22، من سورة الفجر
(**) الآية171من سورة البقرة

كُلِّفوا ما لا يطيقون والمكلِّف لعباده ما لا يطيقون جائر ظالم، فإذا كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين » (1)

فوجهتا النظر **ق وك** " قد صدقتم ولكن ليس الأصل"تسند إلى المعتزلة (ضمير الجماعة يحيل إلى المعتزلة)، بينما تسند وجهة النظر "ع" إلى " الدليل على أنه جسم قوله عز ذكره: **(وجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً)** " للمشبهة، إنهم هم من يردون على المعتزلة ويجادلونهم، فيكون المقتطف الذي بين أيدينا حاملاً لخطابين مستحضرين، في نوع من الحوار الافتراضي بين المعتزلة والمشبهة، فالأسئلة الواردة في المقتطف موجَّهة إلى هؤلاء الآخِرين، وإليهم ينبغي أن تسند الإجابة الافتراضية التي جاءت بعد ذلك وهي " إنما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز على الله تعالى والثاني جائز عليه... ".

فالصيغة الاستفهامية، وما تلاها من أجوبة، وصيغة إدراج الأقوال الصريحة "قالوا، قلنا "تدل على وجود خطابين مستحضرين مسندين إلى ذاتين خطابيتين مختلفتين، تطابقان ذاتين حقيقيتين معروفتين أحال المقتطف إلى إحداهما إحالة صريحة، ودلّ السياق النصي على الأخرى دلالة تكاد تكون يقينية وقاطعة.

توجِّه وجهة النظر ع " **الدليل على أنه جسم...** " المسندة للمشبهة إلى النتيجة **ن** "اعتقاد أهل السنة فيما يتصل بالجسمية صحيح لوجود الدليل اللغوي عليه في القرآن الكريم ". وجهة النظر الاستنتاجية هذه تستعاد بعد ذلك وتُدحَض في (ق لكن ك) " **قد صدقتم ولكن ليس الأصل** " التي توجَّه إلى **لا_ن:**"اعتقاد المشبهة ليس صحيحا لأنهم أوّلوا الدليل اللغوي تأويلا خاطئا"، وهي وجهة النظر

(1) - الرد على المشبهة، ضمن الرسائل الكلامية، ص234-236

التي يتكفل بها الكاتب، ويؤيد هذا الاستنتاج مقارنة تأويل المشبهة بتأويل المعتزلة في ختام المقتطف **"فإذا نظرنا في كلام الله وهو عندنا عادل ..."**

بهذه الطريقة يدحض الكاتب صوتاً جماعياً إيديولوجياً، صوت المشبّهة، وهو ما يدعّم دوره كرائد في المذهب المعتزلي، ضد وجهة النظر القائلة" لا يعتدّ بالمجاز في تناول موضوع الصفات الإلهية "[1] فتكون وجهة نظره مضادة، تمثل حجاجاً لصالح القول بأن" المشبهة يصرّون على آرائهم الخاطئة، رغم ثبوت خطئها بالدليل القاطع"

-دحض الدعاوى بواسطة الصوت الجماعي

في الأمثلة التالية، يتكئ الكاتب على جماعة ما لتقوية حجاجه ودحض وجهات النظر المضادة لقناعاته، وذلك من خلال اختراقه للصوت الجماعي بواسطة صيغة " البناء للمجهول "، ولا يخفى ما في إسناد وجهة النظر إلى جماعة كبيرة ومشهورة من دعم لوجاهتها، وتأكيد لمصداقية الكاتب. تستجيب هذه الإستراتيجية للمقصد الحجاجي للخطاب الرسائلي، خاصة ذلك الخطاب الذي تفرض إكراهاته المقامية التعرض للقضايا السياسية[2]، والكلامية، والاجتماعية، التي تعني عامة الناس.

(1)- كانت وجهة النظر هذه سائدة عند أهل السنة و الجماعة قبل ظهور الأشاعرة، الذين أجمعوا مع المعتزلة على استخدام التأويل كآلية لتفسير النص، و استنباط الأحكام والدلالات منه، لكون ذلك خاصية طبيعية في اللغة التي نزل بها القرآن، و التي يشيع فيها استخدام المجاز بالصورة التي يتعذر معها فهمه دون مراعاة القواعد المتحكمة في الاستعمال اللغوي المتعارف عليه عند العرب. (ينظر: محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص:66 ؛ و نصر حامد أبوزيد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن. ط1. المركز الثقافي العربي . بيروت، الدار البيضاء. 1990، ص 55-57.)

(2)- أجمعت الدراسات التي بحوزتنا، على أن كتابات الجاحظ السياسية سواء كانت تنظيرا أو نقدا تطبيقيا، كانت استجابة مباشرة أو غير مباشرة لرغبة الحكم القائم يومئذ، و هو حكم بني العباس (أنظر شارل بيللا، الجاحظ في البصرة و بغداد وسامراء، ص:365؛ والحاجري، الجاحظ حياته وآثاره، ص 184؛ و علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ ص:56، و أحمد خالد، شخصيات وتيارات، ص: 254).

المثال التالي يتناول قضية تهم فئة مهنية، هي فئة الكتاب التي كان الجاحظ يقف منها موقف المناوئ المتحدّي:

«...وحدّثني عُمر بن سيف أنه حضر مجلس أبي عبّاد ثابت بن يحيى يوماً في مترله وعنده جماعة من الكتاب، فذكر ما هم عليه من ملائم الأخلاق ومدانس الأفعال .قال: ووصف تقاطعهم عند الاحتياج... فقال: معاشر الكتاب ما أعلم أهل صناعة أملأ لقلوب العامَّة منكم، ولا النِّعَمَ على قومٍ أظهرَ منها عليكم.

ثم إنَّكم في غاية التقاطع عند الاحتياج وفي ذروة الزُّهد في التعاطف عند الاختلال.

وإنَّه ليبلغني أنَّ رجلاً من القصّابين يكون في سُوقه، فيتلف ما في يديه فيخلِّي له القصَّابون سُوقهم يوماً، ويجعلون له أرباحهم، فيكون بربحها منفرداً وبالبيع مُفردا، فيسدُّون بذلك خلَّته ويجبرون منه كسره.

وإنكم لتناكرون عند الاجتماع والتعارف تناكر الضباب والسَّلاحف، ثم مع استحواذكم على صناعتكم وقلة ملابسة أهل الصناعات لها معكم، لم أر صناعة من الصناعات إلاّ وقد يجمع أهلها غيرها إليها، فيعانوها جميعاً ويترلون لضربٍ من التجارات معاً، إلاّ صناعتكم هذه فإنَّ المتعاطي لها منكم والمتسمِّي بها من نظرائكم لا **يليق به ملابسةُ سواها ولا ينساغ له التَّشاغل بغيرها.**

ثم كأنكم **أولاد علاَّتٍ(*)وضرائر أُمهات في عداوة بعضكم بعضا وحنق بعضكم على بعض.** أُفٍّ لكم ولأخلاقكم!» [1]

(*)- علاّت: ضرائر، بنو علاّت: بنو رجل واحد و أمهات شتى(لسان العرب، مادة:علل- العلة)

(1)- رسالة في ذم الكتاب، ضمن الرسائل السياسية، ص612

يحمل هذا المقتطف نقداً لاكتفاء الكتاب بممارسة مهنة الكتابة دون غيرها من المهن،، فالكاتب يدحض وجهة النظر التي بموجبها " يقتصر الكتاب على ممارسة مهنة الكتابة وحدها...". يمشهد الكاتب صوتاً جماعياً " **لا يليق به ملابسةُ سواها(الكتابة) ولا ينساغ له التَّشاغل بغيرها**" من أجل القيام بدحض وجهة النظر السابقة، بعد أن يندمج في الصوت الجماعي الذي يُسنِد إليه الملفوظَ الدحضي.

فاختراق الكاتب للصوت الجماعي، مضافاً إليه استعمال اللفظ التقديري السلبي (لا يليق) يمثلان إستراتيجيتين تكسبان الدحض قوة ومصداقية أكبر، نؤوّل " المجهول " هنا بأنه يحيل إلى الجماعة التي يمكن أن ينضم إليها القارئ أيضا، ذلك أن الكاتب يدحض باسم صوت جماعي يمثل سلطة الخبير.

وفيما يلي مثال آخر:

« *فكل ذلك* ***يراد به*** *أنَّ الفضل قليل والنقص قليل لا على نسب ما يتلقاه الاجتماع من هذه الأعداد لأنَّا قد نجد الرجل يُوزَن بالأمة ونجد الأمة لا تساوي قلامة ظفر الرجل، فإذا كان من تقع عليه الشَّريطة معدوماً - سيّما من يوثق بحلمه وعقله وأمانته ونصحه، ومن لا ضرر عليه ولا نفع له في السر الذي يضمر ولا يحرَّم عليه كتمانه، ومن قد وأى على نفسه بالسِّرِّ والحفظ، فإنه ليس كلُّ من ضمِّن فلم يضمن ضامناً، ولا من استودع فلم يقبل مستحفظاً، ولا من استخلف فلم يخلف خائناً، وإنما يلحقه الحمد والذم والأجر والإثم إذا ضمن الأمانة ثم خَتَرها (*)- فكأن القوم قالوا: لا تودعنّ سرّك أحداً.*

(*)- ختر: غدر وخدع، وهنا "خان"(لسان العرب- مادة"ختر")

وإلا فمتى تجد رجلاً فيه الصفة التي وصف بها مسكينٌ الدارمى نفسه حيث يقول:

إني امرؤ منّي الحياءُ الذي ترى أنوءُ بأخلاقٍ قليلٌ خداعُها

أواخي رجالاً لست أُطلِع بعضَهم على سرِّ بعضٍ غير أنّي جماعُها

يظُلّون شتّى في البلاد وسرُّهم إلى صخرةٍ أعيا الرّجال انصداعُها

وقيل لرجلٍ: كيف كتمانك للسر قال: أجعل قلبي له قبراً أدفنه فيه إلى يوم النشور.

وقال الآخر:

وأكتم السِّرَّ فيه ضربة العنق

وهذه صفاتٌ موجودةٌ بالأقوال معدومة بالأفعال. » [1]

فالمجهول في هذا الخطاب المستحضر "...كل ذلك **يراد به** أنَّ الفضل قليل والنقص قليل..." يحيل إلى " جماعة من الحكماء "، وهي صوت قام الكاتب بإنشائه بصورة كاملة، فحسب تقديره يُجْمِع أهل الحكمة والنظر على "أن " الفضل قليل والنقص قليل..."، فهذا الخطاب المستحضر ليس وجهة نظر حقيقية مسندة إلى أشخاص بأعيانهم، بل هو أقرب إلى تأويلٍ يقدّمه الكاتب لما يمكن أن تفكر به هذه الجماعة. فالكاتب يُمَشْهد إذاً صوتاً جماعياً يمكِنه هو ذاته أن يندمج فيه. والذي قام به هنا هو اختراق صوت جماعي، نتج عنه تحويل لكفالة التلفظ، من المتكلم نحو الصوت الجماعي، وقد ساعده على ذلك استعمال الموَّجهات:سيما، وكأن القوم، والجملة الجهية التقديرية:"**وهذه صفاتٌ موجودةٌ بالأقوال معدومة بالأفعال**".

(1)- كتمان السر وحفظ اللسان، ضمن الرسائل الأدبية، ص96

نستخلص مما تقدم أن عرض وجهة النظر هذه في صورة خطاب مستحضر مسند إلى جماعة يقوّي الحجاج الذي قام به الكاتب.[1] فلا شك أن الكثير من الناس يعتقدون بتعذر وجود الشخص المؤتمن الكامل، لكن مشهدة هذا الصوت لا يمثل سوى استراتيجية في الحجاج، ليست بطبيعة الحال مشهدة لوجهة نظر محكية وحقيقية، لذلك يحاول الكاتب أن يوثق بالعبارة المحاكية " **لا تودعن سرك أحداً** ".

(1)- يراجع ما يتعلق بأصواتية الخطاب المستحضر في المبحث الخاص به ضمن هذا الفصل، ص246 وما بعدها

د)استحضار خطاب الآخر

رغم أن كاتب الرسائل ينسب إلى نفسه صفة "الإحاطة علما بالموضوع"، فإنه يظل بحاجة إلى سلطات أخرى، ليصل إلى إقناع قرائه بوجهة نظره، وهذا ما يتطابق مع استراتيجية البلاغة التقليدية، وقد عكف ديكروO.Ducrot على استعادة هذه الاستراتيجية في إطار نظريته الأصواتية.[1] ولما كان جريد الموضوعات في الرسائل يتعلق بالميادين السياسية والكلامية والشخصية، فإن السلطة التي سيتكئ عليها الكاتب في حجاجه، والممثلة في ذات خطابية/حقيقية يفترض بطبيعة الحال أن تنتمي إلى أحد هذه الميادين.

-الحجاج المستند إلى مرجعيات ذات سلطة [2]:يكثر الاعتماد في الرسائل على الاستدلال المستند إلى المرجعيات ذات السلطة، متمثلا في تقديم وجهة نظر ذات خطابية أخرى، ينضم إليها كاتب الرسائل، فالإكراهات المقامية لخطاب الرسائل تقتضي حضور عدد من المرجعيات ذات السلطة في النص، لأن الكاتب حين يستحضر خطاباتها، يكون بصدد دعم حجاجه وتقويته، فـــ« يتبوأ المرسل (المتكلم) بخطابه

(1)- ينظر تفصيل ذلك في كتابه سابقا :

Le dire et le dit, chapitre intitulé : L'argumentation par autorité, p249-170

(2)-يترجم المصطلح الأجنبي **Argument d'autorité** عادة بحجة السلطة، و هي عبارة ملتبسة، اقترحنا بديلا لها "حجة ذات سلطة مرجعية".تعرّف السلطة في منظور تحليل الخطاب، و في ميدان الحجاج تحديدا بأنها قبول وجهة نظر أو معلومة على أساس السلطة "إن كان معترفا بها لا على أساس مطابقة الملفوظ للأشياء ذاتها" . و تتجلى السلطة خطابيا في الخطاب المستحضر خاصة قي صورتين ؛صورة السلطة المظهَرة من خلال "الشفرات السيميولوجية المتنوعة(تعبيرية، سلوكية/ لباسية)"...و صورة السلطة المستشهد بها -و هي التي تعنينيا هنا-و "عملها تقوية خطاب يقوله متكلم مك1 لإضفاء مشروعية، أمام مخاطب مك2، على قول أو طريقة عمل بإرجاعهما إلى مصدر يعتبر كفيلا بإضفاء تلك المشروعية. و يمكن أن يكون هذا المصدر موضوع إحالة ظاهرة ...و يمكن للمتكلم أن يكتفي بمجرد تلميح إلى خطاب سائد مشهور أو متسم بخبرة " ينظر للتفصيل: ب .شارودوود، د. مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص86-87

مكانا علِيًّا، ويستمد ذلك من سلطة الخطاب المنقول على لسانه فقط. وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه. »[1]

نعرض في البداية ملفوظا منفيا يظهر فيه الشخص الثالث (الغائب)_من خلال مشهدة المتكلم له _محيلا إلى متلفظ معين. وهذا النوع من الخطاب المستحضر هو الشائع في خطاب الرسائل، وهو خطاب مفصول حجاجيا عن صوت المتكلم، في أغلب الأحيان، يخضع الشخص الثالث فيه إلى اختراق المتكلم لصوته.

قبل أن نتناول أمثلة حجاج المرجعيات ذات السلطة التي تتميز بتوافق صوت المتكلم مع الشخص الثالث، ننبه إلى أن هناك بعض الحالات الاستثنائية التي ينأى فيها المتكلم بنفسه صراحة عن التوافق مع وجهة نظر الشخص الثالث/المتلفظ، المعبَّر عنها في الخطاب المستحضر. مثال ذلك فيما يلي:

« *وقد كان إبراهيم بن سيار النظام(*)يجيب بجواب وأنا أذكره إن شاء الله، وعليه كانت علماء المعتزلة، **ولا أراه مقنعاً ولا شافياً**، وذلك أنه كان يجعل الخليل مثل الحبيب مثل الولي...*

*قالوا: **ولما كانت كلها عنده سواء جاز أن يسمّي عبداً له ولداً لمكان التربية التي ليست بحضانة...** لأن إنساناً لو رَحِم جروَ كلب فرّباه لم يَجُز أن يسمّيه ولداً ويسمي نفسه أباً، ولو التقط صبياً فرّباه جاز أن يسميه ولداً ويسمّي نفسه له أباً لأنه شبيهُ ولدِه وقد يولد لمثلِه مثلُه، وليس بين الكلاب والبشر أرحام فإذا كان شبه الإنسان*

(1)- الشهري.عبد الهادي بن ظافر:استرتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص537

(*)-إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام البصري أستاذ الجاحظ في الاعتزال، وأحد أشهر أعلام المعتزلة، وُلد سنة 185هـ في البصرة، تتلمذ على يد أبي هذيل العلاف في الاعتزال، ثم انفرد عنه وكوّن له مذهباً خاصاً (النظامية)، توفي وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره سنة 221

قلنا لإبراهيم النظام عند جوابه هذا وقياسه...: أرأيت كلباً ألف كلاّبه وجامى وأحمى دونه، هل يجوز أن يتخذه بذلك كله خليلاً مع بعد التشابه والتناسب، فإذا قال: لا .

قلنا: فالعبد الصالح أبعد شبهاً من الله من ذلك الكلب المحسن إلى كلاّبه، فكيف جاز في قياسك أن يكون الله خليل من لا يشاكله لمكان إحسانه؟ ولا يجوز للكلاّب أن يسمي كلبه خليلاً أو ولداً لمكان حسن تربيته له وتأديبه إياه ...

والعبد الصالح لا يشبه الله في وجه من الوجوه، والكلب قد يشبه كلاّبه لوجوه كثيرة...

فلو قلتم: فما الجواب الذي أجبت فيه... قلنا: إن إبراهيم صلوات الله عليه وإن كان خليلاً فلم يكن خليله بخُلّة كانت بينه وبين الله تعالى، لأن الخُلّة والإخاء... وأشباه ذلك منفية عن الله تعالى...ويجوز أن يكون إبراهيم خليلاً بالخَلَّة التي أدخلها الله على نفسه وماله...

وذلك أن إبراهيم عليه السلام اختل في الله تعالى اختلالاً لم يختلِله أحد قبله، لقذفهم إياه في النار وذبحه ابنه و...فصار لهذه الشدائد مختلاً في الله وخليلاً في الله، **والخليل والمختل سواء في كلام العرب.**(*)

والدليل على أن يكون الخليل من الخَلّة كما يكون من الخُلّة، قول زهير بن أبي سلمى وهو يمدح هرماً:

وإنْ أتاه خليلٌ يوم مسْبغةٍ يقول لا عاجزٌ مالي ولا حَرِمُ

(*)- ينبه **نصر حامد أبوزيد** إلى خطورة المسلك الذي يستبعد اللغة في تفسير القرآن الكريم، بتجريدها من القابلية للتأويل، على النحو الذي أشار إليه الجاحظ، مشيرا إلى أن " أي حديث عن الكلام الإلهي خارج اللغة من شأنه أن يجذبنا شئنا ذلك أم أبينا إلى دائرة الخرافة والأسطورة "(النص، السلطة، الحقيقة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 1995، ص92)

... وهو لا يمدحه بأن خليله وصديقه يكون فقيراً سائلاً يأتي يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والعطية وإنما الخليل في هذا الموضع من الخَلّة والاختلال لا من الخُلّة والخِلال» (1)

إن عدم تطابق وجهة نظر الكاتب مع الخطاب المستحضر للنظّام:" **ولما كانت كلها عنده سواء جاز أن يسمّي عبداً له ولداً لمكان التربية التي ليست بحضانة...** "تجلّيه الموَّجهات التقديرية المحيطة بالاستشهاد، فكلام النظام يقدّر سلبيا، وتخفّض قيمته من طرف الكاتب الذي يعلّق على "**...جاز أن يسمّي عبداً له ولداً ...**" بقوله في العبارة الجهية:" **لا أراه مقنعاً ولا شافياً**" وكذلك عندما يستعيد الكاتب في الملفوظ المنفي قول النظّام المستشهد به ويقلبه رأسا على عقب: " **العبد الصالح لا يشبه الله في وجه من الوجوه ...**"حيث يستنفر النفي وجهة النظر المثبتة المدحوضة المسندة إلى النظّام، والقائلة بمجازية البنوة، وهي نوع من التشبيه (*)في نظر الجاحظ.

يقوّي الحجاج المضاد في وجهات النظر التي يتبنّى الكاتب مسؤوليتها والتي تشكّل وجهة نظر تفاعلية دحضية، واسمات أصواتية متعددة، مثل: الروابط التضادية "لما"، "ليس"، "لو"، "إنما"، والموَّجهات، مثل الفعل الجهي"جاز" واسم التفضيل"أبعد شبها". وزيادة على ذلك يستحضر الكاتب خطابا مرجعيا ذا سلطة، هو الشاهد الشعري لحسم مسألة الدلالة اللغوية للّفظ المختلف فيه، ومن هنا نؤوّل هذا الملفوظ كحجاج مضاد،، فالكاتب يقول: "إنه لمن الخطأ الشنيع أن نقول بمجازية البنوة لله".

(1)- الرد على النصارى، ضمن الرسائل الكلامية ص275-277

(*) - **التشبيه** مصطلح كلامي، ضده التنزيه عند المعتزلة

فأصواتية النفي في هذا المقتطف تقوم على فكرة دحض انطباق التأويل الدلالي للنظام على عبارة"خليل الله"، وهكذا يناقض الكاتب صوت المرجعية ذات السلطة، ممثلا في النظّام أستاذه، أشهر أعلام المعتزلة. (1)

وخلافا لما تقدّم يمثل حجاج المرجعية ذات السلطة القائم على التوافق بين وجهتي نظر خطابيتين؛ وجهة نظر المرجعية ذات السلطة ووجهة نظر الكاتب، حالة من حالات ضبابية كفالة الملفوظات تنشأ عن استخدام الإثبات في تقديم رأي الشخص الثالث /المرجعية ذات السلطة. لذلك يفضل الكاتب عندما يلجأ إلى هذا النوع من حجاج المرجعية ذات السلطة، دعم استراتيجيته الحجاجية بواسطة النفي الأصواتي.

المثال التالي يوضح ذلك. يتعلق هذا المثال بـــتشريح صفة الحسد

« *وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:* " ***ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجدت له عليها حاسداً***، *ولو أن امرأً كان أقوم من القدْح لوجدت له غامزاً* "، *وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:* ***الحاسد لا يملك إلا عنان حسده لأنه مغلوبٌ على نفسه...***، *وإنما حمل اليهود على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم - وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أنه نبيٌّ صادق، ورسول محِقٌّ يقرءون بعثه في توراتهم، ويتدارسونه في بيت مدْراسهم – الحسد، وحجز بين علمائهم والإيمان به، ثم نتج لهم الحسد عداوته، ومن الدليل على أن الحسد آلم وآذى وأوجع وأوضع من العداوة، أنه مُغرىً بفعل الله عزّ*

(1)-يخالف الجاحظ المعتزلة في الكثير من القضايا، كقوله بأن المعرفة طباع لا اضطرار، وقوله بالنظم لا بالصرفة في قضية اعجاز القرآن الكريم بعد أن كان يتبع النظام في القول بالصرفة.و لا أدل على هذه المخالفة من وجود فرقة معتزلية تنسب إليه، هي الفرقة المسماة بالجاحظية(تنظر كتب الفرق:الفرق بين الفرق، للبغدادي؛ الملل والنحل، للشهرستاني؛ الفصل بين الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي؛ مقالات الإسلاميين، للأشعري ، وغيرها.)

وجلّ، والعداوة عارية من ذلك لا تتصل إذا اتصلت إلا بأفعال العباد، ولا يُعادى على فعل الله تباركت أسماؤه.

ألا ترى أنك لم تسمع أحداً عادى أحداً لأنه حسن الصورة جميل المحاسن فصيح اللسان حسن البيان؟

وقد رأيت حاسد هذه الطبقة وسمعت به، وهم كثير تعرفهم بالخبر والمشاهدة. فهذا دليلٌ على أن الحسد **لا يكون إلا عن فساد الطبع واعوجاج التركيب واضطراب السَّوس.**

والحسد أخو الكذب يجريان في مضمار واحد، **فهما أليفان لا يفترقان وضجيعان لا يتباينان**، والعداوة قد تخلو من الكذب، ألا ترى أن أولياء الله قد عادوا أعداء الله إذ لم يستحلُّوا أن يكذبوا عليهم؟ **والحسد لا يبرأ من البُهت**، وكيف يبرأ منه وهو عموده الذي عليه يعتمد وأساسه به البناء يُعقد؟ وأنشد:

كضرائر الحسْناء قُلن لوجهها كذباً وزوراً إنه لدميمُ

والحسد نارٌ وقودُه الرُّوح لا تبوخ أبداً أو يَفْنى الوقود، والحسد لا يبلى المحسود أو الحاسد، والعداوة جمر يُوقده الغضب ويطفئه الرِّضا فهو مؤمَّل الرُّجوع مرجو الإنابة، والحسد جوهرٌ والعداوة اكتساب.وقال بعضهم: الحسد أنثى لأنه ذليل والعداوة ذكرٌ فحْل لأنها عزيزة.

والحسد وإن كان موكلا بالأدنى فالأدنى فإنه **لم يَعْرَ منه الأبعد فالأبعد** » [1]

(1)- رسالة فصل ما بين العداوة و الحسد، ضمن الرسائل الأدبية، ص372-374

يسند الملفوظ المنفي إلى الشخص الثالث /المتلفظ المعيّن "عمر بن الخطاب (ض)"، ثم إلى "عمر بن عبد العزيز(ض)"، ويتم اختراق المتكلم لوجهة نظر الشخص الثالث من خلال التوليفة التفاعلية بين السؤال البلاغي وملفوظ النفي، والسؤال البلاغي اللاحق لصوت الشخص الثالث يستعيد موضوع الرسالة"الحاسد والمحسود" ويضعه موضع تساؤل:" **ألا ترى أنك لم تسمع أحداً عادى أحداً لأنه حسن الصورة جميل المحاسن فصيح اللسان حسن البيان؟**"وكما رأينا سابقا، فالإجابة على سؤال بلاغي لا تطرح إشكالا، بما أنه ليس في الحقيقة سؤالا، بقدر ما هو طريقة يتبعها المتكلم في إثبات شيء أو نفيه.[1]

وتؤكد العبارة التقديرية السلبية:" **لا ترى**"، ثم" **لم تسمع أحداً** "بصورة خاصة الطابع البلاغي لهذا السؤال. وفي هذا الحوار الافتراضي بين المتكلم الكاتب وشخصيتي عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، يتوافق الجواب الضمني على السؤال البلاغي: "فعلا، إنني لم أسمع ..."مع النفي الصريح للشخصيتين المتضمن في قولهما:" **ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجدت له...**" و" **الحاسد لا يملك إلا عنان حسده** "،بين هذين الصوتين من جهة، وصوت الكاتب، وهو ما نتج عن دمج وقع على مستوى كفالة الملفوظ. وبإثبات وجهة نظر المرجعية ذات السلطة في سياق معارضة القائلين بأن الحسد أهون من العداوة، يكون الكاتب قد دعم حجاجه وجعله أكثر قوة.

(1)- ينظر مبحث الاستفهام و السؤال البلاغي ضمن الفصل الثاني، ص147 وما بعدها

وزيادة على ذلك فقد تضمّن المقتطف في موضع آخر إشارة إلى معارضة الكثير من الأصوات ذات السلطة المرجعية، لهذا الرأي المهوّن من خطر الحسد، كالصوت الشعري، وصوت الحكمة الشعبية، متجليا في الحكم والأمثال[1] التي ساقها:" الحسد نارٌ وقوده الرُّوح " و"الحسد أنثى لأنه ذليل "، فالمجهول معبَّرا عنه هنا بـــ"قال بعضهم" فيه إحالة إلى الصوت الجماعي، وتحديدا صوت الصفوة من الحكماء.

في المقتطف التالي والذي يعالج مسألة الإمامة،[2] تتمثل المرجعية ذات السلطة في آراء الفرق الدينية:

« *وأن الناس إنْ تُرِكوا أن* ***يقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك*** *ولم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين ولا كافرين فإن أقاموه كان ذلك رأياً رأوه وغير مضيق عليهم تركه.*

ولهم أن ***يقيموا اثنين وجائز لهم أن يقيموا أكثر من ذلك*** *ولا بأس أن يكونوا عجما وموالي* ***ولكن لابد من حاكم واحداً كان أو أكثر على حال.***

ولا يجوز أن يكون الرجل حاكماً على نفسه وقائماً عليها بالحدود.

ولم يقل أحد البتة أن من الحكم والحاكم بدّاً، ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم.

وقالوا: وأيّ ذلك كان إقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك، فعلى الناس الكف عن محارمهم وترك التباغي فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنوبهم من عدو

(1)-ينظر لأجل التوسع في أصواتية الأمثال مبحث سابق، ص252 وما بعدها

(2)-اهتم الجاحظ بموضوع الإمامة لدواع مذهبية و سياسية، وألف فيها عددا من الرسائل(ينظر: علي بوملحم: المناحي الفلسفية عند الجاحظ، ص225 وما بعدها)

يدهمهم من غيرهم، أو خارب يخيف سبلهم من أهل دعوتهم، وعليهم فيما شجر بينهم إعطاء النَّصَفَة من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره.» (1)

إن مشهدة "جواز تعدد الأئمة"هي مشهدة تقوم بها مرجعية ذات سلطة تتبنى وجهة النظر القائلة:" **لم يقل أحد البتة أن من الحكم والحاكم بداً ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم**" فالتمهيد الذي سبق الملفوظ الأصواتي " أن الناس إن تركوا أن **يقيموا إماماً واحداً** "يحيل إلى "ضرورة إقامة الإمام ". وهذا يحيل بدوره إلى رأي المرجعية ذات السلطة التي تركز على وجوب نصب الإمام دون اشتراط أن يكون واحدا.

هناك تبعا لذلك مشهورتان(2) في حالة تضاد، قام المتكلم الكاتب بمشهدتهما من خلال النفي الأصواتي؛ الأولى ثاوية:"لابد أن ينصب الإمام، وأن يكون واحدا" والثانية صريحة تنفي الأولى، ويتحقق اختراق المتكلم للشخص الثالث، المستحضر افتراضيا في النص من خلال" وأي ذلك كان إقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك فعلى الناس الكف عن..."الموضوعة في حالة تضاد مع " لابد أن ينصب الإمام، وأن يكون واحدا "وكذلك بواسطة الموَّجهات "**غير مضيق عليهم**"و" **لهم أن** "و" **لابد** "و" **لا يجوز** "و" **البتة** ". وبذلك لا يُسْنَد دحض وجهة النظر الثاوية إلى المرجعية(المحال إليها بـــ"قالوا")، أي "أصحاب الرأي الفقهي القائل بتعدد الأئمة "فقط، بل أيضا وبكل تأكيد إلى المتكلم الكاتب، الذي تحققت كفالته للملفوظ

(1)- كتاب استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية، ص187

(2)- يراجع مفهوم المشهورة Doxa في المبحث الخاص به ضمن هذا الفصل، ص250

عبر اختراقه له، بواسطة الموَّجهات المختلفة، ومنها الفعل الجهي الإلزامي [1] (جاز، لا يجوز) التي تفترض مسبقا أن محتوى الملفوظ المنفي القضوي صحيح بالنسبة للمتكلم، فالتضاد الدلالي بين الفعلين(جاز، لا يجوز) مستعاد أيضا في الملفوظ المنفي، والصوت الجماعي "لابد من إمام واحد "يسند إلى المشهورة المدحوضة القائلة: "الإمام الواحد يعصم من الفتنة والتصارع على السلطة"

في المثال التالي سنلاحظ تداخلا بين الشخص الثالث والمتكلم، وعلى مستوى الواقع بين المتلفظ بعينه والكاتب. يُسنَد إلى الشخص الثالث / المتلفظ المعيّن الخطاب المستحضر التالي: « *وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنَّى، فممّا يعرف من غنائه:*

أمَّا صاحبيَّ نزُرْ سعادا لقرب مزارها ودعا البعادا

وله:

عاود القلب سعادا فقلا الطَّرف السُّهادا

ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسوّاً نغماً: فما كان منه صدقاً فحسنٌ وما كان منه كذباً فقبيح.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " الشعر كلامٌ فحسنه حسنٌ وقبيحه قبيح "، ولا نرى وزن الشعر أزال الكلام عن جهته، فقد يوجد ولا يضرُّه ذلك، ولا يزيل مترلته من الحكمة. فإذا **وجب أنّ الكلام غير محرَّم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريماً لعلّة من العلل، وإنّ الترجيع له أيضاً لا يخرج إلى حرام.**

(1)- الإلزامي ترجمة لـــ (Déontique). ينظر: **المبخوت. شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات و الأسوار و الروابط**، ص20

وإنّ وزن الشعر من جنس وزن الغناء وكتاب الموسيقي، وهو من كتاب حدّ النُّفوس تحدُّه الألسن بحدَّ مقْنع، وقد يعرف بالهاجس كما يعرف بالإحصاء والوزن.فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنّة نبيِّه عليه السلام.» (2)

فالملفوظان الداحضان هنا، السابق واللاحق للخطاب المستحضر، ليسا سوى جملتين محاكيتين له، فالعبارة " الشعر كلامٌ فحسنه حسنٌ وقبيحه قبيح "تعاد صياغتها في: " فإذا **وجب أنّ الكلام غير محرَّم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريماً لعلّة من العلل، وإنّ الترجيع له أيضاً لا يخرج إلى حرام،** " وقبلها في: " ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسوّاً نغماً: فما كان منه صدقاً فحسنٌ وما كان منه كذباً فقبيح". واللافت للانتباه أن الملفوظين الأخيرين يتكفل بهما المتكلم، كما تدلنا عبارة " فإذا **وجب أنّ الكلام غير محرَّم** "بوضوح أن الأمر يتعلق بجملة محاكية Paraphrase(3) لهذا الصوت مسندةً إلى الكاتب، غير أن النفي في الملفوظ المحاكي ليس فقط إعادة صياغة للملفوظ الإثباتي السابق، الخطاب المستحضر لسيدنا عمر بن الخطاب (ض)، ولكنه زيادة على ذلك تثمين للصوت المستشهد به من خلال الألفاظ والعبارات الجهية: " **لا نرى... بأساً** "و" **وجب** "و" **لا يوجبان** "و" **فلا وجه لتحريمه ولا أصل** "وبذلك يكون النفي الجدلي مدعوما بموَّجهات أكثر ذاتية، إذ ساهمت الموَّجهات الذاتية المشار إليها، في تقوية الجدال المثار بواسطة

(2)- كتاب القيان، ضمن الرسائل الكلامية ص73-74

(3)-الجملة المحاكية Paraphrase يعرفها **ج.ديبوا و آخ** بما نصه:"نقول عن الملفوظ (أ) أنه جملة محاكية للملفوظ (ب)، إذا كان(أ) إعادة صياغة لـــ (ب)، مع كونه أكبر منه و أكثر تصريحا. و عليه يمكننا القول إن الجملة المبنية للمحهول هي جملة محاكية للجملة المبينية للمعلوم..."ينظر:

Dubois. Jean & autres:op.cit ,p343

الخطاب المستحضر، ولو عُدْنا إلى الخطاب الممهّد للاستشهاد، وهو خبر سِيَري مروي معلقا عليه: " كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنَّى... ولا نرى بالغناء بأساً إذا كان أصله شعراً مكسوّاً نغماً ..." لتبيّن لنا أن المتكلم توافق مع صوت سيدنا عمر بن الخطاب (ض) " الشعر كلامٌ فحسنه حسنٌ وقبيحه قبيح ". لقد قام اختراق الكاتب المتكلم لصوت سيدنا عمر أولا على تمهيد تثميني للشاهد، ثم على استعادة وجهة النظر المنفية الثاوية فيه.

هـــ)إقحام القارئ في النص

يفرض المقصد الإقناعي على كاتب الرسائل أن يقحم قارئه(قراءه) في حجاجه، بطريقة تؤدي إلى إلزامه بدور معيّن (للتحول فيما بعد إلى إقناعه)، وسبيله إلى ذلك هو التحاور معه. ولما كان الجنس الرسائلي بما يخضع له من إكراهات يفرض حضور ضمائر الخطاب (أنت، أنتم)كما هو الحال في الحوار العادي، حيث يتناول المتكلمون كلهم الكلمة حسب الدور، فإن كاتب الرسائل يستطيع أن يتوجّه بالخطاب مباشرة إلى قارئه الخاص. لذلك يقع عليه عبء البحث عن استراتيجيات حجاجية مناسبة للإكراهات المقامية التي يخضع لها هذا الجنس من الخطابات.

وهو حين يفعل ذلك يعطي الانطباع أن قارئه يشاركه ممارسة الحجاج، وأهم ما يعتمد عليه كاتب الرسائل في تجسيد ذلك التفاعل وتنفيذه إجرائيا، هو السؤال والجواب. ومن ثم يكون السؤال البلاغي، بما يحمله من صيغة استفهامية، الأقدر من بين الأساليب على إقحام القارئ في الحجاج من دون إخلال بالإكراهات الخطابية للجنس الرسائلي.[1]

تقوم الاستراتيجية الحجاجية للسؤال البلاغي المنفي خاصة على تقديم وجهتَي نظر (أو ثلاث على الأرجح) من خلال الاستثارة/الاستشهاد، ثم دحض إحداها.[2]ولا يعدو الأمر أن يكون هنا حوارا افتراضيا يديره الكاتب مع قرائه، على

(1)- يستخدم الأمر كذلك، لكن الأمر لا يستتبعه استحضار لصوت القارئ(وجهة نظره)

(2)- يراجع تفصيل الاشتغال الأصواتي للسؤال البلاغي في مبحث الاستفهام ضمن هذا الفصل، ص153 وما بعدها

نحو يؤدي إلى اقتران الحوارية مع الأصواتية في المقاطع المعنية المقتطفة من الخطاب الرسائلي.

وفي هذا المبحث سنتناول السؤال البلاغي باعتباره صنفا من أصناف تحويل كفالة التلفظ، ومشهدة المتلفظ له على مستوى النص من خلال استعمالات معينة للضميرين "نحن" وصيغة البناء للمجهول. ولما كانت الحدود غير واضحة بين الصوت الجماعي والمتلفظ له أحيانا، فسنقتصر هنا على تتّبع الحالات التي يدمج فيها المتكلم المتلفظ له والصوت الجماعي كليهما في وجهة النظر المنفية، في الأمثلة التي سنعكف على دراستها.

إن ما يميز إقحام المتلفظ له عن إقحام الصوت الجماعي في الخطاب هو الطريقة المباشرة في توجيه الكلام إلى المتلفظ له، عبر السؤال، كما يحدث في الحوار الحقيقي، في الحالات العادية، يؤسس الاستفهام لحضور المتلفظ له على مستوى النص، فنقول إن النص يمكن أن يكون حواريا، دون أن يكون تحاوريا،[1] أو إنه يكون أصواتيا بالمفهوم الذي يعطيه إياه ديكرو(O.Ducrot)، أي أنه يحتفظ بالمتكلم الواحد نفسه، مع تضمّنه لسمات الحوار (الأسئلة، التوجه إلى شخص آخر).[2] هذا هو التصور الذي نتبناه لحضور المتكلم له(القارئ) في النص، عبر الأسئلة البلاغية، غير أننا ننبه إلى أن المتكلم يسند إلى الصوت الجماعي وجهات النظر المتضمنة في الأسئلة، مادام يستخدم الضمير "نحن"وصيغة المبني للمجهول.

(1)- سبق التفريق بين الحواري و التحاوري . ينظر ذلك في ص 203، ضمن الفصل الثالث

(2)- ينظر تفصيل ذلك في مبحث سابق، ص149 وما بعدها، ضمن الفصل الثاني

للتطبيق على ما تقدم نتناول المثال التالي المقتطف من رسالة"الردّ على النصارى"حيث يتعلق الجدل المُمَشهد في السؤال البلاغي، بدحض وجهة النظر القائلة "إن عيسى (ع)ابن الله":

« *ولو أننا جوّزنا ما في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف، كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكاثرين، وأسوأ حالاً من المنقطعين، وكنا قد أعطيناكم أكثر مما سألتم وجُزْنا بكم فوق أمنيتكم.*

ولو كنا إذا قلنا: عيسى روح الله وكلمته وجب علينا في لغتنا أن يجعله الله ولداً ونجعله مع الله تعالى إلهاً، ونقول: إن روحاً كانت في الله فانفصلت منه إلى بدن عيسى وبطن مريم.

فكنا إذا قلنا: إن الله سمى جبريل روح الله وروح القدس، وجب علينا أن نقول فيه ما يقولون في عيسى.

وقد علمتم أن ذلك ليس من ديننا، ولا يجوز ذلك بوجه من الوجوه عندنا، **فكيف نظهر للناس قولاً لا نقوله وديناً لا نرتضيه؟**

ولو كان قوله جل ذكره: **(** فَنَفَخْنَا فِيه مِن رُّوحِنَا **)**(*)يوجب نفخاً كنفخ *الزِّق، أو كنفخ الصائغ في المنفاخ، وأن بعض الروح التي كانت فيه انفصلت فاصلة إلى بطنه وبطن أمه، لكان قوله في آدم يوجب له ذلك لأنه قال:***(**وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ **)** (**)إلى قوله: **(** ونَفَخَ فَيهِ مِن رُّوحِهِ **)** (***) ***فيقال لهم: هل***

(*)- الآية 12 من سورة التحريم
(**)- الآية 7-8 من سورة السجدة
(***)-الآية9 من سورة السجدة

يخلو المسيح أن يكون إنساناً بلا إله، أو إلهاً بلا إنسان، أو أن يكون إلهاً وإنساناً؟ *فإنْ زعموا أنه كان إلهاً بلا إنسان قلنا لهم: فهو الذي كان صغيراً فشبّ والْتَحى، والذي كان يأكل ويشرب وينجو ويبول وقُتِل بزعمكم وصُلِب، وولدته مريم وأرضعته أمْ غيرُه، هو الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا، فأيُّ شيء معنى الإنسان إلا ما وصفنا وعدَّدْنا. وكيف يكون إلهاً بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان؟»*[1]

فالسؤال: **هل يخلو المسيح أن يكون إنساناً بلا إله، أو إلهاً بلا إنسان، أو أن يكون إلهاً وإنساناً؟** يوجِّه حجاجيا نحو وجهة النظر النافية التي مؤداها: **" لا يخلو المسيح أن يكون..."**والجواب موجود ضمنيا في السياق المتقدم: "ولو كنا إذا قلنا: عيسى روح الله وكلمته وجب علينا في لغتنا أن يجعله الله ولداً ونجعله مع الله تعالى إلهاً "...وهكذا. فبتقديم وجهة نظره عن طريق السؤال البلاغي، لم ينجح الكاتب فقط في إقحام القارئ في حجاجه، عبر التوجه إليه بالكلام، بل تجاوزه إلى إقحام الصوت الجماعي أيضا، وهو صوت جمهور علماء المسلمين بمختلف فرقهم، إلا من قال بمجازية البنوة.

وفي مقابل وجهة النظر هذه يستنفر المتكلم الكاتب -متماهيا مع قارئه وصوت جمهور العلماء المسلمين، بواسطة الاستفهام البلاغي المقترن بالنفي- وجهةَ النظر الثاوية المثبتة، ويُسْنِدها إلى صوت جماعي، هو صوت النصارى، ثم يقوم بدحضها. ولنا أن نلاحظ-بعد هذا-كيف عمد الكاتب إلى صيغة "المبني للمجهول" ليتيح للقارئ والصوت الجماعي أن يشاركاه محاجّة النصارى في قوله:"**فيقال لهم** "،

(1)- الرد على النصارى، ضمن الرسائل الكلامية ص282-284

زيادة على استخدام ضمير الجماعة دون أن يتبعه باسم علَمي معيّن يخصّصه، أو يحيل إليه، لوضوح هذه الإحالة تلقائيا من السياق النصي والمقامي على السواء. تأمل الألفاظ التالية: **"لغتنا، ديننا"و"جوزنا، قلنا، ارتضينا"...**إلخ

ولنفحص الآن مثالا آخر:

« *وإذا كان قول المهاجرين والأنصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحّة على ما وصفنا في يوم السقيفة، ثم صنيعُ أبي بكر وقولُه لطلحة في عمر وصنيعُ عمر في وضع الشورى وتَوَعُّدُهم له بالقتل إن هم لم يُقِيموا رجلاً قبل انقضاء المدّة ونُجُوم الفتنة، ثم صنيعُ عثمان وقولُه وصبرُه حتى قُتِل دونهما ولم يخلعها، وأقوالُ طلحة والزبير وعائشة وعلي رحمة الله عليهم وعليها، ليست بحُجّة على ما قلنا فليست في الأرض دلالة ولا حجة قاطعة.*

وفي هذا الباب الذي وصفنا ونزّلنا من حالاتهم وبيّنا، دليلٌ على أنهم كانوا يرون أن إقامة الإمام فريضة واجبة، وأن الشِّركة عنها منفية، وأن الإمامة تجمع صلاح الدين وإيثار خير الآخرة والأولى.

***وأيُّ مذهب هو أشنعُ وأيُّ قول هو أفحشُ من قول من قال:** لا بد للشاهد من أن يكون طاهراً عدْلا مأموناً ولا بأس أن يكون القاضي جائراً نَطِفاً فاجراً، وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحليم ونظر المرشد وترتيب العالم.»* [1]

على غرار المثال السابق يوجه السؤال البلاغي هنا إلى نفي، هو: **"لا يوجد مذهب هو أشنع ولا قول هو أفحش من قول من قال: لا بد للشاهد...؟ "**

(1)- استحقاق الإمامة، ضمن الرسائل الكلامية ص197-198

فمجرد عرض هذا القول بطريقة غير مباشرة، في صورة سؤال بلاغي موجَّه إلى القارئ، يؤكد لنا أنه لا يوجد قطعا من يقول بإمكان اشتراط الأمانة والعدل في الشاهد، وعدم اشتراطهما في القاضي، وأن الكاتب لا ينضم إلى وجهة النظر القائلة بأن" الشاهد لا بد أن يكون عدلا، ولا بأس أن يكون القاضي فاجرا...". وبهذا يمثّل هذا السؤال دحضا لوجهات النظر الثاوية القائلة" أن إقامة الإمام ليست فريضة واجبة وأن الشركة عنها ليست منفية وأن الإمامة لا يشترط فيها أن تجمع صلاح الدين وإيثار خير الآخرة والأولى." وهي وجهات نظر مشهوراتية يمكن إسنادها إلى صوت جماعي، لا سيما القائلين بجواز حكم المتغلّب، أي إلى فقهاء "أهل السنة والجماعة" الموالين لبني أمية، وإلى القائلين بعدم وجوب الإمامة أصلا.

وخلاصة ما تقدّم أن الكاتب بدحضه لوجهات النظر السابق ذكرها، بالاعتماد على الضمير "نحن" مقترنا بالاستفهام البلاغي، يقحم القارئ في الحجاج الذي يقوم به، لاسيّما أن هذا الضمير لا يتبعه إسم علَم يخصّصه، وأن الملفوظ الاستفهامي تضمّن موجّهات هيأت المحتوى القضوي، ليسهل تبنّيه لدى القارئ. تأمل صيغة التفضيل:"**أشنع**، **أفحش**" ودورها في تضييق دائرة المؤمنين بوجهة النظر المدحوضة. وبهذا يتوصل المتكلم الكاتب إلى تجنيد القارئ وإقحامه في حجاجه، وإشراكه في عملية الدحض عبر حوار افتراضي انبنى أساسا على أصواتية السؤال البلاغي.

خاتمة

لقد كان هدفنا من هذا البحث فحص جملة من الفرضيات ومحاولة الإجابة على عدد من الإشكالات التي يطرحها الخطاب الرسائلي عند الجاحظ. ولأجل تحقيق ذلك اخترنا المقاربة التداولية الأصواتية لما تتميز به من أطر مفاهيمية وأدوات اختبار وفحص إجرائية تتيح الكشف عن آليات اشتغال الخطاب الرسائلي على المستويين النصي والخطابي. فقد مكّنتنا هذه المقاربة من الوقوف على درجة تأثير الإكراهات المقامية الخارجية، والنصية الأجناسية الداخلية على مستويات التلفظ الرسائلي، وتعالقها، وكيف يتجاوز النص الجاحظي الإكراه المقامي للتفاعل الثنائي في الرسائل إلى مشهدة الحوار والمناظرة والرد على المخالفين من خلال المستوى التلفظي الثاني الذي تحمله عادة متون الرسائل.

كما دلّنا توظيف مفهوم المستويات التلفظية على وجود مستويين تلفظيين آخرين، طرف أحدهما الناسخ متكلما في بعض الرسائل، والقارئ العام مخاطَبا وشريكا في التلفظ في جل الرسائل. ومن هنا جاء تساؤلنا حول ضرورة إعادة النظر في تصنيف الرسائل أجناسيا.

ومن الافتراضات التي انطلقنا منها افتراض هيمنة المكون الحجاجي على نصوص الرسائل. وقد قادنا التحليل المعتمد على مفهوم المقاطع النصية ووجهات النظر التفاعلية إلى تأكيد هذه الفرضية، التأكيد الذي قواه اعتماد المتكلم كاتب الرسائل على واسمات أصواتية ذات طبيعة حجاجية من حيث خصائصها التركيبية الدلالية ،ومن حيث توظيفها التداولي، مثل النفي والموجهات التقديرية، والخطاب المستحضر المسند إلى أصوات ذات سلطة مرجعية(الاستشهادات).

في جانب آخر دلّنا الانزياح الذي ميّز استخدام التأشيريات الضمائرية، وتراوح إحالاتها إلى ذوات الواقع بين الوضوح والغموض والإظهار والإخفاء، على استجابة المتكلم كاتب الرسائل لمقامات التلفظ وارتباطها بالموقف الإيديولوجي والعاطفي لكاتب الرسائل من محاوريه ومن مجتمعه؛ فبين رسالة ورسالة، وإن لم تتغير تراتبية المتكلم والمخاطب، يتغير استخدام الضمائر متأرجحا بين الجمع والإفراد ليعكس توترات الموقف التواصلي بملابساته وظروفه.

وتأتي ظاهرة الامّحاء التلفظي في الرسائل لتكشف عن المسافة التي تفصل بين كاتب الرسائل وتلفظ الذوات التي يستحضر أصواتها، فبقدر ما يكون حياده

وتحفظه يزداد امحاؤه من المشهد التلفظي، وبقدر ما يزيد التزامه وتعاطفه تقوى هيمنته على التلفظ ويمّحي المتلفظون الذين يُمشهِدهم في الفضاء التلفظي الذي تحتضنه متون الرسائل.

وينبني على ذلك بالطبع قياس درجة كفالة الكاتب للملفوظات، وما يتصل بذلك من تماهٍ مع الأصوات المستحضرة في الرسائل، أو معارضة لها، أو حياد نسبي حيالها. يتحكم في ذلك علاقة المتكلم بالصوت الجماعي الذي نراه يتكئ عليه في دحض وجهات النظر، وينأى بنفسه عنه، أو يلجأ إلى اختراق صوت جماعي آخر ليعارضه ويدحض ما يُسنَد إليه من وجهات النظر.

تمنح هذه الظواهر الأصواتية جميعها نصوص الرسائل ميزتها الحوارية الحجاجية، فتكون الخطابات التي تحملها خلافا لما يفترض فيها من تفاعل ثنائي يحكمه إكراه التباعد المكاني والزماني، فضاء تواصليا حافلا بأصوات كثيرة تأتينا من ذلك الزمن البعيد، حاملة خلافاتها وصراعاتها وطروحاتها المتباينة التي كان كاتب الرسائل طرفا فيها، وشاهدا عليها. فكأنما جمعت الرسائل في رسالة واحدة وبلغتنا ما كان يفترض أن تبلغنا إياه: تعدد الرأي واختلافه"**لا يفسد للود قضية**".

فهرس نصوص المقتبسات المترجمة

نصوص المقتبسات و إحالاتها		صفحة الورود
«La pragmatique textuelle est confrontée à des séquences plus ou moins longues d'actes de langage qui permettent d'établir à un niveau supérieur une valeur illocutoire globale, celle de macro- actes de langage. On retrouve ici la problématique des genres de discours ; si le destinataire comprend à quel genre(…)appartient un ensemble d'énoncés, il en a une interprétation adéquate, qui ne résulte pas de la simple somme des actes de langage élémentaires»	نص المقتبس	ص16
D.Mainguenau:Pragmatique pour le discours littéraire،p11-12	المرجع	
«on ne peut pas imaginer aucun niveau de description sémantique où l'on ferait comme si ces langues n'étaient pas destinées à être parlées »	نص المقتبس	ص38
DUCROT، Oswald، 1972: Dire et ne pas dire، Hermann، Collection « Savoir »، Paris ،p130	المرجع	
« l'action humaine accomplie au moyen du langage »	نص المقتبس	ص39
Ducrot، O ،1984 ،Le dire et le dit,p173	المرجع	
« de ce que la parole، d'après l'énoncé lui-même، est censée faire ،En utilisant un énoncé interrogatif، on prétend obliger، par sa parole même، la personne à qui on s'adresse à adopter un comportement particulier، celui de réponse، et، de même، on prétend l'inciter à agir d'une certaine façon si on recourt à un impératif، etc ،»	نص المقتبس	ص39
_ Ibid ,p 174	المرجع	
«Un ensemble d'instructions données aux personnes qui ont à interpréter les énoncés de la phrase, instructions précisant quelles manœuvres accomplir pour associer un sens àces énoncés»	نص المقتبس	ص40
Ibid ، p181	المرجع	
« Je ne dis pas que l'énonciation، c'est l'acte de quelqu'un qui produit un énoncé : pour moi، c'est simplement le fait qu'un énoncé apparaisse، et je ne veux pas prendre position، au niveau de ces définitions préliminaires، par rapport au problème de l'auteur de l'énoncé ،Je n'ai pas à décider s'il y a un auteur et quel il est ،[…] j'ai besoin، pour construire une théorie du sens، une théorie de ce qui est communiqué، d'un concept d'énonciation qui ne renferme pas en lui dès le départ، la notion de sujet parlant »	نص المقتبس	ص42
_ Ibid ,179-180	المرجع	
«Le locuteur prendrait en charge les 'paroles' mais pas le point de vue que défend l'énoncé : ce 'point de vue' serait attribué à un personnage,	نص المقتبس	ص51

l'énonciateur, mis en scène dans l'énonciation ironique».		
Mainguenau. D: Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris, p 64	المرجع	
«Une extension (très libre)à la linguistique des recherches de Bakhtine sur la littérature»	نص المقتبس	ص53
Ducrot، O ،1984 ،Le dire et le dit،p173	المرجع	
« Non seulement la présence de plusieurs parties différentes, mais encore que ces parties soient d'importance égales »	نص المقتبس	ص53
Encyclopaedia universalis, France SA 2008, p 405	المرجع	
« repérer les segments de discours produits et représentés qui constituent[une intervention] à différents niveaux، ce que nous appelons l'organisation énonciative، puis de décrire les fonctions des discours représentés dans cette intervention »	نص المقتبس	ص55
Roulet، E ،L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique ،p278-279	المرجع	
«L'objet véritable de la recherche doit être justement l'interaction dynamique de ces deux dimensions, le discours à transmettre et celui qui sert à la transmission»	نص المقتبس	ص55
Bakhtine. M:Le marxisme et la philosophie du langage ،p166	المرجع	
«La relation qui existe –selon l'énoncé- entre le contenu propositionnel et le locuteur»	نص المقتبس	ص57
Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé,p46	المرجع	
«Alors que le but avoué de Ducrot est de fournir une description sémantique de la langue, en principe en complète indépendance de la parole, notre est de développer un appareil d'analyses textuelles»	نص المقتبس	ص58
Ibid، p21	المرجع	
«Fournit des instructions relatives à l'interprétation de l'énoncé de la phrase, ou précisément aux interprétations possibles de celui-ci»	نص المقتبس	ص58
Ibid ،p28	المرجع	
« c'est LOC qui assume la responsabilité des actes illocutoires et argumentatifs véhiculés par l'énoncé »	نص المقتبس	ص62
_ Nølke، H ،2009a ،La polyphonie de la ScaPoLine 2008 ،In : Kratschmer، A،، M،Birkelund & R ،Therkelsen (éds،) ،2009 ،La polyphonie : outil heuristique،linguistique، littéraire et culturel ،Berlin : Frank & Timme،p،20	المرجع	
«relient des pdv simples ou complexes entre eux sur l'axe syntagmatique »	نص	ص64

	المقتبس	
Nølke، H،، K ،Fløttum & C ،Norén ،2004 ،ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique،p35	المرجع	
« les formes et expressions linguistiques qui combinent des unités sémantiques – les arguments dudit connecteur – pour créer un nouveau sens complexe à partir de leurs sens plus primitifs en combinant et en spécifiant ceux-ci »	نص المقتبس	ص64
_ Nølke، H ،2009a ،La polyphonie de la ScaPoLine 2008،p 28	المرجع	
« réfère aux relations que tout énoncé entretient avec les énoncés produits antérieurement ainsi qu'avec les énoncés à venir que pourraient produire ses destinataires »	نص المقتبس	ص76
- Charaudeau، Patrick et Maingueneau، Dominique ،2002 ،Dictionnaire d'analyse de discours ،Paris : Seuil، p175	المرجع	
- «the use of language associated with a particular social activity»	نص المقتبس	ص77
Malin Roitman، Polyphonie argumentative Etude de la négation dans des éditoriaux du Figaro ، de Libération et du Monde، Printed by Universitetsservice US-AB، Stockholm 2006،، p16	المرجع	
« overreaches the other types, in the sens that genre corresponds closely to types of social practice»	نص المقتبس	ص77-78
Ibid	المرجع	
« À faire dépendre la signification des discours du statut de l'acteur producteur de l'acte de langage, de sa position de légitimité plus que de son rôle de sujet énonciateur, cela voudrait dire que quelle que soit la façon de parler, il produirait un discours typique du domaine concerné »	نص المقتبس	ص79
- Charaudeau، Patrick ،2001 ،« Visées discursives، genres situationnels et construction textuelle » in Analyse des discours ،Textes، types et genres ،Actes du colloque de Toulouse، 2-5 décembre 1998 ،Éditions Universitaires du Sud، p 3	المرجع	
« articulation entre ces trois niveaux, et la mise en corrélation (et non en implication successive) des données que propose chacun de ces niveaux »	نص المقتبس	ص81
- Ibid ، p23	المرجع	
« Les genres ne suffisent pourtant pas à définir tous les contrats possibles de la littérature, puisque les œuvres aussi peuvent instituer des contrats singuliers. »	نص المقتبس	ص82
D.Mainguenau2005:Pragmatique pour le discours littéraire،éd Armand Colin،p 122	المرجع	
« le contrat singulier qu'elle établit n'est qu'un ilot dans l'ensemble des règles tacites qu'elle respecte(ne serait-ce que par l'inscription dans	نص المقتبس	ص83

cette institution qu'est la littérature). » - Ibid،p123	المرجع	
« se pose la question de la prise en charge des énoncés et, plus largement, celle de la cohésion-cohérence énonciative d'un texte » - Adam، Jean-Michel ،2002 ،« Textualité et polyphonie ،Analyse textuelle d'une préface de Perrault » in Olsen، M ،(éd،)،Polyphonie littéraire et linguistique ،Documents de travail V ،Roskilde : Samfundslitteratur ،p39-84 ،p52	نص المقتبس المرجع	ص84
« des ouvrages qui n'ont des Lettres que le nom » - J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives، p51	نص المقتبس المرجع	ص86 (في الهامش)
«Et rappelons aussi ce fait souvent signalé, que cette distance spatio-temporelle qui caractérise la relation émetteur-récepteur dans la communication épistolaire constitue une donnée fondamentale de cette forme de communication : on écrit parce qu'on est séparés, en même temps que pour créer l'illusion qu'on est ensemble ; du fait de l'existence de ce fossé, et pour tenter de le combler. La surabondance des références au cadre spatio-temporel dans le discours épistolaire a à cet égard un statut bien paradoxal, puisqu'en même temps qu'elles produisent un effet-de-présence, ces références soulignent aussi, puisqu'elles seraient superflues en situation partagée, la réalité de l'absence » Catherine kerbrat-Orechionni:L'interaction épistolaire Dans: La lettre entre réel et fiction،Sous la direction de Jurgen Siess،Ed،SEDES 1998 ،p17	نص المقتبس المرجع	ص91
« L'erreur vient du mot dont on se sert. Il n'y a pas d'art épistolaire.Il n'y a pas de genre épistolaire :du moins dans le sens littéraire du mot genre » J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives. Dans: La lettre entre réel et fiction،Sous la direction de Jurgen Siess،Ed،SEDES 1998 ،p 39	نص المقتبس المرجع	ص98
« lorsque la sphère de l'activité sociale (la formation socio-discursive) se complexifie dans son organisation, les pratiques discursives (genres) qu'elle exige se complexifient » - Ibid. p 52	نص المقتبس المرجع	ص98
« Pour que l'échange épistolaire soit accepté comme genre littéraire, il faut encore qu'un œil étranger, celui du lecteur hors champ, transperce l'intimité à peine inaugurée en la transformant en spectacle et en configuration discursive » - Ibid.	نص المقتبس المرجع	ص99
«Une phrase interrogative donne, en vertu de sa signification, les deux instructions suivantes aux auditeurs qui ont à construire le sens des énoncés de cette phrase :	نص المقتبس	ص149

(a) ces énoncés doivent faire apparaitre un énonciateur éxprimant son doute en ce qui concerne la proposition sur laquelle porte l'interrogation ; (b) lorsque cette énonciateur est assimilé au locuteur, l'expression du doute doit etre lue comme une question, c'est-à-dire que l'énonciation doit etre décrite comme obligeant l'allocutaire à répondre A partir de cette valeur de la phrase on peut prévoir deux possibilités en ce qui concerne les actes de langage illocutoires lies à l'énonciation. Tantot il y aura un acte de "primitif" de question, tantot un acte "dérivé"- qui peut etre, entre autres, un acte de demande»		
O Ducrot ، Le dire et le dit، p : 227	المرجع	
«La diversité des attitudes psychiques qui se traduisent par des phrases interrogatives : appel d'information, délibération, demande de confirmation, mise en doute, refus, hypothèse, appel à l'approbation, se ramène à un facteur commun, qui est de constituer des attitudes non thétiques, c'est-à-dire, ne visant pas à poser le procès, mais au contraire, à le mettre en débat»	نص المقتبس	ص153
Moignet، Gérard، 1974 : Études de psycho-systématique française، Paris : Klincksieck,100	المرجع	
Un connecteur pragmatique est une marque linguistique، appartenant à des catégories grammaticales variées (conjonctions de coordination، conjonctions de subordination، adverbes، locutions adverbiales)، qui a) articule des unités linguistiques maximales ou des unités discursives quelconques. b) donne des instructions sur la manière de relier ces unités.c) impose de tirer de la connexion discursive des conclusions qui ne seraient pas tirées en leur absence.	نص المقتبس	ص163
Reboul ,A.&.Moeschler. J, 1998. Pragmatique du discours.Paris: A.Colin. p 77	المرجع	
« prétende dire E2 sur la simple foi de l'allocutaire، qu'il le dise parce que l'allocutaire l'a dit ،En revanche، il peut très bien dire E2 s'il le prend sous sa responsabilité، s'il le reprend à son propre compte - en signalant seulement qu'il parle en conformité avec l'allocutaire »	نص المقتبس	ص166
-Ducrot، Oswald. 1980b. Les échelles argumentatives،p 48	المرجع	
«La modalisation est le processus par lequel le sujet de l'énonciation manifeste son attitude à l'égard de son énoncé»	نص المقتبس	ص177
Vion.Robert :Dimensions énonciatives، discursives et dialogiques de la modalisation،in :LINGUAS & LETRAS ، vol 8.n°15 .2° sem.2007.p.193-224 ،p194	المرجع	
«L'ensemble des idées reçues, des croyances, des représentations généralement admises »	نص المقتبس	ص251
Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris, p 213	المرجع	
« Le locuteur abandonne volontairement sa voix et en emprunte une autre pour proférer un segment de la parole qui ne lui appartient pas en propre, qu'il ne fait que citer»	نص المقتبس	ص254
Gresillon Almuth, Maingueneau Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre, p112	المرجع	

« Un phénomène interactionnel intervenant dans des interactions inégales, dissensuelles (sur les plans du statut des locuteurs, sur les plans cognitifs, pragmatiques), dans lesquelles le locuteur citant déforme à son avantage le dire du locuteur cité en estompant l'origine énonciative et la visée des propos rapportés»	**نص المقتبس**	ص282 (في الهامش)
Rabatel.Alain:L'éffacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66 ,p36	**المرجع**	
«Le sujet parlant s'efface de son acte d'énonciation, et n'implique pas l'interlocuteur. Il témoigne de la façon dont les discours du monde(le tiers) s'imposent à lui. Il en résulte une énonciation apparemment objective (au sens de «déliée de la subjectivité du locuteur ») qui laisse apparaitre sur la scène de l'acte de communication des propos et des Textes qui n'appartiennent pas au sujet parlant(point de vue externe) »	**نص المقتبس**	ص282 (في الهامش)
Ibid , p33	**المرجع**	
« Renvoie à des situations déséquilibrées dans lesquelles le point de vue du locuteur citant(ou cité) s'efface devant la représentation du point de vue d'autrui »	**نص المقتبس**	ص282 (في الهامش)
Ibid, p36	**المرجع**	
«Un énoncé A est dit paraphrase d'un énoncé B si A est la reformulation de B, tout en étant plus long et plus explicite que lui. On peut dire ainsi que la phrase passive est la paraphrase de la phrase active correspondante»	**نص المقتبس**	ص 309(في الهامش)
Jean Dubois & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage,Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS,p 343	**المرجع**	

ثبت المصطلحات المترجمة

A

Actes de langage	**أعمال اللغة**
Acte illocutionnaire	**العمل المتضمن في القول**
Acte locutionnaire	**عمل القول**
Acte perlocutionnaire	**عمل التأثير بالقول**
Adverbes	**ردائف**
Adverbes de phrases	**ردائف جملية**
Allocutaire	**المتكلّم له**
Analyse de discours	**تحليل الخطاب**
Anaphores	**الإحاليات**

C

Catégories grammaticales	**مقولات نحوية**
chaînes intertextuelles	**سلاسل التفاعلات النصية**
Clôture	**خاتمة أو اختتام**
Codification	**الترميز**
Cohérence	**الانسجام**
Cohésion	**الاتساق**
Communication ostensive-inferentielle	**التواصل الإشاري الاستدلالي**

Communicative, Communicationnelle	**تواصلية**
communiqué(Le_)	**ما تم تبليغه**
Comportatifs	**السلوكيات**
Configuration polyphonique	**التشكيل الأصواتي**
Connecteurs	**روابط**
Connecteurs argumentatifs	**الروابط الحجاجية**
Connecteurs pragmatiques	**الروابط التداولية**
Constatifs	**وصفيات"**
Contenu propositionnel	**المحتوى قضوي**
Contexte dynamique	**السياق التفاعلي**
Contexte situationnel	**السياق المقامي**
Contraintes discursives	**الإكراهات الخطابية**
Contraintes situationnelles	**الإكراهات المقامية**
Contrat global	**التعاقد الشامل**
Contrat littéraire	**التعاقد الأدبي**
Conventions	**القواعد(المواضعات)**
Corps de la lettre	**متن أوجسم الرسالة**

D

Déclaratives(Phrases_)	**تصريحية (جمل_)**
Déictiques personnels	**إشاريات الشخصية**
Déictiques spatio-temporels	**الإشاريات المكانية والزمانية**
Dialogal	**تخاطب ثنائي**
Dialogisme	**الحوارية**
Dialogique	**حواري/حوارية(وصف)**
Discours anticipé	**خطاب استباقي**
Discours constituant	**خطاب مؤسس**

Discours direct rapporté	**الخطاب المباشر المنقول**
Discours épistolaire	**الخطاب الرسائلي**
Discours fictif	**خطاب متخيل**
Discours indirect libre	**الخطاب غير المباشر الحر**
Discours indirect rapporté	**الخطاب غير المباشر المنقول**
Discours rapporté	**الخطاب غير المباشر المنقول**
Discours représenté	**الخطاب المستحضر**
dit(Le_)	**ما قيل أو المقول**
Doxa	**المشهورات**
Doxa proverbiales	**المشهورات الأمثالية**

E

Effacement énonciatif	**الامحاء التلفظي**
Embrayeurs	**واصلات**
Enoncés assertives	**الملفوظات الإثباتية**
Enonciatif(ve)	**تلفظي(ـــة)**
Etres discursifs	**الذوات الخطابية**
Etres discursifs	**ذوات الخطاب**
Etres réels	**ذوات الواقع**
Exercitifs	**التنفيذيات**
Exorde	**مخاطبة استهلالية**
Expositifs	**العرضيات**
Exprimabilité	**القابلية للتعبير**

F

Félicité	**إسعاد**
Figée	**متكلسة(عبارة، بنية_)**
Fonction phatique	**وظيفة تنبيهية**

Fonctionnaliste	**وظيفية**
Formalisation	**شكلنة**
Formalisme	**الشكلانية**
Fusion sémantique	**الدمج الدلالي**

G

Généricité	**تجنيس**
Genre littéraire	**الجنس الأدبي**
Genres primaires	**أجناس أولية**
Genres secondaires	**أجناس ثانوية**
Genres situationnels	**الأجناس المقامية**

H

Hétérogénéité constitutive	**اللاتجانس التكويني**
Hétérogénéité montrée	**اللاتجانس المُظهَر**
Hiérarchie sociale	**تراتبية اجتماعية**

I

Illusion descriptive	**الوهم الوصفي**
Ilots textuels	**القطع النصية المعزولة**
Implication	**الاستلزام**
Implicatures	**التضمينات**
Implicatures généralisées	**التضمينات المعممة**
Implicatures conventionnelles	**التضمينات التواضعية (العرفية)**
Implicatures conversationnelles	**التضمينات التحادثية**
Infélicité	**الإخفاق**
Entrée encylopédique	**المدخل الموسوعي**
Entrée lexicale	**المدخل المعجمي**
Entrée logique	**المدخل المنطقي**

Institutions	**مؤسسات**
Instructionnelle	**تعليماتية**
Instructions sémantiques	**التعليمات الدلالية**
Intention	**القصد**
Interaction épistolaire	**التفاعل الرسائلي**
Interaction orale	**التفاعل الشفوي**
Interdiscursivité	**تفاعل خطابي أو بينخطابية**
Intersubjectivité	**تفاعل ذوات أو تذاوت**
Intertextualité	**تفاعل نصي(تناص)**

L

Lien de réfutation	**الرابط الدحضي**
Liens de non- responsabilité	**روابط عدم المسؤولية**
Liens de responsabilité	**روابط المسؤولية**
Liens énonciatifs	**الروابط التلفظية**
Linguistique énonciative	**اللسانيات التلفظية**
Locuteur	**المتكلم**
Locuteur représenté	**المتكلم المستحضر**
Loi de modalité	**قانون الجهية**
Lois de discours	**قوانين الخطاب**

M

Macro-acte de parole	**الفعل الكلامي الأكبر**
Marqueur de contenu propositionnel	**واسم المحتوى القضوي**
Marqueur de force illocutionnaire	**واسم القوة المتضمنة في القول**
Marqueurs contextuels	**واسمات سياقية**
Marqueurs formels	**واسمات شكلية**
Marqueurs situationnels	**واسمات مقامية**

Maxime de manière	**قاعدة الكيفية**
Maxime de modalité	**قاعدة الجهة**
Maxime de quantité	**قاعدة الكمية**
Maximes de conversation	**قواعد المحادثة**
Mémoire discursive	**ذاكرة الخطابات**
Méta-discours	**خطاب واصف**
Mise en scène	**مشهدة**
Modalisation	**الجهية**
Modalité épistémique	**الجهيّة الإبستيمية**
Modalités	**الموَّجهات**
Modules	**المقاييس أوالقوالب**
modus – dictum	**موضوع- تعليق**

N

Négation de constituant	**نفي مركِّب**
Négation de phrase	**نفي جملة**
Négation polémique	**النفي الجدلي**
Négation polyphonique	**نفي الاصواتي**
Niveau d’expression	**مستوى التعبير**
Niveau d’intention	**مستوى المقصد**

O

Opérateurs argumentatifs	**العوامل الحجاجية**
Organisation énonciative	**التنظيم التلفظي**
Organisation polyphonique	**التنظيم الأصواتي**
Organisation textuelle	**نظام النص**
Ouverture	**صدر أوافتتاح (_ الرسالة)**

P

Paradigmes	**جداول إبدالية**
Performatifs	**إنجازيات**
Péroraison	**تخلص (_ الرسالة)**
Pertinence	**ملاءمة**
Plan textuel de base	**المخطط النصي القاعدي**
Point de vue	**وجهة نظر**
Point de vue sous-jacent	**وجهة نظر ثاوية**
Points de vue doxiques	**وجهات نظر مشهوراتية**
Points de vue dynamiques	**وجهة نظر تفاعلية**
Portée de la négation	**حيز النفي**
Portée étendue	**الحيزالواسع**
Porté restreinte	**الحيزالمحدود**
Pragmatique cognitiviste	**التداولية العرفانية**
Pragmatique intégrée	**التداولية المندمجة**
Présupposé	**الافتراض المسبق أو الاقتضاء**
Principe de coopération	**مبدأ التعاون**
Principe dialogique	**المبدأ الحواري**
Prise en charge des énoncés	**التكفل بالملفوظات**
Promissifs	**الوعديات**
propos(Le)	**موضوع الحديث**

Q

Quantificateurs	**المكمّمات**
Question rhétorique	**السؤال البلاغي**

R

Réflexivité	**انعكاسية**
Réfutation	**دحض**

Registres linguistiques	**سجّلات لغوية**
Rituel	**طقوسية**

S

Scalaires	**الألفاظ والعبارات التدرجية**
Sens dérivé	**معنى مشتق**
Sens littéral	**معنى حرفي**
Situation d'énonciation	**مقام التلفظ**
Sociolinguistique	**السوسيولسانية**
Stratégies argumentatives	**استراتيجيات الحجاج**

T

Taxinomie	**صنافة**
Textuel(lle)	**نصي(ـــة)**
Tours de parole	**أدوار الكلام**
Translinguistique	**عبر لغوية**
transmis(Le_)	**ما تم إيصاله**
Troisième personne	**الشخص الثالث (الغائب)**
Typologie textuelle	**تنميط النصوص**

U

Unicité du sujet parlant	**واحدية الذات المتكلمة**

V

Verbes modaux	**الأفعال الجهية**
Verdictifs	**الحكميات**
Véri-conditionalité	**شروط الصدق المنطقي**
Voix collective	**صوت جماعي**

فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل

(بين رسائل الجاحظ، تح: علي بوملحم من جهة، ورسائل الجاحظ، وكتاب العثمانية،تح: عبد السلام هارون+ كتاب التربيع والتدوير، تح: شارل بيلات من جهة أخرى)

*يشار إلى هذه المصادر اختصارا في الجدول كما يلي: رسائل هارون، العثمانية، التربيع . أما الإحالة إلى رسائل علي بوملحم فموجودة في هوامش البحث

** لم ندرج الشواهد المأخوذة من "رسالة الحكمين وتصويب علي بن أبي طالب في فعله"، لأنها غير موجودة ضمن الرسائل التي حقّقها عبد السلام هارون

الفصل الأول

موضع ورود الشـــاهد في متن البحث	نص الشاهد مختصرا(يورد النص القصير الذي لايتجاوز ثلاثة أســـطر كاملا، ويقتصر على بدايته ونهايته إذا طال أكثر من ذلك)	إحالة الشاهد في المصادر الثلاثة الأخرى
ص 106	على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم، إذ كان مع التلاقي يكثـــر التظالم ....ويظهر التباين، وإذا كانت القلوب على هذه الصفة وهذه الحليـــة، امتنعت من المعرفة، وعميت عن الدلالة	رسائل هارون، ج 1، ص 315
ص112	جعلت فداك، ليس من أجل اختياري النخل على الزرع أقصيتني، ولا على ميل إلى الصدقة دون إعطائي الخراج عاقبتني	رسائل هارون، ج 1، ص 231
ص 112	كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدعي أنه مفرط الطول	التربيع، ص5
ص 113	خفّض عليك أيها السامع، فإن الخطأ كثير غامر(...)والصواب قليـــل خـــاص، ومقموع مستخف (...) فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول	رسائل هارون، ج 3، ص 107
ص 113	وقد كتبت لك في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية، ولو بســـطت القـــول لوجدته متسعا، ولأتاك منه الدهم، وربما [كان] الإقلال في الإيجاز أجدى مـــن (...)فجعلت الهزل بعد الجد جماما، والملحة بعد الحجة مستراحا	رسائل هارون، ج 4، ص 280-281
ص 115	هذا كتاب - أطال الله بقاءك - نبيل بارع، فصل فيه بين الحسد والعداوة، و لم يسبقني إليه أحد	رسائل هارون، ج 1، ص 337
ص 116	ولولا أن هذا كلام لم يكن من ذكره بد لأنه تأسيس لما بعده ومقدمة لما بـــين يديه وتوطئة له، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضابا، ولكن يمنعني عجز أكثـــر	رسائل هارون، ج 4، ص 65

	الناس عن فهم غايتي فيه إلاّ تنزيله وترتيبه	
ص 116	فخلطت لك جدا بهزل، وقرنت لك حجة بملحة، لتخف مؤونة الكتاب على القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع	رسائل هارون،ج 4 ص 281
ص 118	ثمّ إنّا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإيّاه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله	العثمانية، ص5
ص 118	ولولا أنّ فيما قدّمنا غنى عما أخّرنا لقد فسّرنا كما أجملنا...، فاحذر حوادث الدهر، واتصال المشاكلة	العثمانية، ص279
ص 119	حدّثني كيف رأيت الطوفان؟»،	التربيع، ص26
ص 119	«خبّرني كيف صار الماء أبعد من الفلك	التربيع، ص29
ص 119	فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا	التربيع، ص6
ص 119	يا عمّ لِمَ تحملنا على الصدق، و لم تجرّعنا مرارة الحق	التربيع،ص24+ رسائل هارون، ج 3، ص 68
ص 119	ونحن وإن أطنبنا في ذكر جملة القول	رسائل هارون، ج 4، ص 113
ص 119-120	ونحن قد ندخل دجلة في الأسحار، ولسنا نشك أنّ أناسا ينتابون المواضع	رسائل هارون، ج 4، ص 129
ص 120	وقد كنا ممسكين عن القول بحجتنا فيما تضمنه كتابنا هذا	رسائل هارون، ج 2، ص 144
ص 120	قد قرأت كتابك ومِدْحَتَك أخلاق الكتاب وأفعالهم، ووصفك فضائلهم وأيامهم، وفهمته	رسائل هارون ج 2، ص 187
ص 120	قد أتينا على بعض ما أردنا فيما له قصدنا	رسائل هارون، ج 2، ص 209
ص 120	فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السودان	رسائل هارون، ج 1، ص 225
ص 120	وجعلنا وإياك ممن يقول بالحق ويعمل به	رسائل هارون، ج 3، ص 163
ص 120-121	وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك	رسائل هارون، ج 3، ص 164
ص 121	وقد قلنا في مناقب جميع الأصناف بجمل ما انتهى إلينا وبلغه علمنا	رسائل هارون، ج

		1، ص 86
ص 124	ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات .....وأن في الهندسة ما لا يُدرَك ولا يُفهَم، والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم، وبذلك النقص في غرائزهم.	رسائل هارون، ج 4، ص 248

الفصل الثاني

ص 142	فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلتة ولحظة الخلسة....، المشتق من الزيارة، كل ذلك بأعين الأولياء وحضور الزواج، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمنوا المنكر	رسائل هارون، ج 2، ص 148
ص 143	ولكنّا نقول:لا يجوز أن يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيطة أكثر من واحد، لأن الحكام والسادة إذا تقاربت أقدارهم وتساوت غايتهم قويت دواعيهم إلى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة	رسائل هارون، ج 4، ص 303
ص 145	ليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء، ولا أشد تألفا للأدباء، ولا أجلب للمؤنسين منه، ولا أدعى إلى خلاف الممتعين، ولا أجدر أن يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم، ويطول به مجلسهم، منه	رسائل هارون، ج 3، ص 123
ص 155	«جعلت فداك، ما هذا الاستقصاء و ما هذا البلاء؟ ! و ما هذا التتبع لغوامض المسألة، والتعرض لدقائق المكروه؟ !و ما هذا التغلغل في كل شيء يخمل ذكري؟ ! و ما هذا الترقي إلى كل ما يحط قدري؟!»	رسائل هارون، ج 1، ص 252
ص 157	ولو أن شيبتي التي بها استعطفتك، وكبرة سني التي بها استرحمتك، اللتان لم يحدثا ....، ثم تريد أن توهنه أرقّ مما كان.و هل هرمت إلا في طاعتك، وهل أخْلَقَني إلا معاناة خدمتك ؟	رسائل هارون، ج 1، ص 272
ص 159	خبرني: كيف صار الماء أبعد من الفلك و لا يكون إلا في بطن الأرض، وهو أشبه بالهواء كما أن الهواء أشبه بالنار.... وكيف كان بدء أمر البد في الهند، وعبادة الأصنام في الأمم، وقصة عمرو بن لحى في العرب[؟]	التربيع، ص29-30
ص 159	فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل و باطلها و ما فيها خرافة وما فيها محال و ما فيها صحيح وما فيها فاسد، فالزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي	التربيع، ص79
ص 160-161	فإن قالوا: "ليس أحد يعرف أن علامة الحق استشهاد الضرورات غيرنا، قلنا: أو لستم- معشر أبي إسحاق النظام – تختلفون في أمور كثيرة و قد كنتم يؤمنّكم أن تكونوا على باطل أن تقولوا:استشهادنا للضرورات على باطل؟	رسائل هارون، ج 4، ص 55
ص 168-169	وقد قال الله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون﴾وهذا مثل ضربه الله،	رسائل هارون، ج1، ص101

	.... ومن مالت سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب أولى به	
ص 170	ولولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة لكانوا هملا ولتركوا نشرا وحشرا، ولسقط عنهم الأمر والنهي، ....، ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة	رسائل هارون، ج 4 ص 322
ص 172	وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر والعرض، بل كلها في الكتاب والسنة، وبجميع الأمة إليها أعظم الحاجة	رسائل هارون، ج 1 ص 319
ص 174	فإذا وجب أن الكلام غير محرم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريما لعلة من العلل، وإن الترجيع له أيضا لا يخرج إلى حرام، ...، فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيّه عليه السلام	رسائل هارون، ج 2 ص 160
ص 181	ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصّر في حقوق المرأة....وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات، وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذا أرحم	رسائل هارون، ج 3 ص 157
ص 184	ولكن لا بدّ من حاكم واحدا كان أو أكثر على [كل] حال، ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحدود، .... وعليهم فيما شَجَر بينهم إعطاء النَّصَفَة من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسْر الأمر ويسْره	رسائل هارون، ج4،ص285-286

الفصل الثالث

ص 204	كان أمحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر وهو يدعي أنه مفرط الطول	التربيع، ص5
ص 204	بسم الله الرحمن الرحيم : أطال الله بقاءك	التربيع، ص10
ص 206	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا به	العثمانية، ص5
ص 206	هذا جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية، ولولا أن فيما قدمنا غنى عما أخرنا لقد فسرنا كما أجملنا	العثمانية، ص279

الفصل الرابع

ص 267-268	حفظك الله وأمتع بك ...وإني عرفتك- أكرمك الله- في أيام الحداثة... فلم أزل أبقاك اللّه...وعلمت أن ذلك من أعظم ما أبرك به وأرجح ما أتقرب به إليك	رسائل هارون، ج 4، ص 71
ص 268	واعلم أن الآداب إنما هي... فأول ما أوصيك به	رسائل هارون، ج 1، ص 99
ص 268	أسأل الله المبتدئ بكل نعمة والمتولّي لكل إحسان أن يصلي على محمد خيرته من خلقه وصفوته من بريته وأن يتم عليك نعمته ويشفع لك ما خوَّلك من نعمته	رسائل هارون، ج 1، ص 134

	بالنعمة التي يؤمن معها الزوال في جواره ومرافقة أنبيائه	
ص 268	طبع الإنسان على حب الإخبار والاستخبار حجة على الله	رسائل هارون، ج 1، ص 145
ص 268	فنريد أن نعلم : لم صار الإنسان على ما منع –وإن كان – لا ينفعه أحرص منه	رسائل هارون، ج 1، ص 154
ص 268	فنقول: إن الله تبارك وتعالى جعل لكل نفس مبلغا من الوسع	رسائل هارون، ج 1، ص 154
ص 269	ولو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف مما فيه، لكان بإذن الله كافيا لمن له لب وعقل	رسائل هارون، ج 1، ص 171
ص 269	من أبي موسى بن إسحاق بن موسى ومحمد بن خالد خذار خذاه وعبد الله بن أيوب أبي سُمير ومحمد بن حماد كاتب ... إلى أهل الجهالة والجفاء وغلظ الطبع وفساد الحسّ	رسائل هارون، ج 2، ص 143
ص 269-270	هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمَّيناها في صدرها، فإن كانت صحيحةً فقد أدّينا منها ... ليسهِّلوا على المقيِّنين ما صنعه المقترفون	رسائل هارون، ج 2، ص 181
ص 270	تم كتاب الحجاب، ولله الحمد والمنة	رسائل هارون، ج 2، ص 185
ص 272	وكان من أسباب دفْعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرىً واحداً ولأنك وإنْ كنت كثير الشُّغل فهو أقلُّ فراغاً منك على كثرة شُغلك وفرط عنايتك بما استكفاك واسترعاك	رسائل هارون، ج 1، ص 303
ص 272	أطال الله بقاءك وأعزك وأصلح على يديك... وأنت أيها العالم معلم الخير وطالبه والداعي إليه وحامل الناس عليه... كتابٌ جامعٌ لاختلاف الناس في أصول الفتيا	رسائل هارون، ج 1، ص 313
ص 273	جعلت فداك، وأطال الله بقاك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وأيدك ... في صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت في أبي الفرج أدام الله عزه	رسائل هارون، ج 1، ص 325
ص 273	ونعوذ بالله أن يكون فيكم ما يستعي الألفاظ الشريفة والمعاني النفيسة	رسائل هارون، ج 1، ص 332
ص 273	أطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك، زعم –أبقاك الله – كثير ممن يقرض الشعر...–أبقاك الله- أن إقرار المسؤول بما ينحل من ذلك نوك	رسائل هارون، ج 4، ص 191
ص 273	على أنكم لم تحملونا إلا الخف ...وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤن الثقال	رسائل هارون، ج 4، ص 194
ص 273	ثم اعلم-أصلحك الله- أن الذي وجد في العبرة	رسائل هارون، ج

		4، ص 195
ص 274	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، و بالله نستهدي و إياه نستعين و عليه نتوكل،و ما توفيقنا إلا بالله	العثمانية، ص 5
ص 274	ثم إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة	رسائل هارون، ج 3، ص 131
ص 274	بالله نستعين و عليه نتوكل،و ما توفيقنا إلا بالله... اختلف الناس في المعرفة اختلافا شديدا	رسائل هارون، ج 4 ص 47
ص 276	سمعتك وأنت تريدني وكأنك تريد غيري أوكأنك تشير علي من غير أن تنصني وتقول: إني لأعجب ممن ترك دفاتر علمه متفرقة وكراريس درسه غير مجموعة ... وكيف لا يمنعها من التخرق!	رسائل هارون، ج 1، ص 246+ ج 4، ص 88- 89
ص 276- 277	ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن "عزيراً ابن الله" "ويد الله مغلولة" و"إن الله فقير ونحن أغنياء " وحكى عن النصارى أنهم قالوا: "المسيح ابن الله" وقال: "قالت النصارى المسيح ابن الله	رسائل هارون، ج 3، ص 334
ص 277- 278	وقلتَ: وما فرق ما بين الجر والسقاء والمزفت والحنتم والدباء؟ ... وما القول في شرب الفضيخ؟ وهل يكره نبيذ العكر؟ ....؟ و لم كره النقير والمقير؟	رسائل هارون، ج 4، ص 261
ص 278	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه ....قالوا: فلا يجيء إلا إلى مكان هو وفيه ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه جاز أن يخرج منه وهو فيه	رسائل هارون، ج 4، ص 13
ص 278- 279	وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلح، وأما قولهم: إن معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث	رسائل هارون، ج 3، ص 296
ص 285	يا أخي - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تذمها، .... قال الله تعالى في قصة لوط: "أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العَالَمِينَ. وتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُون"»	رسائل هارون، ج 4، ص 158
ص 292- 293	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم..... كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين»	رسائل هارون، ج 4، ص13- 15
ص 295-	وحدّثني عُمر بن سيف أنه حضر مجلس أبي عبّاد ثابت بن يحيى يوماً في مترله وعنده جماعة من الكتاب..... بعضكم على بعض. أُفٍّ لكم ولأخلاقكم!	رسائل هارون، ج 2، ص 200
ص 296- 297	فكل ذلك يراد به أنَّ الفضل قليل والنقص قليل لا على نسب ما يتلقاه الاجتماع من هذه الأعداد..... وهذه صفاتٌ موجودةٌ بالأقوال معدومة بالأفعال.	رسائل هارون، ج 1، ص 151
ص300- 302	وقد كان إبراهيم بن سيار النظام يجيب بجواب وأنا أذكره إن شاء الله، وعليه كانت علماء المعتزلة، ولا أراه مقنعاً ولا شافياً... والعطية وإنما الخليل في هذا	رسائل هارون، ج3، ص338-

	الموضع من الخَلّة والاختلال لا من الخُلّة والخِلال	340
ص 303-304	وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجـــدت لـــه عليها حاسداً..... والحسد وإن كان موكلا بالأدنى فالأدنى فإنه لم يَعْـــرَ منـــه الأبعد فالأبعد	رسائل هارون، ج 1، ص 344 - 348
ص306-307	وأن الناس إنْ تُرِكوا أن يقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك و لم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين... إعطاء النَّصَفَة من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره	رسائل هارون، ج4، ص285-286
ص 308-309	وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنَّـــى..... فـــلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنّة نبيِّه عليه السلام.	رسائل هارون، ج 2، ص 160 - 161
ص 313-314	ولو أننا جوزنا ما في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف، كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكاثرين..... وصفنا وعددنا. وكيف يكون إلهاً بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان؟	رسائل هارون، ج 3، ص 347 - 349
ص 315	وإذا كان قول المهاجرين والأنصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحّة على مـــا وصفنا في يوم السقيفة..... وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحليم ونظر المرشد وترتيب العالم	رسائل هارون، ج 4، ص 306 - 307

مكتبة البحث

- القرآن الكريم(رواية ورش)

أولا: المصادر

1. البلخي. أبو القاسم و آخرون:فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيد.ط2. الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1990
2. ابن جعفر. قدامة: نقد النثر، تح:طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، د ط، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة 1941
3. ابن قيم الجوزية:شفاء العليل في مسائل والقضاء والقدر والحكمة والتعليل، د ط، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، دمشق-سوريا1988
4. الجاحظ: البيان والتبيين. ج4/1 ط 2. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت. بدون تاريخ
5. الجاحظ: الحيوان، تح : عبد السلام هارون ج1، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، القاهرة 1965
6. الجاحظ: الرسائل. ج 3/1. د ط. تقديم وشرح علي بوملحم. دار مكتبة الهلال. بدون تاريخ
7. الجاحظ: الرسائل. ج2/1 (مجلد). ط 1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة 1964
8. الجاحظ: الرسائل. ج4/3 (مجلد). ط 1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة1979
9. الجاحظ: كتاب الحيوان. ج1. د ط . تح : عبد السلام هارون ج1، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر-القاهرة 1965
10. الجاحظ:كتاب التربيع والتدوير، نشر وتحقيق: شارل بلات، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق1955
11. الجاحظ:كتاب العثمانية، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل بيروت1991
12. السكاكي. أبويعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان1987

13. عبد الجبار (القاضي): شرح الأصول الخمسة(جزآن). تقديم عبد الرحمن بوزيدة. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. وحدة الرغاية. الجزائر. 1990
14. عبد الجبار. القاضي: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ،تح: فؤاد سيد يونس. ط2. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب. تونس، الجزائر. 1986
15. العسكري.أبوهلال :كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الجلبي وشركاه، القاهرة1952

ثانيا: المراجع:

أ) الكتب باللغة العربية:

16. أبو زيد. نصر حامد: إشكاليات القراءة و آليات التأويل. ط2. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء،بيروت 1992
17. أبو زيد. نصر حامد: النص، السلطة، الحقيقة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 1995
18. أبو زيد. نصر حامد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن. ط1. المركز الثقافي العربي . بيروت، الدار البيضاء. 1990
19. بلحاج رحومة الشكيلي. بسمة:السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل/ط1، دار محمد علي للنشر ، تونس2007
20. بن رمضان. صالح: أدبية النص النثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة-تونس 1990
21. بن رمضان. صالح: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم(مشروع قراءة شعرية)،ط1، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-دار الفارابي، منوبة، تونس2001
22. بناني. محمد الصغير: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين. ط4. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1994
23. بوملحم. علي :المناحي الفلسفية عند الجاحظ. ط2. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت1988

24. الجابري. محمد عابد: العقل السياسي العربي . ط4 .مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 2000
25. الجابري. محمد عابد: بنية العقل العربي.ط3. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1990
26. الجابري. محمد عابد: تكوين العقل العربي. ط7. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1998
27. الحاجري. طه: الجاحظ. حياته و آثاره. د.ط. دار المعارف بمصر. 1962
28. حسين. طه: من حديث الشعر والنثر ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الخامس). ط 1. دار الكتاب اللبناني. بيروت- لبنان 1973
29. خالد. أحمد: تيارات وشخصيات، ط2 ،مطبعة الشلي ، سوسة –تونس 1970
30. خطابي. محمد : لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1991.
31. دهري. آمنة: الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، جامعة الحسن الثاني- المحمدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الرسائل والأطروحات، رقم5
32. الراوي. عبد الستار :العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ط1.المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .1980.
33. الزناد. الأزهر: نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصا ، ط1 المركز الثقافي العربي.الدر البيضاء، بيروت1993
34. سلمان. علي محمد علي : كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجا)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت –لبنان 2010
35. الشبعان.علي: الحجاج بين المنوال والمثال، -نظرات في أدب الجاحظ و تفسيرات الطبري، ط1، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس2008
36. الشهري.عبد الهادي بن ظافر:استرتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان2004
37. صبحي. أحمد محمود: في علم الكلام،المعتزلة، ج1.دار النهضة العربية للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1305هـ 1985م
38. صحراوي. مسعود: التداولية عند العلماء العرب_ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت 2005

39. عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1998
40. عبد الرحمن. طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2. المؤسسة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب .2000
41. عروس. بسمة: التفاعل في الأجناس الأدبية/مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس الهجري، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس2008
42. العزاوي. أبوبكر:اللغة والحجاج،د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع،بيروت 2009
43. عشير.عبد السلام: عندما نتواصل نغير،د ط ، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء- المغرب2006
44. كيليطو. عبد الفتاح: الأدب و الغرابة، دراسة بنيوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب2006
45. المبخوت. شكري : دائرة الأعمال اللغوية، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2010
46. المبخوت.شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، د ط، مركز النشر الجامعي-كلية الآداب و العلوم الإنسانية منوبة ، تونس 2006
47. المبخوت.شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ط1 ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت 2009
48. المتوكل. أحمد : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية / بنية الحطاب من الجملة إلى النص، د ط، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط – المغرب 2001
49. المتوكل. أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2010
50. محمد القاضي. الشريف :الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXI، كلية الآداب منوبة–تونس ودار الغرب الإسلامي-بيروت1998
51. مروة. حسين: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية (مجلدان)ط4. دار الفارابي. بيروت لبنان1981
52. المسدي. عبد السلام: قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت- القاهرة1993

53. مشبال. محمد :البلاغة والسرد- جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة عبد المالك السعدي، تطوان المغرب 2010
54. مفتاح. محمد: دينامية النص ط2 . المركز الثقافي العربي . بيروت – الدار البيضاء .1990
55. الميساوي. خليفة ، الوصائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب ،ط1، عالم الكتب الحديث ، الأردن2012
56. ناصف. مصطفى: محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1997
57. وديعة. طه نجم : أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الأدبية، مجلة كلية الآداب العراقية العدد الحادي عشر- حزيران 1968م
58. يقطين. سعيد: الكلام و الخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب1997
59. يوسف نجم. محمد: فن المقالة، سلسلة الفنون الأدبية-1، ط4، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت –لبنان (د ت)

ب)الكتب المترجمة:

60. أرمنغو. فرانسواز: المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش،د ط، مركز الإنماء القومي، دت
61. أوركيوني.ك.ك: المضمر، تر:ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة-مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008
62. أوستين. ج .ل .: نظرية أفعال الكلام العامة _كيف نصنع الأشياء بالكلمات ،تر :عبد القادر قنيني،ط2، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء – المغرب 2008،
63. باختين. م :شعرية دوستويفسكي،تر:جميل نصيف التكريتي،ط1 ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب1986
64. بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان،تر: صابر الحباشة، ط1،دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية-سوريا 2007
65. بيللا. شارل: الجاحظ في البصرة. بغداد وسامراء. تر: د.ابراهيم الكيلاني. د. ط. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1986

66. تودوروف. ت: الأدب و الدلالة، تر: محمد نديم خشفة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب– سوريا1996
67. تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تر:فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان1996
68. راستيي.فرانسوا: فنون النص وعلومه، تر: ادريس الخطاب، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2010
69. ريكور. بول: من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة 2001
70. ريكور.بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر:سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2006
71. ريكور.بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر:سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء- المغرب 2006
72. زتسيسلاف وأورزنياك: مدخل إلى علم بناء النص، مشكلات بناء النص، تر:سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة2003
73. سارفوني. جان : الملفوظية ،،ترجمة قاسم المقداد ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998
74. شارودو. ب.:الحجاج بين النظرية و الأسلوب، تر: أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان 2009
75. شيفر. جان ماري: ما الجنس الأدبي؟ تر:غسّان السيّد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، يونيو2005
76. فاركلوف. نورمان: تحليل الخطاب_ التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، ط1، المنظمة العربية للترجمة- مركز در اسات الوحدة العربية، بيروت 2009
77. فان دايك :النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر:عبد القادر قنيني، د ط، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء- المغرب2000
78. فولفجانج هاينه من وديترفيهفيجر:مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم115،النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود،الرياض-السعودية 1999

79. كيمبسون. راث: نظرية علم الدلالة(السيمانطيقا)، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، منشورات الاختلاف و دور أخرى، الجزائر 2009
80. ليونز.جون: اللغة و المعنى و السياق، تر: عباس صادق الوهاب،ط1،دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)،وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق 1987
81. مارتان. ر: في سبيل منطق للمعنى، تر:الطيب البكوش وصالح الماجري،ط1، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان2006
82. موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة- دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت – لبنان2003
83. والتر ج. أونج : الشفاهية والكتابية، تر حسن البنا عز الدين، د ط المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، فبراير1994 (سلسلة عالم المعرفة)
84. وليك. رنيه و وآرن. آوستن: نظرية الأدب، تر:عادل سلامة، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض- السعودية 1992
85. يول. جورج:التداولية، تر:قصي العتابي،ط1، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط–المغرب 2010

ج) المقالات والأعمال الجماعية:

86. جاك روجو Jacques Rougeot: الأدب الترسلي، ضمن :نخبة من الأساتذة: الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، (د ط)، طلاس للدراسات والترجمة و النشر، دمشق – سوريا(د ت)
87. جيرار جينيت و آخ:نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء، المغرب1989
88. القاضي. وداد: نحو منهج سليم في قضية موثوقية الرسائل العربية الإسلامية المبكرة ، ضمن:في قراءة النص الديني (سلسلة موافقات)، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1990
89. المبخوت. شكري:نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن:فريق البحث في البلاغة و الحجاج تحت إشراف حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،سلسلة :الآداب ،مجلد:XXXIX، منشورات جامعة الآداب والعلوم الإنسانية تونس1-كلية الآداب منوبة ،دت

د) الموسوعات والقواميس:

90. إدريس. سهيل: المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الاداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2002
91. التهانوي . محمد:موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون،تر: عبد الله الخالدي،ج2، ط1، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت 1996
92. ديكرو.أ وسشايفر .ج.م: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب2007
93. شارودو.ب ود.مانغونو :معجم مصطلحات تحليل الخطاب ،تر:جمة:صمادي حمود وعبد القادر المهيري،د ط ،منشورات دار سيناتر:ا ،المركز الوطني للتر:جمة،تونس 2008
94. لالاند "الموسوعة الفلسفية، تع:خليل أحمد خليل،ط2، دار عويدات للنشر و التوزيع،بيروت-باريس2001
95. المسدي. عبد السلام: قاموس اللسانيات: عربي -فرنسي، فرنسي- عربي، مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب،تونس-ليبيا،1984
96. موشلر .جاك وروبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية، تر:مجموعة من الباحثين،ط2، دار سيناترا للنشر_المركز الوطني للترجمة،تونس2010

ثالثا: المراجع باللغة الفرنسية: Références en langue française

أ) الكتب **Ouvrages** :

97. Bakhtine. M ,1977 [1929]: Le marxisme et la philosophie du langage, Paris, Seuil
98. Bakhtine. Mikhaïl, 1978: Esthétique et théorie du roman, Paris, Gallimard
99. Bracops. M ,2006: Introduction à la pragmatique – Les théories fondatrices, actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée, Louvain-la-Neuve :Duculot
100. Combe. Dominique,1992: Les genres littéraires , éd. HACHETTE , Paris
101. Ducrot .O et Anscombre J-C, 1983: L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, éditeur, Collection « Philosophie et langage », Bruxelles
102. Ducrot. O, 1973: La Preuve et le Dire, Repères، Mame, Paris,
103. Ducrot. Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann، Collection « Savoir »، Paris
104. Ducrot.O1980,: Les échelles argumentatives. Paris , Minuit

.105 Gjestard. Øyvind: La polyphonie discursive _ Pour un dialogisme ancré dans la langue et l'interaction
.106 Mainguenau. D,2005:Pragmatique pour le discours littéraire،éd Armand Colin
.107 Maingueneau. Dominique, 1998: Analyser les textes de communication, Paris, Nathan.
.108 Maingueneau. Dominique. 1994 : L'énonciation en linguistique française Paris: Hachette
.109 MARTIN, Robert, 1987: Langage et croyance. Les « univers de croyance » dans la théorie sémantique », Pierre Mardaga, éditeur, Bruxelles
.110 Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine , 2009: Initiation à la linguistique contemporaine ,3e éd, Armand Colin،Paris
.111 Moignet. Gérard, 1974: Études de psycho-systématique française, Paris, Klincksieck,
.112 Nølke. Henning. 1993: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives , Paris : Kimé
.113 Orrechioni. C-K, 2005: Les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Armand Colin
.114 Reboul .A.&.Moeschler. J, 1998: Pragmatique du discours, Paris, A.Colin

ب) المقالات والأعمال الجماعية **Articles et Ouvrages collectifs**:

.115 _ Adam .Jean-Michel. L'argumentation dans le dialogue. In: Langue française. N°112, 1996. pp. 31-49.doi : 10.3406/lfr.1996.5359
.116 Adam. Jean-Michel, 2002: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, in Olsen. M,(éd,): Polyphonie littéraire et linguistique ,Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
.117 Adam. Jean-Michel,1997: Unités rédactionnelles et genres discursifs, cadre général pour une approche de la presse écrite, Pratiques 94, Paris : CRESEF
.118 Adam. J. M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed SEDES, 1998
.119 Anscombre J.-Cl : Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative. In: Langue française. N°102, 1994.pp. 95-107.doi: 10.3406/lfr. 1994. 5717
.120 Bres. Jacques et Nowakowska. Aleksandra: Dis-moi avec qui tu«dialogues»، je te dirai qui tu es …De la pertinence de la notion de dialogisme pour l'analyse du discours ،in Marges linguistiques - Numéro 9، Mai 2005 - M،L ،M ،S،éditeur http:/ /www،marges-linguistiques. com-13250 Saint-Chamas (France)
.121 Carel. Marion et Ducrot. Oswald: Mise au point sur la polyphonie, Langue française, 2009/4 n° 164, p. 33-43. DOI: 10.3917/lf.164.0011
.122 Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle, in: Analyse des discours,Textes, types et genres. Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud
.123 Ducrot. O et autres, 1980: Les mots du discours, Les Éditions de Minuit, Paris

.124 Ducrot. O: Argumentation rhétorique et argumentation linguistique. Dans :L'argumentation aujourd'hui-Positions théoriques en confrontation(Textes réunis par Mariane DOURY et Sophie MOIRAND) ,2004,Presse Sorbonne Nouvelle

.125 Fløttum. K, 2003b: Polyphonie dans les textes scientifiques, Étude de deux cas français, In: Polyphonie linguistique et littéraire VII, Roskilde, Samfundslitteratur Roskilde

.126 Gresillon. Almuth, Maingueneau. Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre. In:Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 112-125.doi: 10.3406/lgge.1984.1168 .

.127 HEDERMAN. Pascale, PIERARD. Michel et VAN RAEMDONCK. Dan :La scalarité : autant de moyens d'expression, autant d'effets de sens, De boeck Université, Travaux linguistiques, 2007/1- N° 54, pages 7 à 15

.128 J .A . Revuz : La repésentation du discours autre, un champ multiplement hétérogène, Dans : Le Discours rapporté dans tous ses états(Textes réunis et présentés par Juan Lopez Munoz, Sophie Marnette et Laurence Rosier), L'Harmattan, Paris,2004 ,Actes du colloque international, 08-11 NOV 2001

.129 Jacqueline Authier-Revuz, Hétérogénéité(s) énonciative(s),In: Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111

.130 kerbrat-Orechionni.Catherine: L'interaction épistolaire, Dans:La lettre entre réel et fiction , Sous la direction de Jurgen Siess,Ed,SEDES 1998

.131 Maingueneau. Dominique, 2005: L'Analyse de discours et ses frontières, Marges linguistiques 9, http : //www ،margeslinguistiques, com

.132 Michaux. Christine: Le proverbe:nom ou phrase ?,Université Libre de Bruxelles , Paremia, 8: 1999. Madrid

.133 Nølke .Henning: Polyphonie linguistique et discours rapporté,in Polyphonie – linguistique et littéraire Lingvistisk og litterær polyfoni Documents de travail/arbejdspapirer, No VII, JUILLET 2003

.134 Nølke. H ,2009a: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, In: Kratschmer.A, M.Birkelund & R .Therkelsen

.135 Nølke. H, 2009b: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine ,In: Langue française 164

.136 Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé

.137 Olsen. M, 2002: Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur

.138 Perelman, Chaim et Obrechts Tyteca,Olga.1970 (1958) :Traité de l'argumentation . La (nouvelle rhétorique . Bruxelles : Éditions de l'Université de Bruxelles

.139 Rabatel Alain , « Les verbes de perception en contexte d'effacement énonciatif: du point de vue représenté aux discours représentés » ,Travaux de linguistique, 2003/1 no46, p. 49-88. DOI: 10.3917/tl.046.0049

.140 Rabatel.Alain:L'éffacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66

.141 REICHLER-BEGUELIN.Marie-José: Anaphore ,cataphore et mémoire

discursive, PRATIQUES N° 57, Mars 1988
.142 Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, In: Roulet .E, L .Filliettaz & A .Grobet ,2001 :Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours ,Frankfurt , Peter Lang
.143 SOFIA, Dima: Le proverbe, un cas spécial de polyphonie. Recherches ACLIF: Actes du Séminaire de Didactique Universitaire, 2006, no 3
.144 -Vion.Robert :Dimensions énonciatives، discursives et dialogiques de la modalisation،in :LINGUAS & LETRAS ، vol 8.n°15 .2° sem.2007

ج) المعاجم والموسوعات **Dictionnaires et Encyclopédies** :

.145 Charaudeau .Patrick et Maingueneau.Dominique ،2002: Dictionnaire d'analyse de discours,Paris ,Seuil
.146 Dubois .Jean & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS
.147 Encyclopaedia Universalis, France SA 2008
.148 Gaffiot. Felix, 1934: Dictionnaire LATIN-FRANÇAIS, Hachette79,Bd Saint-Germain,Paris
.149 Le petit Larousse illustré en couleur, Larousse/VUEF, 2003
.150 Le Petit Robert. Dictionnaire de la langue française, Le Robert, 2001
.151 Mainguenau. DOMINIQUE ,1996 : Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris
.152 Moeschler. Jacques et Reboul. Anne ,1994: Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,Paris , Seuil
.153 Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris

تعريف بأهم الأعلام

إدّي رولي Eddy Roulet (1939-...)لسانية سويسرية، عملت أستاذة للسانيات العامة واللسانية التطبيقية بجامعات نوشاتل و جنيف. اشتغلت مع مجموعة من الباحثين على مشروع تحليل الحوارات، وتحليل الخطاب، وهو مشروع لا يزال في حالة تطوير. أنشأت سنة 1980 دورية "دفاتر اللسانيات الفرنسية" les Cahiers de linguistique française، لنشر أعمال فريق البحث الذي ترأسه.كما تشرف على تنظيم ملتقى التداولية بجنيف الذي تخصص أشغاله لمناقشة نتائج بحوث فريق البحث، مع باحثين من خارج سويسرا. أشهر أعمالها: وصف تنظيم الخطاب من الحوار إلى النص –تنظيم La description de l'organisation du discours. Du dialogue au texte الخطاب، نموذج التحليل و أدواته Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours

آلان راباتال Alain Rabatel (1953-.....):أستاذ علوم اللسان بجامعة كلود بارنار – ليون1(المعهد العالي لتكوين المعلمين)، مؤهل للبحث في (علوم اللسان والأدب ولسانيات اللغة الفرنسية)، عضو مدرسة الدكتوراه **HSH**(الإنسانيات وعلوم الإنسان)، وعضو دائم بمخبر**ICAR**(تفاعلات،مدونات، تعلمات،تمثيلات)التابع لجامعة ليون1.أهم أعماله: البناء النصي لوجهة النظر La Construction textuelle du point de vue ، الحجاج بواسطة القص Argumenter en racontant ، الإنسان الحاكي- من أجل تحليل تلفظي تفاعلي للســـرد Homo narrans. Pour une analyse énonciative et interactionnelle du récit، وجهات النظر ومنطق عملية السرد Les points de vue et la logique de la narration .

آن روبول Anne Reboul (1956-....) حاصلة على دكتوراه في اللسانيات ودكتوراه في الفلسفة. بعد متابعتها لدراسات ما بعد الدكتوراه بلندن في University College، شغلت عدة مناصب متصلة بالبحث في حقل اللسانيات بسويسرا. وفي سنة 1993التحقت بالمركز الوطني للبحث العلميCNRS بفرنسا. وفي عام 1999 التحقت بمعهد العلوم المعرفية بليون، حيث تشغل منصب مسؤول على فرقة بحث"التداولية و العلوم المعرفية". أهم أعمالها: التداولية اليوم علم جديد في التواصل La pragmatique aujourd'hui :une nouvelle science de la communication(بالاشتراك مع موشلر. ج)، تداولية الخطاب: من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب Pragmatique du discours : de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours(بالاشتراك مع موشلر. ج)،اللغة و العرفنة البشرية Langage et cognition humaine(عمل فردي)

أوزوالد ديكرو Oswald Ducrot (1930-.....)لساني فرنسي، أستاذ مبرز في الفلسفة، عمل سابقا في المركز الوطني للبحث العلميCNRS بفرنسا، يشغل حاليا منصب مدير الدراسات بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (EHESS) بباريس. للباحث عدة أعمال حول التلفظ و الحجاج في اللغة،و التعدد الصوتي. من أشهر أعماله:الدليل والقول La Preuve et le dire ، البنيوية في حقل اللسانيات Le Structuralisme en linguistique، أن نقول ولانقول Dire et ne pas dire ، مبادئ في الدلالة اللغوية Principes de

sémantique linguistique، القول والمقول Le Dire et le Dit ، السلالم الحجاجية Les Échelles argumentatives، كلمات الخطابLes Mots du discours (مع آخرين)، الحجاج في اللغة L'argumentation dans la langue(بالاشتراك مع ج. ك. أنكومبر)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان.Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع ج. م. شايفر)

باتريك شارودو Patrick Charaudeau:مؤسس مركز تحليل الخطاب بجامعة باريس8، يشغل حاليا منصب أستاذ مميز في علوم اللسان، كما يعمل باحثا بمخبر التواصل والسياسة(LCP).التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنساCNRS .أهم أعماله: الكلام المصادر La parole confisquée، خطاب الإخبار الإعلامي Le discours d'information médiatique ، معجم تحليل الخطاب Dictionnaire d'analyse du discours(بالاشتراك مع د. مانغونو)، الخطاب السياسي-أقنعة السلطة Le discours politique : les masques du pouvoir

جاك موشلر Jacques Moeschler(1954-.....):أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة جنيف، متخصص في علم الدلالة والتداولية. تناولت أبحاثه موضوعات الإحالة الزمنية، و الروابط التداولية، والسببية، والكلمات المنطقية المرتبطة بالحجاج. تمثل كتبه المعتمدة على محاضراته ونشاطه التدريسي مرجعا في بابها. يرأس حاليا الجمعية السويسرية للسانيات، وقد أسندت إليه رئاسة لجنة تنظيم الملتقى العالمي للسانيات الذي سينعقد في الفترة من:07 إلى 12 جويلية 2013، بجامعة جنيف. أهم أعماله:النظرية التداولية والتداولية التحادثية Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle، الحجاج والمحادثةArgumentation et conversation ، مبادئ للتحليل التداولي للخطاب Éléments pour une analyse pragmatique du discours ، القول ونقيض القول.Dire et contredire ، تداولية النفي وفعل الدحض في المحادثة Pragmatique de la négation et acte de réfutation dans la conversation

جان ماري شايفر Jean-Marie Schaeffer(1952- ....): باحث فرنسي متخصص في فلسفة التلقي الجمالي ونظرية الفن، منتسب إلى المركز الوطني للبحث العلميCNRS بفرنسا، حيث ترأس المركز الفرعي للبحث في الفنون واللغة و CRAL التابع للمدرسة العليا للدراسات الاجتماعيةEHESS ، المدرسة التي يشغل بها منذ 2002 مديرا للدراسات.أهم أعماله: ما الجنس الأدبي؟ Qu'est-ce qu'un genre littéraire ? ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع أ. ديكرو)،الفن، الإبداع والمتخيل Art, création, fiction

جون روجرس سيرل John Rogers Searle (1932-....) فيلسوف أمريكي من أعلام الفلسفة التحليلية، اهتم خاصة بفلسفة اللغة و فلسفة العقل. اشتغل أستاذا للفلسفة بجامعة كاليفورنيا-بيركلي. وهو أشهر أتباع

أوستين ،إذ قام على تطوير نظريته في أعمال الكلام. أشهر أعماله: أعمال اللغة An Essay in the Philosophy of Language (1969) - Speech Acts , المعنى و التعبير Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts (1979)– العقل، اللغة و المجتمع Mind, Language and Society: Philosophy in the Real World (1998)

جون لانغشو أوستين(1911-1960)فيلسوف أنجليزي من أقطاب الفلسفة التحليلية. اهتم بدراسة المعنى من منظور فلسفي ، فعد رائدا لفلسفة اللغة العادية، من خلال نظرية أعمال اللغة التي وضعها(في محاضراته: كيف نصنع أشياء بالكلمات How to do Things with Words) ،و تابعه جون سيرل فطورها و أكمل بناءها النظري. أشهر أعماله:أوراق فلسفية Philosophical Papers [1961] – لغة الإدراك Sense and Sensibilia

جون ميشال أدام Jean-Michel Adam (1947-...) لساني فرنسي، متخصص في لسانيات النص و تحليل الخطاب. عمل في عدة جامعات. يشغل حاليا منصب أستاذ شرفي للسانيات الفرنسية بجامعة لوزان السويسرية. أشهر أعماله: أنماط النصوص و نمذجاتها Les textes : types et prototypes- لسانيات النص مدخل إلى التحليل النصي للخطاب La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse textuelle des discours– لسانيات النص ، من أجناس الخطاب إلى النصوص Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes

دان سبربر Dan Sperber (1942-...)أنثروبولوجي ولساني فرنسي، باحث في حقل العلوم العرفانية. يعمل حاليا مديرا للبحث المتميز بمعهد جون نيكو التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا، ويعمل أيضا أستاذا للعلوم العرفانية والفلسفة بالجامعة المركزية الأوربية ببودابست. عرف بأعماله في حقل التداولية، ولاسيما ما يتصل بنظرية الملاءمة التي طورها بالاشتراك مع دايردر ولسنDeirdre Wilson. حصل سبربر عام 2009 على جائزة ك.ل. ستراوس التي تمنح لأحسن عمل في حقل العلوم الاجتماعية،يصدر بفرنسا. أشهر أعماله: التواصل، الملاءمة و العرفنة، بالاشتراك مع دايردر ولسنLa Pertinence, Communication et Cognition, avec Deirdre Wilson – عدوى الأفكار La Contagion des Idées

دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau :أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة السوربون بباريس. تركزت أبحاثه على لسانيات اللغة الفرنسية، وتحليل الخطاب، متأثرا بإسهامات م. فوكو، والتيار التداولي، ونظريات التلفظ اللسانية. تحول مؤخرا إلى الاهتمام بتحليل الخطابات المؤسّسة (الفلسفية، والدينية، والعلمية، والأدبية). أهم أعماله: مدخل إلى مناهج تحليل الخطابInitiation aux méthodes de l'analyse du discours ، التلفظ الأدبL'énonciation littéraire ، من أجل تداولية للخطاب الأدبي Pragmatique pour le discours littéraire ، مدخل إلى اللسانيات الفرنسيةIntroduction à la linguistique française ،الخطاب الأدبيLe discours littéraire، من أجل لسانيات للنص الأدبي Linguistique pour le texte littéraire

كاترين كربرات أوركيوني Catherine Kerbrat-Orecchioni (؟-.....) لسانية فرنسية من أصل روماني، تعمل حاليا أستاذة باحثة بجامعة ليون2، حيث تنتسب إلى مخبر البحث ICAR المتخصص في دراسة(التفاعلات، المدونات، التعلمات، والتمثيلات) تهتم على وجه الخصوص بموضوع الحوار، وتسعى إلى بلورة مفهوم"المجاز الحواري" الذي يتعلق بالكيفية التي ينطوي من خلالها الملفوظ الموجه إلى المعني بالحوار، على مرسلة موجهة إلى شخص آخر شاهد على هذا الحوار. أهم أعمالها: التلفظ- حول الذاتية في اللغة L'énonciation : De la subjectivité dans le langage، التفاعلات الشفوية Les Interactions verbales، الخطاب في حال التفاعل Le discours en interaction ،أعمال اللغة في الخطاب،النظرية والاشتغال actes de langage dans le discours : Théories et fonctionnement

ميخائيل ميخايلوفتش باختين (1895-1975)علم روسي بارز في حقول متعددة: تاريخ الأدب ونظريته،التحليل النفسي ، علم الجمال ، علم الأخلاق. يعد مؤسس اللسانيات الاجتماعية. وقد عرف واشتهر بدراساته حول الرواية(أعمال دوستويفسكي وتولستوي وغيرهما). خالف في منهجه الشكلانيين الروس ونقدهم مبينا محدودية نموذجهم التحليلي. أشهر ما ينسب إليه في حقل الدراسات الأدبية مفهوما الحوارية و التعدد الصوتي. أشهر أعماله: شعرية دوستويفسكي Problèmes de la poétique de Dostoïevski -استتيقا الرواية و نظريتها Esthétique et théorie du roman

نورمان فايركلو Norman Fairclough (1941-...)أستاذ مميز في اللسانيات بجامعة لانكاستر. يعدّ أحد المؤسسين للتحليل النقدي للخطاب(CDA) في مجال الدراسات السوسيولسانية، وهو تخصص يعنى بدراسة كيفية ممارسة القوة من خلال اللغة. تأثر فايركلو بميخائيل باختين و ميخائيل هاليداي في طروحاتهما اللسانية ، كما تأثر بكل من أ. غرامشي ول. ألتوسير وم. فوكو وب. بورديو في منظوراتهم السوسيولوجية. أشهر أعماله: الخطاب و التغير الاجتماعي (1992). Discourse and Social Change – التحليل النقدي للخطاب (1995). Critical Discourse Analysis – الخطاب الإعلامي (1995). Media Discourse

هيربرت بول غرايس Herbert Paul Grice (1913-1988) فيلسوف بريطاني، بدأ حياته المهنية في بريطانيا، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة حيث قضى العشرين سنة الأخيرة من حياته. عرف بأبحاثه في فلسفة اللغة، إذ اهتم بالتداولية و اللسانيات. أهم المفاهيم التي اجترحها ، مفهوم التعاون ، وحكم المحادثة ، و الاستلزامات التحادثية. أشهر أعماله: مقالة بعنوان "المعنى"المجلة الفلسفية "Meaning," The Philosophical Review .1957- كتاب"المنطق والمحادثة"1975. Logic and conversation- مفهوم القيمة 1991. The Conception of Value

هينينغ نولكه Henning Nølke:مختص في الأصواتية اللسانية. عمل أستاذا في معهد الدراسات التجارية العليا بآرهيس بالدانمارك سنة1993، وانتقل منها إلى قسم اللغة الفرنسية بجامعة آرهيس سنة 2004، حيث شغل منصب أستاذ اللسانيات. يرأس فريق البحث السكندنافي في التعدد الصوتي اللساني والأدبي المعروف بـــ scapoline.
أهم أعماله:السكابولين النظرية السكندنافية للتعدد الصوتي اللساني ScaPoLine, la théorie scandinave de la polyphonie linguistique (بالاشتراك مع ك. فلوتوم، ك. نورن)، نظرة المتكلم Le regard du locuteur، من أجل لسانيات للآثار التلفظيةpour une linguistique des traces énonciatives ، اللسانيات القالبية Linguistique modulaire ، من الشكل إلى المعنىde la forme au sens

فهرس الموضوعات

مدخل نظري: نظرية التعدد الصوتي 1 – 69

أ)الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي 4-44

1- نظرية أعمال اللغة..... 6

2- تداولية التضمينات عند غرايس..... 17

3- نظرية الملاءمة :التداولية العرفانية..... 30

4- التداولية المندمجة..... 37

ب) :التعدد الصوتي،نظرياته وجهازه المفاهيمي 45 - 69

توطئة: المصطلح و الماهية..... 45

أولا :نظريات التعدد الصوتي..... 52

ثانيا:الجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي..... 60

الفصل الأول:مدونة الرسائل من منظور أجناسي تداولي 70 – 129

- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات 71

- إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي لخطاب الرسائل..... 86

- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي عند الجاحظ..... 102

الفصل الثاني: التحليل الأصواتي اللساني 130- 187

توطئة..... 131

النفي الجدلي: 133-146

مفهومه واشتغاله أصواتيا..... 133
النفي الجدلي في خطاب الرسائل..... 140

الاستفهام/ السؤال البلاغي: 147-161
مفهومه واشتغاله أصواتيا..... 147
الاستفهام في خطاب الرسائل..... 153

ج)الروابط والعوامل الحجاجية: 162-175
مفهومها واشتغالها أصواتيا..... 162
الروابط والعوامل الحجاجية في خطاب الرسائل..... 167

د) الموجهات: 176-187
- مفهومها واشتغالها أصواتيا..... 176
- الموجهات في خطاب الرسائل..... 179

الفصل الثالث: التحليل الأصواتي النصي 188-240

توطئة..... 189
1)الإحاليات واشتغالها أصواتيا..... 192
2) مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات..... 199
3) الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية..... 224
4) استعادة وجهات النظر واستباقها..... 233

الفصل الرابع:التحليل الأصواتي الخطابي 241-316

أ) الآليات الأصواتية الخطابية واشتغالها أصواتيا..... 243

ب) ذوات الخطاب وذوات الواقع..... 262

ج) هيمنة المتكلم /كاتب الرسائل على التلفظ..... 282
ب) تبـــني الأصوات ودحضـــها..... 287
د) استحضار خطاب الآخر..... 299
هـــ) إقحام القارئ في النص..... 311
خاتمـــــــــــــة..... 317
فهارس وملاحق 361-321
فهرس نصوص المقتبسات المترجمة..... 322
ثبت المصطلحات المترجمة..... 328
فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل..... 336
مكتبة البحث..... 343
ملحق التعريف بأهم الأعلام..... 354
فهرس الموضوعات..... 359

فهرس نصوص المقتبسات المترجمة

نصوص المقتبسات و إحالاتها		صفحة الورود
«La pragmatique textuelle est confrontée à des séquences plus ou moins longues d'actes de langage qui permettent d'établir à un niveau supérieur une valeur illocutoire globale, celle de macro- actes de langage. On retrouve ici la problématique des genres de discours ; si le destinataire comprend à quel genre(…)appartient un ensemble d'énoncés, il en a une interprétation adéquate, qui ne résulte pad de la simple somme des actes de langage élémentaires»	نص المقتبس	ص16
D.Mainguenau:Pragmatique pour le discours littéraire،p11-12	المرجع	
«on ne peut pas imaginer aucun niveau de description sémantique où l'on ferait comme si ces langues n'étaient pas destinées à être parlées »	نص المقتبس	ص38
DUCROT، Oswald، 1972: Dire et ne pas dire، Hermann، Collection « Savoir »، Paris ،p130	المرجع	
« l'action humaine accomplie au moyen du langage »	نص المقتبس	ص39
Ducrot، O ،1984 ،Le dire et le dit,p173	المرجع	
« de ce que la parole، d'après l'énoncé lui-même، est censée faire ،En utilisant un énoncé interrogatif، on prétend obliger، par sa parole même، la personne à qui on s'adresse à adopter un comportement particulier، celui de réponse، et، de même، on prétend l'inciter à agir d'une certaine façon si on recourt à un impératif، etc ،»	نص المقتبس	ص39
_ Ibid ,p 174	المرجع	
«Un ensemble d'instructions données aux personnes qui ont à interpréter les énoncés de la phrase, instructions précisant quelles manœuvres accomplir pour associer un sens àces énoncés»	نص المقتبس	ص40
Ibid ، p181	المرجع	
« Je ne dis pas que l'énonciation، c'est l'acte de quelqu'un qui produit un énoncé : pour moi، c'est simplement le fait qu'un énoncé apparaisse، et je ne veux pas prendre position، au niveau de ces définitions préliminaires، par rapport au problème de l'auteur de l'énoncé ،Je n'ai pas à décider s'il y a un auteur et quel il est ،[…] j'ai besoin، pour construire une théorie du sens، une théorie de ce qui est communiqué، d'un concept d'énonciation qui ne renferme pas en lui dès le départ، la notion de sujet parlant »	نص المقتبس	ص42
_ Ibid ,179-180	المرجع	
«Le locuteur prendrait en charge les 'paroles' mais pas le point de vue que défend l'énoncé : ce 'point de vue' serait attribué à un personnage, l'énonciateur, mis en scène dans l'énonciation ironique».	نص المقتبس	ص51
Mainguenau. D: Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris, p 64	المرجع	
«Une extension (très libre)à la linguistique des recherches de Bakhtine	نص	ص53

sur la littérature»	المقتبس	
Ducrot، O ،1984 ،Le dire et le dit،p173	المرجع	
« Non seulement la présence de plusieurs parties différentes, mais encore que ces parties soient d'importance égales »	نص المقتبس	ص53
Encyclopaedia universalis, France SA 2008, p 405	المرجع	
« repérer les segments de discours produits et représentés qui constituent[une intervention] à différents niveaux، ce que nous appelons l'organisation énonciative، puis de décrire les fonctions des discours représentés dans cette intervention »	نص المقتبس	ص55
Roulet، E ،L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique ،p278-279	المرجع	
«L'objet véritable de la recherche doit être justement l'interaction dynamique de ces deux dimensions, le discours à transmettre et celui qui sert à la transmission»	نص المقتبس	ص55
Bakhtine. M:Le marxisme et la philosophie du langage ،p166	المرجع	
«La relation qui existe –selon l'énoncé- entre le contenu propositionnel et le locuteur»	نص المقتبس	ص57
Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé,p46	المرجع	
«Alors que le but avoué de Ducrot est de fournir une description sémantique de la langue, en principe en complète indépendance de la parole, notre est de développer un appareil d'analyses textuelles»	نص المقتبس	ص58
Ibid، p21	المرجع	
«Fournit des instructions relatives à l'interprétation de l'énoncé de la phrase, ou précisément aux interprétations possibles de celui-ci»	نص المقتبس	ص58
Ibid ،p28	المرجع	
« c'est LOC qui assume la responsabilité des actes illocutoires et argumentatifs véhiculés par l'énoncé »	نص المقتبس	ص62
_ Nølke، H ،2009a ،La polyphonie de la ScaPoLine 2008 ،In : Kratschmer، A،، M،Birkelund & R ،Therkelsen (éds،) ،2009 ،La polyphonie : outil heuristique،linguistique، littéraire et culturel ،Berlin : Frank & Timme،p،20	المرجع	
«relient des pdv simples ou complexes entre eux sur l'axe syntagmatique »	نص المقتبس	ص64
Nølke، H،، K ،Fløttum & C ،Norén ،2004 ،ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique،p35	المرجع	
« les formes et expressions linguistiques qui combinent des unités	نص	ص64

sémantiques – les arguments dudit connecteur – pour créer un nouveau sens complexe à partir de leurs sens plus primitifs en combinant et en spécifiant ceux-ci »	المقتبس	
_ Nølke، H ،2009a ،La polyphonie de la ScaPoLine 2008،p 28	المرجع	
« réfère aux relations que tout énoncé entretient avec les énoncés produits antérieurement ainsi qu'avec les énoncés à venir que pourraient produire ses destinataires »	نص المقتبس	ص76
- Charaudeau، Patrick et Maingueneau، Dominique ،2002 ،Dictionnaire d'analyse de discours ،Paris : Seuil، p175	المرجع	
- «the use of language associated with a particular social activity»	نص المقتبس	ص77
Malin Roitman، Polyphonie argumentative Etude de la négation dans des éditoriaux du Figaro ، de Libération et du Monde، Printed by Universitetsservice US-AB، Stockholm 2006،، p16	المرجع	
« overreaches the other types, in the sens that genre corresponds closely to types of social practice»	نص المقتبس	ص77-78
Ibid	المرجع	
« À faire dépendre la signification des discours du statut de l'acteur producteur de l'acte de langage, de sa position de légitimité plus que de son rôle de sujet énonciateur, cela voudrait dire que quelle que soit la façon de parler, il produirait un discours typique du domaine concerné »	نص المقتبس	ص79
- Charaudeau، Patrick ،2001 ،« Visées discursives، genres situationnels et construction textuelle » in Analyse des discours ،Textes، types et genres ،Actes du colloque de Toulouse، 2-5 décembre 1998 ،Éditions Universitaires du Sud، p 3	المرجع	
« articulation entre ces trois niveaux, et la mise en corrélation (et non en implication successive) des données que propose chacun de ces niveaux »	نص المقتبس	ص81
- Ibid ، p23	المرجع	
« Les genres ne suffisent pourtant pas à définir tous les contrats possibles de la littérature, puisque les œuvres aussi peuvent instituer des contrats singuliers. »	نص المقتبس	ص82
D.Mainguenau2005:Pragmatique pour le discours littéraire،éd Armand Colin،p 122	المرجع	
« le contrat singulier qu'elle établit n'est qu'un ilot dans l'ensemble des règles tacites qu'elle respecte(ne serait-ce que par l'inscription dans cette institution qu'est la littérature). »	نص المقتبس	ص83
- Ibid،p123	المرجع	
« se pose la question de la prise en charge des énoncés et, plus largement, celle de la cohésion-cohérence énonciative d'un texte »	نص المقتبس	ص84

- Adam، Jean-Michel ،2002 ،« Textualité et polyphonie ،Analyse textuelle d'une préface de Perrault » in Olsen، M ،(éd،)،Polyphonie littéraire et linguistique ،Documents de travail V ،Roskilde : Samfundslitteratur ،p39-84 ،p52	**المرجع**	
« des ouvrages qui n'ont des Lettres que le nom »	**نص المقتبس**	**ص**86 (في الهامش)
- J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives، p51	**المرجع**	
«Et rappelons aussi ce fait souvent signalé, que cette distance spatio-temporelle qui caractérise la relation émetteur-récepteur dans la communication épistolaire constitue une donnée fondamentale de cette forme de communication : on écrit parce qu'on est séparés, en même temps que pour créer l'illusion qu'on est ensemble ; du fait de l'existence de ce fossé, et pour tenter de le combler. La surabondance des références au cadre spatio-temporel dans le discours épistolaire a à cet égard un statut bien paradoxal, puisqu'en même temps qu'elles produisent un effet-de-présence, ces références soulignent aussi, puisqu'elles seraient superflues en situation partagée, la réalité de l'absence »	**نص المقتبس**	**ص**91
Catherine kerbrat-Orechionni:L'interaction épistolaire Dans: La lettre entre réel et fiction،Sous la direction de Jurgen Siess،Ed،SEDES 1998 ،p17	**المرجع**	
« L'erreur vient du mot dont on se sert. Il n'y a pas d'art épistolaire.Il n'y a pas de genre épistolaire :du moins dans le sens littéraire du mot genre »	**نص المقتبس**	**ص**98
J-M.Adam: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives. Dans: La lettre entre réel et fiction،Sous la direction de Jurgen Siess،Ed،SEDES 1998 ،p 39	**المرجع**	
« lorsque la sphère de l'activité sociale (la formation socio-discursive) se complexifie dans son organisation, les pratiques discursives (genres) qu'elle exige se complexifient »	**نص المقتبس**	**ص**98
- Ibid. p 52	**المرجع**	
« Pour que l'échange épistolaire soit accepté comme genre littéraire, il faut encore qu'un œil étranger, celui du lecteur hors champ, transperce l'intimité à peine inaugurée en la transformant en spectacle et en configuration discursive »	**نص المقتبس**	**ص**99
- Ibid.	**المرجع**	
«Une phrase interrogative donne, en vertu de sa signification, les deux instructions suivantes aux auditeurs qui ont à construire le sens des énoncés de cette phrase : (a) ces énoncés doivent faire apparaitre un énonciateur éxprimant son doute en ce qui concerne la proposition sur laquelle porte l'interrogation ; (b) lorsque cette énonciateur est assimilé au locuteur, l'expression du doute doit etre lue comme une question, c'est-à-dire que l'énonciation	**نص المقتبس**	**ص**149

doit etre décrite comme obligeant l'allocutaire à répondre A partir de cette valeur de la phrase on peut prévoir deux possibilités en ce qui concerne les actes de langage illocutoires lies à l'énonciation. Tantot il y aura un acte de "primitif" de question, tantot un acte "dérivé"- qui peut etre, entre autres, un acte de demande»		
O Ducrot ، Le dire et le dit، p : 227	المرجع	
«La diversité des attitudes psychiques qui se traduisent par des phrases interrogatives : appel d'information, délibération, demande de confirmation, mise en doute, refus, hypothèse, appel à l'approbation, se ramène à un facteur commun, qui est de constituer des attitudes non thétiques, c'est-à-dire, ne visant pas à poser le procès, mais au contraire, à le mettre en débat»	نص المقتبس	ص153
Moignet، Gérard، 1974 : Études de psycho-systématique française، Paris : Klincksieck,100	المرجع	
Un connecteur pragmatique est une marque linguistique، appartenant à des catégories grammaticales variées (conjonctions de coordination، conjonctions de subordination، adverbes، locutions adverbiales)، qui a) articule des unités linguistiques maximales ou des unités discursives quelconques. b) donne des instructions sur la manière de relier ces unités.c) impose de tirer de la connexion discursive des conclusions qui ne seraient pas tirées en leur absence.	نص المقتبس	ص163
Reboul ,A.&.Moeschler. J, 1998. Pragmatique du discours.Paris: A.Colin. p 77	المرجع	
« prétende dire E2 sur la simple foi de l'allocutaire، qu'il le dise parce que l'allocutaire l'a dit ،En revanche، il peut très bien dire E2 s'il le prend sous sa responsabilité، s'il le reprend à son propre compte - en signalant seulement qu'il parle en conformité avec l'allocutaire »	نص المقتبس	ص166
-Ducrot، Oswald. 1980b. Les échelles argumentatives،p 48	المرجع	
«La modalisation est le processus par lequel le sujet de l'énonciation manifeste son attitude à l'égard de son énoncé»	نص المقتبس	ص177
Vion.Robert :Dimensions énonciatives، discursives et dialogiques de la modalisation،in :LINGUAS & LETRAS ، vol 8.n°15 .2° sem.2007.p.193-224 ،p194	المرجع	
«L'ensemble des idées reçues, des croyances, des représentations généralement admises »	نص المقتبس	ص251
Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris, p 213	المرجع	
« Le locuteur abandonne volontairement sa voix et en emprunte une autre pour proférer un segment de la parole qui ne lui appartient pas en propre, qu'il ne fait que citer»	نص المقتبس	ص254
Gresillon Almuth, Maingueneau Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre, p112	المرجع	
« Un phénomène interactionnel intervenant dans des interactions inégales, dissensuelles (sur les plans du statut des locuteurs, sur les plans cognitifs, pragmatiques), dans lesquelles le locuteur citant déforme à son avantage le dire du locuteur cité en estompant l'origine	نص المقتبس	ص282 (في الهامش)

énonciative et la visée des propos rapportés»		
Rabatel.Alain:L'éffacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66 ,p36	**المرجع**	
«Le sujet parlant s'efface de son acte d'énonciation, et n'implique pas l'interlocuteur. Il témoigne de la façon dont les discours du monde(le tiers) s'imposent à lui. Il en résulte une énonciation apparemment objective (au sens de «déliée de la subjectivité du locuteur ») qui laisse apparaitre sur la scène de l'acte de communication des propos et des Textes qui n'appartiennent pas au sujet parlant(point de vue externe) »	**نص المقتبس**	ص282 (في الهامش)
Ibid , p33	**المرجع**	
« Renvoie à des situations déséquilibrées dans lesquelles le point de vue du locuteur citant(ou cité) s'efface devant la représentation du point de vue d'autrui »	**نص المقتبس**	ص282 (في الهامش)
Ibid, p36	**المرجع**	
«Un énoncé A est dit paraphrase d'un énoncé B si A est la reformulation de B, tout en étant plus long et plus explicite que lui. On peut dire ainsi que la phrase passive est la paraphrase de la phrase active correspondante»	**نص المقتبس**	ص 309(في الهامش)
Jean Dubois & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage,Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS,p 343	**المرجع**	

ثبت المصطلحات المترجمة

A

Actes de langage	**أعمال اللغة**
Acte illocutionnaire	**العمل المتضمن في القول**
Acte locutionnaire	**عمل القول**
Acte perlocutionnaire	**عمل التأثير بالقول**
Adverbes	**ردائف**
Adverbes de phrases	**ردائف جملية**
Allocutaire	**المتكلّم له**
Analyse de discours	**تحليل الخطاب**
Anaphores	**الإحاليات**

C

Catégories grammaticales	**مقولات نحوية**
chaînes intertextuelles	**سلاسل التفاعلات النصية**
Clôture	**خاتمة أو اختتام**
Codification	**الترميز**
Cohérence	**الانسجام**
Cohésion	**الاتساق**
Communication ostensive-inferentielle	**التواصل الإشاري الاستدلالي**
Communicative, Communicationnelle	**تواصلية**
communiqué(Le_)	**ما تم تبليغه**

Comportatifs	**السلوكيات**
Configuration polyphonique	**التشكيل الأصواتي**
Connecteurs	**روابط**
Connecteurs argumentatifs	**الروابط الحجاجية**
Connecteurs pragmatiques	**الروابط التداولية**
Constatifs	**وصفيات"**
Contenu propositionnel	**المحتوى قضوي**
Contexte dynamique	**السياق التفاعلي**
Contexte situationnel	**السياق المقامي**
Contraintes discursives	**الإكراهات الخطابية**
Contraintes situationnelles	**الإكراهات المقامية**
Contrat global	**التعاقد الشامل**
Contrat littéraire	**التعاقد الأدبي**
Conventions	**القواعد(المواضعات)**
Corps de la lettre	**متن أوجسم الرسالة**

D

Déclaratives(Phrases_)	**تصريحية (جمل_)**
Déictiques personnels	**إشاريات الشخصية**
Déictiques spatio-temporels	**الإشاريات المكانية والزمانية**
Dialogal	**تخاطب ثنائي**
Dialogisme	**الحوارية**
Dialogique	**حواري/حوارية(وصف)**
Discours anticipé	**خطاب استباقي**
Discours constituant	**خطاب مؤسس**
Discours direct rapporté	**الخطاب المباشر المنقول**
Discours épistolaire	**الخطاب الرسائلي**

Discours fictif	**خطاب متخيل**
Discours indirect libre	**الخطاب غير المباشر الحر**
Discours indirect rapporté	**الخطاب غير المباشر المنقول**
Discours rapporté	**الخطاب غير المباشر المنقول**
Discours représenté	**الخطاب المستحضر**
dit(Le_)	**ما قيل أو المقول**
Doxa	**المشهورات**
Doxa proverbiales	**المشهورات الأمثالية**

E

Effacement énonciatif	**الامحاء التلفظي**
Embrayeurs	**واصلات**
Enoncés assertives	**الملفوظات الإثباتية**
Enonciatif(ve)	**تلفظي(ـــة)**
Etres discursifs	**الذوات الخطابية**
Etres discursifs	**ذوات الخطاب**
Etres réels	**ذوات الواقع**
Exercitifs	**التنفيذيات**
Exorde	**مخاطبة استهلالية**
Expositifs	**العرضيات**
Exprimabilité	**القابلية للتعبير**

F

Félicité	**إسعاد**
Figée	**متكلسة(عبارة، بنية_)**
Fonction phatique	**وظيفة تنبيهية**
Fonctionnaliste	**وظيفية**
Formalisation	**شكلنة**

Formalisme	**الشكلانية**
Fusion sémantique	**الدمج الدلالي**

G

Généricité	**تجنيس**
Genre littéraire	**الجنس الأدبي**
Genres primaires	**أجناس أولية**
Genres secondaires	**أجناس ثانوية**
Genres situationnels	**الأجناس المقامية**

H

Hétérogénéité constitutive	**اللاتجانس التكويني**
Hétérogénéité montrée	**اللاتجانس المُظهَر**
Hiérarchie sociale	**تراتبية اجتماعية**

I

Illusion descriptive	**الوهم الوصفي**
Ilots textuels	**القطع النصية المعزولة**
Implication	**الاستلزام**
Implicatures	**التضمينات**
Implicatures généralisées	**التضمينات المعممة**
Implicatures conventionnelles	**التضمينات التواضعية (العرفية)**
Implicatures conversationnelles	**التضمينات التحادثية**
Infélicité	**الإخفاق**
Entrée encylopédique	**المدخل الموسوعي**
Entrée lexicale	**المدخل المعجمي**
Entrée logique	**المدخل المنطقي**
Institutions	**مؤسسات**
Instructionnelle	**تعليماتية**

Instructions sémantiques	**التعليمات الدلالية**
Intention	**القصد**
Interaction épistolaire	**التفاعل الرسائلي**
Interaction orale	**التفاعل الشفوي**
Interdiscursivité	**تفاعل خطابي أو بينخطابية**
Intersubjectivité	**تفاعل ذوات أو تذاوت**
Intertextualité	**تفاعل نصي(تناص)**

L

Lien de réfutation	**الرابط الدحضي**
Liens de non- responsabilité	**روابط عدم المسؤولية**
Liens de responsabilité	**روابط المسؤولية**
Liens énonciatifs	**الروابط التلفظية**
Linguistique énonciative	**اللسانيات التلفظية**
Locuteur	**المتكلم**
Locuteur représenté	**المتكلم المستحضر**
Loi de modalité	**قانون الجهية**
Lois de discours	**قوانين الخطاب**

M

Macro-acte de parole	**الفعل الكلامي الأكبر**
Marqueur de contenu propositionnel	**واسم المحتوى القضوي**
Marqueur de force illocutionnaire	**واسم القوة المتضمنة في القول**
Marqueurs contextuels	**واسمات سياقية**
Marqueurs formels	**واسمات شكلية**
Marqueurs situationnels	**واسمات مقامية**
Maxime de manière	**قاعدة الكيفية**
Maxime de modalité	**قاعدة الجهة**

Maxime de quantité	**قاعدة الكمية**
Maximes de conversation	**قواعد المحادثة**
Mémoire discursive	**ذاكرة الخطابات**
Méta-discours	**خطاب واصف**
Mise en scène	**مشهدة**
Modalisation	**الجهية**
Modalité épistémique	**الجهيّة الإبستيمية**
Modalités	**الموَّجهات**
Modules	**المقاييس أوالقوالب**
modus – dictum	**موضوع- تعليق**

N

Négation de constituant	**نفي مركّب**
Négation de phrase	**نفي جملة**
Négation polémique	**النفي الجدلي**
Négation polyphonique	**نفي الاصواتي**
Niveau d’expression	**مستوى التعبير**
Niveau d’intention	**مستوى المقصد**

O

Opérateurs argumentatifs	**العوامل الحجاجية**
Organisation énonciative	**التنظيم التلفظي**
Organisation polyphonique	**التنظيم الأصواتي**
Organisation textuelle	**نظام النص**
Ouverture	**صدر أوافتتاح (_ الرسالة)**

P

Paradigmes	**جداول إبدالية**
Performatifs	**إنجازيات**

Péroraison	**تخلص (_ الرسالة)**
Pertinence	**ملاءمة**
Plan textuel de base	**المخطط النصي القاعدي**
Point de vue	**وجهة نظر**
Point de vue sous-jacent	**وجهة نظر ثاوية**
Points de vue doxiques	**وجهات نظر مشهوراتية**
Points de vue dynamiques	**وجهة نظر تفاعلية**
Portée de la négation	**حيز النفي**
Portée étendue	**الحيزالواسع**
Porté restreinte	**الحيزالمحدود**
Pragmatique cognitiviste	**التداولية العرفانية**
Pragmatique intégrée	**التداولية المندمجة**
Présupposé	**الافتراض المسبق أو الاقتضاء**
Principe de coopération	**مبدأ التعاون**
Principe dialogique	**المبدأ الحواري**
Prise en charge des énoncés	**التكفل بالملفوظات**
Promissifs	**الوعديات**
propos(Le)	**موضوع الحديث**

Q

Quantificateurs	**المكمّمات**
Question rhétorique	**السؤال البلاغي**

R

Réflexivité	**انعكاسية**
Réfutation	**دحض**
Registres linguistiques	**سجّلات لغوية**
Rituel	**طقوسية**

S

Scalaires	**الألفاظ والعبارات التدرجية**
Sens dérivé	**معنى مشتق**
Sens littéral	**معنى حرفي**
Situation d'énonciation	**مقام التلفظ**
Sociolinguistique	**السوسيولسانية**
Stratégies argumentatives	**استراتيجيات الحجاج**

T

Taxinomie	**صنافة**
Textuel(lle)	**نصي(ـــة)**
Tours de parole	**أدوار الكلام**
Translinguistique	**عبر لغوية**
transmis(Le_)	**ما تم إيصاله**
Troisième personne	**الشخص الثالث (الغائب)**
Typologie textuelle	**تنميط النصوص**

U

Unicité du sujet parlant	**واحدية الذات المتكلمة**

V

Verbes modaux	**الأفعال الجهية**
Verdictifs	**الحكميات**
Véri-conditionalité	**شروط الصدق المنطقي**
Voix collective	**صوت جماعي**

فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل

(بين رسائل الجاحظ، تح: علي بوملحم من جهة، ورسائل الجاحظ، وكتاب العثمانية،تح: عبد السلام هارون+ كتاب التربيع والتدوير، تح: شارل بيلات من جهة أخرى)

*يشار إلى هذه المصادر اختصارا في الجدول كما يلي: رسائل هارون، العثمانية، التربيع . أما الإحالة إلى رسائل علي بوملحم فموجودة في هوامش البحث

** لم ندرج الشواهد المأخوذة من "رسالة الحكمين وتصويب علي بن أبي طالب في فعله"، لأنها غير موجودة ضمن الرسائل التي حقّقها عبد السلام هارون

الفصل الأول

موضع ورود الشـــاهد في متن البحث	نص الشاهد مختصرا(يورد النص القصير الذي لايتجاوز ثلاثة أســـطر كاملا، ويقتصر على بدايته ونهايته إذا طال أكثر من ذلك)	إحالة الشاهد في المصادر الثلاثة الأخرى
ص 106	على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم، إذ كان مع التلاقي يكثـــر التظالم ....ويظهر التباين، وإذا كانت القلوب على هذه الصفة وهذه الحليـــة، امتنعت من المعرفة، وعميت عن الدلالة	رسائل هارون، ج 1، ص 315
ص112	جعلت فداك، ليس من أجل اختياري النخل على الزرع أقصيتني، ولا على ميل إلى الصدقة دون إعطائي الخراج عاقبتني	رسائل هارون، ج 1، ص 231
ص 112	كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدعي أنه مفرط الطول	التربيع، ص5
ص 113	خفّض عليك أيها السامع، فإن الخطأ كثير غامر(...)والصواب قليـــل خـــاص، ومقموع مستخف (...) فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول	رسائل هارون، ج 3، ص 107
ص 113	وقد كتبت لك في هذا الكتاب ما فيه الجزاية والكفاية، ولو بســـطت القـــول لوجدته متسعا، ولأتاك منه الدهم، وربما [كان] الإقلال في الإيجاز أجدى مـــن (...)فجعلت الهزل بعد الجد جماما، والملحة بعد الحجة مستراحا	رسائل هارون، ج 4، ص 280-281
ص 115	هذا كتاب - أطال الله بقاءك - نبيل بارع، فصل فيه بين الحسد والعداوة، و لم يسبقني إليه أحد	رسائل هارون، ج 1، ص 337
ص 116	ولولا أن هذا كلام لم يكن من ذكره بد لأنه تأسيس لما بعده ومقدمة لما بـــين يديه وتوطئة له، لاقتضبت الكلام في المعرفة اقتضابا، ولكن يمنعني عجز أكثـــر	رسائل هارون، ج 4، ص 65

	الناس عن فهم غايتي فيه إلاّ تنزيله وترتيبه	
ص 116	فخلطت لك جدا بهزل، وقرنت لك حجة بملحة، لتخف مؤونة الكتاب على القارئ، وليزيد ذلك في نشاط المستمع	رسائل هارون،ج 4 ص 281
ص 118	ثمّ إنّا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإيّاه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا بالله	العثمانية، ص5
ص 118	ولولا أنّ فيما قدّمنا غنى عما أخّرنا لقد فسّرنا كما أجملنا...، فاحذر حوادث الدهر، واتصال المشاكلة	العثمانية، ص279
ص 119	حدّثني كيف رأيت الطوفان؟»،	التربيع، ص26
ص 119	«خبّرني كيف صار الماء أبعد من الفلك	التربيع، ص29
ص 119	فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا	التربيع، ص6
ص 119	يا عمّ لِمَ تحملنا على الصدق، و لم تجرّعنا مرارة الحق	التربيع،ص24+ رسائل هارون، ج 3، ص 68
ص 119	ونحن وإن أطنبنا في ذكر جملة القول	رسائل هارون، ج 4، ص 113
ص 119-120	ونحن قد ندخل دجلة في الأسحار، ولسنا نشك أنّ أناسا ينتابون المواضع	رسائل هارون، ج 4، ص 129
ص 120	وقد كنا ممسكين عن القول بحجتنا فيما تضمنه كتابنا هذا	رسائل هارون، ج 2، ص 144
ص 120	قد قرأت كتابك ومِدْحَتَك أخلاق الكتاب وأفعالهم، ووصفك فضائلهم وأيامهم، وفهمته	رسائل هارون ج 2، ص 187
ص 120	قد أتينا على بعض ما أردنا فيما له قصدنا	رسائل هارون، ج 2، ص 209
ص 120	فهذا جملة ما حضرنا من مفاخر السودان	رسائل هارون، ج 1، ص 225
ص 120	وجعلنا وإياك ممن يقول بالحق ويعمل به	رسائل هارون، ج 3، ص 163
ص 120-121	وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة إمامك	رسائل هارون، ج 3، ص 164
ص 121	وقد قلنا في مناقب جميع الأصناف بجمل ما انتهى إلينا وبلغه علمنا	رسائل هارون، ج

		1، ص 86
ص 124	ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات .....وأن في الهندسة ما لا يُدرَك ولا يُفهَم، والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم، وبذلك النقص في غرائزهم.	رسائل هارون، ج 4، ص 248

الفصل الثاني

ص 142	فلم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب، ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلتة ولحظة الخلسة....، المشتق من الزيارة، كل ذلك بأعين الأولياء وحضور الزواج، لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا أمنوا المنكر	رسائل هارون، ج 2، ص 148
ص 143	ولكنّا نقول:لا يجوز أن يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيطة أكثر من واحد، لأن الحكام والسادة إذا تقاربت أقدارهم وتساوت غايتهم قويت دواعيهم إلى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة	رسائل هارون، ج 4، ص 303
ص 145	ليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء، ولا أشد تألفا للأدباء، ولا أجلب للمؤنسين منه، ولا أدعى إلى خلاف الممتعين، ولا أجدر أن يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم، ويطول به مجلسهم، منه	رسائل هارون، ج 3، ص 123
ص 155	«جعلت فداك، ما هذا الاستقصاء و ما هذا البلاء؟ ! و ما هذا التتبع لغوامض المسألة، والتعرض لدقائق المكروه؟ !و ما هذا التغلغل في كل شيء يخمل ذكري؟ ! و ما هذا الترقي إلى كل ما يحط قدري؟!»	رسائل هارون، ج 1، ص 252
ص 157	ولو أن شيبتي التي بها استعطفتك، وكبرة سني التي بها استرحمتك، اللتان لم يحدثا ....، ثم تريد أن توهنه أرقّ مما كان.و هل هرمت إلا في طاعتك، وهل أخْلَقَني إلا معاناة خدمتك ؟	رسائل هارون، ج 1، ص 272
ص 159	خبرني: كيف صار الماء أبعد من الفلك و لا يكون إلا في بطن الأرض، وهو أشبه بالهواء كما أن الهواء أشبه بالنار.... وكيف كان بدء أمر البد في الهند، وعبادة الأصنام في الأمم، وقصة عمرو بن لحى في العرب[؟]	التربيع، ص29-30
ص 159	فإن أردت أن تعرف حق هذه المسائل و باطلها و ما فيها خرافة وما فيها محال و ما فيها صحيح وما فيها فاسد، فالزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي	التربيع، ص79
ص 160 -161	فإن قالوا: "ليس أحد يعرف أن علامة الحق استشهاد الضرورات غيرنا، قلنا: أو لستم- معشر أبي إسحاق النظام – تختلفون في أمور كثيرة و قد كنتم يؤمنّكم أن تكونوا على باطل أن تقولوا:استشهادنا للضرورات على باطل؟	رسائل هارون، ج 4، ص 55
ص 168 -169	وقد قال الله تعالى: (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون)وهذا مثل ضربه الله،	رسائل هارون، ج1، ص101

	.... ومن مالت سيئاته بحسناته كان العطب والعذاب أولى به	
ص 170	ولولا أن في طاقة الناس قبول التلقين وفهم الإشارة لكانوا هملا ولتركوا نشرا وحشرا، ولسقط عنهم الأمر والنهي، ....، ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغني بنفسه المستبد برأيه المكتفي بفطنته عن إرشاد الرسل وتلقين الأئمة	رسائل هارون، ج 4 ص 322
ص 172	وليست بحمد الله من باب الطفرة والمداخلة، ولا من باب الجوهر والعرض، بل كلها في الكتاب والسنة، وبجميع الأمة إليها أعظم الحاجة	رسائل هارون، ج 1 ص 319
ص 174	فإذا وجب أن الكلام غير محرم فإنّ وزنه وتقفيته لا يوجبان تحريما لعلة من العلل، وإن الترجيع له أيضا لا يخرج إلى حرام، ...، فلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيّه عليه السلام	رسائل هارون، ج 2 ص 160
ص 181	ونحن وإن رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصّر في حقوق المرأة....وكذلك الأخوة والأخوات والبنون والبنات، وأنا وإن كنت أرى أن حق هذا أعظم فإن هذا أرحم	رسائل هارون، ج 3 ص 157
ص 184	ولكن لا بدّ من حاكم واحدا كان أو أكثر على [كل] حال، ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحدود، .... وعليهم فيما شَجَر بينهم إعطاء النَّصَفَة من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسْر الأمر ويسْره	رسائل هارون، ج4،ص285-286

الفصل الثالث

ص 204	كان أمحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر وهو يدعي أنه مفرط الطول	التربيع، ص5
ص 204	بسم الله الرحمن الرحيم : أطال الله بقاءك	التربيع، ص10
ص 206	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، وبالله نستهدي وإياه نستعين، وعليه نتوكل، وما توفيقنا إلا به	العثمانية، ص5
ص 206	هذا جمل جوابات العثمانية بجمل مسائل الرافضة والزيدية، ولولا أن فيما قدمنا غنى عما أخرنا لقد فسرنا كما أجملنا	العثمانية، ص279

الفصل الرابع

ص 267-268	حفظك الله وأمتع بك ...وإني عرفتك- أكرمك الله- في أيام الحداثة... فلم أزل أبقاك اللّه...وعلمت أن ذلك من أعظم ما أبرك به وأرجح ما أتقرب به إليك	رسائل هارون، ج 4، ص 71
ص 268	واعلم أن الآداب إنما هي... فأول ما أوصيك به	رسائل هارون، ج 1، ص 99
ص 268	أسأل الله المبتدئ بكل نعمة والمتولّي لكل إحسان أن يصلي على محمد خيرته من خلقه وصفوته من بريته وأن يتم عليك نعمته ويشفع لك ما خوَّلك من نعمته	رسائل هارون، ج 1، ص 134

	بالنعمة التي يؤمن معها الزوال في جواره ومرافقة أنبيائه	
ص 268	طبع الإنسان على حب الإخبار والاستخبار حجة على الله	رسائل هارون، ج 1، ص 145
ص 268	فنريد أن نعلم : لم صار الإنسان على ما منع –وإن كان – لا ينفعه أحرص منه	رسائل هارون، ج 1، ص 154
ص 268	فنقول: إن الله تبارك وتعالى جعل لكل نفس مبلغا من الوسع	رسائل هارون، ج 1، ص 154
ص 269	ولو اقتصرنا في هذا الكتاب على حرف مما فيه، لكان بإذن الله كافيا لمن له لب وعقل	رسائل هارون، ج 1، ص 171
ص 269	من أبي موسى بن إسحاق بن موسى ومحمد بن خالد خذار خذاه وعبد الله بن أيوب أبي سُمير ومحمد بن حماد كاتب ... إلى أهل الجهالة والجفاء وغلظ الطبع وفساد الحسّ	رسائل هارون، ج 2، ص 143
ص 269-270	هذه الرسالة التي كتبناها من الرواة منسوبة إلى من سمَّيناها في صدرها، فإن كانت صحيحةً فقد أدّينا منها ... ليسهِّلوا على المقيِّنين ما صنعه المقترفون	رسائل هارون، ج 2، ص 181
ص 270	تم كتاب الحجاب، ولله الحمد والمنة	رسائل هارون، ج 2، ص 185
ص 272	وكان من أسباب دفْعي إليك هذا الكتاب - أبقاك الله - دون أبي عبد الله أكرمه الله أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرىً واحداً ولأنك وإنْ كنت كثير الشُّغل فهو أقلُّ فراغاً منك على كثرة شُغلك وفرط عنايتك بما استكفاك واسترعاك	رسائل هارون، ج 1، ص 303
ص 272	أطال الله بقاءك وأعزك وأصلح على يديك... وأنت أيها العالم معلم الخير وطالبه والداعي إليه وحامل الناس عليه... كتابٌ جامعٌ لاختلاف الناس في أصول الفتيا	رسائل هارون، ج 1، ص 313
ص 273	جعلت فداك، وأطال الله بقاك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وأيدك ... في صدر هذا الكتاب قصيدة قيلت في أبي الفرج أدام الله عزه	رسائل هارون، ج 1، ص 325
ص 273	ونعوذ بالله أن يكون فيكم ما يستعي الألفاظ الشريفة والمعاني النفيسة	رسائل هارون، ج 1، ص 332
ص 273	أطال الله بقاءك، وأعزك وأكرمك، وأتم نعمته عليك، زعم –أبقاك الله – كثير ممن يقرض الشعر...–أبقاك الله- أن إقرار المسؤول بما ينحل من ذلك نوك	رسائل هارون، ج 4، ص 191
ص 273	على أنكم لم تحملونا إلا الخف ...وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤن الثقال	رسائل هارون، ج 4، ص 194
ص 273	ثم اعلم-أصلحك الله- أن الذي وجد في العبرة	رسائل هارون، ج

		4، ص 195
ص 274	ثم إنا مخبرون عن مقالة العثمانية، و بالله نستهدي و إياه نستعين و عليه نتوكل،و ما توفيقنا إلا بالله	العثمانية، ص 5
ص 274	ثم إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة	رسائل هارون، ج 3، ص 131
ص 274	بالله نستعين و عليه نتوكل،و ما توفيقنا إلا بالله... اختلف الناس في المعرفة اختلافا شديدا	رسائل هارون، ج 4 ص 47
ص 276	سمعتك وأنت تريدني وكأنك تريد غيري أوكأنك تشير علي من غير أن تنصني وتقول: إني لأعجب ممن ترك دفاتر علمه متفرقة وكراريس درسه غير مجموعة ... وكيف لا يمنعها من التخرق!	رسائل هارون، ج 1، ص 246+ ج 4، ص 88- 89
ص 276- 277	ولولا أن الله قد حكى عن اليهود أنهم قالوا: إن "عزيراً ابن الله" "ويد الله مغلولة" و"إن الله فقير ونحن أغنياء " وحكى عن النصارى أنهم قالوا: "المسيح ابن الله" وقال: "قالت النصارى المسيح ابن الله	رسائل هارون، ج 3، ص 334
ص 277- 278	وقلتَ: وما فرق ما بين الجر والسقاء والمزفت والحنتم والدباء؟ ... وما القول في شرب الفضيخ؟ وهل يكره نبيذ العكر؟ ....؟ و لم كره النقير والمقير؟	رسائل هارون، ج 4، ص 261
ص 278	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه ....قالوا: فلا يجيء إلا إلى مكان هو وفيه ولو جاز أن يجيء إلى مكان هو فيه جاز أن يخرج منه وهو فيه	رسائل هارون، ج 4، ص 13
ص 278- 279	وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلح، وأما قولهم: إن معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث	رسائل هارون، ج 3، ص 296
ص 285	يا أخي - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تذمها، .... قال الله تعالى في قصة لوط: "أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العَالَمِينَ. وتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُون"»	رسائل هارون، ج 4، ص 158
ص 292- 293	وقالت - أيضاً - المشبهة: الدليل على أنه جسم..... كان لا يليق ذلك به علمنا أنهم قد كانوا وافرين غير عاجزين ولا منقوصين»	رسائل هارون، ج 4، ص13- 15
ص 295-	وحدّثني عُمر بن سيف أنه حضر مجلس أبي عبّاد ثابت بن يحيى يوماً في مترله وعنده جماعة من الكتاب..... بعضكم على بعض. أُفٍّ لكم ولأخلاقكم!	رسائل هارون، ج 2، ص 200
ص 296- 297	فكل ذلك يراد به أنَّ الفضل قليل والنقص قليل لا على نسب ما يتلقاه الاجتماع من هذه الأعداد..... وهذه صفاتٌ موجودةٌ بالأقوال معدومة بالأفعال.	رسائل هارون، ج 1، ص 151
ص300- 302	وقد كان إبراهيم بن سيار النظام يجيب بجواب وأنا أذكره إن شاء الله، وعليه كانت علماء المعتزلة، ولا أراه مقنعاً ولا شافياً... والعطية وإنما الخليل في هذا	رسائل هارون، ج3، ص338-

	الموضع من الخَلّة والاختلال لا من الخُلّة والخِلال	340
ص 303-304	وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما أحدث الله بعبدٍ نعمةً إلا وجـــدت لـــه عليها حاسداً..... والحسد وإن كان موكلا بالأدنى فالأدنى فإنه لم يَعْـــرَ منـــه الأبعد فالأبعد	رسائل هارون، ج 1، ص 344 - 348
ص306-307	وأن الناس إنْ تُرِكوا أن يقيموا إماماً واحداً جاز لهم ذلك و لم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين... إعطاء النَّصَفَة من أنفسهم بالغاً ما بلغ في عسر الأمر ويسره	رسائل هارون، ج4، ص285-286
ص 308-309	وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قبل أن تناله الخلافة يتغنَّـــى..... فـــلا وجه لتحريمه، ولا أصل لذلك في كتاب الله تعالى ولا سنّة نبيِّه عليه السلام.	رسائل هارون، ج 2، ص 160 - 161
ص 313-314	ولو أننا جوزنا ما في لغتنا ما لا يجوز وقلنا على الله تعالى ما لا نعرف، كنا بذلك عند الله والسامعين في حد المكاثرين..... وصفنا وعددنا. وكيف يكون إلهاً بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان؟	رسائل هارون، ج 3، ص 347 - 349
ص 315	وإذا كان قول المهاجرين والأنصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحّة على مـــا وصفنا في يوم السقيفة..... وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحليم ونظر المرشد وترتيب العالم	رسائل هارون، ج 4، ص 306 - 307

مكتبة البحث

- القرآن الكريم(رواية ورش)

أولا: المصادر

1. البلخي. أبو القاسم و آخرون:فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيد.ط2. الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1990
2. الجاحظ:كتاب العثمانية، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل بيروت1991
3. الجاحظ:كتاب التربيع والتدوير، نشر وتحقيق: شارل بلات، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق1955
4. ابن جعفر. قدامة: نقد النثر، تح:طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، د ط، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة 1941
5. ابن قيم الجوزية:شفاء العليل في مسائل والقضاء والقدر والحكمة والتعليل، د ط، تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، دمشق-سوريا1988
6. الجاحظ: الحيوان، تح : عبد السلام هارون ج1، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، القاهرة 1965
7. السكاكي. أبويعقوب: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور،ط2،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان1987
8. عبد الجبار. القاضي: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ،تح: فؤاد سيد يونس. ط2. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب. تونس، الجزائر. 1986
9. عبد الجبار (القاضي): شرح الأصول الخمسة(جزآن). تقديم عبد الرحمن بوزيدة. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. وحدة الرغاية. الجزائر. 1990
10. العسكري.أبوهلال :كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الجلبي وشركاه، القاهرة1952
11. الجاحظ: الرسائل. ج2/1 (مجلد). ط 1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة 1964

12. الجاحظ: الرسائل. ج4/3 (مجلد). ط 1. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة1979
13. الجاحظ: الرسائل. ج 3/1. د ط. تقديم وشرح علي بوملحم. دار مكتبة الهلال. بدون تاريخ
14. الجاحظ: البيان والتبيين. ج4/1 ط 2. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الجيل. بيروت. بدون تاريخ
15. الجاحظ: كتاب الحيوان. ج1. د ط . تح : عبد السلام هارون ج1، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر-القاهرة 1965

ثانيا: المراجع:

أ) الكتب باللغة العربية:

16. أبو زيد. نصر حامد: إشكاليات القراءة و آليات التأويل. ط2. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء،بيروت 1992
17. أبو زيد. نصر حامد: النص، السلطة، الحقيقة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، 1995
18. أبو زيد. نصر حامد: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن. ط1. المركز الثقافي العربي . بيروت، الدار البيضاء. 1990
19. بلحاج رحومة الشكيلي. بسمة:السؤال البلاغي الإنشاء و التأويل/ط1، دار محمد علي للنشر ، تونس2007
20. بن رمضان. صالح: أدبية النص النثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة-تونس 1990
21. بن رمضان. صالح: الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم:الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم(مشروع قراءة شعرية)،ط1، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات-دار الفارابي، منوبة، تونس2001
22. بناني. محمد الصغير: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين. ط4. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1994
23. بوملحم. علي :المناحي الفلسفية عند الجاحظ. ط2. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت1988

24. الجابري. محمد عابد: العقل السياسي العربي . ط4 .مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 2000
25. الجابري. محمد عابد: بنية العقل العربي.ط3. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1990
26. الجابري. محمد عابد: تكوين العقل العربي. ط7. مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . 1998
27. الحاجري. طه: الجاحظ. حياته و آثاره. د.ط. دار المعارف بمصر. 1962
28. حسين. طه: من حديث الشعر والنثر ضمن (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين المجلد الخامس). ط 1. دار الكتاب اللبناني. بيروت- لبنان 1973
29. خالد. أحمد: تيارات وشخصيات، ط2 ،مطبعة الشلي ، سوسة –تونس 1970
30. خطابي. محمد : لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1991.
31. دهري. آمنة: الترسل الأدبي في المغرب_النص والخطاب، جامعة الحسن الثاني- المحمدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الرسائل والأطروحات، رقم5
32. الراوي. عبد الستار :العقل والحرية، دراسة في فكر القاضي عبد الجبار المعتزلي ط1.المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت .1980.
33. الزناد. الأزهر: نسيج النص، البحث في ما يكون الملفوظ نصا ، ط1 المركز الثقافي العربي.الدر البيضاء، بيروت1993
34. سلمان. علي محمد علي : كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله نموذجا)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت –لبنان 2010
35. الشبعان.علي: الحجاج بين المنوال والمثال، -نظرات في أدب الجاحظ و تفسيرات الطبري، ط1، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس2008
36. الشهري.عبد الهادي بن ظافر:استرتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان2004
37. صبحي. أحمد محمود: في علم الكلام،المعتزلة، ج1.دار النهضة العربية للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1305هـ 1985م
38. صحراوي. مسعود: التداولية عند العلماء العرب_ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ،دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت 2005

39. عبد الرحمن .طه: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء، بيروت. 1998
40. عبد الرحمن. طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2. المؤسسة الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء. المغرب .2000
41. عروس. بسمة: التفاعل في الأجناس الأدبية/مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى السادس الهجري، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس2008
42. العزاوي. أبوبكر:اللغة والحجاج،د ط، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع،بيروت 2009
43. عشير.عبد السلام: عندما نتواصل نغير،د ط ، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء- المغرب2006
44. كيليطو. عبد الفتاح: الأدب و الغرابة، دراسة بنيوية في الأدب العربي، ط3، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب2006
45. المبخوت. شكري : دائرة الأعمال اللغوية، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2010
46. المبخوت.شكري: إنشاء النفي و شروطه النحوية والدلالية، د ط، مركز النشر الجامعي-كلية الآداب و العلوم الإنسانية منوبة ، تونس 2006
47. المبخوت.شكري: توجيه النفي في تعامله مع الجهات والأسوار والروابط، ط1 ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت 2009
48. المتوكل. أحمد : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية / بنية الحطاب من الجملة إلى النص، د ط، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط – المغرب 2001
49. المتوكل. أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية-دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2010
50. محمد القاضي. الشريف :الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية، سلسلة: الآداب، مجلد: XXXI، كلية الآداب منوبة–تونس ودار الغرب الإسلامي-بيروت1998
51. مروة. حسين: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية (مجلدان)ط4. دار الفارابي. بيروت لبنان1981
52. المسدي. عبد السلام: قراءات مع الشابي و المتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت- القاهرة1993

53. مشبال. محمد :البلاغة والسرد- جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة عبد المالك السعدي، تطوان المغرب 2010
54. مفتاح. محمد: دينامية النص ط2 . المركز الثقافي العربي . بيروت – الدار البيضاء .1990
55. الميساوي. خليفة ، الوصائل في تحليل المحادثة _دراسة في استراتيجيات الخطاب ،ط1، عالم الكتب الحديث ، الأردن2012
56. ناصف. مصطفى: محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1997
57. وديعة. طه نجم : أثر الجاحظ في تطوير مفهوم الرسالة الأدبية، مجلة كلية الآداب العراقية العدد الحادي عشر- حزيران 1968م
58. يقطين. سعيد: الكلام و الخبر، مقدمة للسرد العربي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب1997
59. يوسف نجم. محمد: فن المقالة، سلسلة الفنون الأدبية-1، ط4، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت –لبنان (د ت)

ب)الكتب المترجمة:

60. أرمنغو. فرانسواز: المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش،د ط، مركز الإنماء القومي، دت
61. أوركيوني.ك.ك: المضمر، تر:ريتا خاطر، ط1، المنظمة العربية للترجمة-مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2008
62. أوستين. ج .ل .: نظرية أفعال الكلام العامة _كيف نصنع الأشياء بالكلمات ،تر :عبد القادر قنيني،ط2، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء – المغرب 2008،
63. باختين. م :شعرية دوستويفسكي،تر:جميل نصيف التكريتي،ط1 ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب1986
64. بلانشيه. فيليب:التداولية من أوستين إلى غوفمان،تر: صابر الحباشة، ط1،دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية-سوريا 2007
65. بيللا. شارل: الجاحظ في البصرة. بغداد وسامراء. تر: د.ابراهيم الكيلاني. د. ط. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1986

66. تودوروف. ت: الأدب و الدلالة، تر: محمد نديم خشفة، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب– سوريا1996
67. تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تر:فخري صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان1996
68. راستيي.فرانسوا: فنون النص وعلومه، تر: ادريس الخطاب، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب 2010
69. ريكور. بول: من النص إلى الفعل أبحاث التأويل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة 2001
70. ريكور.بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر:سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب 2006
71. ريكور.بول: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، تر:سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء- المغرب 2006
72. زتسيسلاف وأورزنياك: مدخل إلى علم بناء النص، مشكلات بناء النص، تر:سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة2003
73. سارفوني. جان : الملفوظية ،،ترجمة قاسم المقداد ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب 1998
74. شارودو. ب.:الحجاج بين النظرية و الأسلوب، تر: أحمد الودرني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت –لبنان 2009
75. شيفر. جان ماري: ما الجنس الأدبي؟ تر:غسّان السيّد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، يونيو2005
76. فاركلوف. نورمان: تحليل الخطاب_ التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، ط1، المنظمة العربية للترجمة- مركز در اسات الوحدة العربية، بيروت 2009
77. فان دايك :النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر:عبد القادر قنيني، د ط، دار إفريقيا الشرق،الدار البيضاء- المغرب2000
78. فولفجانج هاينه من وديترفيهفيجر:مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية الكتاب رقم115،النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود،الرياض-السعودية 1999

79. كيمبسون. راث: نظرية علم الدلالة(السيمانطيقا)، ترجمة: عبد القادر قنيني، ط1، منشورات الاختلاف و دور أخرى، الجزائر 2009
80. ليونز.جون: اللغة و المعنى و السياق، تر: عباس صادق الوهاب،ط1،دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)،وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق 1987
81. مارتان. ر: في سبيل منطق للمعنى، تر:الطيب البكوش وصالح الماجري،ط1، المنظمة العربية للترجمة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان2006
82. موشلر.ج._ روبول. آن :التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، المنظمة العربية للترجمة- دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت – لبنان2003
83. والتر ج. أونج : الشفاهية والكتابية، تر حسن البنا عز الدين، د ط المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، فبراير1994 (سلسلة عالم المعرفة)
84. وليك. رنيه و وآرن. آوستن: نظرية الأدب، تر:عادل سلامة، (د ط)، دار المريخ للنشر، الرياض- السعودية 1992
85. يول. جورج:التداولية، تر:قصي العتابي،ط1، دار الأمان للنشر و التوزيع، الرباط–المغرب 2010

ج) المقالات والأعمال الجماعية:

86. جاك روجو Jacques Rougeot: الأدب الترسلي، ضمن :نخبة من الأساتذة: الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، (د ط)، طلاس للدراسات والترجمة و النشر، دمشق – سوريا(د ت)
87. جيرار جينيت و آخ:نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، تر: ناجي مصطفى، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي و الجامعي، الدار البيضاء، المغرب1989
88. القاضي. وداد: نحو منهج سليم في قضية موثوقية الرسائل العربية الإسلامية المبكرة ، ضمن:في قراءة النص الديني (سلسلة موافقات)، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1990
89. المبخوت. شكري:نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن:فريق البحث في البلاغة و الحجاج تحت إشراف حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،سلسلة :الآداب ،مجلد:XXXIX، منشورات جامعة الآداب والعلوم الإنسانية تونس1-كلية الآداب منوبة ،دت

د) الموسوعات والقواميس:

90. ادريس. سهيل: المنهل قاموس فرنسي عربي، دار الاداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2002
91. التهانوي . محمد:موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون،تر: عبد الله الخالدي،ج2، ط1، مكتبة لبنان ناشرون،بيروت 1996
92. ديكرو.أ وسشايفر .ج.م: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب2007
93. شارودو.ب ود.مانغونو :معجم مصطلحات تحليل الخطاب ،تر:جمة:صمادي حمود وعبد القادر المهيري،د ط ،منشورات دار سيناتر:ا ،المركز الوطني للتر:جمة،تونس 2008
94. لالاند "الموسوعة الفلسفية، تع:خليل أحمد خليل،ط2، دار عويدات للنشر و التوزيع،بيروت-باريس2001
95. المسدي. عبد السلام: قاموس اللسانيات: عربي -فرنسي، فرنسي- عربي، مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب،تونس-ليبيا،1984
96. موشلر .جاك وروبول. آن: القاموس الموسوعي للتداولية، تر:مجموعة من الباحثين،ط2، دار سيناترا للنشر_المركز الوطني للترجمة،تونس2010

ثالثا: المراجع باللغة الفرنسية: Références en langue française

أ) الكتب **Ouvrages** :

97. Bakhtine. M ,1977 [1929]: Le marxisme et la philosophie du langage, Paris, Seuil
98. Bakhtine. Mikhaïl, 1978: Esthétique et théorie du roman, Paris, Gallimard
99. Bracops. M ,2006: Introduction à la pragmatique – Les théories fondatrices, actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée, Louvain-la-Neuve :Duculot
100. Combe. Dominique,1992: Les genres littéraires , éd. HACHETTE , Paris
101. Ducrot .O et Anscombre J-C, 1983: L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, éditeur, Collection « Philosophie et langage », Bruxelles
102. Ducrot. O, 1973: La Preuve et le Dire, Repères، Mame, Paris,
103. Ducrot. Oswald, 1972: Dire et ne pas dire, Hermann، Collection « Savoir »، Paris
104. Ducrot.O1980,: Les échelles argumentatives. Paris , Minuit

.105 Gjestard. Øyvind: La polyphonie discursive _ Pour un dialogisme ancré dans la langue et l'interaction
.106 Mainguenau. D,2005:Pragmatique pour le discours littéraire،éd Armand Colin
.107 Maingueneau. Dominique, 1998: Analyser les textes de communication, Paris, Nathan.
.108 Maingueneau. Dominique. 1994 : L'énonciation en linguistique française Paris: Hachette
.109 MARTIN, Robert, 1987: Langage et croyance. Les « univers de croyance » dans la théorie sémantique », Pierre Mardaga, éditeur, Bruxelles
.110 Moeshler.Jacques &Auchlin. Antoine , 2009: Initiation à la linguistique contemporaine ,3e éd, Armand Colin،Paris
.111 Moignet. Gérard, 1974: Études de psycho-systématique française, Paris, Klincksieck,
.112 Nølke. Henning. 1993: Le regard du locuteur. Pour une linguistique des traces énonciatives , Paris : Kimé
.113 Orrechioni. C-K, 2005: Les actes de langage dans le discours, théorie et fonctionnement, Armand Colin
.114 Reboul .A.&.Moeschler. J, 1998: Pragmatique du discours, Paris, A.Colin

ب) المقالات والأعمال الجماعية **Articles et Ouvrages collectifs**:

.115 Fløttum. K, 2003b: Polyphonie dans les textes scientifiques, Étude de deux cas français, In: Polyphonie linguistique et littéraire VII, Roskilde, Samfundslitteratur Roskilde
.116 _ Adam .Jean-Michel. L'argumentation dans le dialogue. In: Langue française. N°112, 1996. pp. 31-49.doi : 10.3406/lfr.1996.5359
.117 Adam. Jean-Michel, 2002: Textualité et polyphonie, Analyse textuelle d'une préface de Perrault, in Olsen. M,(éd,): Polyphonie littéraire et linguistique ,Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
.118 Adam. Jean-Michel,1997: Unités rédactionnelles et genres discursifs, cadre général pour une approche de la presse écrite, Pratiques 94, Paris : CRESEF
.119 Adam. J. M: Les genres du discours épistolaire de la rhétorique à l'analyse pragmatique des pratiques discursives, Dans: La lettre entre réel et fiction, Sous la direction de Jurgen Siess, Ed SEDES, 1998
.120 Anscombre J.-Cl : Proverbes et formes proverbiales: valeur évidentielle et argumentative. In: Langue française. N°102, 1994.pp. 95-107.doi: 10.3406/lfr. 1994. 5717
.121 Bres. Jacques et Nowakowska. Aleksandra: Dis-moi avec qui tu«dialogues»، je te dirai qui tu es …De la pertinence de la notion de dialogisme pour l'analyse du discours ،in Marges linguistiques - Numéro 9، Mai 2005 - M،L ،M ،S،éditeur http:/ /www،marges-linguistiques. com-13250 Saint-Chamas (France)
.122 Carel. Marion et Ducrot. Oswald: Mise au point sur la polyphonie, Langue française, 2009/4 n° 164, p. 33-43. DOI: 10.3917/lf.164.0011
.123 Charaudeau. Patrick, 2001: Visées discursives, genres situationnels et

construction textuelle, in: Analyse des discours,Textes, types et genres. Actes du colloque de Toulouse, 2-5 décembre 1998, Éditions Universitaires du Sud
.124 Ducrot. O et autres, 1980: Les mots du discours, Les Éditions de Minuit, Paris
.125 Ducrot. O: Argumentation rhétorique et argumentation linguistique. Dans :L'argumentation aujourd'hui-Positions théoriques en confrontation(Textes réunis par Mariane DOURY et Sophie MOIRAND) ,2004,Presse Sorbonne Nouvelle
.126 Gresillon. Almuth, Maingueneau. Dominique : Polyphonie, proverbe et détournement, ou un proverbe peut en cacher un autre. In:Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 112-125.doi: 10.3406/lgge.1984.1168 .
.127 HEDERMAN. Pascale, PIERARD. Michel et VAN RAEMDONCK. Dan :La scalarité : autant de moyens d'expression, autant d'effets de sens, De boeck Université, Travaux linguistiques, 2007/1- N° 54, pages 7 à 15
.128 J .A . Revuz : La repésentation du discours autre, un champ multiplement hétérogène, Dans : Le Discours rapporté dans tous ses états(Textes réunis et présentés par Juan Lopez Munoz, Sophie Marnette et Laurence Rosier), L'Harmattan, Paris,2004 ,Actes du colloque international, 08-11 NOV 2001
.129 Jacqueline Authier-Revuz, Hétérogénéité(s) énonciative(s),In: Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111
.130 kerbrat-Orechionni.Catherine: L'interaction épistolaire, Dans:La lettre entre réel et fiction , Sous la direction de Jurgen Siess,Ed,SEDES 1998
.131 Maingueneau. Dominique, 2005: L'Analyse de discours et ses frontières, Marges linguistiques 9, http : //www ،margeslinguistiques, com
.132 Michaux. Christine: Le proverbe:nom ou phrase ?,Université Libre de Bruxelles , Paremia, 8: 1999. Madrid
.133 Nølke .Henning: Polyphonie linguistique et discours rapporté,in Polyphonie – linguistique et littéraire Lingvistisk og litterær polyfoni Documents de travail/arbejdspapirer, No VII, JUILLET 2003
.134 Nølke. H ,2009a: La polyphonie de la ScaPoLine 2008, In: Kratschmer.A, M.Birkelund & R .Therkelsen
.135 Nølke. H, 2009b: Types d'êtres discursifs dans la ScaPoLine ,In: Langue française 164
.136 Nølke. H, Fløttum. K & Norén.C , 2004 : ScaPoLine: la théorie scandinave de la polyphonie linguistique, Paris, Editions Kimé
.137 Olsen. M, 2002: Polyphonie littéraire et linguistique, Documents de travail V, Roskilde, Samfundslitteratur
.138 Perelman, Chaim et Obrechts Tyteca,Olga.1970 (1958) :Traité de l'argumentation . La (nouvelle rhétorique . Bruxelles : Éditions de l'Université de Bruxelles
.139 Rabatel Alain , « Les verbes de perception en contexte d'effacement énonciatif: du point de vue représenté aux discours représentés » ,Travaux de linguistique, 2003/1 no46, p. 49-88. DOI: 10.3917/tl.046.0049
.140 Rabatel.Alain:L'éffacement énonciatif dans les discours représentés et ses effets pragmatiques et sous-et sur-énonciation,in:Estudios de LENGUA Y Literatura francesa.14.2003. 33-66
.141 REICHLER-BEGUELIN.Marie-José: Anaphore ,cataphore et mémoire

discursive, PRATIQUES N° 57, Mars 1988
.142 Roulet. E: L'organisation énonciative et l'organisation polyphonique, In: Roulet .E, L .Filliettaz & A .Grobet ,2001 :Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours ,Frankfurt , Peter Lang
.143 SOFIA, Dima: Le proverbe, un cas spécial de polyphonie. Recherches ACLIF: Actes du Séminaire de Didactique Universitaire, 2006, no 3
.144 -Vion.Robert :Dimensions énonciatives، discursives et dialogiques de la modalisation،in :LINGUAS & LETRAS ، vol 8.n°15 .2° sem.2007

ج) المعاجم والموسوعات **Dictionnaires et Encyclopédies** :

.145 Charaudeau .Patrick et Maingueneau.Dominique ،2002: Dictionnaire d'analyse de discours,Paris ,Seuil
.146 Dubois .Jean & autres:Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas/HER1999 .PARIS
.147 Encyclopaedia Universalis, France SA 2008
.148 Gaffiot. Felix, 1934: Dictionnaire LATIN-FRANÇAIS, Hachette79,Bd Saint-Germain,Paris
.149 Le petit Larousse illustré en couleur, Larousse/VUEF, 2003
.150 Le Petit Robert. Dictionnaire de la langue française, Le Robert, 2001
.151 Mainguenau. DOMINIQUE ,1996 : Les mots clés du discours, Ed seuil, Paris
.152 Moeschler. Jacques et Reboul. Anne ,1994: Dictionnaire encyclopédique de pragmatique ,Paris , Seuil
.153 Peugoise.Michel,2001: Dictionnaire de la rhétorique, Armand Colin, VUEF, Paris

تعريف بأهم الأعلام

إدّي رولي Eddy Roulet (1939-...)لسانية سويسرية، عملت أستاذة للسانيات العامة واللسانية التطبيقية بجامعات نوشاتل و جنيف. اشتغلت مع مجموعة من الباحثين على مشروع تحليل الحوارات، وتحليل الخطاب، وهو مشروع لا يزال في حالة تطوير. أنشأت سنة 1980 دورية "دفاتر اللسانيات الفرنسية" les Cahiers de linguistique française، لنشر أعمال فريق البحث الذي ترأسه.كما تشرف على تنظيم ملتقى التداولية بجنيف الذي تخصص أشغاله لمناقشة نتائج بحوث فريق البحث، مع باحثين من خارج سويسرا. أشهر أعمالها: وصف تنظيم الخطاب من الحوار إلى النص La description de l'organisation du discours. Du dialogue au texte –تنظيم الخطاب، نموذج التحليل و أدواته Un modèle et un instrument d'analyse de l'organisation du discours

آلان راباتال Alain Rabatel (1953-.....):أستاذ علوم اللسان بجامعة كلود بارنار – ليون1(المعهد العالي لتكوين المعلمين)، مؤهل للبحث في (علوم اللسان والأدب ولسانيات اللغة الفرنسية)، عضو مدرسة الدكتوراه **HSH**(الإنسانيات وعلوم الإنسان)، وعضو دائم بمخبر**ICAR**(تفاعلات،مدونات، تعلمات،تمثيلات)التابع لجامعة ليون1.أهم أعماله: البناء النصي لوجهة النظر La Construction textuelle du point de vue ، الحجاج بواسطة القص Argumenter en racontant ، الإنسان الحاكي- من أجل تحليل تلفظي تفاعلي للســـرد Homo narrans. Pour une analyse énonciative et interactionnelle du récit، وجهات النظر ومنطق عملية السرد Les points de vue et la logique de la narration .

آن روبول Anne Reboul (1956-....) حاصلة على دكتوراه في اللسانيات ودكتوراه في الفلسفة. بعد متابعتها لدراسات ما بعد الدكتوراه بلندن في University College، شغلت عدة مناصب متصلة بالبحث في حقل اللسانيات بسويسرا. وفي سنة 1993التحقت بالمركز الوطني للبحث العلميCNRS بفرنسا. وفي عام 1999 التحقت بمعهد العلوم المعرفية بليون، حيث تشغل منصب مسؤول على فرقة بحث"التداولية و العلوم المعرفية". أهم أعمالها: التداولية اليوم علم جديد في التواصل La pragmatique aujourd'hui :une nouvelle science de la communication(بالاشتراك مع موشلر. ج)، تداولية الخطاب: من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب Pragmatique du discours : de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours(بالاشتراك مع موشلر. ج)،اللغة و العرفنة البشرية Langage et cognition humaine(عمل فردي)

أوزوالد ديكرو Oswald Ducrot (1930-.....)لساني فرنسي، أستاذ مبرز في الفلسفة، عمل سابقا في المركز الوطني للبحث العلميCNRS بفرنسا، يشغل حاليا منصب مدير الدراسات بمدرسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (EHESS) بباريس. للباحث عدة أعمال حول التلفظ و الحجاج في اللغة،و التعدد الصوتي. من أشهر أعماله:الدليل والقول La Preuve et le dire ، البنيوية في حقل اللسانيات Le Structuralisme en linguistique، أن نقول ولانقول Dire et ne pas dire ، مبادئ في الدلالة اللغوية Principes de

sémantique linguistique، القول والمقول Le Dire et le Dit ، السلالم الحجاجية Les Échelles argumentatives، كلمات الخطابLes Mots du discours (مع آخرين)، الحجاج في اللغة L'argumentation dans la langue(بالاشتراك مع ج. ك. أنكومبر)، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان.Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع ج. م. شايفر)

باتريك شارودو Patrick Charaudeau:مؤسس مركز تحليل الخطاب بجامعة باريس8، يشغل حاليا منصب أستاذ مميز في علوم اللسان، كما يعمل باحثا بمخبر التواصل والسياسة(LCP).التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنساCNRS .أهم أعماله: الكلام المصادر La parole confisquée، خطاب الإخبار الإعلامي Le discours d'information médiatique ، معجم تحليل الخطاب Dictionnaire d'analyse du discours(بالاشتراك مع د. مانغونو)، الخطاب السياسي-أقنعة السلطة Le discours politique : les masques du pouvoir

جاك موشلر Jacques Moeschler(1954-.....):أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة جنيف، متخصص في علم الدلالة والتداولية. تناولت أبحاثه موضوعات الإحالة الزمنية، و الروابط التداولية، والسببية، والكلمات المنطقية المرتبطة بالحجاج. تمثل كتبه المعتمدة على محاضراته ونشاطه التدريسي مرجعا في بابها. يرأس حاليا الجمعية السويسرية للسانيات، وقد أسندت إليه رئاسة لجنة تنظيم الملتقى العالمي للسانيات الذي سينعقد في الفترة من:07 إلى 12 جويلية 2013، بجامعة جنيف. أهم أعماله:النظرية التداولية والتداولية التحادثية Théorie pragmatique et pragmatique conversationnelle، الحجاج والمحادثةArgumentation et conversation ، مبادئ للتحليل التداولي للخطاب Éléments pour une analyse pragmatique du discours ، القول ونقيض القول.Dire et contredire ، تداولية النفي وفعل الدحض في المحادثة Pragmatique de la négation et acte de réfutation dans la conversation

جان ماري شايفر Jean-Marie Schaeffer(1952- ....): باحث فرنسي متخصص في فلسفة التلقي الجمالي ونظرية الفن، منتسب إلى المركز الوطني للبحث العلميCNRS بفرنسا، حيث ترأس المركز الفرعي للبحث في الفنون واللغة و CRAL التابع للمدرسة العليا للدراسات الاجتماعيةEHESS ، المدرسة التي يشغل بها منذ 2002 مديرا للدراسات.أهم أعماله: ما الجنس الأدبي؟ ? Qu'est-ce qu'un genre littéraire ، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان Nouveau Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage (بالاشتراك مع أ. ديكرو)،الفن، الإبداع والمتخيل Art, création, fiction

جون روجرس سيرل John Rogers Searle (1932-....) فيلسوف أمريكي من أعلام الفلسفة التحليلية، اهتم خاصة بفلسفة اللغة و فلسفة العقل. اشتغل أستاذا للفلسفة بجامعة كاليفورنيا-بيركلي. وهو أشهر أتباع

أوستين ،إذ قام على تطوير نظريته في أعمال الكلام. أشهر أعماله: أعمال اللغة An Essay in the Philosophy of Language (1969) - Speech Acts , المعنى و التعبير Expression and Meaning: Studies in the Theory of Speech Acts (1979)– العقل، اللغة و المجتمع Mind, Language and Society: Philosophy in the Real World (1998)

جون لانغشو أوستين(1911-1960)فيلسوف أنجليزي من أقطاب الفلسفة التحليلية. اهتم بدراسة المعنى من منظور فلسفي ، فعد رائدا لفلسفة اللغة العادية، من خلال نظرية أعمال اللغة التي وضعها(في محاضراته: كيف نصنع أشياء بالكلمات How to do Things with Words) ،و تابعه جون سيرل فطورها و أكمل بناءها النظري. أشهر أعماله:أوراق فلسفية Philosophical Papers [1961] – لغة الإدراك Sense and Sensibilia

جون ميشال أدام Jean-Michel Adam (1947-...) لساني فرنسي، متخصص في لسانيات النص و تحليل الخطاب. عمل في عدة جامعات. يشغل حاليا منصب أستاذ شرفي للسانيات الفرنسية بجامعة لوزان السويسرية. أشهر أعماله: أنماط النصوص و نمذجاتها Les textes : types et prototypes- لسانيات النص مدخل إلى التحليل النصي للخطاب La linguistique textuelle, Introduction à l'analyse textuelle des discours– لسانيات النص ، من أجناس الخطاب إلى النصوص Linguistique textuelle, des genres de discours aux textes

دان سبربر Dan Sperber (1942-...)أنثروبولوجي ولساني فرنسي، باحث في حقل العلوم العرفانية. يعمل حاليا مديرا للبحث المتميز بمعهد جون نيكو التابع للمركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا، ويعمل أيضا أستاذا للعلوم العرفانية والفلسفة بالجامعة المركزية الأوربية ببودابست. عرف بأعماله في حقل التداولية، ولاسيما ما يتصل بنظرية الملاءمة التي طورها بالاشتراك مع دايردر ولسنDeirdre Wilson. حصل سبربر عام 2009 على جائزة ك.ل. ستراوس التي تمنح لأحسن عمل في حقل العلوم الاجتماعية،يصدر بفرنسا. أشهر أعماله: التواصل، الملاءمة و العرفنة، بالاشتراك مع دايردر ولسنLa Pertinence, Communication et Cognition, avec Deirdre Wilson – عدوى الأفكار La Contagion des Idées

دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau :أستاذ لسانيات اللغة الفرنسية بجامعة السوربون بباريس. تركزت أبحاثه على لسانيات اللغة الفرنسية، وتحليل الخطاب، متأثرا بإسهامات م. فوكو، والتيار التداولي، ونظريات التلفظ اللسانية. تحول مؤخرا إلى الاهتمام بتحليل الخطابات المؤسّسة (الفلسفية، والدينية، والعلمية، والأدبية). أهم أعماله: مدخل إلى مناهج تحليل الخطابInitiation aux méthodes de l'analyse du discours ، التلفظ الأدبL'énonciation littéraire ، من أجل تداولية للخطاب الأدبي Pragmatique pour le discours littéraire ، مدخل إلى اللسانيات الفرنسيةIntroduction à la linguistique française ،الخطاب الأدبيLe discours littéraire، من أجل لسانيات للنص الأدبي Linguistique pour le texte littéraire

كاترين كربرات أوركيوني Catherine Kerbrat-Orecchioni (؟-.....) لسانية فرنسية من أصل روماني، تعمل حاليا أستاذة باحثة بجامعة ليون2، حيث تنتسب إلى مخبر البحث ICAR المتخصص في دراسة(التفاعلات، المدونات، التعلمات، والتمثيلات) تهتم على وجه الخصوص بموضوع الحوار، وتسعى إلى بلورة مفهوم"المجاز الحواري" الذي يتعلق بالكيفية التي ينطوي من خلالها الملفوظ الموجه إلى المعني بالحوار، على مرسلة موجهة إلى شخص آخر شاهد على هذا الحوار. أهم أعمالها: التلفظ- حول الذاتية في اللغة L'énonciation : De la subjectivité dans le langage، التفاعلات الشفوية Les Interactions verbales، الخطاب في حال التفاعل Le discours en interaction ،أعمال اللغة في الخطاب،النظرية والاشتغال actes de langage dans le discours : Théories et fonctionnement

ميخائيل ميخايلوفتش باختين (1895-1975)علم روسي بارز في حقول متعددة: تاريخ الأدب ونظريته،التحليل النفسي ، علم الجمال ، علم الأخلاق. يعد مؤسس اللسانيات الاجتماعية. وقد عرف واشتهر بدراساته حول الرواية(أعمال دوستويفسكي وتولستوي وغيرهما). خالف في منهجه الشكلانيين الروس ونقدهم مبينا محدودية نموذجهم التحليلي. أشهر ما ينسب إليه في حقل الدراسات الأدبية مفهوما الحوارية و التعدد الصوتي. أشهر أعماله: شعرية دوستويفسكي Problèmes de la poétique de Dostoïevski -استتيقا الرواية و نظريتها Esthétique et théorie du roman

نورمان فايركلو Norman Fairclough (1941-...)أستاذ مميز في اللسانيات بجامعة لانكاستر. يعدّ أحد المؤسسين للتحليل النقدي للخطاب(CDA) في مجال الدراسات السوسيولسانية، وهو تخصص يعنى بدراسة كيفية ممارسة القوة من خلال اللغة. تأثر فايركلو بميخائيل باختين و ميخائيل هاليداي في طروحاتهما اللسانية ، كما تأثر بكل من أ. غرامشي ول. ألتوسير وم. فوكو وب. بورديو في منظوراتهم السوسيولوجية. أشهر أعماله: الخطاب و التغير الاجتماعي (1992). Discourse and Social Change – التحليل النقدي للخطاب (1995). Critical Discourse Analysis – الخطاب الإعلامي (1995). Media Discourse

هيربرت بول غرايس Herbert Paul Grice (1913-1988) فيلسوف بريطاني، بدأ حياته المهنية في بريطانيا، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة حيث قضى العشرين سنة الأخيرة من حياته. عرف بأبحاثه في فلسفة اللغة، إذ اهتم بالتداولية و اللسانيات. أهم المفاهيم التي اجترحها ، مفهوم التعاون ، وحكم المحادثة ، و الاستلزامات التحادثية. أشهر أعماله: مقالة بعنوان "المعنى"المجلة الفلسفية "Meaning," The Philosophical Review .1957- كتاب"المنطق والمحادثة"1975. Logic and conversation- مفهوم القيمة 1991. The Conception of Value

هينينغ نولكه Henning Nølke:مختص في الأصواتية اللسانية. عمل أستاذا في معهد الدراسات التجارية العليا بآرهيس بالدانمارك سنة1993، وانتقل منها إلى قسم اللغة الفرنسية بجامعة آرهيس سنة 2004، حيث شغل منصب أستاذ اللسانيات. يرأس فريق البحث السكندنافي في التعدد الصوتي اللساني والأدبي المعروف بـــ scapoline.
أهم أعماله:السكابولين النظرية السكندنافية للتعدد الصوتي اللساني ScaPoLine, la théorie scandinave de la polyphonie linguistique (بالاشتراك مع ك. فلوتوم، ك. نورن)، نظرة المتكلم Le regard du locuteur، من أجل لسانيات للآثار التلفظيةpour une linguistique des traces énonciatives ، اللسانيات القالبية Linguistique modulaire ، من الشكل إلى المعنىde la forme au sens

فهرس الموضوعات

مدخل نظري: نظرية التعدد الصوتي 1 – 69

أ)الأصول التداولية لنظرية التعدد الصوتي 4-44

1- نظرية أعمال اللغة..... 6

2- تداولية التضمينات عند غرايس..... 17

3- نظرية الملاءمة :التداولية العرفانية..... 30

4- التداولية المندمجة..... 37

ب) :التعدد الصوتي،نظرياته وجهازه المفاهيمي 45 - 69

مقدمة: المصطلح و الماهية..... 45

أولا :نظريات التعدد الصوتي..... 52

ثانيا:الجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي..... 60

الفصل الأول:مدونة الرسائل من منظور أجناسي تداولي 70 – 129

- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات 71

- إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي لخطاب الرسائل..... 86

- في التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي عند الجاحظ..... 102

الفصل الثاني: التحليل الأصواتي اللساني 130- 187

مقدمة..... 131

النفي الجدلي: 133-146

مفهومه واشتغاله أصواتيا..... 133
النفي الجدلي في خطاب الرسائل..... 140

الاستفهام/ السؤال البلاغي: 147-161
مفهومه واشتغاله أصواتيا..... 147
الاستفهام في خطاب الرسائل..... 153

ج)الروابط والعوامل الحجاجية: 162-175
مفهومها واشتغالها أصواتيا..... 162
الروابط والعوامل الحجاجية في خطاب الرسائل..... 167

د) الموجهات: 176-187
- مفهومها واشتغالها أصواتيا..... 176
- الموجهات في خطاب الرسائل..... 179

الفصل الثالث: التحليل الأصواتي النصي 188-240

مقدمة..... 189
1)الإحاليات واشتغالها أصواتيا..... 192
2) مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات..... 199
3) الواسمات الأصواتية ووجهات النظر التفاعلية..... 224
4) استعادة وجهات النظر واستباقها..... 233

الفصل الرابع:التحليل الأصواتي الخطابي 241-316

أ) الآليات الأصواتية الخطابية واشتغالها أصواتيا..... 243

ب) ذوات الخطاب وذوات الواقع..... 262

ج) هيمنة المتكلم /كاتب الرسائل على التلفظ..... 282
ب) تبـــني الأصوات ودحضـــها..... 287
د) استحضار خطاب الآخر..... 299
هـــ) إقحام القارئ في النص..... 311
خاتمـــــــــــة..... 317
فهارس وملاحق 361-321
فهرس نصوص المقتبسات المترجمة..... 322
ثبت المصطلحات المترجمة..... 328
فهرس مطابقة الإحالة إلى مدونة الرسائل..... 336
مكتبة البحث..... 343
ملحق التعريف بأهم الأعلام..... 354
فهرس الموضوعات..... 359

ملخص: تتناول هذه الأطروحة بالبحث الطابع التداولي الحواري للخطاب الرسائلي عند الجاحظ، الذي يختزن – كما هو معروف – محتويات ومكونات خطابية تنتمي إلى أنماط خطابية مختلفة، ولاسيما الخطاب الحجاجي. وهذا ما دفعنا إلى تبني المقاربة التداولية الأصواتية لمعالجة الإشكالية التي يطرحها موضوع هذه الرسالة.

لقد قمنا في البدء باستعراض الأسس النظرية للمقاربة التداولية الأصواتية، وأعقبناها بالكشف عن المفاهيم الإجرائية التي اعتمدناها لإنجاز التحليل المفترض لمدونة الرسائل.

وفي الفصول التطبيقية التي جاءت بعد ذلك، وهي جوهر البحث، عمدنا إلى وصف الظواهر الأصواتية كما تجلت لنا في رسائل الجاحظ، متكئين على المفاهيم النظرية التي سبق عرضها. وقد تمثل ذلك في تحليل عدد من الأمثلة المقتطفة من مدونة الرسائل، توزعتها المستويات اللسانية الجملية، والنصية، والخطابية

الكلمات المفتاحية:الكتابة– الإقناع– الرسائل– الجاحظ– التداولية– التعدد الصوتي– الحوارية– الحجاج– الواسمات الأصواتية– النفي– الدحض– السؤال البلاغي– الموجهات– الإحاليات– وجهات النظر– التنظيم النصي– الروابط الحجاجية – الخطاب المستحضر

Résumé: Cette thèse traite du caractère pragmatico-polyphonique de l'œuvre épistolaire jahizienne, qui est - comme on le sait - truffée de composantes appartenant à différents types de discours, en particulier le discours argumentatif. D'ou l'adoption de l'approche pragmatico-polyphonique pour l'étude du thème de la présente thèse.

Ainsi, après avoir passé en revue des fondements théoriques de cette approche, nous nous sommes intéressé à présenter les procédés techniques avec lesquels nous avions analysé le corpus d'étude.

Ensuite, est venue l'investigation proprement dite, celle qui nous a conduit à la description des phénomènes polyphoniques, tels qu'ils se sont manifestés dans les épitres d'El Jahiz, en nous appuyant sur les notions théoriques précédemment étalées. Cette phase nous a permis d'analyser un bon nombre d'exemples tirés du corpus, censés illustrer la polyphonie au niveau phrastique, textuel, et discursif.

Mots-clés : Ecriture- Persuasion-Epitre-El Jahiz-Pragmatique- Polyphonie-Dialogisme-Argumentation- Marqueurs polyphoniques- Négation-Réfutation-Question rhétorique-modalités-abaphores- points de vues-organisation textuelle-connecteurs argumentatifs- discours représentés

Abstract: This thesis deals with the pragmatic nature of the jahizien's epistolary work, which is - as we know - full of components belonging to different types of discourse, especially argumentative discourse. Hence the adoption of the pragmatico-polyphonic approach to study the theme of this thesis.

Thus, after reviewing the theoretical foundations of this approach, we are interested in presenting technical processes with which we analyzed the corpus studied.

Then came the investigation itself, which led us to the description of polyphonic phenomena, as they are manifested in the epistles of El Jahiz, building on previous theoretical mentioned. This stage allowed us to analyze a number of examples picked out from the corpus, which are supposed to illustrate the polyphony at the phrasal, textual, and discursive levels.

Keywords: Writing-Persuasion-Epistle-El-Jahiz-Pragmatic - Argumentation - Polyphony-Dialogism- Polyphonic markers - Negation -Refutation-rhetorical question- anaphora- points of view -textual organization- argumentative connectors- represented discourse

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عما تختزنه الرسائل كخطاب أدبي من مؤشرات دلالية تداولية، تساعد على تبني رؤية جديدة لهذا الكم من النصوص التي درج الباحثون على التعاطي الاختزالي معها، بحيث يُتجاوز في النظر إليها مسلمةَ الدونية التي ألصقت بها، وتُفتح آفاق البحث في إعادة تصنيفها من ناحية، وتُثمّن قيمتها الأدبية والفكرية انطلاقا من دراسة تستهدف استحضار المقامات التلفظية الترسّلية التي أنتجتها، للوقوف على موثوقية النص ودلالاته على السياق الاجتماعي بمدلولاته الإيديولوجية المختلفة.

كما يحاول هذا البحث أن يستثمر دراسة الخطاب الرسائلي من منظور تلفظي أصواتي لتهيئة معطيات قد تساعد على معالجة أفضل لقضايا منهجية أثيرت حول منهج الجاحظ في الكتابة، واستطراداته وموسوعيته، وتأرجحه بين بلاغة الشفوي والكتابي، وتفسير تناقض آرائه من مؤلّف إلى آخر، ومن موضع إلى آخر في المؤلّف الواحد.

كما يهدف هذا البحث أيضا إلى إثارة بعض الإشكالات المتصلة بموثوقية النص، والتي نرى أن التحليل التلفظي الأصواتي كفيل بحصرها، وإضاءة الكثير من جوانبها، فدراسة مستويات التلفظ كشفت لنا كيف أن الناسخ يتدخل مرارا في فضاء الرسالة الكتابي تدخلا صريحا أحيانا، مما يدفع إلى التساؤل: ما الذي يمنعه من أن يتدخل تدخلا غير صريح، أو تدخلا من أي نوع كان؟

قسّمت البحث إلى مدخل و أربعة فصول، خصصت المدخل للمهاد النظري، وتولّيت في الفصول الأربعة تحليل المدونة اعتمادا على ما تقدّم عرضه في المهاد، مع إضاءات نظرية مضافة.

أدرجت في المدخل المخصّص للمهاد النظري الإضاءة النظرية الموسعة للبحث، من حيث أصوله التداولية الممثلة في النظريات التداولية الأكثر تأثيرا في الدراسات الأصواتية، وأعني بها: نظرية أفعال الكلام،ونظرية التضمينات التحادثية لغرايس، والنظرية التداولية العرفانية لسبربر وولسن، ثم نظرية التداولية اللسانية المندمجة عند ديكرو وأضرابه.

وأعقبت ذلك بعرض تعريفي بنظريات التعدد الصوتي، وما اعتمدَتْه من ترسانات مفاهيمية، ومنظومات اصطلاحية، انتصب فوق أرضيتها نموذج التحليل الأصواتي في أحدث تجلياته عند المدرسة السكندنافية.

وفي الفصل الأول تعرضت إلى تجنيس الرسائل من منظور تحليل الخطاب عامة، ومن المنظور التداولي خاصة، فوجدتني مضطرا إلى الخوض في التصنيف الأجناسي للخطابات في عمومها، ثم في إشكاليات التصنيف الأجناسي للخطاب الرسائلي، وفي المبحث الأخير قمت بتطبيق مفاهيم التصنيف الأجناسي التداولي على الرسائل الجاحظية.

أما الفصول الثلاثة المتبقية، والتي تولّيت فيه تحليل المدونة بصورة فعلية، فقد اشتملت على محاولات لتطبيق المفاهيم النظرية السابق عرضها على رسائل الجاحظ، تدرجت فيها من المستوى اللساني في الفصل الثاني، إلى المستوى النصي في الفصل الثالث، لأنتهي إلى المستوى الخطابي في الفصل الرابع والأخير.

هذا إجمال خطة البحث. وفيما يلي تلخيص مطول للمعالجات التي تضمنتها الفصول.

في المدخل بينا أننا اعتمدنا في دراستنا لمدونة الرسائل مقاربة تداولية تستثمر مفهوم الأصواتية أو التعدد الصوتي، الذي يتم تبنّيه على نطاق واسع اليوم في دراسة شتى أنواع الخطابات، لاسيما في الخطابات ذات الطابع الحواري، كالخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي، والخطاب البيداغوجي، وغيرها من أنماط الخطابات. ويتأسس هذا المفهوم كما تبلور في النظريات التي سنعرض لها لاحقا على مبدأ التصاق خاصية الحوارية بكل خطاب طبيعي، وهو المبدأ الذي جاء به م. باختين (M.Bakhtine)، وطوّره بعده باحثون كثيرون، توزّعوا على مدارس وتيارات أغنت البحث التداولي الأصواتي للخطاب، بما وضعته من نظريات، واجترحته من مفاهيم، وأرسته من منهجيات بحث ونماذج تحليل.

فمن بحوث باختين حول روايات دوستويفسكي وتولستوي، وتطبيق مفهوم الحوارية عليها، إلى جهود ديكرو (O.Ducrot) وأنكومبر (J.C.Anscombre) في

التأسيس اللساني لمفهوم الأصواتية، إلى إسهامات مدرسة جنيف الحوارية وفريق البحث السكندنافي،في توسيعها إلى التطبيقات الخطابية؛ استقر البناء النظري لهذه المقاربة التي ما انفكت تتطوّر، وتأتي بالجديد، وتقدّم نموذجا في التحليل غنيا بالاقتراحات، إن على المستوى النظري، أو التطبيقي.

من أجل التمهيد النظري لتطبيق هذه النظرية على مدوّنة الرسائل، وضحنا الجوانب النظرية التي نراها ضرورية لإضاءة مسارات البحث التطبيقي، وقد اخترنا أن نتناول في هذا الفصل النظري المدخلي، أولاً تبيان الصلة بين التداولية والنظرية الأصواتية،فتعرضنا لنشأة التداولية ونظرياتها الرئيسية المتمثلة في: نظرية أفعال الكلام لأوستين وسيرل، ونظرية التضمينات عند غرايس، ونظرية التداولية العرفانية عند ولسن وسبربر، ونظرية التداولية المندمجة عند أ. ديكرو وك. أكومبر.

وأعقبنا ذلك باستعراض جهود الباحثين والمدارس ومساهماتها في تطور النظرية الأصواتية، وهي المدارس الثلاثة المعروفة: مدرسة الأصواتية اللسانية التي يتزعمها أ. ديكرو، ومدرسة جنيف الحوارية التي تترأسها إ. رولي، والمدرسة الاسكندنافية المعروفة اختصارا بالسكابولين، وأشهر أعلامها نولكه وفلوتوم ونورن.

وأتبعنا ذلك بعرض الجهاز المفاهيمي الذي سنتكئ عليه في الفصول التطبيقية، و يتكون هذا الجهاز من: أ)المتكلم/ منشئ الكلام (Locuteur(LOC ب) وجهات

النظرPoints de vue (pdv) ج) الذوات الخطابية الخطابية Etres discursifs د) الروابط التلفظيةLiens énonciatifs:

في الفصل الأول تناولنا بالدراسة مدونة الرسائل من منظور أجناسي تداولي، وفرعنا هذه الدراسة لتشمل التصنيف الأجناسي التداولي للخطابات ، ثم إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي، وأخيرا التصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل الجاحظي. في المبحث الأول ناقشنا صلة المبدأ الحواري والعقد التواصلي الشامل بتصنيف الأجناس. وفي المبحث الموالي عرضنا لتحديد المقصود بالسمات الأجناسية الداخلية. وخصصنا المبحث الأخير للتصنيف الأجناسي من منظور التكوين النصي.

أما إشكاليات التصنيف الأجناسي التداولي للخطاب الرسائلي ، فقد عالجنا ضمنها:إشكالية التسمية، وإشكالية "التفاعل"، وإشكالية اللاتجانس الخطابي والأجناسي، وإشكالية الأدبية، متكئين في ذلك على آراء متنوعة لباحثين متعددي المرجعيات، مختلفي المدارس.

وعند تناولنا للتصنيف الأجناسي لخطاب الرسائل الجاحظي ، والينا معالجة القضايا التالية:السمات الخارجية المقامية لرسائل الجاحظ، تسمية الرسائل وتصنيفها / مصدر التسمية ودلالاتها، إكراهات المقام /الكتابة اختيارا لا اضطرارا، لاتجانس الخطاب الرسائلي بين الأصواتية والحوارية، السمات الداخلية للخطاب الرسائلي عند

الجاحظ، تصرّف الجاحظ في أقسام الرسالة، الخطاب الواصف والعناية بالقارئ العام، نظام التأشيريات الشخصية ، وأخيرا الوحدات النصية (المقاطع)وتراكبها في النص الرسائلي الجاحظي.

في الفصل الثاني المخصص للتحليل الأصواتي اللساني، تناولنا واسمات التعدد الصوتي على المستوى اللساني الجملي، وتتمثل هذه الواسمات في : النفي الجدلي، الاستفهام/السؤال البلاغي، الروابط والعوامل الحجاجية، الموجهات.

فالتحليل الأصواتي اللساني ينحصر في مستوى الجملة، ويمثّله في الدراسات اللسانية التداولية نموذج التحليل الذي يقترحه أ.ديكرو(O.Ducrot) ضمن نظريته المعروفة بالنظرية التداولية المندمجة، التي تمتاز عن غيرها من النظريات التداولية بالنظر إلى ظاهرة التعدد الصوتي كظاهرة لسانية يمكن دراستها وفحصها على مستوى البنية اللغوية للملفوظات، من خلال مكوّنات لغوية متعددة ومتنوعة تنطوي دلاليا على تعليمات تحيل إلى عملية التلفظ، وتدلّ على آثار الأصوات المتعددة التي يحملها الملفوظ، والتي تسند إليها أقوال متباينة وأحيانا متضادة، وتتوزع مسؤوليات كفالتها تلفظيّاً على عدة متلفظين.

ويقوم النموذج التحليلي الذي يقترحه أ.ديكرو على التمييز بين المتكلم(الناطق بالملفوظ أو منتجه) والمتلفظين، ومادام كل ملفوظ ينطوي على عدة أقوال(وجهات نظر)، يُسنَد كل قول إلى متلفظ، ثم ينظر إلى موقع المتكلم من هؤلاء المتلفظين عبر

فحص روابط المسؤولية الثلاثة(التماهي، الدحض، التقبل)، وتتحدد هذه المسؤولية بحسب الواسم الأصواتي، والسياق التلفظي الذي يرد فيه الملفوظ، فبعض الواسمات تستنفر الأصوات وتُسنِد إليها أقوالا صريحة في الملفوظ، مثل روابط السببية والتعليل: "بما أن"و"مادام"و"لما كان"، وبعضها يستنفر أصواتا تُسنَد إليها أقوال تكون مضمرة في بنية الملفوظ، نستنتجها بواسطة الافتراضات المسبقة والتضمينات، مثل النفي والاستفهام.

وجاء الفصل الثالث ليشتمل على التحليل الأصواتي النصي الذي أتاح لنا معالجة قضايا من قبيل: الإحاليات واشتغالها أصواتيا، مستوى التنظيم النصي وإدراج الأصوات، استعادة وجهات النظر واستباقها

فبعد إنجازنا للتحليل الأصواتي على المستوى اللساني، والذي قمنا فيه بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية على مستوى الملفوظ /الجملة، ننتقل في هذا الفصل إلى المستوى التالي في التحليل، وهو المستوى النصي لنحاول تبيّن اشتغال الواسمات الأصواتية منفردة أو مجتمعة في وحدة لغوية أكبر من الجملة، أي على مستوى المقاطع النصية، أو النصوص بكلّيتها.

استعنّا في هذا المستوى من التحليل بمفاهيم متعددة، منها ما سبق لنا تقديمه نظريا في القسم النظري من البحث، واستعادته في الفصل التطبيقي السابق، كالمفاهيم المتصلة بآليات التحليل اللساني من نفي، واستفهام، وروابط، وعوامل

حجاجية، وموجهات، أو تلك المتصلة بالجهاز المفاهيمي للتحليل الأصواتي، كالتشكيل الأصواتي، والمتكلم، والمتلفظ، ووجهات النظر، وغيرها؛ ومفاهيم جديدة لم نعرض لها سابقا، واستدعى التحليل التطبيقي الاستعانة بها، وضمّها لعدة التحليل التي نواجه بها مهمات الدراسة الأصواتية لمدونة الرسائل، كمفاهيم وجهات النظر التفاعلية، والاستعادة، والاستباق، والمقاطع الأصواتية، وغيرها.

وقد أقمنا تصورنا لخطة التحليل في هذا الفصل على تدرّج نتناول عبره العناصر التالية :

بدأنا بالتنظيم النصي ومدى تأثره بظاهرة إدراج الأصوات التي تعد واحدا من إكراهات المقامات الترسلية لنصوص الرسائل، ونعني بذلك تحديدا أن الجاحظ توسّل الرسالة لممارسة كتابة الردود السجالية، ونقل مقالات الفرق وطروحاتهم الدينية والسياسية، والخوض في موضوعات اجتماعية كانت تشغل بال النخب في عصره.

و أعقبنا ذلك في مبحث ثان بفحص اشتغال الواسمات الأصواتية Marqueurs polyphoniques على مستوى المقاطع النصيـــــــــــة Séquences textuelles، انطلاقا من افتراض أصبح معروفا في التحليل النصي، وهو أن الروابط والعوامل الحجاجية وغيرها من الواسمات الأصواتية تؤدي دورا حاسما في اتساق النص وانسجامه، زيادة على وظيفتها النحوية التركيبية على مستوى الجملة، وهو ما تختص بدراسته لسانيات الجملة التي لا تعنى إلا بدراسة الجمل في حالة

استقلالها وتترك للسانيات النص الاشتغال على المقاطع النصية الأكبر حجما، وعلى النصوص.

وخلصنا من معالجة قضايا التنظيم النصي، وما يتصل بها من تحديد لمستويات التلفظ، و كفالة الملفوظات، وموقع المتكلم(كاتب الرسالة) من وجهات النظر التي يستنفرها التعدد الصوتي على المستوى النصي، ودور الواسمات الأصواتية النصية في إنشاء الظواهر الأصواتية المتمثلة أساسا في وجهات النظر المتضادة في حالة التركيب الاحتوائي (وجهات النظر التفاعليةPoints de vue dynamiques)؛ انتهينا من ذلك إلى فحص ظاهرة أصواتية نصية خاصة تفرزها الواسمات الأصواتية على المستوى النصي، وهي ظاهرة استعادة وجهات النظر Reprise de points de vue، أو استباقها Anticipation de points de vue في مواضع معينة من فضاء النص.

وكان ختام البحث بالفصل الرابع الذي تضمن التحليل الأصواتي الخطابي لمدونة الرسائل الجاحظية، وبه كانت تكملة دراسة مستويات التعدد الصوتي كما سطرناه في خطة البحث

فقد تبيّن لنا مما تقدّم في الفصلين السابقين، أن الواسمات الأصواتية هي آليات تقوم بإيجاد مستويات متراتبة من وجهات النظر، ومن جملة هذه الواسمات –كما رأينا- أدوات النفي والاستفهام، والروابط الحجاجية، والموَّجهات، والإحاليات، وهي ما يصطلح على تسميته الواسمات اللغوية اللسانية والنصية.

يوازي هذه الواسمات في التحليل الأصواتي نوع آخر لا يقل أهمية، هو الواسمات الخطابية، أوبين-الخطابية، Marqueurs interdiscursifs، وتتمثل في ظواهر بين-خطابية،مثل: الخطاب المستحضرDiscours repésenté، والأمثال Proverbes ، والمشهوراتDoxa، والافتراضات المسبقة Présupposé. وهي الظواهر التي سنعرض للتعريف النظري بها والتطبيق عليها في هذا الفصل.

وقد مكنتنا هذه الآليات الأصواتية الخطابية من دراسة قضايا عديدة تتصل بالمستوى الخطابي في مدونة الرسائل ، منها: المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع، ومدى هيمنة المتكلم /كاتب الرسائل على التلفظ في خطاب رسائله، وما يترتب على ذلك من تفاوت في كفالة الملفوظات المكونة لهذا الخطاب. كما أتاح لنا ذلك الوفوف المتأني على ظاهرتي استحضار خطاب الآخر في صلتها مع الظواهر الخطابية المختلفة كحجاج السلطة، والاستشهاد، والدحض ، و إقحام القارئ في النص.

ففيما يتعلق بالآليات الأصواتية الخطابية واشتغالها تعرضنا في هذا الفصل للتعريف بها لنقوم بالتطبيق عليها لاحقا في تحليلنا الخطابي للمدونة. فعلى غرار الآليات اللسانية والنصية، تسهم الآليات الخطابية في إنشاء ظاهرة التعدد الصوتي على مستوى الخطاب، من خلال استنفارها لأصوات متعددة، يستحضر المتكلم خطاباتها تصريحا أو تضمينا.

فقد تستحضر هذه الخطابات بواسطة واسمات لغوية، يعتمد عليها في إدراج الأصوات الأخرى المعبرة عن ذوات خطابية تحيل إلى ذوات حقيقية، تُعيِّن هوياتها، أو تترك مغفلةً، كما تستحضر بواسطة إيحاءات وتلميحات لا تدل عليها أيّ واسمات لغوية. وعندها لا يتم الاهتداء إلى هذه الخطابات ولا تُرصَد آثارها في الخطاب الأصل إلا عِبْر فحص السياق المقالي والمقامي، قصد استخلاص ما يحمله من تعليمات ومعطيات تكشف عن المواضع التي يثوي فيها الخطاب المستحضر في النص المعني بالدراسة.

دأب محلّلو الخطاب على ربط ظاهرة التعدد الصوتي والحوارية في تمظهرهما الخطابي بظاهرة أوسع، هي ظاهرة التفاعل الخطابي، أو البين-خطابية –كما يسمّيها بعضهم – وهي مفهوم استقر في أدبيات تحليل الخطاب، وتكرّس تداوله واستعماله للدلالة على ما يعدّ خاصية جوهرية ملابسة لكل خطاب طبيعي؛ وهي أن كل خطاب لا بد أن يحمل في أطوائه بصورة من الصور خطابات أخرى سبقته، أو يفترض أنها ستكون لاحقة له، بحيث لا يمكننا أن نتصور خطابا مُبَرّأً من التقاطع والتفاعل مع الخطابات الأخرى من جنسه، ومن غير جنسه.

وقد أسّس لهذا المفهوم م. باختين(M.Bakhtine) مؤكدا على جوهرية الظاهرة، بقوله:« إن التوجيه الحواري هو بوضوح، ظاهرة مشخّصة لكل خطاب، وهو الغاية الطبيعية لكل خطاب حي، يفاجئ الخطاب خطاب الآخر بكل الطرق التي تقود إلى غايته ولا يستطيع شيئاً سوى الدخول معه في تفاعل حاد وحي، " آدم" فقط

هو الوحيد الذي يستطيع أن يتجنب تماماً إعادة التوجيه المتبادلة هذه فيما يخص خطاب الآخر الذي يتبع في الطريق إلى موضوعه، لأن آدم كان يقارب عالماً يتسم بالعذرية، و لم يكن قد تكلم فيه وانتهك بواسطة الخطاب الأول »[1]

تعددت وتنوعت المقاربات التي سعى أصحابها إلى حصر الظاهرة وتقنينها قصد إخضاعها للدراسة العلمية الجادة. ولعل أشهر الدراسات في هذا الميدان، ما أنجزته الباحثة ج . أ روفيز (Jacqueline Authier-Revuz)، التي اجترحت مفهومي اللاتجانس المظهر، واللاتجانس التكويني . فماذا عنت بهما ؟ وما صلتهما بظاهرة التعدد الصوتي في المستوى الخطابي ؟

تميّز الباحثة بين نوعين من اللاتجانس الخطابي، اللاتجانس المُظهرHétérogénéité montrée، واللاتجانس التكويني Hétérogénéité constitutive؛ فتعني بالأول حضور خطاب الآخر في النص حضورا يمكن تحديد موضعه.[2] وتميز الباحثة في هذا النوع الأول بين أشكال موسومة (أو صريحة)،وأخرى غير موسومة؛ فتمثل للأشكال الموسومة التي يشار إليها بواسمات صريحة، بـــ"الخطاب المباشر، والخطاب غير المباشر، والتنصيص، والخط المائل، والجمل المعترضة "، وتمثل للنوع الثاني بالأشكال غير الموسومة بـــ"الخطاب غير المباشر الحر، والتلميحات، والتهكم، والمعارضة الساخرة...الخ " [3] ولأجل التعرف عليها، تتطلب

(1) - نقلا عن: تودوروف. تزفيتان:ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ص125

(2) - ب .شارودوود.مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص283

(3)- Jacqueline Authier-Revuz, Hétérogénéité(s) énonciative(s),In: Langages, 19e année, n°73, 1984. pp. 98-111.p98

هذه الأشكال من المتلفظ الشريك« التوليف بنسب متغيرة بين رصد مؤشرات نصية، وهامشية نصية، وتنشيط ثقافته الشخصية»[4]

أما اللاتجانس التكويني فيمكننا الحديث عنه –في نظر الباحثة – « عندما يسيطر ما بين الخطابات على الخطاب؛ فالخطاب ليس فقط فضاء يتسرب إليه من الخارج خطاب آخر، فهو يتكون من خلال مناظرة مع الغيرية، مستقلا عن كل أثر ظاهر لشاهد أو تلميح»[5] ويتوافق هذا مع تصور م . باختين(M.Bakhtine) لتجذّر ظاهرة التفاعل الخطابي في الخطاب الطبيعي الذي ينتجه أيّ متكلم .و هو ما يعرف بنظرية التحاورية المعممة.[6]

نسعى في هذا المبحث إلى ضبط تصور للآليات الخطابية التي نقدّر أنها تستنفر ظاهرة التعدد الصوتي في خطاب الجاحظ الرسائلي. وهذه الآليات منها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس الخطابي المعروض أو المظهر، مثل الخطاب المباشر المنقول، والخطاب غير المباشر المنقول، ومنها ما هو ناتج عن ظاهرة اللاتجانس التكويني، كالخطاب غير المباشر الحر، والافتراض المسبق، والمشهورات المضمنة في الملفوظات، والأمثال الشعبية المدمجة في النسيج التركيبي للملفوظات، بعد إزالة التكلس عنها. وفي الأسطر التالية نحاول أن نقدّم إضاءة نظرية لبعض من هذه الآليات الخطابية .

وعند التطبيق على هذه المفاهيم قادنا التحليل إلى دراسة القضايا التالية

(4) - ب .شارودو ود.مانغونو:معجم تحليل الخطاب، ص283
(5) - نفسه، ص284
(6) - نفسه، ص ن

أ)ذوات الخطاب وذوات الواقع في الخطاب الرسائلي: حيث حاولنا الكشف عن مدى مطابقة ذوات الخطاب لذوات الواقع، والكيفيات التي تم بها تعيين الذوات نصيا في المستويين التلفظيين؛

- المستوى التلفظي 1:المتكلم(كاتب الرسائل)/ المتكلم له(المراسَل)

(1)- المتكلم/كاتب الرسائل (2)-المتكلم له/المرسل إليه

وقد عكفنا في هذا المستوى على دراسة ظاهرتين بارزتين في الرسائل، هما: اطّراد استخدام ضمير المخاطب المفرد ، وخلو صدور بعض الرسائل من ضمير الخطاب

-المستوى التلفظي 2: المتلفظون(الصوت الجماعي والفردي)/المتلفظ لهم

وفي هذا المستوى عرضنا لتحديد موقع المتلفظين(الصوت الجماعي والفردي)، حيث برزت المسائل التي تتعلق بإحالة الضمائر، وهي:

ضمير المتكلم المفرد /اسم العلم الفردي - ضمير المتكلم الجماعي /اسم العلم الجماعي - الضمائر مبهمة الإحالة/الصوت الآخر - ضمير المتكلم /التسميات النعتية

كما عالجنا في هذا المبحث كيفيات تعيين المتلفظ لهمEnonciataires، والشخص الثالث.

وإلى جانب قضية المطابقة بين ذوات الخطاب وذوات الواقع،استوقفتنا ظواهر خطابية أخرى لا تقل أهمية، ترتبط بها وتتداخل كما ترتبط وتتداخل مع القضايايا الخطابية المختلفة التي تبرز في الخطاب الرسائلي للجاحظ، ونعني بها: ظاهرة هيمنة المتكلم /كاتب الرسائل على التلفظ، وما يتداخل معها من ظواهر ، كظاهرة كفالة الملفوظات وتفاوت درجتها من رسالة إلى أخرى، وظاهرة استحضار خطاب الآخر باعتبارها تجليا للتعدد الصوتي، يستدعيها في خطاب الرسائل موقف الحجاج والحجاج المضاد، وحجاج السلطة القائم على الاستشهاد بالقرآن الكريم و الحديث الشريف والحكمة و المثل والقول الشعري وضوت الحكمة الشعبية ممثلا في المواضع المختلفة المعبرة عن المرسى من الأعراف والاعتقادات وقواعد السلوك السليم.

المقدمة والخاتمـــة

بالانجليزية

Preface

So many years ago, people have considered Aljahiz books as a source of literature, wisdom and pure knowledge. Recently, they have said much in the plenty books written about him. Nowadays we still can say that Aljahiz is a teacher of intellect and literature, an issues creator and an owner of proposals that have no limits, because whenever the search reached the point, it starts again and tries to figure out the results that those issues and proposals have led to.

When you ask about Aljahiz contributions in the linguistic field you would be in front of an infinite studies that wrote down his efforts and tried hard to register and analyze them, as well as it showed up his preempts in so many concepts such as polyphony, vocabulary, grammar and lexicology.so far, Aljahiz had contributed in other fields especially Rhetoric and Eloquence, and all that concern both of them by creating concepts and supposing conceptions which are so similar to those found by contemporary searchers and semiologists. Even in Narration, theology, policy and epistemology; Aljahiz is there we can simply say that whenever an issue among, it's mentioned: Aljahiz had given a preemptive view or an initial opinion about it.

These were the motivations that made me (pushed me to) choose Aljahiz as a subject of work and theme of research. They are motivations that can never be neglected in any of works and

especially academic ones that take very hard and big efforts. In what concern the theme itself, I have focused on “epistles “his famous oeuvre, I have found that it deserves attention as well as his other oeuvres.

According to the Bibliographic questionnaire that I have done, I have realize that searchers gave it less attention than the other well-known books, such as : El bayane wa tabyine (Eloquence and demonstration) ; Albukhalaa (the scrooges) ; Alhayawane (the animal), these three books were the most studied in the last decades. This huge focus on the most important books has led to similar researches with a lot of repetition and ruminating, and this was another reason to choose “epistles “ as a theme of my PHD thesis (Doctorate thesis) for the second time after being the theme of my Master thesis, titled “ Epistemological Aesthetic perusal of the argumentative text according to Aljahiz (the epistles as model) “ which I’ve mentioned in its last chapter “ the Eloquence of argumentation in the epistles “ especially in what concern the polyphony, then came the Doctorate, so I had to confirm the rest of the work and go further in my researches about the polyphony phenomenon, in order to reach its two other levels : the textual level and the discursive one ; and I had to go deeper in my researches about all the issues that present the thesis conception. This deep research guided me to think about choosing the right theme which was in the end : “ Writing and persuasion bets – Pragmatism approach to Aljahiz epistles through the concept of polyphony.

The Objectives :

In this research, I'm looking to reveal what the epistles contain as a literary speech of Pragmatic semantic indicators that help to adopt a new vision for this huge quantity of texts. So as we overlook the theory of inferiority which was attributed to it, and we open prospects for reclassifying it, on the one hand, and for estimating its literary and intellectual value on the other.

I have tried to use the study of the epistolary discourse to prepare the facts that might help to find a better treating for the methodic issues raised over Aljahiz's writing method, his digression and encyclopedism, his fluctuating between oral and written eloquence, and the explanation of the contradictory of his opinions from a work to another, and from a position to another in the same work.

I wanted also in this research to raise some problematics about the text Authenticity that we all can see that it might be limited by the Polyphonic analysis in a convincing and satisfying way, and even enlighten all its sides, and because the study of polyphonic levels has discern to us that the scripter intervenes frankly in the epistle scriptural space sometimes, what push us to wonder : what does it prevent it from intervening not in a frank way or any other way ?

Hypotheses :

The objectives conception mentioned in the text above has led me to definite the thesis Hypotheses and the problems raised over it, so was the first hypothesis about the **epistles** classification under the global noun " epistles " or any other relative noun either by dependency or division, and that this reductive classification is trying hardly to margin " the epistles " and give the impression that they are "First or second degree literary works " and what proves all this is the few number of studies done about this subject, and here we are in front of a very important question : To which extent is " the epistles " depended classification applicable and right in a Pragmatic perspective ? and does this classification motivate the attention to the Epistles and uncover their educating and methodic worth.

Besides appears the hypothesis that consider that the epistles is often read as one type of discourse or similar textual type, what made us wonder : do the typical markers show us the difference between an epistle and another, in their beginnings and its ends and in the diversity of the discourse types ?

And do their content of discourses and texts show us the diversity of the discourse types that can be involved in each one of the epistles?

I have also hypothesized that each new perusal of the epistolary discourse is a new production of its semantics,

Because we have been in front of a lot of resultant opinions of previous perusals about Aljahiz, where is mentioned his Muatazilit Doctrinal engagement, his alliances and his disputes (arguments), and judge it differently, so I wanted through this Polyphonic Pragmatic perusal to answer the questions raised over that, like: How do the different enunciative markers show what Aljahiz took as stand from those he used their discourses, groups and individuals? And what are the markers? And to what extent can their executive efficacy confirm the widespread opinions about Aljahiz stand from the real persons he discourse with, in his epistles.

The actual situation of the research :

I have mentioned previously the poverty and the few number of the studies done about the epistles, in general, but especially those about the Pragmatic approach, so I can clearly say that I didn't get enough of references that may help me in my research, and enrich the process of " Epistles chosen models and exemplars analysis , except for the valuable study done by SALIH BEN RAMDHANE about the literary epistles in the old Arabic literature, which was extremely useful and helpful in what concern " the typical classification of the epistles discourse " chapter, and also some few other studies that chose the epistles themselves as subject of research by different analyzing perspectives.

That was about the research theme references, but in what concern the depended method references titled the polyphonic Pragmatic method, I didn't touch a big difference, because

As much as it was easy to gather some considerable number of references in the two languages Arabic and French, it was difficult to find Arabic references in touch with the polyphony concept and its applications.

So I depended only on the French references of many searchers who belong to the polyphonic analysis schools, like : Linguistic polyphonic school (O.Ducrot); dialogical school of Geneva (E.Roulet) or the Scandinavian school known by" scapoline "(H. Nolke) and His colleagues.

Despite all those difficulties, I worked hard on getting the most possible aid from the other studies done about Aljahiz's others oeuvres, even just for consultation.

And for not missing any point, I have to signal its practical side and its depended analysis methods, so I say that the practical studies done in the francophonic space mentioned previously, have gave me a lot of enlightenments that guided me to construct the analysis models I have adopted in the application on the models token from the epistles.

The corpus regulation:

I have depended basically, on Aljahiz's epistles " explained and presented by Ali Abu Melhim in the three parts " as research corpus

for so many reasons, like the fact that it represent the most current detective (revision) work to present the epistles to the readers. As we can also that it contain detailed indexes, of the partial contents of the epistles, followed by margins that describe a lot of issues, as well as the epistles introductions placed at the beginning of each of the three parts and labeled respectively " politic epistles", " literary epistles and the " Verbal epistles".

Even that I have depended basically on this text as a corpus, I have returned when necessary to the investigative texts, to compare and to confirm the information.

And the dealing with the corpus underwent of course to the research constraints, requirements and objectives, and the same did the epistles texts investment by following the research plan, then the examples has been selected from the epistles, and referred to, according to the gradual growth of the research idea, and also to the analysis processes, which I was called to mature them and go through them until the end. Some epistles has been present strongly, some less strongly, and others has not been presented at all for not containing the possibility of the analog citation of the polyphony phenomena.

- The epistle is mentioned for the first time with all its edition notices.
- The epistle is mentioned with its tiltle, and the pert that belongs to, if it is mention more than once.

- The part title is mentioned just if the epistle is mentioned over the research text.

The research method

I have previously hinted at the method I depended on, in this research which is the polyphonic Pragmatic method. I have specialized the portal chapter of my thesis to classify its foundations, show its theories and simplify the definition of the conceptual package and its terms.

I would not detail this much if I did not want to clarify the method I depended on, in the corpus analysis, especially because this method has not been transferred to the Arabic language sufficiently, because I didn't find neither Arabic reference nor translated, that shows the polyphony theory and its conceptual package and its terminological system, not only in the electronic data bases but also in the bibliographic lists of the libraries I have visited. So I had to depend foreign language that I have noticed before some of their authors, and it took so much work to translate them, as it was difficult to suggest some terms translation especially those who don't exist in the Arabic studies I have already seen, neither the original ones nor the translated.

I see that it is so important to mention in this preface, that I have follow the steps of the Scandinavian school of the linguistic polyphony, in what concern the method, which gather many

different bents: the linguistic polyphonic bent of Ducrot, the discursive textual polyphonic bent of each one of (E Roulet) and his colleagues in the Swiss research crew (Team), and John Michel Adam, the combination formed to create an analyzing model able to show all the different polyphonic phenomena, whatever was its origin: phrasal linguistic, textual or discursive.

The analysis procedures :

The research method has pushed me to diversify the analysis procedures, and also to use the analysis models that refer to polyphonic pragmatic perspectives from different horizons, what made the linguistic analysis ask for the inspiration from Ducrot's analysis of the made-up terms for a testing purposes, with trying to make it effective in the studies of the original terms, that contain the linguistic polyphonic markers, of negation, question, modality, connection and anaphor.

I did the same for the analyzing model construction, that concern the textual markers, by following what E Roulet and John Michael Adam have done; and by following what Nolke and his colleagues have done in what concern the discursive markers.

The research plan:

It has been clear, through all what is mentioned previously, the general conception of the research plan, so what are its details?

I have divided the research into introduction and four chapters, as I have specialized the introduction to the theoretical foundations,

and I have worked on analyzing the corpus according to the theoretical enlightenments.

I have included in the introduction the theoretical enlightenments that detail more about the research pragmatic origins represented by the most effective pragmatic theories on the polyphonic studies ever, and I meant by this: speech acts theory, conversational implication theory of Grace, the cognitive pragmatic theory of Sperper and Welson, and finally the integrated linguistic pragmatic theory of Ducrot and his colleagues.

This was followed by the definitional presentation of Polyphony theories and its conceptual arsenals, and its terminological systems, that show clearly the polyphony analysis model in its latest manifestations upon the Scandinavian school.

In the first chapter the textual typology of the epistles come up from the perspective of discourse analysis in general, but especially from the pragmatic perspective, so I was compelled to delve into the textual typology of all the discourse types then in the textual typology of the epistolary discourse problematic, and in the end I chose to apply the semantic textual typology concepts on Alhariz's epistles.

And about the three other chapters, where I started to analyze the corpus in a real way, I tried to apply the concepts of the theory mentioned,in text above, on Aljahiz epistles, so I went from the linguistic level in the second chapter to the textual level in the third

one to end up with the discursive level in the fourth chapter in the last as well.

And this way the research circle is all most completed, and by the conclusion that contain all the results I worked hard to get it, the research will achieve its completion.

Annexes and indexes:

In addition to the subjects index and the bibliography, the research process had commanded to add more annexes and indexes to help more in the research evaluation and comprehension, and to explain what was missing in the research text and margins. And I wanted to achieve by them what is below:

- To reduce the margins volume in the search pages, so I kept a special annex to the translated excerpts, and another one to the most important professional masters in the dialogical and polyphonic studies field. And as it customary, these two types of notices should be presented at the margins.
- Ease the access to the corpus evidences by according the cross indexing among the adopted corpus which is " Alhahiz's epistles, presented and explained by Ali Bu Melhim ", " Aljahiz's epistles and the Othmania book, revised and explained by Abdessalam Haroun", and "Tarbiaa wa tadwir book, revised and published by Charl Bilat. This is in order o permit the evaluator reader to check any of the sources.

- Enclose the translated terms including in the research text, and indicate their Arabic equivalent, in order to avoid the confusion that might occur sometimes in identifying the term semantic in its Arabic version.

<u>The Difficulties and the horizons:</u>

Before finishing this preface it's necessary to apologize for the flaws existing in this work, which I have worked hard to get rid of them as much I could, and even all that effort I still feel guilty about it, and I still have the feeling that I didn't do my best and I could do more.

In the end of this preface, I see that this research is not more than a raise of the issues and the problems related to the epistolary discourse of Aljahiz, and to the method adopted in its studying, because the issues such as the confidentiality of the epistles and its typological classification and discursive disharmony, seen by a polyphonic enunciative pragmatic perspective, are all in need to a investigator in-depth research that I hope I will keep on working on it as I hope that other searchers realize it too.

Finally I present all my sincere thanks and gratitude to Dr Be Yechou djillali for all his efforts, advices, and patience, and I present also my apologies for everything I have missed in this work.

Conclusion

Our purpose from this research is to examine a band of hypotheses and try to solve some problematic raised over the epistolary discourse of Aljahiz. And to realize that, I chose the the polyphonic pragmatic approach for containing conceptual frames and executive test and examination tools, which permit to us to figure out the different work mechanics of the epistolary discourse on the textual level and the discursive one as well. This approach has also guided us to find out how can the extern constraints and the intern typological textual ones effect the epistolary enunciation levels, and its combination, as it shows also how the epistolary discourse overtakes the constraint of the epistolary utterance and reaches to the The enunciative levels concept has discern the existence of two others levels.

That's why we were wondering about the necessity of revising the epistles typological classification.

From the hypotheses we had begun from, we have the argumentative content control on the epistles texts, what we could confirm it by the analyzing of the excerpts and the reactive points of view. This confirmation was supported by the epistles writer by using polyphonic markers with argumentative touch.

In another side, the ecart that characterize the pronominal indications using, and the ranging of its referring to the real persons, between the clarity and the mystery, showing and hiding, have both

show us the response of the speaking epistle writer to the utterance situation and its connectivity with the ideological an emotional stand of the writer from his interlocutors and society; because from an epistle to another, the use of pronouns changes between the plural and the singular , even if the hierarchy of the speaker and the listener doesn't change, what reflects the tensions of the communicative situation with its confusions and conditions.

Then comes the Clear enunciation phenomenon in the epistles to Reveal the distance that separates between the epistle writer and the utterance of persons he used their voices, and as much as he is neutral and discreet, his absence from the enunciative scene increases, and vice versa.

And that was based of course on the measure of the degree of ensure.

These phenomena give polyphonic Epistles pragmatic and dialogic character. This allows the speech enshrined in the epistles themselves as communicative space or hear a variety of voices emanating from the distant past, with everything that characterize differences and ideological and doctrinal differences, including the writer of epistles would both participant witness, as they can be taught to consider carrying a single message that can be summarized in one sentence: the difference of opinion should not affect the need to respect the other one.